شرح خطب ابن نباتة

عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل

المتوفى ٣٧٤هـ

وبليه

شرح خطب ولده أبي طاهر محمد

شرحها

الشيخ العلامة طاهر بن صالح الجزائري

المتوفى ١٣٣٨هـ

قدم له واعتنى به

أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: Šarḥ ḫuṭab Ibn Nubâtah
(Explanation of Ibn Noubata's orations)

Author: Ṭāhir ben Ṣāliḥ al-Jazā'iri

Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 376

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: شرح خطب ابن نباتة
ويليه: شرح خطب ولده أبي طاهر محمد

المؤلف: الشيخ طاهر بن صالح الجزائري

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلميـــــة ــ بـيروت

عدد الصفحات: 376

سنة الطباعة: 2007 م

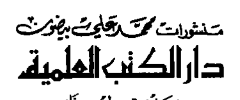
بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

منشورات محمد علي بيضون



الطبعـة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ



بيروت - لبنان

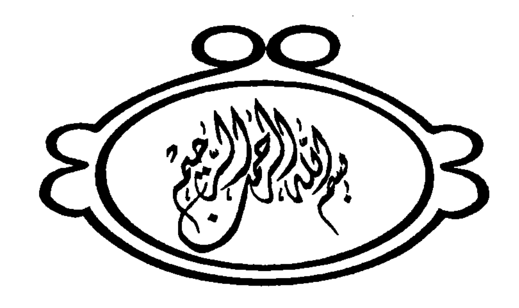
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمـل الظريف، شـــارع البحتري، بنايـــة ملكـارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفـاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فـــرع عـرمـــون، القبـــــة، مبـــــنى دار الكتب العلميـــــة
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فـاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



ترجمة مختصرة لابن نباتة

هو الإمام البليغ الأوحد خطيب زمانه أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نباته الفارقي صاحب الديوان الفائق في الحمد والوعظ، وكان خطيبًا للملك سيف الدولة.

وقد اجتمع بأبي الطيب المتنبي، وكان فصيحًا مفوهًا، بديع المعاني، جزل العبارة، رزق سعادة تامة في خطبه، وكان فيه خير وصلاح .

رأى رسول الله ﷺ في نومه، ثم استيقظ وعليه أثر نور لم يعهد قبل فيما قيل، وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يومًا، وتوفاه الله، فذكر أن رسول الله ﷺ تفل في فيه وقال له: وفقك الله، قال: فانتبهت من النوم وبي من السرور ما يجل عن الوصف، فأخبرت أهلي بما رأيت.

وقال الكندي بروايته: وبقي الخطيب بعد هذا المنام ثلاثة أيام لا يطعم طعامًا ولا يشتهيه، ويوجد في فيه رائحة المسك ولم يعش إلا مدة يسيرة، ولما استيقظ الخطيب من منامه كان على وجهه أثر نور وبهجة لم يكن قبل ذلك، وقص رؤياه على الناس، وقال: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يومًا لا يستطعم فيها طعامًا ولا شرابًا من أجل تلك التفلة وبركتها، وهذه الخطبة التي فيها هذه الكلمات تعرف بالمنامية لهذه الواقعة، وهذا الخطيب لم أر أحدًا من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه، فإنه قال: ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة بميّا فارقين، ودفن بها رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي :قيل: لم يل خطابة حلب إلا بعد موت سيف الدولة ابن حمدان، وبلغنا أن عمره لم يبلغ الأربعين بل عاش تسعًا وثلاثين سنة، فالله أعلم.

ولم يصح ذلك، فإنه ابتدأ بتصنيف خطبه، في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة،

وهو إذ ذاك خطيب منبر، وجالس المتنبي، فلعله عاش خمسين سنة أو أكثر.

ونباته: بضم النون وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مفتوحة ثم هاء ساكنة، والحذاقي بضم الحاء المهملة، وفتح الذال المعجمة وبعد الألف قاف، هذه النسبة إلى حذاقة بطن من قضاعة، وقال ابن قتيبة في كتاب أخبار الشعراء: حذاقة قبيلة من إياد والله أعلم.

وقال ابن خلكان: وأخبار الخطيب ومناقبه كثير وذكر البهاء العاملي أن الشريف الرضي وأخاه المرتضي أخذا عنه في الصبا.

قلت:إن كثيرًا من أهل العلم من الصوفية يعتقدون فيما كُشف لهم أن خطب ابن نباته هذه، سيخطبها لأهل الجنة يوم القيامة، وهو المعروف عندهم بخطيب خطباء الدنيا والآخرة، والله أعلم.

من شروح ديوان الخطب هذا:

١- شرح أبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري الحنبلي الحاسب النحوي الضرير المتوفى سنة ٦١٦هـ.

٢-شرح تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي المتوفى سنة ٦١٣هـ.

٣-شرح الشيخ الحكيم موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ.

٤-شرح عثمان بن يوسف القليوبي المتوفى سنة ٦٤٤هـ.

٥-شرح لمجهول يسمى روضة الناصحين .

٦-شرح سري الدين بن هانئ.

٧- شرح القاضي نجم الدين البارزي الحموي.

٨-شرح بدر الدين القرافي المتوفى سن ٦٨٤هـ، وهو الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباته.

تنبيه: قد اشتهر بابن نباته ثلاثة:

الأول: ابن نباته المصري، صاحب مسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وهو من ذرية الخطيب.

والثاني: عبد العزيز ابن نباته السعدي، وهو معاصر للخطيب، وكان شاعرًا

مجيدًا، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، وله في سيف الدولة غرر القصائد ونخب المدائح، وقد توفي سنة ٤٠٥هـ.

والثالث: هو الخطيب صاحب الديوان.

وقد توهم بعد الأفاضل الفتح في (نباته) لأنه كان يوري في شعره بالفطر النباتي، وهو بالفتح لأنه نسبة للنبات، وهو نوع من السكر العجيب، يعمل منه قطع كالبلور شديد البياض والصقالة، والظاهر أنه فارسي حادث، نعم، روي الفتح في المنسوب إليه.

قال في القاموس: اختلف في نباته جد الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، والضم أكثر وأثبت.

وانظر في ترجمته:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٧/١٠).

٢-المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (١٣٠/٢).

٣-معجم المؤلفين لكحالة (١٣٥/٢).

ترجمة مختصرة للشارح

هو الأديب الباحث اللغوي، المشارك في أنواع من العلوم،محسن لأكثر اللغات الشرقية كالعبرية والسريانية، والحبشية، والزواوية، والتركية والفارسية، طاهر بن صالح ابن أحمد بن موهوب السمعوني، الجزائري أصله من الجزائر، وولد بدمشق في ربيع الثاني، هاجر والده من الجزائر إلى دمشق سنة ١٢٦٣هـ.

وولد سنة ١٢٦٨هـ، وفي فهرست الخديوية ١٢٦٤هـ.

وتولى بدمشق قضاء المالكية، دخل طاهر المدرسة الجقمقية الإعدادية، وتخرج منها، واتصل بعبد الرحمن البستاني، أخذ عنه العربية والفارسية والتركية،ومبادئ العلوم ثم اتصل بعبد الغني الميداني الغنيمي ودرس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية ولم يبلغ الثلاثين من عمره، حتى أتقن العربية والفارسية والتركية، وكان يعرف من القبائلية البربرية لغة مواطنيه، وعني عناية خاصة لعلاقة اللغة العربية باللغات السامية، وأولع في صغره باقتناء المخطوطات والدشوت، فاجتمع له منها مع الزمن مجموعة عظيمة أعانته في مقتبل العمر على الارتفاق من ثمنها، وقد تضاعفت أسعارها، وعرف طبقات المؤلفين وتراجم الرجال، أماكن المخطوطات والنسخ المتفرقة منها في الخزائن الشرقية والغربية. تولى التعليم لأول مرة في المدرسة الظاهرية الابتدائية وفي سنة ١٢٩٤هـ دخل الجمعية الخيرية، وهي التي استحالت بعد ديوان معارف فعين سنة ١٢٨٥هـ مفتشًا عامًا على المدارس الابتدائية المنشأة على عهد مدحت باشا والي سورية، فاقتضاه ذلك إلى تأليف كتب التدريس للصفوف الابتدائية في جميع الفروع، وأخذ على نفسه تعليم المتعلمين أصول التدريس، وأنشأ في هذه الأثناء دار الكتب الظاهرية ١٢٩٦هـ، وبعد ذلك أنشأ في القدس خزانة سماها المكتبة الخالدية وهي كتب راغب الخالدي، ضمت إليها كتب أسرته، وعين مفتشًا للمدارس فيها، وساعد على إنشاء المكتبة الخالدية في القدس، وانتقل إلى القاهرة، ثم عاد إلى دمشق فنصب عضوًا عاملاً في المجمع العلمي العربي ومديرًا لدار الكتب الظاهرية.

وتوفي بدمشق في ١٤ربيع الثاني سنة ١٣٣٨هـ، ١٩٢٠م.

من تصانيفه:

١- إرشاد الألباء إلى طريق تعليم ألف باء.

٢- تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز.

٣- التقريب لأصول التعريب.

٤- الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام.

٥- مراقي علم الأدب.

٦- الجواهر الكلامية في القصائد الإسلامية.

٧- منية الأذكياء في قصص الأنبياء.

٨- من الراحة إلى أخذ المساحة.

٩- مدخل الطلاب إلى علم الحساب.

١٠- رسالة في النحو.

١١- رسالة في البديع .

١٢- شرح ديوان خطب ابن نباته[1].

١٣- رسالة في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

١٤- مقدمة الكافي (معجم لغوي).

١٥- توجيه النظر إلى علم الأثر.

١٦- مختصر أدب الكاتب لابن قتيبة.

١٧- مختصر أمثال الميداني.

١٨- مختصر البيان والتبيين للجاحظ.

١٩- المنتقى من الذخيرة لابن بسام.

٢٠- تفسير القرآن في أربع مجلدات.

---

(١) طبعته الأولى بمطبعة جريدة بيروت، سنة ١٣١١هـ.

وانظر في ترجمته:

١ - الأعلام للزركلي (٣٢٠/٣).

٢- معجم سركيس (٦٨٨-٦٩١).

٣- تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر للباني.

٤- نفحة الشام للقاياتي (١١٣/١٢٢).

٥- تراجم أعيان دمشق للشطي (١٢٠).

٦- معجم المؤلفين لكحالة (١١/٢).

خطب ابن نباتة

الحمد لله المسبح باللغات المختلفة، المعروف بإتقان صنائعه المؤتلفة(١)، المنعوت بما نعت به نفسه، الموصوف بما عظم به قدسه(٢)، أحمده حمدًا يقوم بشكره، ويؤمن من سطواته ومكره، ويقود إلى عفوه وغفره(٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة سالمة من غوائل الشك.خالصة من شبه الباطل والإفك(٤). وأشهد أن محمدًا عبده الشريف، ورسوله المنيف، وأمينه الذي كان عدلا لا يحيف(٥)، أرسله بالرأفة والرحمة، وأيده بالثبات والعصمة(٦)، وكشف به غيابة الغمة، فهو خير نبي بعث إلى خير أمة(٧)،صلى الله عليه وعلى آله صلاة يبلغهم بها نهاية المراد والهمة، ويبيض بها وجوه أوليائهم يوم القتر والظلمة(٨)، وسلم تسليما.

أيها الناس: ما هذه السنة أنتم منتبهون، وما هذه الحيرة وأنتم تنظرون(٩)، وما هذه الغيبة وأنتم حاضرون وما هذه السكرة وأنتم صاحون(١٠) وما هذه الطمأنينة وأنتم مطلوبون، وما هذه الإقامة وأنتم راحلون(١١)، أما آن لأهل الرقدة أن يستيقظوا.

---

(١) الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري، والتسبيح التنزيه عن النقائص. والمراد باللغات المختلفة جميع اللغات واختلافها تنوعها وتعددها، والصنائع المصنوعات. والمراد بائتلافها تناسبها على ما تقتضيه الحكمة.

(٢) المنعوت بمعنى الموصوف ونفس الشيء عينه ويجوز إطلاقه عليه تعالى بدون مشاكله بدليل لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والقدس في الأصل بمعني الطهارة والنزاهة وهو هنا كناية عن الحضرة المقدسة.

(٣) المكر قد يذكر بطريق المشاكلة فيكون معناه في حقه تعالى مقابلة الماكر بما يستحقه وقد يذكر بغير طريق المشاكلة فيكون معناه الاستدراج.

(٤) الغوائل جمع غائلة بمعنى الداهية. والباطل خلاف الحق . والإفك الكذب.

(٥) المنيف المرتفع والعالي أي العالي الشرف وقوله لا يحيف صفة كاشفة لعدل.

(٦) أيده قواه . والعصمة الحفظ من الوقوع فيما لا ينبغي

(٧) غيابة الجب قعره وكل ما غيب شيئا فهو غيابة. والغمة الغم.

(٨) يوم القتر يوم القيامة والقتر جمع قترة وهو الغبار وتستعمل القترة مجازا فيما يغشى الوجه من آثار الكرب.

(٩) السنة والوسن النعاس.

(١٠) إثبات الغيبة والحضور والسكر والصحو باعتبارين مختلفين فلا تناقض.

(١١) الطمأنينة السكون وهو ضد الاضطراب.

أما حان لأبناء الغفلة أن يتعظوا[١]، أما أزف لأولي العقول أن يتفكروا، أما ردف لذوي التجارب أن يعتبروا[٢].

لقد صدقكم الموت عن الخبر، وأركم تصاريف الغير[٣]، وآذنكم بالرحيل وقدمكم جيلا بعد جيل[٤]، فما للقلوب لا تتصدع خشوعاً. وما للعيون لا تجري بدل الدموع نجيعًا[٥]، أتحسبون أن الأمر صغير، أم تتوهمون أن الخطب يسير[٦]، كلا لتردن الصمة الصماء، والداهية الدهياء[٧] المكفهرة الشنعاء، المدلهمة السوداء[٨]، التي لا ينادى وليدها، ولا تكذب شهودها[٩]، فكأنكم بالساعة قد رجف زلزالها، واشمخر وبالها، واقمطر نكالها[١٠]، وترادفت أهوالها، وتحققت أوجالها[١١]، وكشف العيان أحوالها، وقال الإنسان ما لها[١٢]، فيومئذ تبرز المخبئات، وتبدو المكتمات[١٣]، وتظهر الفضائح، وتكثر الجوائح[١٤]، وترعد

---

(١) الرقدة المرة من الرقاد وهو النوم. وحان بمعنى آن .

(٢) أزف دنا وقرب وردف له تبعه يقال: نزل بهم أمر فردف آخر والتجارب بكسر الراء جمع تجربة.

(٣) صدقكم أتاكم بالصدق. وغير الزمان تقلباته قال الكسائي هو اسم مفرد مذكر وجمعه أغيار.

(٤) آذنكم أعلمكم.

(٥) تصدع وانصدع انشق، والنجيع الدم الذي يضرب للسواد وقال الأصمعي هو دم الجوف خاصة والأكثر استعماله في الدم مطلقًا.

(٦) الخطب الأمر تقول ما خطبك أي ما أمرك وشأنك ويأتي بمعني الأمر المكروه يقال نزل به خطب.

(٧)كلا تأتي بمعنى الزجر كما هنا وتأتي بمعنى حقًا. والصمة الداهية والصماء الشديدة. والداهية الدهياء مثلها. والداهية المصيبة التي لا تطاق .

(٨) اكفهر الليل اشتد ظلامه واكفهر الرجل عبس وادلهم الليل اشتد ظلامه والمدلهمات: الشدائد.

(٩) أي لشدتها لا ينادى بها الصغار.

(١٠) رجفت الأرض زلزلت واضطربت ورجف هنا بمعنى اضطرب اضطرابًا شديدًا ويمكن أن يكون إسناد الرجفان إلى الزلزال من قبيل جد جده، واشمخر طال وقد اعتراض عليه ابن الأثير في استعمال هذه اللفظة لأنها لا تحسن إلا في الشعر، واقمطر اشتد ومنه يوم قمطرير أي شديد البؤس.

(١١) الترادف التتابع والتوالي. والأوجال جمع وجل وهو الخوف.

(١٢) العيان المعاينة وهي رؤية الشيء بالعين، وقوله ما لها أي ما لهذه الحالة وهو استفهام استعظام وفيه اقتباس.

(١٣) تبرز تظهر والمخبآت الخفيا.

(١٤) الجوائح جمع جائحة وهي الشدة التي تستأصل الشيء.

الجوانح، وتشهد الجوارح[1]، وتبعثر الضرائح. وتعدد القبائح[2]، فيا خجل المقصرين من التوبيخ في محفل القيامة، ويا حيرة أولي التفريط من زلازل يوم الطامة[3]، ويا سوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة، ويا حسرات الهالكين إذا عاينوا أهل السلامة[4]، ويا هوان المتكبرين إذا حرموا دار الكرامة[5]، هنالك سدت على الهاربين مذاهب السبل، وضاقت على المحتالين وجوه الحيل[6]، وخابت من الآملين أضاليل الأمل، وحصل كل على ما قدم من العمل[7]، جعلنا الله وإياكم ممن أحسن الارتياد لنفسه، واستعبر باكيًا على ما فرط في يومه وأمسه[8]، وأطاب الزاد لحلول رمسه[9]، إن أنفع الوعظ وأشفاه، وأبلغ الإنذار وأنهاه[10]، وأزكى الذكر وأنماه، كلام من لا إله سواه[11]، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

---

(١) أرعد الرجل على ما لم يسم فاعله أخذته الرعدة والرعدة الاضطراب والاهتزاز من برد ونحوه الجوانح الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلى الظهر والجوارح أعضاء الإنسان التي يجرح بها أي يكتسب.

(٢) الضرائح جمع ضريح وهو القبر وبعثر القبر أثير وأخرج ما فيه.

(٣) محفل القوم مجتمعهم ويوم الطامة يوم القيامة والطامة الشدة التي تغلب ما سواها وأصلها من طم السيل الركية إذا دفنها وسواها.

(٤) المنقلب مصدر ميمي بمعنى الانقلاب.

(٥) الهوان الذلة والحقارة.

(٦) السبل جمع سبيل وهي الطريق.

(٧) الأضاليل الأباطيل.

(٨) الارتياد طلب الكلأ والمراد به هنا طلب الزاد للآخرة. واستعبر جرى دمعه، وفرط سبق ومضى. وفرط في الشيء قصر فيه وضيعه والموضع هنا يحتمل المعنيين. وأما أفرط فإنه بمعنى تجاوز الحد.

(٩) أطاب الزاد جعله طيبًا، والرمس القبر.

(١٠) أنهاه اسم تفضيل من النهي.

(١١) أزكى أطهر وأنمى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ السورة، ثم تقول: بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين. وكذلك القول في آخر كل خطبة.

خطبة أخرى يذكر فيها الموت والمعاد

الحمد لله المجير الذي لا يذل من لاذ بعزه، النصير الذي لا يقل من عاذ بجرزه[١]، المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب[٢]، الذي لا ينقص خزائن ملكه العفو، ولا له ند ولا كفو[٣].

أحمده حمد معترف بالتقصير عن شكره، وأسأله التوفيق للقيام بنهيه وأمره[٤]،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرغم بها المنافق الجاحد، ويعظم بها الخالق الواحد[٥]، وأشهد أن محمدًا عبده القائم بحقه، ونبيه المرسل إلى كافة خلقه[٦]، أرسله على حين فترة من الرسل، ونسخ بملته جميع الملل[٧]. حتى استقام الحق واعتدل، وخام الباطل وبطل[٨]. صلى الله عليه وعلى آله ما لاح نجم أو أفل[٩].

---

(١) لاذ به لجأ إليه وعاذ به لا يقل أي لا يعد قليلا أي حقيرًا، والحرز الحصن. وفي هذه السجعة الترصيع وهو كثير في كلامه من غير تكلف مع صعوبة مسلكه.

(٢) السرائر جمع سريرة وهي ما يكنه القلب.

(٣) الند المثل والنظير وكذلك الكفو.

(٤) الفقرة الأولى يخالفها في الظاهر قوله في الخطبة السابقة- أحمده حمدًا يقوم بشكره، ويرتفع التحالف بالتدبر.

(٥) أرغم الله أنف فلان ألصقه بالرغام وهو التراب وهو كناية عن الإذلال.

(٦) كافة الخلق جميعهم.

(٧) الفترة ما بين الرسولين من الزمان كذا قيل والتحقيق أن الفترة تبتدئ من تناسي أحكام الشريعة السابقة إما بالتحريف والتبديل أو بالإعراض عنها حتى كأنها لم تكن وتنتهي بظهور أحكام الشريعة اللاحقة، والنسخ بيان انتهاء الحكم السابق ولا يدخل في الأخبار ولا في العقائد ولا في الأحكام الحسنة لذاتها كالعدل والملة هنا بمعنى الشريعة.

(٨) خام جبن ورجع القهقري.

(٩) أفل غاب وما في هذا الموضع وما أشبهه مصدرية توقيتية كالتي في قولك: اجلس ما جلس =

أيها الناس: ما أعظم المصيبة على من فقد قلبًا واعيا، وأسرع العقوبة إلى من عدم طرفًا باكيًا[١].لقد غلب على قلوبكم الطبع فتملكها . واستحوذ على نفوسكم الطمع فأهلكها[٢]. وأنتم عما يراد بكم غافلون، وبخلاف ما قد علمتموه عاملون[٣].كأنكم بما قد تحققتموه جاهلون[٤] فلا الوعظ يشفي منكم غليلا،ولا الإنذار يجد إلى قلوبكم سبيلا[٥]، وقد علمتم أن وراءكم يومًا ثقيلا ،أمامكم من الموت خطبا جليلا[٦]، فياعجبًا لغفلة مطلوب لابد من إدراكه. ووارحمتا لمغتر بالسلامة لا ريب في هلاكه[٧]، ألا أذن تسمع، ألا قلب يخشع[٨] ألا عين تدمع ألا هارب إلى الله يفزع[٩] ألا نادم مقلع ألا مشمر مزمع[١٠] ألا راحم نفسه ألا ذاكر رمسه[١١] ألا مرتاد لنفسه في الخلاص، ألا وجل من هول يوم القصاص[١٢]، أتظنون أنكم للدنيا عمار، أم تحسبون أنها لكم دار[١٣] كلا لتردن وشيكا موردًا لا صدر لكم عنه ولتنهلن منهلا مر المذاق لابد لكم منه[١٤]، فدراك دراك، قبل حلول

=

زيد أي اجلس مدة جلوس زيد والمراد بما نحن فيه الدوام والاستمرار إذا الزمان لا يخلو عن نجم لائح أو آفل.

(١) الواعي الحافظ والطرف العين.

(٢) الطبع الصدي والدنس ومنه قولهم رب طمع أدى إلى طبع، واستحوذ غلب.

(٣) الذي يراد بهم استكمال أسباب السعادة.

(٤) هذه الفقرة تابعة لما قبلها فتكون السجعة مركبة من ثلاث فقر وهو قليل وقد التزم ذلك في آخر كل خطبة عند وصف الكتاب العزيز.

(٥) الغليل: حرارة العطش.

(٦) وراء هنا بمعنى أمام على قول بعضهم ويدل عليه ما بعده.

(٧) لا ريب: لا شك .

(٨) تسمع: أي سمع قبول.

(٩) إلى متعلقة بيفزع.

(١٠) أقلع عن الشيء كف عنه وأزمع على الأمر ثبت عليه عزمه.

(١١) الرمس القبر.

(١٢) المرتاد أصله الطالب للكلأ، والوجل: الخائف.

(١٣) عمار جمع عامر.

(١٤) وشيكا سريعًا وقريبًا ورد الرجل الماء أتى إليه والمورد اسم المكان منه والصدر الرجوع عنه والمنهل المورد والنهل الشر الأول وبابه طرب ويقابله العلل وهو الشرب الثاني علل بعد نهل.

الهلاك[١] قبل هجوم ما لا يدفع وذهاب ما لا يرجع[٢] والندم حين لا ينفع، والاعتذار بما لا يسمع[٣] .

قبل شخوص الأبصار في المحاجر، وبلوغ القلوب إلى الحناجر[٤] . قبل أن لا يستطيع أحدكم حراكا، ولا يملك لأسره فداء ولا فكاكا[٥]. هنالك يبرق البصر. وينزل القدر[٦]. ويتحقق الحذر، ويقول الإنسان يومئذ أين المفر[٧]. ألا إن الساعة أدهى وأمر[٨] ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [٩]. جثيا على الركب بكيا من فضائح ما سطر في الكتب[١٠]. ترتج بهم الأرض بأقطارها، وترميهم النار بشرارها[١١]؛ وتعرض الخليقة على جبارها، فيحاسبها بإعلانها وإسرارها[١٢]. وينبئها باكتسابها في سالف أعمارها، فإما إلى جنتها وإما إلى نارها[١٣]، زحزحنا الله وإياكم عن دار البوار وأحلنا وإياكم دار القرار[١٤].وحمانا وإياكم من حطام هذه الدار[١٥]، إن

---

(١) دراك اسم فعل بمعنى أدرك.
(٢) يرجع يرد.
(٣) لا يسمع لا يقبل.
(٤) محجر العين بوزن مجلس ما يبدو من النقاب وشخص بصره من باب خضع إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم.
(٥) يقال ما به حراك أي حركة وفكاك الرهن بالفتح والكسر ما يفتك به.
(٦) برق البصر من باب طرب إذا تحير فلم يطرف وهو المراد هنا وأما برق البصر من باب نصر فمعناه ظهر بريقه أي لمعانه.
(٧) المفر مصدر ميمي بمعنى الفرار وأما اسم المكان فهو مفر بكسر الفاء.
(٨) أدهي أشد بلية وأمر أشد مرارة أي الساعة أدهى وأمر من حالة النزاع .
(٩) هي كناية عن الرادفة وهي النفخة الثانية التي يعقبها البعث والزجرة النفخة وهم كناية عن الخلائق والساهرة وجه الأرض أي فإذا الخلائق بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتاً.
(١٠) الجثي القاعدون على الركب والبكي الباكون ويجوز فيها ضم الأول وهو الأصل مثل جلوس في قولك: قوم جلوس ويجوز كسره اتباعا للثاني .
(١١) ترتج تهتز، والأقطار جمع قطر وهو الناحية والجانب.
(١٢) الخليقة: الخلق.
(١٣) السالف: الماضي.
(١٤) البوار: الهلاك.
(١٥) الحطام في الأصل ما تكسر من الأشياء اليابسة.

أنفس المغانم والفوائد، وأوضح الدلائل والمراشد، كلام العزيز الواحد[1]،وتقرأ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

خطبة أخرى في الموت والمعاد

الحمد لله السريع حسابه، المنيع حجابه[2].الوبيل عقابه، الجزيل ثوابه[3].الذي جل عن تمثيل القياس، وعظم عن إدراك الحواس[4]. وتعالى عن الأنواع والأجناس، وعم بفضله كافة الجنة والناس[5].

أحمده والحمد من نعمه، وأستزيده من فضله وكرمه[6]،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا لغو في مقالها، ولا انفصال لاتصالها[7]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. بعثه بأنور منار، وأشهر شعار، ،وأكثر فخار، من أطهر بيت في مضر بن نزار[8]، صلى الله عليه آناء الليل وأطراف النهار، وعلى آله المصطفين الأخيار[9] وسلم تسليما.

أيهـــا الناس: من أسوأ حالا ممن استعبده هواه أم من أكسف بالا ممن أبعده مالكـــه ومولاه[10]، أم من أخسر صفقة ممن باع آخرته بدنياه . أم من أكبر حسرة ممن كانت النار منقلبه وعقباه[11]، فما للغفلة قد شملت قلوبكم، وما للغيرة قد سترت

---

(١) المراشد الطرق السوية وهو جمع لا واحد له كمحاسن

(٢) الحجاب المنبيع الذي لا يوصل إليه.

(٣) الوبيل الثقيل والوخيم والجزيل.والجزل العظيم.

(٤) مثل الشيء صور له مثالا بالكتابة وغيرها. والحواس المشاعر الخمس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

(٥) الجنس الضرب من الشيء وهو أعم من النوع.

(٦) أستزيده أطلب منه الزيادة.

(٧) اللغو ما لا يعقد عليه القلب ومنه اللغو في اليمين.

(٨) المنار علم الطريق وشعار القوم في الحرب علامتهم ليعرف بعضهم بعضًا والمراد هنا العلامة مطلقًا.

(٩) الأخيار جمع خير بتشديد الياء.

(١٠) كاسف البال هو الحزين وكاسف الوجه العابس.

(١١) صفق له بالبيع ضرب يده على يده وبابه ضرب ويقال صفقة رابحة وصفقة خاسرة.

عـــنكم عيوبكم[١]، وما للطمع قد صغر عندكم ذنوبكم، وما للأمل قد ملك شبانكم وشـــيبكم[٢]، يـــا سور النوائب ويا غرض المصائب[٣]. ويا نصب الوقائع ويا نهب الفجائـــع[٤]، أما ترون صوارم الموت بينكم لامعه، وقوارعه بكم واقعه[٥]، وطلائعه عليكم طالعة، وفجائعه لعذركم قاطعة[٦]، وسهامه فيكم نافذه، وأحكامه بنواصيكم آخـــذه[٧]، فحـــتام وإلام، وعلام التخلف والمقام[٨]، أتطمعون في البقاء الأبد. كلا والواحد الصمد[٩]. إن الموت لبالرصد، لا يبقي منكم على أحد[١٠]، فكأن قد دارت عليكم دوائره، ودهمتكم عساكره[١١]. وكشف لكم سرائره، ونزل بكل امرئ منكم مـــا يحـــاذره[١٢]. فـــسد مـــنكم مجـــاري الأنفـــاس، وأســـكنكم ظلـــم الأرماس[١٣]. ومضت الحياة وحصلت التبعات[١٤]، وترادفت المفظعات، وتضاعفت الحـــسرات[١٥]. فما أغفل من هذه سبيله عن الاستعداد، وما أجهل من قصر في الزاد لـــيوم المعاد[١٦]. فخذوا رحمكم الله من شباب إن فات أعجزكم لحاقه، ومن مشيب فراق حياتكم فراقه[١٧].

---

(١) شملت عمت وهي من طرب وفيه لغة أخرى من باب دخل لم يعرفها الأصمعي.
(٢) الشبان الشباب وهي جمع شاب، والشيب جمع أشيب.
(٣) النوائب المصائب والغرض الهدف الذي يرمى فيه.
(٤) الفجائع الرزايا والنصب الشيء المنصوب
(٥) صوارم جمع صارم وهو السيف القاطع.والقوارع جمع قارعة وهي الشديدة من شدائد الدهر
(٦) الطلائع جمع طليعة وهي فرقة من الجيش تتقدم أمامه.
(٧) النواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس.
(٨) التخلف التأخر والمقام الإقامة.
(٩) الصمد السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أي يقصد.
(١٠) الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع وربما قالوا أرصاد.
(١١) دهمهم الأمر غشيهم وبابه فهم وربما فتحت الهاء.
(١٢) كشفت أبرزت.
(١٣) الأرماس القبور.
(١٤) التبعة ما اتبع به .
(١٥) ترادفت تتابعت.وفظع الأمر فهو فظيع أي شنيع وكذا أفظع الأمر فهو مفظع.
(١٦) ما: هنا تعجبية.
(١٧) الشباب الحداثة ويكون جمع شاب.

وبادروا والقول يسمع، والمعذرة تنفع[١]. وفي الخلاص مطمع، وفي العمر مستمتع[٢]. قبل أن يغلق الرهن بما فيه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧][٣]، جعلنا الله وإياكم ممن آثر الدار الأخرى، واستقصر عمر الحياة الدنيا، وأحسن الاستعداد للمعاد والرجعى[٤].

إن أجلى المواعظ لدرن القلوب، وأمحى الإنذار لمسطرات الذنوب، كلام علام الغيوب[٥]. وتقرأ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

خطبة أخرى يذكر فيها الموت والمعاد

الحمد لله المؤمل لكشف الشدائد، المتفضل بتحف النعم والفوائد[٦].الذي أكرمنا بتوحيده، وجعلنا من خير عبيده[٧].

أحمده حمدًا قاضيًا لحقه، ضامنًا لرزقه[٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة أومن بها إقرارا . وأشهد بها إعلانًا وإسرارا[٩].

وأشهد أن محمدًا عبده القائم بحججه، ورسوله الداعي إلى منهجه[١٠] أرسله إلى أهل خلف وشتات، وإحن وترات[١١]. فدعاهم بأوضح البينات، وجلا عن قلوبهم

---

(١) الواو حالية.

(٢) المستمتع مصدر من استمتع بالشيء انتفع.

(٣) غلق الرهن من باب طرب استحقه المرتهن وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط.

(٤) الرجعى الرجوع.

(٥) الدرن الوسخ وقد درن الثوب إذا اتسخ والإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف.

(٦) التحف: جمع تحفة وهي الهدية.

(٧) خير عبيده هم الأمة المحمدية.

(٨) أشار بالفقرة الثانية لقولهم بالشكر تدوم النعم.

(٩) قد تطلق الكلمة ويراد بها الكلام كما هنا وهي منصوبة بتقدير أذكر أو أمدح . وإقرارًا مفعول مطلق في معنى الحال أي أومن بها مقرًا وقس عليه إعلانًا وإسراراً.

(١٠) الحجج جمع حجة وهي الدليل القاطع. والمنهج الطريق.

(١١) الشتات التفرق. والإحن جمع إحنة وهي الحقد، والترة والوتر وهما مصدر وترت الرجل =

صدأ الشبهات[١]. وأراهم معجزات الآيات[٢]. صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات، وحياهم بأطيب التحيات[٣] وسلم تسليما.

أيها الناس: أعذبوا ألسنتكم بحقائق الذكر، وذللوا أسماعكم لمواقع الزجر[٤]، وأنيروا قلوبكم بمصابيح الفكر، وأكبروا نفوسكم عن صرعات الكبر[٥]. فإنكم من الدنيا على رحيل عاجل، ومن الموت على خطب فظيع شامل[٦]. منصوبة لكم حبائله، مطبقة بكم غوائله[٧]. لا يبقي ولا يذر، ولا ملجأ منه ولا وزر[٨].

هو موتم الأبناء، ومثكل الأمهات والآباء[٩]. وهادم اللذات، ومفرق الجماعات[١٠]. شديد على الأرواح بأسه، كريه مر المذاقة كأسه[١١]. أدارها على الأمم الخالية، وجرعها سالف القرون الماضية[١٢].

فأخرجهم من القصور العالية، والنعم السامية[١٣]. إلى ردم قبور واهية، تشتمل منهم على رمم عظام بالية[١٤]. وبقايا جسوم متلاشية، لا تحس منهم حاسة ولا ترى

=

قتلت حميمه.

(١) الصدأ في الأصل وسخ الحديد وجلاؤه إزالته .

(٢) المراد بالآيات هنا آيات الكتاب العزيز.

(٣) التحيات التسليمات.

(٤) أعذبوا اجعلوها عذبة أي حلوة.

(٥) أكبروا نفوسكم أجلوها ونزهوها.

(٦) فظيع شنيع.

(٧) الحبائل جمع حبالة وهي المصيدة والمطبق المغشى والمحيط.

(٨) لا يذر لا يترك، والوزر الملجأ.

(٩) موتم الأبناء جاعلهم يتامي لا أب لهم، ومثكل الأمهات جاعلهن ثكالى جمع ثكلى وهي التي فقدت ولدها.

(١٠) هادم إن قرئ بالمهملة فمعناه ظاهر وإن قرئ بالمعجمة يكون من الهذم بمعنى القطع.

(١١) البأس الشدة.

(١٢) الخالية الماضية، والقرون جمع قرن وهو ثمانون سنة وقيل ثلاثون سنة والمشهور عند الناس مائة سنة.

(١٣) السامية من السمو وهو العلو.

(١٤) الردم ما سقط من الجدار المتهدم، والواهية من وهى البناء إذا ضعف وهم بالسقوط والرمم جمع رمة وهي العظم البالي.

لهم من باقية[١].

فانتبهوا رحمكم الله من رقدة الغافلين، وتأهبوا للعرض على أسرع الحاسبين[٢]. في يوم تنسف فيه الجبال، وتكع منه الرجال[٣]. وتخرج الأرض ما فيها، وتهطع الأموات لداعيها[٤]. فهنالك أزفت الآزفة، ورجفت الراجفة[٥].

وتطايرت الكتب، وكشفت الحجب[٦].وتشققت السماء، وأشفقت الأنبياء[٧]. وانتثرت الكواكب، وعظمت المصائب[٨]. وبدت العورات، وانسكبت العبرات[٩]. وخشعت الأصوات، وعددت الجنايات[١٠].واشتد اللزام، واحتد الخصام[١١]. وطاشت الألباب، وخضعت الرقاب[١٢]. ووضع الكتاب، وحرر الحساب، واستوى فيه العبيد والأرباب[١٣]، وحشر العالم في صعيد، وقالت جهنم هل من مزيد[١٤]. وتعلق المظلومون بالظالمين، وقام الناس لرب العالمين[١٥]. ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم:٥٧] فما حيلتك أيها الظالم لنفسه، بتفريطه في يومه وأمسه[١٦].

---

(١) إحساس الحواس إدراكها.

(٢) تأهب للشيء استعد له.

(٣) نسف البناء قلعه والجبال دكها، وكع الرجل ضعف وجبن.

(٤) أهطع الرجل إذا مد عنقه وصوب رأسه وأهطع في عدوه أسرع.

(٥) الآزفة القيامة وأزفت قربت.

(٦) كشف الحجب عبارة عن ظهور ما كانوا يرتابون فيه

(٧) أشفقت الأنبياء خافت على أتباعها.

(٨) انتثرت انفضت وتساقطت .

(٩) العبرات جمع عبرة بالفتح وهي الدمعة.

(١٠) خشعت الأصوات ضعفت فلم ترتفع.

(١١) اللزام الملازمة.

(١٢) طاشت خفت.

(١٣) الأرباب السادات.

(١٤) الصعيد وجه الأرض.

(١٥) قام الناس من قبورهم لأجل أمر رب العالمين وحسابه وجزائه

(١٦) التفريط في الشيء التقصير فيه وتركه حتى يفوت.

وأنى لك بالإخلاص، ولات حين مناص[١].هيهات وجب الحق فلزم، وقل النصير فعدم[٢]. وحكم الله في خلقه بما علم، فلا ناج من عذابه إلا من رحم، ثبتنا الله وإياكم في ذلك المقام، ومحص عنا وعنكم موبقات الآثام[٣]، وأحلنا وإياكم دار السلام، مع أوليائه البررة الكرام[٤]. إن أحسن ما ثبت في الطروس، وأبلغ ما وقع في النفوس، كلام الملك القدوس[٥]،، وتقرأ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

خطبة أخرى في ذكر الموت والمعاد

الحمد لله خالق السموات وسامكها، وبارئ البريات ومالكها[٦]، الذي ليس له مثل ولا شبيه، ولا في قوله بطل ولا تمويه[٧].

أحمده بما يوجب حمده عليه، وأبرأ من الحول والقوة إليه[٨].وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف فاعترف وحاد من انحرف عنها وصدف[٩].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأرسله بكتاب أوضحه، ولسان أفصحه[١٠]. وشرع شرحه، ودين فسحه[١١]، فلم يدع ﷺ فسادًا إلا أصلحه، ولا عنادًا إلا

---

(١) المناص الفرار ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار.

(٢) وجب ثبت وتحقق.

(٣) محصت النار الذهب أخلصته مما يشوبه، والموبقات المهلكات.

(٤) دار السلام هي الجنة لحصول السلامة فيها من كل آفة.

(٥) القدوس من القدس وهو الطهارة.

(٦) سمك الله السماء رفعها.

(٧) التمويه التلبيس.

(٨) إليه متعلق بأبرأ وعليه متعلق بحمده وفي أكثر النسخ وأبرأ من الحول والقوة إلا إليه وقد ظن بعضهم أن أثبات أداة الاستثناء خطأ فسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك فأجاب بأن العبارتين صحيحتا المعنى فمعنى الأولى برئت إليه من حولي وقوتي أي من دعوى حولي وقوتي تقول أبرأ إليك مما صنع فلان وإليه متعلقة بأبرأ ومعنى الثانية أبرأ من الالتجاء إلا إليه وإليه حينئذ متعلقة بمعنى الالتجاء الذي دل عليه لفظ الحول والقوة فإن من له حول وقوة يلتجأ إليه وقد أطال في البيان والاستدلال.

(٩) حاد خالف وعادى وصدف أعرض.

(١٠) أفصحه جعله فصيحا.

(١١) فسحه وسعه.

زحزحه[١].

ولا مغلقاً من الدين إلا فتحه، صلى الله عليه وعلى آله ما هلله ملك أو سبحه[٢]،وسلم تسليمًا.

أيها الناس: إلى كم تماطلون بالعمل، وتطمعون في بلوغ الأمل[٣]. وتغترون بفسحة المهل، ولا تذكرون هجوم الأجل[٤]، وأنتم قرارة سيل المنايا، وإشارة نبل الرزايا[٥]. ومحارة سبل البلايا[٦]. ما ولدتم فللتراب، وما بنيتم فللخراب[٧]. وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتاب مدخر ليوم الحساب[٨].

فرحم الله امرأ قدم الحذر، وأنعم النظر[٩]. قبل أن يفارق الأوطان،ويعدم الإمكان[١٠]،ويدرع الأكفان، ويدخل في خبر كان[١١]، قبل الأخذ بالكظائم، والأسف على اكتساب الجرائم[١٢]،قبل نزول القدر اللازم، وسكون الحركات لدخول الجوازم[١٣]. فحينئذ تضيق الأنفاس، وتفتر الحواس[١٤]، ويقع اليأس، ويحل بالمغرور الحذر والبأس[١٥]، باله مشغولاً عن أقاربه وأحبابه، صريعًا مسلمًا لما به[١٦]. يبسط

---

(١) زحزحه أزاله.

(٢) هلل قال لا إله إلا الله وعداه لتضمينه معنى وحده.

(٣) المماطل هو الذي لا يؤدي الدين في وقته.

(٤) الفسحة بالضم السعة.

(٥) قرارة السيل هو الموضع الذي يستقر فيه.

(٦) المحارة المرجع.

(٧) اللام للعاقبة كقوله ولدوا للموت وابنوا للخراب.

(٨) مدخر معد

(٩) أنعم أمعن

(١٠) الإمكان من أمكن الأمر إذا لم يتعذر حصوله.

(١١) كان في الأغلب تأتي لما مضى وانقضى ودخول المرء في خبر كان كناية عن موته وذهاب زمنه.

(١٢) الكظائم مخارج النفس. والجرائم جمع جريمة وهي الذنب.

(١٣) الجوازم جمع جازم وهو القاطع وفيه توجيه بديع بعرف النحاة.

(١٤) تفتر تضعف.

(١٥) البأس الشدة.

(١٦) الصريع المصروع.

يمينا ويقبض شمالا، ويعالج من سكرات الموت أهوالا[١]، يسأل فلا يرد سؤالا، ويلتمس من الإقالة والرجعي محالا[٢]. قد صار الخبر عنده عيانا، وعاد شكه في الرحيل إيقانا[٣].

ثم سلب روحه وأسكن ضريحه[٤]. وهيل عليه التراب، وعدم منه الإياب[٥]، منقطعًا عن الدنيا أثره، مستعجمًا على أهلها خبره[٦]. ينتظر نقر الناقور، ونفخ إسرافيل في الصور، ليوم العرض والنشور[٧]. يوم يكشف عن المستور، ويحصل ما في الصدور[٨]. ويقع الحساب على الفتيل والنقير، ففريق في الجنة وفريق في السعير[٩]. أيقظنا الله وإياكم من سنة الطبع، وأعاننا وإياكم على هول المطلع[١٠]. وأمننا وإياكم يوم الفزع، وأزلفنا وإياكم في المرتجع[١١]. وإن أولى ما أنذر به ووعظ، وأحلى ما تمسك به وحفظ[١٢]. القرآن المبين. الذي نزل به الروح الأمين[١٣]. وتقرأ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾.

خطبة يذكر فيها الموت والقبر والمعاد

الحمد لله الذي أن وعد أنجز ووفَّى، وإن أوعد تجاوز وعفا[١٤]. أحمده على ما خفي من نعمه وخفا، وعم من آلائه وضفا[١٥]. وهو حسبنا في كل حال

---

(١) الأهوال جمع هول وهي الشدة.

(٢) الإقالة من إقالة البيع إذا فسخه.

(٣) الإيقان من أيقن بالشيء جزم به.

(٤) الضريح القبر.

(٥) هيل مجهول هال يقال هال الدقيق في الجراب إذا صبه من غير كيل، والإياب الرجوع.

(٦) استعجم الكلام لم يفهم .

(٧) نقر في الناقور نفخ في الصور . والصور قرن ينفخ فيه.

(٨) تحصيل ما في الصدور عبارة عن إبراز ما فيها من الضمائر.

(٩) الفتيل ما يكون في شق النواة، والنقير النقرة في ظهر النواة.

(١٠) المطلع مكان الإطلاع من إشراف إلى انحدار.

(١١) الإزلاف التقريب.

(١٢) الإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف.

(١٣) الروح الأمين جبريل عليه السلام ويقال له روح القدس.

(١٤) الوعد يستعمل فيما يرغب. والإيعاد فيما يرهب.

(١٥) خفي الشيء من باب فرح لم يظهر، وخفا ظهر، وضفا الحوض امتلأ وضفا الثوب اتسع .

وكفى[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من دفع عن ربه الشبهات ونفى، وأقر له بالوحدانية معترفا[٢]. وأشهد أن محمدًا عبده المجتبى ورسوله المصطفى، أرسله ومصباح الإيمان قد انطفئ[٣]، ومنهج العدل قد درس وعفا. فشرح الصدور بكتاب الله وشفى[٤]. وخلص به صريح الحق وصفا، وقام به الباطل وأهله على شفا[٥]. صلى الله عليه وعلى آله صلاة يزيدهم بها يوم القيامة شرفا، وتكون من صلاة من لم يصل عليهم من العالمين عوضًا وخلفا[٦]. وسلم تسليما.

أيها الناس: حاكموا نفوسكم الظالمة إليها، وتحملوا بها في خلاصها عليها، وذكروها أهوال ما بين يديها[٧]. واعلموا أن الموت معصوب برؤوسكم، ومنشب مخالبه في نفوسكم[٨]. فالعجب كل العجب لمن تخرب الإيام عمره وهو يعمر دارا، ولمن يوقن بحلول الموت به وهو يلذ قرارا[٩].

فرحم الله امرأ محض نفسه النصيحة، وجنبها العار والفضيحة[١٠]. قبل سلوك سبل الأولين، والحصول في جرائد الراحلين. الذين عمروا الدنيا زمانا، واتخذوها أوطانا، واعتقدوا منها أموالاً وأعوانا، فأخرجوا منها وحدانا[١١].وزودوا من متاعها أكفانا، وبدلوا بعزها هوانا، ولم يجدوا من خوفها أمانا، أسكنوا بطون الأرض بعد ظهورها. وعوضوا قبورها من قصورها، فهم في مضاجع الهلكات راقدون، وفي بلاقع

---

(١) حسبنا كافينا.

(٢) شهادة في هذا الموضع وما أشبهه مفعول مطلق نوعي وفائدته بيان أن الشهادة مقرونة بما يزيدها قوة.

(٣) المجتبى المصطفى والمنتخب.

(٤) يقال درس المنزل وعفا إذا زال أو بقي شيء قليل من أثره.

(٥) شفا كل شيء حرفه وطرفه.

(٦) الصلاة من الله الرحمة وآل الرجل أهله وعياله وآله أيضا أتباعه.

(٧) ما بين يدي النفس هي الأحوال الآتية.

(٨) العصابة ما يربط بالرأس وعصب رأسه جعل عليه عصابة ونشب الشيء في الشيء علق وأنشبه به علقه والمخالب في السباع بمنزلة الأظفار في الإنسان.

(٩) كل العجب صفة للعجب أي العجب التام.

(١٠) محض الشيء أخلصه من الشوائب

(١١) اعتقد ما لا تملكه.

الفلوات خامدون[١]، قد نشرت عليهم وحشة الموت جناحا، وأفصح الدهر بتلاشيهم إفصاحًا، أخربوا ديارهم التي رحلوا عنها، وعمروا أجداثهم التي خلقوا منها[٢]. فيا وحشة ما آنسوه، ويا خراب ما عمروه، ويا وجد ما أسلفوه، ويا ضياع ما خلفوه، ويا خشونة ما ألفوه، ويا صحة ما عرفوه[٣].

لقد صغر عندهم خبر القيامة خبرها وكشف لهم بحقيقة الموت سترها[٤]. فنظروا منها إلى المنظر الذي تصدع منه المرائر، وتدور فيه على المذنبين الدوائر[٥]. وتعلن فيه السرائر وتحضر فيه الصغائر والكبائر، ولا مقصر يومئذ إلا خاسر، ولا مشمر إلا ظافر، أعاذنا الله وإياكم من الخسران. وجعلنا وإياكم ممن ظفر بالأمان، واستوجب خلود الجنان، والفوز بجوار الرحمن، إن أحسن الكلام، وأشرح البيان وأبين النظام وأوضح البرهان، كلام الملك المنان، وتقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ .

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله الحكيم فعله، العظيم فضله، الكريم بذله، المقيم عدله، الذي لا تخطر كيفيته ببال، ولا تجري ماهيته في مقال. ولا يدخل في الأمثال والأشكال، ولا يؤول إلى تحويل، ولا انتقال، أحمده على ما أنطق وألهم، حمدًا يقوم بشكر ما رزق وأنعم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا دلت عليه الألباء حكمته، وجمعت الأحياء نعمته، ووسعت الأشياء رحمته، وقمعت الأعداء نقمته، لا يشتمل عليه القياس، ولا تصل إليه الحواس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أطيب العرب لبابا، وأنقبها شهابا[٦]، وأنجبها عرابا، وأعذبها خطابا[٧]، وأمنعها حجابا،

---

(١) البلاقع جمع بلقع وهي الأرض القفر التي لا شيء بها والخمود سكون لهيب النار وهو هنا كناية عن الموت وانقطاع الحركات.

(٢) الأجداث جمع جدث وهو القبر.

(٣) ألحفوه جعل لهم لحافًا.

(٤) الخبر الاختبار الستر بالكسر ما يستر به وبالفتح المصدر.

(٥) والمرائر جمع مرارة وهي كيس متصل بالكبد تتكون فيه المرة بالكسر وهي الصفراء.

(٦) اللباب الخالص المختار من كل شيء يقال نسب لباب وأثقب أضوأ يقال شهاب ثاقب أي مضيء.

(٧) وأصل العراب الخيل الجياد، والأعذب الأحلى.

وأرحبها جنابا[١]. فنهض بما حمل من الرسالة، ونقض معالم الكفر والضلالة[٢]، ودحض شقاشق الزيغ والجهالة، ومحض النصيحة في المقالة[٣] حتى تألق مصباح الدين، وأشرق إيضاح اليقين[٤]. وعبد الله في كل فج، وجهر باسمه في العج والثج[٥]. صلى الله عليه و على آله وأصحابه،كما هدانا لذلك وأمرنا به[٦]. وسلم تسليمًا.

أيها الناس: سافروا في كر الجديدين بأفكاركم، وتأملوا اختلافهما بقلوبكم وأبصاركم[٧].

هل ترون إلا معدومًا يوجد، أو موجودًا يفقد، أو آهلا يخرب، أو حاصلاً يذهب أو آمنًا يعطب، أو غافلا يلعب[٨]. أو ديارًا ممحلة، أو آثارًا مشكلة[٩]. لو وقفتم في عرصاتها، وأطفتم بآياتها[١٠]. وأيهتم بساداتها فسألتموها عن تصرف حالاتها[١١]. لأجابتكم اعتبارًا، إن لم تجبكم حوارًا[١٢]، فأنتم هؤلاء أكثر من الماضين عددًا، أو أغزر من الأولين مددًا أو أطول من الذاهبين أعمارًا، أو أنبل من الغابرين أخطارًا[١٣]، إني وأنتم سؤر النوازل، ووشل الجداول[١٤]، وحب رحا المنون وبقية

(١) الأرحب الأوسع والجناب ساحة الدار يقال رحب الجناب إذا كان سيدًا كريمًا يقصد في الملمات.

(٢) المعلم الأثر يستدل به على الطريق.

(٣) الشقاشق شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج، ودحض أزال وأبطل والمعروف أدحض في المتعدي ودحض في اللازم.

(٤) تألق لمع.

(٥) الفج الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فجاج والعج رفع الصوت مرة بعد أخرى،والثج: سيلان الماء والدم، وأكثر ما يستعمل العج في أذكار الحج والثج في الأضاحي.

(٦) صرح هنا بذكر الأصحاب ولم يصرح فيما سبق لدخولهم في الآل بأن يراد بالآل الأتباع والصحابة أعظم الأتباع.

(٧) الجديدان الليل والنهار.

(٨) العطب التلف والهلاك.

(٩) ممحلة مجدبة لا مرعى بها والمشكلة المشتبهة.

(١٠) الآية العلامة والجمع آي وآيات.

(١١) أيه بالقوم قال لهم يا أيها القوم.

(١٢) الحوار مصدر حاوره إذا جاوبه.

(١٣) أنبل أفضل والغابر الماضي والأخطار جمع خطر وهو جلالة القدر.

(١٤) السؤر بقية الشيء. الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره.

سالف القرون(١). وفي كل يوم تودعون ماضيا إلى الآخرة لا يرجع، وتشيعون غاديًا إلى الحافرة لا يربع(٢)، وتروعون بفاقرة لا تقلع، وتزعزعون بزاجرة لا تنجع(٣)، فما اعتلال من أوذن بالرحيل إن قصر به زاد سفره، وما احتيال من قصر في العمل إن ضاق به الارتياد لهجوم محتضره، كلا ليحصدن الزارع ما زرع، وليزهدن الجامع فيما جمع.

وليجدن الصانع غب ما صنع. وليطولن ندم النادم إن نفع، ولتبتلعن الأرض ما عليها، وليرجعن من خلق منها إليها.

فاتقوا الله عباد الله واعملوا ليوم تقذف فيه الأرض أفلاذ كبدها، وتشقق السماء بأمر سيدها(٤)، وتنزل الملائكة لموعدها، وتلوذ الأمة بشفاعة محمدها، فخاب وخسر من حرم شفاعته، وأصاب وظفر من كانت التقوى بضاعته، هنالك يكون المتواضع لله كبيرًا، والمتكبر عليه حقيرًا. والمنزل جنة أو سعيرًا، كان ذلك في الكتاب مسطورًا، أسعفنا الله وإياكم بتسديده، وأتحفنا وإياكم بتحف مزيده، وجملنا وإياكم بزينة توحيده، وأدخلنا وإياكم في صالح عبيده.

إن أفصح المقالات بيانا، وأوضح الدلالات برهانا، وأمحض المواعظ إدمانًا(٥). كلام سيدنا ومولانا، وتقرأ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ الآيتين.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله الجميل ستره، الجليل قدره. الوبيل مكره، المقبول أمره. الذي استوى في علمه الشاهد والغائب، وجرى بحكمه النافذ والآيب(٦). فحكمه بوحدانيته ناطقة، ونعمه ببريته لاحقة، وأقضيته بكل كائن سابقة، وعدته بكل بائن صادقة. أحمده على تيسير نعمه وشمولها، وأعوذ به من تغييرها وتحويلها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) الرحا الطاحون.

(٢) الحافرة أول الأمر ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء والمراد بها هنا التراب الذي خلق منه. وأربع القوم أقاموا في المربع عن الارتياد.

(٣) الفاقرة الداهية وأنجع فيه الدواء أثر والأكثر في الاستعمال نجع من باب خضع.

(٤) أفلاذ جمع فلذة بالكسر وهي القطعة من الكبد واللحم، وأفلاذ الأرض كنوزها.

(٥) المحض الخالص والإدمان المداومة.

(٦) وبل المرتع فهو وبيل أي ثقيل وخيم.

شريك له شهادة وطد الإيمان أركانها، وشيد الإيقان بنيانها، ومهد الإذعان أوطانها، وأكد البرهان إدمانها[١].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله والكفر زاخر تياره، ظاهر مناره[٢].قاهر جباره، طائر شراره، عامرة دياره، متضافرة أنصاره[٣]،

فأخرس الله بمحمد ﷺ شقاشقها، وأخنس به منافقها[٤]. وبوأه مغالقها. وأوطأه مفارقها[٥]. وجدع بسلطانه معاطسها، وقمع بأعوانه أبالسها[٦].

وكشف بغرته حنادسها، واختطف بأسرته فوارسها[٧]. حتى أطلع الإسلام رأسه، وأوقع بأعدائه بأسه، ومكن الله له أساسه، وسكن من الخوف إيجاسه[٨]، صلى الله وملائكته المقربون عليه، وعلى من نصره وهاجر إليه.وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الدنيا محال، يقتضيه زوال، يقتفيه مآل، يحتذيه وبال[٩]، أوقاتها سهام أنتم أغراضها، وغاياتها حمام مفعمة لكم حياضها[١٠]، وعداتها بروق مخلف إيماضها. وكراتها دفوق متلف مخاضها[١١]. فما بقاء من تقرضه الأيام قرضًا قرضا، وترضه الأسقام رضا رضا[١٢]، وتنقضه الآفات نقضًا نقضًا. وتركض به الساعات ركضًا ركضًا[١٣]. حتى يلحق الخالف بالسالف، والتالد بالطارف[١٤]، والجاهل

---

(١) وطد الشيء ثبته وثقله.

(٢) زخر البحر امتد وارتفع،والتيار الموج.

(٣) تضافر القوم على الشيء تعاونوا عليه.

(٤) خنس عنه تأخر وأخنسه خلفه ومضى عنه.

(٥) المفرق بكسر الراء وفتحها وسط الرأس وهو الموضع الذي يفرق فيه الشعر.

(٦) المعاطس الأنوف وجدعها قطعها وقمعه زجره وكفه.

(٧) حنادس جمع حندس بكسر الحاء والدال الليل الشديد الظلمة. وأسرة الرجل رهطه لأنه يتقوى بهم.

(٨) أوجس في نفسه خيفة أحس.

(٩) يقتضيه يطلبه، ويقتفيه يتبعه ويحتذيه يتبعه ويقتدي به.

(١٠) أغراض جمع غرض وهو الهدف الذي يرمى ومفعمة مملوءة .

(١١) الإيماض مصدر أومض البرق لمع. والبروق المخلفة هي الخلب التي لا تمطر.

(١٢) القرض القطع والرض الدق الحريش.

(١٣) ركض الفرس برجله استحثه ليعدو.

(١٤) التالد المال القديم الذي ولد عندك وهو ضد الطازف.

بالعارف، والحاصل بالتالف. ويرث الأرض وارثها، ويبعث الخليقة باعثها، بصيحة تنشر الرفات، وتحشر الأموات[١]، وتجمع فرق الشتات، وتسمع أهل الأرض والسموات، فيومئذ أكدت المطالب، وانسدت المذاهب[٢]. وضاقت الأنفاس، ونطقت الحواس وارتجت الأرض بما عليها، ونزل الملائكة إليها، ونادى المنادي بجمع الخصوم، واقتص من الظالم للمظلوم، وبرزت جهنم لميقات يوم معلوم. ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[٣] [طه: ١١١] فياله من موقف ما أكربه، ومشهد ما أصعبه، وطريق ما أشقه، وصراط ما أدقه وكتاب ما أجمعه، وعقاب ما أفظعه، ومقام ما أطوله، ويوم ما أثقله، وحاكم ما أعدله، وظالم ما أخذله، وسجن ما أكظه، وسجان ما أفظه[٤].

لا يرحم من بكى، ولا يسمع المشتكى، قد نزع الله الرحمة من قلبه، فالويل كل الويل لمن كان من حزبه، فبادروا عباد الله فكاك رهونكم قبل أن تغلق، وإدراك نفوسكم قبل أن تزهق[٥]، وشمروا للعمل قبل أن يقطعكم الفوت، فما بين أحدكم وبين معاينة هذا الأمر العظيم إلا الموت. سلك الله بنا وبكم سبيل السلامة، وبوأنا وإياكم مقيل الكرامة[٦]، وتغمدنا وإياكم برحمته يوم القيامة، وجمعنا وإياكم مع أوليائه في دار المقامة، إن أحسن ما أدارته اللهوات، وأدته إلى الأسماع الأدوات[٧]، ورويت به القلوب الصاديات، كلام من لا تدركه الصفات[٨]. وتقرأ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص:٦٥-٦٧].

---

(١) الرفات الحطام والمراد هنا العظام المتفتتة والإنشار الإحياء.

(٢) أكدى الرجل قل خيره وأكدت المطالب لم تنجح.

(٣) عنت الوجوه خضعت وذلت.

(٤)كظه الطعام ملأه حتى لا يطيق النفس.

(٥) فكاك الرهن ما يفك به وغلق الرهن استحقه المرتهن،وزهقت نفسه خرجت وزهق الباطل اضمحل.

(٦) المقيل مكان القيلولة وهي الاستراحة والنوم وقت الظهر.

(٧) اللهوات: جمع لهاة، وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم، وتجمع على لها.

(٨) روي من الماء: شرب منه حتى اكتفى، والصادي: العطشان.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان وموعظة وإنذار

الحمد لله مصور الأجنة في ظلم أرحامها، ومقدر مدد آجالها ومعلوم أقسامها[١]، ومخرجها إلى الوجود بعد إعدامها، وميسرها لمنافعها بلطيف إلهامها. وكالئها في يقظتها ومنامها، وبارئها تحقيقا لإظهار إكرامها[٢]. ورافعها على ما خلق بمعارفها وأفهامها. ومانعها أن تحيط به خواطر أوهامها. وجاعل نقصها معقودًا بكمال تمامها، فتبارك الله الذي بيده تدبير نقضها وإبرامها[٣].

أحمده على ما هو أهله ؛ حمدًا يتصل باتصاله فضله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت أركان العمل؛ وتبتت بهتان العلل[٤]، وتبلغ من شهد بها نهايات الأمل؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله عند دثور الحق وخموله وظهور الباطل وشموله[٥]. فشد الله به من الحق قواعده؛ وهد من الباطل أوابده[٦]. وظهرت من الدين حقائقه ؛ وذرت من اليقين شوارقه[٧]؛ فأصبح الناس بعصم الله لائذين وبحرمه عائذين[٨]؛وبأوامره آخذين؛ ولما نهاهم عنه نابذين؛ صلوات الله وملائكته المقربين؛ عليه وعلى آله أجمعين؛ وسلم تسليمًا.

أيها الناس: إن الدموع نكاة البصر؛ والخشوع حياة الفكر[٩]؛ والتجارب مرآة العبر؛ والنيارب آيات القدر[١٠]؛ فاستنجدوا من العيون دموعها؛ وشردوا بذكر المنون هجوعها[١١]؛ وارأبوا من القلوب صدوعها؛ وارهبوا خوضها في الباطل

---

(١) الأجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن.

(٢) الكالئ الحافظ.

(٣) تبارك الله تقدس وتنزه، والإبرام ضد النقض.

(٤) بت الشيء قطعه وبتته تبتيتا بمعناه وشدد للمبالغة.

(٥) دثر الشيء درس والخمول ضد الظهور.

(٦) قواعد البناء أساسه. والأوابد الغرائب الدواهي والقوافي الشرد.

(٧) الشوارق جمع شارق وهي الشمس حين تطلع وقولهم لا أفعل كذا ما ذر شارق أي ما طلع قرن الشمس.

(٨) العصم جمع عصمة والعصمة تأتي بمعنى الحفظ تقول نحن في عصمة الله أي في حفظه وتأتي بمعنى الربقة تقول دفعته إليك بعصمته وبعصامه وكل ما عصم به الشيء فهو عصام وعصمة.

(٩) نكاة بالكسر جمع نكتة بالضم وهي النقطة السوداء في الأبيض أو البيضاء في الأسود.

(١٠) النيارب جمع نيرب وهو الشر والنميمة.

(١١) التشريد الطرد والهجوع النوم.

ووقـــوعها[١]؛ وذكـــروها مردها إلى الله ورجوعها؛ فحقيق بالوجل من كان الموت قاصده. وجدير بأعمال الحيل من كان الحتف مراصده[٢].

وحري بتصحيح العمل من كان الله مناقده، وقمين بتقصير الأمل من كان الدهر معانده ؛ وإن امرأ أمل الثواب بغير عمل. وأمن العقاب بتسويف العلل؛ لخائض لجة ندامة محروم سالكها، وتارك محجة سلامة مذموم تاركها[٣]. فيا من أخرج أبواه من الجنة بذنب واحد بعد أن كان لها مالكا؛ كيف تطمع في دخولها بذنوب كالجبال لست لها تاركا، فأجد أيها الغافل مركبك فإن البحر عميق، وأعد أيها الراحل زادك فإن الطريق سحيق[٤].

وأخلص العمل فإن الناقد بصير. وبادر المهل فإن العمر قصير، ولا تكن ممن يعمر الدنيا بخراب نفسه، ويذكر يومه بنسيان أمسه؛ فكأن قد أظلك من هاذم اللذات؛ عارض فناء وشتات[٥]؛ فانتزع نفسك التي زعمت أنك مالكها؛ وأخرجك من دنياك التي لا تظن أنك تاركها.

فغودرت في الفلاة شلوًا مقبورًا وطال عهدك فأصبحت مجفوا مهجورًا[٦].تأكل الأرض لحمك كما أكلت من ثمارها؛ وتشرب دمك كما شربت من أنهارها؛ وتسعى إليك الآفات من أقطارها، ويبيد ذكرك كرور ليلها ونهارها[٧].

فانتبه أيها الراقد من وسن الطبع، والتمس الأمان ليوم الفزع[٨]، وتأهب للمصير إلى دار الموت بابها ؛ والجنة ثوابها؛ والنار عقابها؛ وعلى الجبار حسابها. وهي كلمح البصر من اقترابها ؛ فكفى بها لمن عقل واعظًا كفي بها؛ جعلنا الله وإياكم ممن

---

(١) الصدوع جمع صدع وهو الشق في شيء صلب ورأب الصدع: أصلحه.

(٢) حقيق وجدير وحري وقمين وخليق بمعنى يقال فلان حقيق بكذا أي مستحق له وذلك الشيء لائق به والحتف الهلاك المراصد المراقب.

(٣) لجة الماء معظمه ولججت السفينة تلجيجا دخلت في اللجة والمحجة جادة الطريق.

(٤) المركب ما يركب في البر والبحر.وأجد الشيء جدده والسحيق البعيد.

(٥) العارض السحاب يعترض في الأفق، وأظله السحاب دنا منه وصار فوق رأسه.

(٦) غادره تركه وغودر ترك. والفلاة المفازة وهي الأرض الخالية المخوفة. والشلو العضو من أعضاء اللحم. وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

(٧) وأباده أهلكه وكرور الليل والنهار وكرهما رجوعهما مرة بعد أخرى.

(٨) الطبع الدنس والصدا والوسن النعاس.

شكر سعيه؛ وعقل عن الله أمره ونهيه؛ وكان لطاعة ربه مغتنما؛ وبحبله في كل حال معتصمًا[١]. إن أشرق الوعظ ضوءا ونورًا؛ وأصدق اللفظ مقروءا ومزبورًا ؛ كلام من لم يزل عفوًا غفورًا ؛ وتقرأ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله محلى السماء ببديع مصابيحها، ومحلي الملائكة في رفيع صفيحها[٢]. ومغذيها بحلاوة ترجيع تسبيحها، الذي شهدت بتوحيده عجائب مصنوعاته. ونطقت بتمجيده غرائب مبتدعاته[٣].

وخمدت أنوار الفكر دون التعلق بكنه ذاته. وسجدت له أصناف الفطر إقرارًا بمعجز آياته[٤]. وسبح له خلقه باختلاف لغاته، فسبحان من لا سمي له في أرضه وسمواته[٥]. أحمده وحمده من فوائده، على ما جرى به حسن عوائده[٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باسقة الفروع، عذبة الينبوع[٧]، معمورة بالخشوع، مطمئنا بها ما تحت الضلوع[٨]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزانا، وأوضحها بيانًا[٩]. وأفصحها لسانًا وأسمحها بنانا وأعلاها مقامًا. وأحلاها كلامًا، وأوفاها ذماما. وأصفاها رغامًا، وأمضاها

---

(١) حبل الله عهده والاعتصام به التمسك والاعتصام بالله الامتناع بلطفه عما لا يوافق.

(٢) مصابيح السماء نجومها، والصفيح وجه كل شيء عريض ويطلق على السماء.

(٣) التمجيد التعظيم والثناء.

(٤) الفطر جمع فطرة وهي الخلقة والجبلة وسجودها له انقيادها لأمره وكنه الشيء وحقيقته وماهيته بمعنى،خمدت النار من باب قعد لم يبق منها شيء وقيل سكن لهبها.

(٥) وسمي فلان من يسمى باسمه وفلان لا سمي له أي لا يسمى أحد باسمه.

(٦) عوائد جمع عائدة وهي العطف والمنفعة وليس جمع عادة كما يستعمله الناس لأن جمعها عاد وعادات.

(٧) والباسقة الطويلة والينبوع عين الماء والعذبة الحلوة.

(٨) ما تحت الضلوع كناية عن القلب.

(٩) رجحان الميزان كناية عن عظم القدر ويقال فلان راجح الوزن أي كامل العقل والرأي وليس لفلان وزن أي قدر.

حسامًا[١]. فأوضح الحقيقة، ونصح الخليقة وشهر الإسلام وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام ،وحظر الحرام[٢]، وغمر بالإنعام صلى الله عليه وعلى آله في كل محل ومقام[٣]، وسلم تسليما.

أيها الناس: شدوا الرحال، فقد قرب الارتحال، وأعدوا المقال، فقد وجب السؤال. وشيدوا الأعمال، فقد خربت الآجال. ومهدوا المآل، فقد كذبت الآمال. واعلموا أن للموت رحى تعرككم بثفالها. وتهلككم باغتيالها[٤]. فلا حذر نافع من قدومها، ولا وزر مانع من هجومها.

حتى تشتت نظام شملكم، كما شتتت من كان من قبلكم فكم قد رأيتم ديارًا ارتحل عنها بالموت عمارها، واستولى على إقبالها أدبارها، فأصبحت مظلمة بالنحوس أقطارها. معلمة بالعبوس آثارها[٥]. مبهمة على الواقف بها أخبارها مهتوكة بإيدي الحوادث أستارها[٦]. خرساء كأن لم يدع بها مجيب صماء كأن لم يسمع بها عريب، فهي على عروشها خاويه، تندبها الذئاب العاوية[٧]، وتخطبها الأصداء الباكية.فما ترى من أعلامها باقية، تحمل أهلها عنها فرحلوا. وعلى أعواد المنايا حملوا. وفي محال الرزايا حصلوا، وبطول البلى شغلوا[٨] . قد فصلت أوصالهم، وتمولت أموالهم، وكفلت وحصلت أعمالهم[٩] غيبا كأشهاد . عصبا كآحاد[١٠]. همودًا في ظلم الإلحاد إلى يوم التناد[١١]، يوم المعاد والجمع يوم حصاد الزرع، يوم العطاء والمنع يوم

---

(١) الذمام الحرمة والعهد والذمة والرغام التراب.

(٢) حظر منع وحجر.

(٣) غمر الماء الشيء علاه.

(٤) الثفال بالكسر جلد يبسط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق والثفال كغراب الحجر الأسفل من الرحي وعرك الشيء دلكه دلكًا شديدًا وهو من باب نصر واغتاله أخذه من حيث لم يدر.

(٥) وأعلم القصار الثوب جعل له علامة.

(٦) الهتك خرق الستر عما وراءه وقد هتكه فانهتك.

(٧) العرش سرير الملك وعرش البيت سقفه وبيوت خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها وندب الذئاب العاوية لها كناية عن خرابها وخلوها عن الأنس.

(٨) بلى العظم يبلى كفنى يفنى لفظًا ومعنى.

(٩) تمول الرجل اتخذ مالا موله غيره وتمولت أموالهم تملكها غيرهم.

(١٠) غيب جمع غائب وعصب جمع عصبة وهي من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين.

(١١) همدت النار همودا: ذهب حرها ولم يبق منها شيء وهمد الثوب همودا بلى ولكن ينظره =

شهادات البصر والسمع، يوم الوعد والوعيد، يوم السؤال العتيد. يوم الخجل من التعديد. يوم يقول الله لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد؛ أعاذنا الله وإياكم من شرها.وأجارنا وإياكم من بردها وحرها، وجعلنا ،وإياكم لأمره متبعين، وبزجره منتفعين. إن أحسن الكلام المتسق، وأبين النظام المتفق[١]. وأرصن الحديث النسق.كلام من خلق الإنسان من علق[٢]. وتقرأ ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠] الآيات الثلاث.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان بأهله والمعاد (ويعرض فيها بوفاة ست الناس أخت الأمير سيف الدولة أبي الحسن وكانت توفيت ضحى يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة)

الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه، وقدر الفناء على خلقه فقضاه. وحكم فيهم بعدله فأمضاه، ويسر كلا لما خلق له وأرضاه[٣]؛ فساوى بالموت بين القوي والضعيف، وجعل التراب مالاً للدني والشريف، عدلاً منه سابقًا في أقضيته، ووعدا صادقًا في بريته، فهو المحيط علمًا بما يجهلون، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣][٤]. أحمده على حلو القضاء ومره، ، وأسأله التوفيق للقيام بشكره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مطهرة من النفاق، مدخرة ليوم التلاق، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بكتاب مضي، وخلق رضي[٥]،

=

الناظر صحيحًا فإذا مسه تناثر والهامد البالي من كل شيء، والألحاد: جمع لحد وهو القبر.

(١) الكلام المتسق المتلائم المتناسب الأجزاء واتسق القمر كمل وتم والثلاثي وسق بمعنى جمع.

(٢) الرصانة الرزانة، كلام نسق أي على نظام واحد وأصله قولهم در نسق أي منسوق منظوم متشابه، والعلق المني ينتقل بعد طوره فيصير دما غليظًا متجمدا ثم ينتقل طورًا آخر فيصير لحما وهو المضغة.

(٣) أرضاه أي رضي كل إنسان بما يسر له من أسباب السعادة والشقاوة أما في الدنيا فظاهر وأما في العقبى فلأنه يكشف عنه الحجاب فيعرف أن الله تعالى لم يخلق فيه إلا ما اقتضاه استعداده وهي من أغمض المسائل.

(٤) لا يسأل عما يفعل لعزته وحكمته.

(٥) المضي المضيء والمنير، والرضي والمرضي، وكان خلقه القرآن.

ولسان عربي، وجنان أبي[١]. فدعا إلى الدين الحنفي، وكان لمن اتبعه كالوالد الحفي[٢]. ولمن دفعه قامعًا بالمشرفي. حتى مكنه الله له بلطفه الخفي[٣]. وحقق له إنجاز وعده الوفي. صلى الله عليه وعلى آله أكرم آل لأكرم صفي، وسلم تسليما.

أيها الناس: البسوا للدنيا جنن الاجتناب، واسلكوا فيها سبيل أولي الألباب[٤]. فقد صرحت لكم بعبرها فما كنّت، ولوحت إليكم بغيرها فما ونّت[٥]، وأرتكم من فتكها بالأمم من قبلكم، ولثا وأنموذجا يدلكم على فعلها بكم[٦]. فاكتفوا فيها بالعيان من الأثر، وكونوا من تمويهها على أشد الحذر، واجعلوا سير الأولين فيها أسماركم، وأجيلوا فيما صنع الدهر بهم أفكاركم[٧]؛ أين أهل المعاقل المنيعة . والمنازل الرفعية[٨]، والأبنية العجيبة، والأفنية الرحيبة[٩]؛ والوجوه المنعمة، والمحال المعظمة، أين من أطال الأمل واستعذب المهل[١٠]، وأرجأ العمل، واستكثر العبيد والخول[١١].

---

(١) الجنان القلب والأبي الشجاع من الإباء وهو الامتناع.

(٢) الحنفي نسبة للحنيف وهو المائل عن الباطل إلى الحق والمشهور حنيفي في النسبة إلى الحنيف وقد اشتهر إطلاق الحنيف على إبراهيم عليه السلام والظاهر أن النسبة هنا إليه وإلا لقال فدعا إلى الدين الحنيف بدون ياء أي المستقيم، والحفي من حفي به حفاوة بالغ في إكرامه والعناية بأمره.

(٣) المشرفي السيف.

(٤) الجنن جمع جنة وهي الترس.

(٥) كنى عن الشيء ذكره بعبارة لا يفهم منها إلا بعد إعمال الفكر وصرح بالشيء أبانه إبانة تامة ولوح الرجل بثوبه من بعيد أشار ولوح بكلامه إلى كذا وأشار إشارة خفية وونى في الأمر ونيا ضعف وفتر.

(٦) الولث الأثر اليسير والأنموذج ما يدل على صفة الشيء وقال الصاغاني: النموذج مثال الشيء الذي يعمل عليه وهو تعريب نموده بالفارسي قال والصواب نموذج لأنه لا يغير فيه بزيادة والأكثر استعماله في جزء من الشيء الذي يتفاوت نوعه يؤخذ وينظر ليعرف به ذلك النوع ويسمى الأن أنمون.

(٧) أسمار: جمع سمر، والسمر والمسامرة: الحديث بالليل.

(٨) المعاقل جمع معقل بوزن مسجد الملجأ.

(٩) الأفنية جمع فناء بوزن كتاب الوصيد وهو سعة أمام البيت وقيل ما أمتد من جوانبه، والرحيبة الواسعة.

(١٠) استعذب استحلى.

(١١) أرجأ أخر، والخول حشم الرجل الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على =

أين المحجوب الممنع. وأين المهيب الممتع، وأين الذكي الأروع، وأين الفصيح المصقع[(١)]، أين من كان فيه منظر ومسمع، وخلال الشرف أجمع، مطرتهم والله من الشتات سحب همع، وحامت عليهم من الآفات طير وقع[(٢)]، وعصفت بهم من الممات ريح زعزع وابتعلتهم الفلاة البلقع[(٣)]، فهم تحت كلا كل الدهر همود خشع.لا يطيف بهم أمل ولا مطمع[(٤)].

قد أصبحوا سيرًا في السلف، وعبرًا للخلف، محت الحوادث مسطور نعمهم، وطوت المنون منشور هممهم[(٥)]، فديارهم موحشة العرصات، وأبشارهم نهب وقائع الآفات[(٦)]. وآثارهم وقف على الحسرات، وتذكارهم يواصل مسبل العبرات[(٧)]. فهل من معتبر غان بالمشاهدة عن الأخبار، أو مفتكر في سوء عواقب هذه الدار، قبل أن يكون الناظر منظورًا، والقابر مقبورًا، والحبرة عبره، والنظرة حسرة[(٨)]. والمعتبر عبره والمتفكر فكره، قبل أفول النسم، وحلول الرجم[(٩)]، وكسوف النعم. وجفوف القلم، قبل علو الصدر ودنو الأمر، وانتفاخ السحر، وانزعاج السفر لتلقاء يوم الحشر[(١٠)].

=

العبد والأمة قال الكندي: إثبات من بعد استكثر أجود من حذفها.

(١) الأروع من الرجال الذي يعجبك حسنه والمصقع بكسر الميم البليغ.

(٢) همع جمع هامع بمعنى سائل وسحاب هامع ماطر، وحام الطائر حول الشيء دار عليه.

(٣) عصفت الريح اشتدت وريح زعزع تزعزع الأشياء وتحركها بشدة والبلقع الأرض القفر التي لا شيء بها.

(٤) الكلاكل جمع كلكل وهو الصدر.

(٥) المنون الموت وهي مؤنثة وكأنها اسم فاعل من المن بمعنى القطع لأنها تقطع الأعمار والمنون أيضًا الدهر.

(٦) العرصات جمع عرصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء وتجمع على عراص، والأبشار جمع بشر وهو ظاهر جلد الإنسان والنهب بوزن الضرب الغنيمة والجمع نهاب بالكسر.

(٧) أسبل الرجل الماء صبه والماء مسبل، والعبرات جمع عبرة بالفتح وهي الدمعة.

(٨) الحبرة الحبور وهو السرور وبابه دخل.

(٩) أفل النجم أفولا غاب، والنسم جمع نسمة وهي النفس والرجم القبر والرجم أيضًا الحجارة وسمي القبر بذلك لما يجمع عليه من الأحجار.

(١٠) السحر الرئة،والسفر المسافرون، والتلقاء بالكسر اللقاء قال في المصباح يجيء المصدر من فعل ثلاثي على تفعال بفتح التاء نحو التضراب والتقتال قالوا ولم يجئ بالكسر إلا تبيان

=

فيومئذ لا مال ينفع، ولا مآل يمنع، ولا حال تدفع، ولا مقال يسمع، أحضروا مواقف القيامة قسرا. وأنشروا من الأجداث عراة غبرا[١]، وجثوا على الركب ينتظرون أمرًا، لا يهتدون سبيلا ولا يقيمون عذرًا، قد شملتهم الحيرة فما تعرف نفس نفسا، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا[٢]، أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، وأعاذنا وإياكم من خجل التوبيخ واللوم. إن أنور النظام تأليفا، وأكثر الكلام ترغيبا وتخويفًا. كلام من لم يزل برا لطيفًا. وتقرأ ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾.

خطبة يذكر فيها الموت والمعاد

الحمد لله الممتنع عن تمثيل الأفكار الخاطرة، المرتفع عن تحصيل الأبصار الناظرة، العالم بوجيب قلب الذرة الخادرة. في غياهب ظلم الليلة الماطرة[٣]. تحت تلاطم أمواج البحور الزاخرة، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة، الذي جعل الموت أول عدل الآخرة، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة. أحمده على أياديه المتقاطرة، ونعمه المتظاهرة، حمدًا أدفع باتصاله حلول كل فاقرة[٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدر عن نية حاضرة وطوية غير فاترة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أرسله بالآيات الباهرة، وفضله على المقامات الفاخرة. فجلا به صدأ القلوب الكافرة، ونصب به أعلام الملة الناضرة، وألف به شتات الأهواء المتنافرة، صلى الله عليه وعلى عترته الطاهرة[٥]. وصحابته

=

وتلقاء والتنضال من المناضلة وقيل هو اسم والمصدر تنضال على الباب.

(١) القسر مصدر قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره وبابه ضرب، وأنشره الله أحياه والأجداث القبور والغبر جمع أغبر وهو ما لونه الغبرة وهو لون شبيه بالغبار.

(٢) شملتهم أعمتهم وبابه تعب والهمس الصوت الخفي وبابه ضرب.

(٣) وجب القلب رجف، والذرة أصغر النمل والخادرة المقيمة في خدرها والخدر ستر يمد للمرأة في ناحية البيت والغياهب جمع غيهب وهو الظلمة الشديدة.

(٤) الأيادي النعم، والمتقاطرة المتتابعة يقال تقاطر الماء سال قطرة قطرة، والمتظاهرة المتعاونة التي يقوى بعضها بعضا، والفاقرة واهية يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره.

(٥) ألف جمع، والأهواء جمع هوى، المتنافرة المتخالفة، والعترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه.

الأنجم الزاهرة، عدد أنفاس ما دب ودرج في كور الأفلاك الدائرة(١). وسلم تسليما.

أيها الناس: إن سبل العافية عافية لقلة سلاكها، وإن علل القلوب فاشية مؤذنة بهلاكها(٢). وأن حلل الذنوب بادية على سوقة الأمة وأملاكها.

وإن رسل المنون قاضية أن لا يفلت أحد من شباكها(٣). فما للعيون ناظرة لا تبصر، وما للقلوب قاسية لا تفكر، وما للعقول طائشة لا تشعر، وما للنفوس ناسية لا تذكر أغرها إنظارها وإمهالها. أم بشرتها بالنجاة أعمالها، أم لم يتحقق عندها من الدنيا زوالها، كلا ولكن شملت الغفلة فاستحكمت على القلوب أقفالها؛ فكأن قد كشف الموت لأهل الغفلة قناعة، وأطلق على صحاح الأجسام أوجاعه(٤)، وحقق بكل الأنام إيقاعه، فلم يملك أحد منكم دفاعه، فخفق من المنزول به فؤاده، وامتحق من ناظره سواده(٥)، وقلق لهول مصرعه عواده، ورحمه أعداؤه وحساده وأرف عن أهله ووطنه بعاده، والتحف بذل اليتم أولاده(٦) فيا له من واقع في كرب الحشارج، مصارع لسكرات الموت معالج(٧)، حتى درج على تلك المدارج، وقدم بصحيفته على ذي المعارج؛ مستودعا بطن بلقع قاع. رهن أربع أذرع في ذراع(٨)، في منزل مبهمة

---

(١) دب الصغير على الأرض دبيبًا سار سيرًا لينا وكل حيوان في الأرض دابة، ودرج الصبي دروجًا مشي قليلا في أول ما يمشي ودرج مات وفي المثل فلان أكذب من دب ودرج أي أكذب الأحياء والأموات، وكار الرجل العمامة كورًا أدارها على رأسه وكل دور كور تسمية بالمصدر.

(٢) عافية دارسة ذهب أثرها، وفاشية شائعة.

(٣) والحلل برود اليمن جمع حلة وهي إزار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين، والسوقة ضد الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما جمع على سوق بفتح الواو، والأملاك جمع ملك والأكثر في جمعه ملوك، والشباك جمع شبكة وأفلت الطائر من الشبكة تخلص منها.

(٤) القناع ما تقنع به المرأة رأسها.

(٥) امتحق انمحى وبطل.

(٦) البعاد مصدر باعده والتحف بالثوب تغطي به.

(٧) الحشارج: جمع حشرجة وهي تردد النفس في الحلق عند الموت، والمعالج: المزاول.

(٨) القاع والقيعة المستوى من الأرض، والرهن المرهون كالخلق بمعنى المخلوق، وأربعة أذرع في ذراع كناية عن القبر.

أبوابه، مظلمة رحابه، مسلمة إلى الحوادث أربابه، مثجمة بصوب المكاره سحابه[١].

أعظم به منزلا لا يبرح من نزله. حتى يلحق آخر الخلق أوله؛ أفيظن ظان أن الله خلق الخلق ليهمله. أم أبدأ العالم ليغفله، كلا ليبعثن من أماته ليسأله ؛ عن الرسول ومن أرسله، وعن القرآن ومن أنزله، وعما قطعه عن الحق وشغله. وعما اجترحه في دنياه وفعله، وعن الحرام الذي أكله، ثم ليوفين كل عامل منكم عمله، ثم ليطالبن بحكم الكتاب من حمله، وليقابلن كل عبد بما عليه وله علم بذلك من علمه أو جهله من جهله، جعلنا الله وإياكم ممن إذا أمر قبل، وإذا زجر وجل، وإذا قال الخير عمل وثبت بالقول الثابت إذا سئل. إن أبلغ ما التمس به الانتفاع، وأحسن ما تداولته الأسماع، كلام من وقع بربوبيته الإجماع؛ وتقرأ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله الذي خلق الأرض لما ذرأ مهادًا، وأرسى فيها من الجبال أوتادًا[٢]. وبنى فوقها سبعًا شدادا، وجعلها للأنام مبدأ ومعادا. أحمده حمدًا يثر به ينبوع الأفضال، ويدر له هموع النوال[٣]. ويتسدد فيه طريق المقال. ويتجدد معه التوفيق في كل حال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أبرم الإيمان سببها. وأحكم الإيقان طنبها[٤].وهذب البرهان مذهبها، وأعذب الرحمن مشربها[٥]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله والكفر طام عبابه، هام ربابه[٦]. حام شهابه سام

(١) يقال أثجمت السماء أمطرت بسرعة، والصوب المطر وهو في الأصل مصدر صابت السماء إذا امطرت، اجترح الشيء اكتسبه بجوارحه.

(٢) ذرأ خلق ومنه الذرية وهو نسل الثقلين، والمهاد الفراش رسا الشيء ثبت فهو رأس وجبال راسية وراسيات ورواس وأرسيته ثبته.

(٣) ثرت العين من باب ضرب غزر ماؤها وكثر وعين ثرة كثيرة الماء، ودر اللبن كثر ودرت السماء بالمطر أرسل منها مدرارًا أي غزيرًا، والنوال العطاء وهمعت عينه سال دمعها فهي هامعة وهموع والهموع بالضم السيلان.

(٤) السبب الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره، وأبرم الحبل أحكم فتله، والطنب بضمتين حبل الخباء.

(٥) البرهان الحجة والدليل القاطع، وأعذب حلى.

(٦) طما الماء فهو طام إذا ارتفع وملأ النهر، والعباب كغراب كثرة السيل وارتفاعه،والرباب =

ضـــبابه(١). قد كفر الحق جلبابه، وبهر الخلق عجابه(٢). وستر الأفق حجابه، فلم يزل صـــلى الله عليه وعلى آله مضطلعًا بالإبلاغ، قامعًا كل باغ(٣)، مرشدًا أهل الارتياب مؤيدًا بفصل الخطاب(٤). حتى قر نافر، وكر ناصر، وبر فاجر، وفر كافر وتمزق غسق البهـــتان، وتألق فلق الإيمان(٥).صلى الله عليه وعلى آله ما تناوح صدان. وما اختلف الجديدان(٦). صلاة نامية في كل حين وأوان. وسلم تسليما.

أيها الناس: استقيموا على سنن اليقين، واستديموا رضى ربكم بتقواه في كل حين(٧). واحذروا الدنيا فإنها دار ظعن لا شك فيها، وقرار حزن لمصطفيها(٨). ومدار محن جامعة على مقتفيها، ومحار فتن واقعة بمعتفيها(٩). ومتجر أرباح لعارفيها، ومصدر فلاح لعائفيها. من ذا وثق بها فلم تخنه، أم من ذا اعتز بها فلم تهنه، بقاؤها معدوم، وفناؤها محتوم، وسائلها محروم، ونائلها مسموم، قد حلت من الأمم قبلكم عقد النظام، وسلت عليه سيوف الانتقام، وطحنتهم برحى الأقدام، وأسكنتهم تحت الرجام(١٠). فصعب معاقلهم سهل المرام، ورحب منازلهم موحش الأعلام، وآثارهم عبرة للأنام، وديارهم مخبرة بغير كلام، معربة بألسن الأيام، مغربة بمحن الأحكام،

=

السحاب الأبيض وقيل هو السحاب المرئي، وهمي الماء والدمع سال فهو هام.

(١) الشهاب شعلة نار ساطعة وجمعه شهب بضمتين، والضباب جمع ضبابة وهي سحابة تغشى الأرض كالدخان تقول منه أضب يومنا إذا كان فيه ضباب،وحام من حمي النهار بالكسر اشتد حره وسام من سما سموًا إذا علا.

(٢) الجلباب ما يغطى به من ثوب وغيره وكفر ستر، وبهره غلبه وفضله والعجاب العجيب جدًا.

(٣) اضطلع بالأمر احتمله ونهض به وقوي عليه.

(٤) فصل الخطاب البيان الشافي في كل قصد.

(٥) الغسق ظلمة الليل والفلق الصبح، وتمزق تشقق وتفرق. وتألق لمع.

(٦) الصدان تثنية صد بالفتح والضم الجبل وناحية الوادي، وتناوح الجبلان تناوحًا تقابلا، والجديدان الليل والنهار.

(٧) السنن الطريق.

(٨) الظعن بالسكون والتحريك السير وبابه خضع.

(٩) المقتفي المتبع والمعتفي الطالب المعروف.

(١٠) الرجام هي حجارة ضخام دون الرضام وربما جمعت على القبر ليسنم والرضا صخور عظيمة يوضع بعضها فوق بعض في الأبينة.

مبهمة لتكرار الأعوام. معجمة بآثار الحمام[١]. أزعج أهلها السكون عن القرار، وأخرجهم المنون من الديار، فهم في الفكر موجودون، وفي الصور مفقودون، قد كوشفوا بما اقترفوا، ووقفوا فاعترفوا[٢]. وأسفوا على ما طففوا. ووفوا ما أسلفوا[٣]. فيا معشر من الموت سبيله، والقبر كفيله، وإلى القيامة تحويله، وفي النار أن حرم الجنة مقيله، ما الانتظار بطول الغفلة عما أنتم إليه موجفون، وما الاعتذار عند التقرير بما أنتم به معترفون[٤]. كلا لتعضن الأنامل على التقصير أسفا. وليفضن الكتاب عما لا تجدون عنه منصرفًا.

يوم عطش الأكباد وذبول الشفاه، يوم نطق الجوارح وختم الأفواه يوم يعرف المجرمون بوسم الجباه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله[٥]. أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بودائع الإخلاص، ووفقنا وإياكم لمشارع الخلاص[٦].

وتحمل عنا وعنكم الظلامات يوم القصاص، إن أهدى ما سلك سبيله، وأبدى ما اتضح دليله، كلام من القرآن قيله، وتقرأ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ الآية.

خطبة أخرى يذكر فيها الموت والوباء

الحمد لله الذي لا يراد في حكمه ولا يراجع، ولا يضاد في ملكه ولا ينازع، ولا يحاد في مراده ولا يمانع، ولا يحاج عن عباده ولا يدافع[٧].

أحمده على ما قدر وبسط، حمد من لا كفر ولا قنط[٨]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها يوم المآل الفرط، وتؤمنه من ذي الجلال السخط[٩]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله وللكفر في الآفاق زجل، وعلى

---

(١) أبهم الشيء ضد أظهره وكذلك أعجمه،والحمام بالكسر الموت.

(٢) اقترف اكتسب.

(٣) طفف الكيل نقصه ووفيت فلانا حقه أعطيته إياه وافيًا ،وأسلف كذا قدمه.

(٤) وجف الفرس والبعير وجيفًا عدا وأوجفته أعديته.

(٥) وسم الشيء إذا أثر فيه بسمة وكي والجباه جمع جبهة.

(٦) المشارع جمع مشرع المشرب والمنهل.

(٧) حاد فلان فلانا خالف. وحاجه جادله.

(٨) قنط من باب دخل يئس.

(٩) المآل المرجع والمصير والفرط بفتحتين الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الدلاء ليستقي لهم.

القلوب من النفاق طفل[١]. وفي أعناق أهل الشقاق عن الحق ميل، وفي الأقوال عن محجة الصدق خطل[٢].

فقوم الله بنبيه ﷺ أود المنآد. وهزم به مدد الجحاد[٣]. وأبرم به سحيل الإيمان، وأطفأ بنوره نار الطغيان[٤]، وأكرم به قبيل مضر بن نزار بن معد بن عدنان، صلى الله عليه وعلى آله صلاة مؤكدة الإدمان مجددة في كل حين وأوان . وسلم تسليما.

أيها الناس: أضللنا القلوب فلا دليل عليها مرشد، وأهملنا النفوس فكل إلى عطبه مخلد[٥]، وأثقلنا الظهور بما ليس لنا على حمله مسعد، وأعملنا الجوارح فيما هو لها عن الراحة مبعد فلا العبر عن الفساد ناهية، ولا الفكر إلى الرشاد داعية، ولا الهمم إلى الثواب سامية، ولا الذمم عن الأحساب محامية، والموت تنظمكم رماحه وتقسمكم بأيدي الفناء قداحه[٦]، ويختطفكم بالصغار اجتياحه، وتنسفكم إلى دار القرار رياحه[٧]. وكلما قربت الأيام منكم مسافته، أبعدت الآثام عنكم مخافته، حتى كأن ما ترون في غيركم من أثره، أمان لكم من وقوع حذره، ولابد لكل من محتضر يرق فيه الشامت، ويعظ فيه الناطق الصامت، ويظهر له المقت الماقت، ويكثر إليه النظر الحائر الباهت[٨]، يا له مصرعًا أطفأ مصابيح الحيل، وأنشأ مجاديح المقل[٩]. وأوشك مر الفراق، وفتك بأنفس الأعلاق[١٠]. وحط أهل السرور والمنابر. إلى ظلم

---

(١) الزجل الصوت والطفل الظلمة وما قبيل غروب الشمس.

(٢) الميل بفتحتين من باب تعب الاعوجاج خلقة والخطل مصدر خطل في منطقه ورأيه إذا أخطأ وهو من باب تعب.

(٣) الأود الاعوجاج يقال أود الشيء من باب طرب اعوج وانآد على وزن انفعل مطاوع آد يقال آد الشيء أثقله فانآد أي ثقل به وانحنى، وقوم المعوج أزال عوجه.

(٤) السحيل الحبل المفتول فتلا واحدًا، والخيط الغير المفتول، والمبرم المحكم والمفتول طاقين.

(٥) العطب الهلاك وأخلد إلى الشيء مال إليه.

(٦) القداح جمع قدح بكسر القاف سهم الميسر.

(٧) الصغار المذلة والاجتياح مصدر اجتاحتهم السنة أو الفتنة إذا استأصلتهم، ونسفت الريح التراب من باب ضرب اقتلعته وفرقته.

(٨) المقت البغض الشديد، وبهت من بابي قرب وتعب دهش وتحير فهو باهت ويعدى بالحركة فيقال بهته من باب قطع فبهت.

(٩) مجاديح السماء أنواؤها الدالة على المطر.

(١٠) أوشك أسرع، والأعلاق جمع علق بكسر العين النفيس من كل شيء.

الحفر والمقابر، حتى يدع نعيم الدنيا زهيدًا، ومنظومها فريدًا[١]، وحديثها وقديمها فقيدا، ومن عليها من الخلائق بسيف الموت حصيدًا، فلا تجعلوا عباد الله حطام الدنيا بينكم دولا ونهبى، وتعرضوا عن الآخرة إعراض الفارك الغضبى[٢].

واهنئوا بتقوى الله عر قلوبكم الجربى، من قبل أن تشتملوا الندامة في منقلب العقبى[٣]. حيث يستعتب الظالم فلا يجاب إلى العتبى، ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾[٤].

كنف الله منا ومنكم محال اليقين، وصرف عنا وعنكم مضال اللعين[٥]. وجعلنا وإياكم بقدره راضين. وبحلاله عن حرامه معتاضين، إنه أقدر القادرين، إن أعذب الكلام في الأفواه وأحلى، وأحق النظام بالإسماع وأولى، كلام من هو بالمنظر الأعلى، وتقرأ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ الآيات.

خطبة أخرى في تصريف الزمان والمعاد

الحمد لله مسخر الكواكب جارية في بروج أفلاكها، ومطهر السموات بقدس تسبيح أملاكها[٦] وميسر أنفس المطيعين للسعي في فكاكها، ومنظر كافة المضيعين حلمًا وثقة بإدراكها[٧]. أحمده على خوالي نعم خولها، وتوالي قسم أكملها[٨].

---

(١) الزهيد كالقليل وزنا ومعنى .

(٢) الدول جمع دولة بالضم يقال صار الفيء بينهم دولة أي يكون لهذا مرة ولهذا أخرى، والنهبى اسم للمنهوب، والفارك المرأة التي لا تحب زوجها والغضبى مؤنث غضبان.

(٣) الجربى جمع أجرب وهنأ الإبل طلاها بالهناء بالكسر وهو القطران والعقبى: عاقبة الأمر وجزاؤه، واشتمل بثوبه أداره على جسده كله حتى لا تخرج يده.

(٤) استعتب زيد عمرًا فأعتبه أي استرضاه فأرضاه وسره بعدما ساءه والاسم من الإعتاب العتبى، والمثقلة النفس التي أثقلها الوزر والحمل هنا ما حملته من الأوزار والضمير المستتر في كان يرجع إلى المدعو أي ولو كان المدعو ذا قرابة.

(٥) كنفه حاطه وصانه ومحال اليقين كناية عن القلوب وهي كناية أريد بها الذات كقوله والطاعنين مجامع الأضغان، ومضال جمع مضلة ضد الهدى.

(٦) القدس الطهارة والأملاك جمع ملك.

(٧) المنظر الممهل.

(٨) الخوالي جمع خالية بمعنى ماضية وسالفة وتوالى جمع تالية وهي اللاحقة.

وملابس آلاء خلعها، ومعاطس أعداء جدعها[١]. حمدًا يكون إليه واصلا، وبما وعد عليه كافلا؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تألق في القلب كوكبها، وتعلق بالرب سببها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله للرسل عاقبًا وللملل غالبًا[٢]، وبالحقوق طالبا، وعن الفسوق ناكبًا[٣]. فلم يزل ﷺ لأمته ناصحًا، وعن أسرته مكافحًا[٤].

حتى أظهر كعبه، وسر قلبه[٥]. وكثر صحبه، ونصر حزبه، وآثر قربه؛ ثم قضى بعد ذلك نحبه[٦]. صلى الله عليه وعلى آله ومن اتبعه واعتقد حبه، وسلم تسليما.

أيها الناس: الزموا التقوى يلزمكم وقارها واحتموا الدنيا يحتمكم صغارها، وأموا سبل الهدى فقد وضح لكم منارها، وحرموا ظهر المنى فقد جد بكم عثارها[٧].

وانظروا بعيون الهمم، في مصارع الأمم، الذين فوقهم الزمان دره، وجنبهم الحدثان كره[٨]. فعمروا الدنيا عمارة آمن من غدرها ونفذ أمرهم في برها وبحرها. حتى إذا اقتعدوا منها مقاعد الشرف. وتمهدوا فيها مماهد اللطف[٩]. وصدقوا كواذب أمانيها، ولم يرمقوا المعاطب في طيها ونواحيها، قلبت لهم عين فراتها أجاجا، وأمرتهم على آفاتها أفواجًا[١٠]. أخرست ديارهم بعد إفصاحها، وطمست آثارهم بعد

---

(١) الآلاء النعم وهي جمع إلى بفتح الهمزة وكسرها والمعاطس الأنوف والجدع قطعها.

(٢) عقبت زيدا من باب نصر جئت بعده ومنه سمي رسول الله ﷺ العاقب؛ لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء أي جاء بعدهم.

(٣) نكب عن الشيء مال عنه وعدل.

(٤) أسرة الرجل على وزن غرفة رهطه، كافح العدو في الحرب استقبله بوجهه وليس دونه ترس ولا غيره وكافح عنه حامى عنه.

(٥) أظهر كعبه: أعلى شرفه ومجده.

(٦) قضى نحبه مات أو قتل في سبيل الله وقضاء النحب في الأصل الوفاء بالنذر.

(٧) أموا اقصدوا، ومنار الطريق علمه الذي يعرف به وعثر الرجل عثارًا من باب قتل زلت قدمه، وجد به الأمر ضد هزل.

(٨) الدر اللبن وفوقه اللبن تفويقًا سقاه إياه شيئًا فشيئًا. كر الزمان ذهابه ومجيئه حدثان الدهر وحدثانه نوائبه.

(٩) اقتعد الدابة اتخذها مركبًا واقتعد المقاعد علاها، وتمهد الفراش بسطه، واللطف بوزن سبب ما اتحفت به أخاك ليعرف به برك.

(١٠) ماء فرات أي عذب وماء أجاج أي مر شديد الملوحة.

اتضاحها، أخلفتهم بروق المواعد، وألحفتهم فتوق الرواعد[١]، عثروا فقال لهم الدهر لا لعا، وسقوا كأس الحمام فبادوا معا[٢]. فيا أيها الحلال منازل الراحلين، والوراد مناهل الأولين[٣]. لقد هتف بكم هادم اللذات فأسمع، وجادكم عارض الشتات فما أقلع[٤]. وأثخن فيكم سيف الممات فأوجع، وسعى إليكم فيلق الآفات فأسرع[٥].

وأنتم مغترون بغمائم الآمال، الساترة بينكم وبين حوائم الآجال، حتى كأن الموت على غيركم كتب، أو كأن الحق على سواكم وجب، وأعجب بها غفله شاملة، ونقلة عاجلة، وأمنية خائنة، ومنية حائنة[٦].

لقد أنذرتكم الأيام هجومها، وأرتكم في غيركم محتومها، فبادروا عباد الله وأبواب العمل مفتوحة، وفي ساحات المهل مندوحة[٧]. قبل قطع الوتين، ورجع الأنين[٨]. ورشح الجبين، ومعاينة المسلط الأمين، قبل سفه الحليم، ووله اليتيم [٩].

وعويل الحريم، لنزول الأمر العظيم، قبل أوان الغيبة وهوان الشيبة، وانحزاق الهيبة، واستحقاق دار الخيبة، فيومئذ تتفطر القلوب من الإملاق إشفاقا، وتصير

(١) أخلفه الوعد وعده بشيء ولم يف به وأخلف البرق لم يمطر وأخلفتهم الدنيا بروق مواعدها جعلت مواعدها غير ممطرة، وألحفه الثوب ألبسه إياه، والفتوق جمع فتق وهو الخلل في العيش والرواعد جمع راعدة وهي السحابة ذات الرعد.

(٢) لعا كلمة يدعى بها للعاثر ومعناها انتعشت وسلمت فإذا أريد الدعاء عليه قيل لا لعا والحمام الموت، وبادوا هلكوا.

(٣) الحلال جمع حال والوراد جمع وارد وهو الآتي إلى الماء،والمناهل جمع منهل وهو المورد والمورد عين ماء ترده الإبل وغيرها.

(٤) هتف به صاح به ودعاه جيدت الأرض أصابها مطر جود والجود بالفتح المطر الغزير وأقلعت السماء كفت عن المطر.

(٥) أثخن في الأرض سار إلى العدو وأوسعهم قتلا وأثخن فلانا، أوهنه بالجراح، والفيلق الكتيبة العظيمة.

(٦) الأمنية ما يتمناه المرء والجمع الأماني والمنية كذلك وجمعها منى والمنية الموت وجمعها منايا، وحائنة من حان الأمر إذا جاء حينه.

(٧) مندوحة سعة وفسحة.

(٨) الوتين عرق إذا انقطع مات صاحبه.

(٩) الوله الاضطراب من الحزن.

الذنوب في الأعناق أطواقا[١]. وتتعذر الأنساب فلا يعرف والد ولدا. ويحرر الحساب فلا يظلم ربك أحدًا.

فتح الله لنا ولكم أقفال القلوب، وأنجح لنا ولكم السؤال في المطلوب، وجعلنا وإياكم بزواجره أيقاظا، ولنواهيه وأوامره حفاظًا[٢].

إن أحسن الكلام أثرًا، وأبين النظام عبرًا، كلام من خلق من الماء بشرًا. وتقرأ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾.

خطبة في ذكر الموت

الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره، وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره[٣]. وموفق عبيده لمغانم ذكره، ومحقق مواعيده بلوازم شكره، أحمده على إسبال ستره، حمدًا يقود إلى محال غفره[٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إعظامًا لقدره، وإرغامًا. لمن حاده بكفره، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بميثاقه وعذره ؛ ودل به على إطلاقه وحظره[٥]. وأيده على مشاقية بعزيز نصره، وأشاد بذكره في بره وبحره، صلى الله عليه وعلى آله ما افتر ظلام عن فجره، ودر غمام بصيب قطره[٦]. وسلم تسليماً.

أيها الناس: أقلعوا سراعا، وأزمعوا ارتجاعا[٧]، فقد أسرع الدهر نقض مرركم وأزمع تعجيل سفركم[٨]، وغدًا يفضي بكم إلى ظلم حفركم. ويوضح لكم مبهم خبركم.

---

(١) الإملاق الفقر والإشفاق الحذر والخوف.

(٢) الزواجر النواهي والأيقاظ جمع يقظ بمعنى الفطن والحذر.

(٣) قصم الشيء كسره وأبانه ولا يقال إلا فيما يسمع له صوت كالظهر ونحوه.

(٤) إسبال الستر إرخاؤه وقاده إلى كذا أوصله إليه وقاد الفرس إذا كان أمام الفرس آخذا بقيادها وساقها إذا كان خلفها.

(٥) الإطلاق الإباحة والحظر المنع والتحريم.

(٦) افتر ابتسم ودر الغمام غزر مطره، والصيب السحاب ذو الصوب أي المطر.

(٧) أقلعوا سراعا كفوا مسرعين، وأزمع الأمر عزم عليه وثبت .

(٨) المرر جمع مرة بالكسر وهي الشدة والقوة.

وما هو إلا أن يغول الصحة سقمها، ويدول على الجدة عدمها[١]، ويمل السادة حشمها؛ ويحل من الحياة حرمها، حتى قد عدمتم طيب المفاكهة، ونسيتم ريح المشافهة[٢]، وقدمتم دار المواجهة، ولم يغن عنكم إعوال الأيم الواهة[٣]. فحللتم منزلا توجس الوحشة عرصاته، وتكر عليكم بالآفات جهاته، وتبهر ساكنه آياته، ويطول فيه إلى المعاد سباته[٤]، وأعظم به منزلا أول وروده الندامة ؛ وآخر حدوده القيامة؛ ذلكم اسم واقع على معنى جليل، وخطب قاطع وصل كل خليل، وإفاقة من سكرة المنون في ساعة أسرع من لمح العيون ؛ فكأن قد صرخ بكم صارخها، وأردف النفخة إليكم نافخها[٥]، فعلمتم حينئذ ما تجهلون، وأقبلتم من كل حدب تنسلون [٦]. ووقفتم للحساب وأنتم ترعدون ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فكيف يسر من ساء هنالك فعله. وأين مفر من ثقل في القيامة حمله، إذا تقاذفت الأرض بصم أجبالها ، وشيب العرض رءوس أطفالها[٧]، وتزاحمت الأمم باركة لجدالها ، وعيت الألسن جوابًا عن سؤالها [٨]. ونفذت فيها الحكومة بشهادات أوصالها ، وبرزت جهنم بسلاسلها وأنكالها [٩]؛ وطمت الطامة بعجائبها وأهوالها . وآل أهل الجرائم شر مآلها[١٠]. ذلك يوم صلي بجده اللاعبون ، وحظي برفده التائبون[١١]، وشقي في ناره المذنبون ﴿ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾، آوانا الله وإياكم إلى معاقل توفيقه.

---

(١) غاله أهلكه. ودالت الأيام على كذا دارت عليه.

(٢) المفاكهة الممازحة.

(٣) الإعوال رفع الصوت بالبكاء تقول منه أعول إعوالا.الأيم من النساء من لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبًا والجمع الأيامى، والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد.

(٤) السبات: النوم، والسبات: الراحة والسكون.

(٥) أردف الشيء: أتبعه.

(٦) الحدب ما ارتفع من الأرض ونسل في مشيه نسلانا أسرع.

(٧) تقاذف القوم بالحجارة قذف بعضهم بعضا بها.

(٨)عيي الرجل في كلامه لم يبن.

(٩) الأنكال القيود وهو جمع نكل بوزن طفل.

(١٠) طم السيل الركية دفنها وسواها وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم ومنه سميت القيامة طامة، وآل رجع والجرائم جمع جريمة وهي الذنب.

(١١) صليَ بالنار احترق. والرفد العطاء والصلة.

وهدانا وإياكم لنهج طريقه، وأعاننا وإياكم على القيام بحقوقه، إن أجمع بدائع الخطاب، وأنفع ودائع الألباب كلام العزيز الوهاب، وتقرأ: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ الآيات.

خطبة أخرى

يذكر فيها ذم الدنيا ويحض على قيام الليل

الحمد لله المجير الذي لا يجار عليه ، القدير الذي لا ملجأ منه إلا إليه[١]، الحسيب الذي لا يضيع عمل عامل لديه ، الرقيب الذي ملكوت كل شيء بيديه[٢].

أحمده شاكرًا وأتوب إليه غافرًا، وأستعينه ناصرًا ، وأسلم لقضائه صابرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا لا إله لنا سواه، وربًّا لا نعبد إلا إياه ، وأشهد أن محمدًا عبد استخلصه واصطفاه ، ونبي انتخبه واجتباه[٣]. أيد به الحق وأعلاه. وهد به الباطل وأوهاه[٤]. وأقام به العدل وأحياه ، وأمات به الجور وعفاه[٥]. صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه، كما اختاره لإقامة دينه وارتضاه ، وسلم تسلميا.

أيها الناس: إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بانقلاع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع[٦]. فتزودوا من دار المحال، لدار المآل ، وخذوا من الحياة الفانية المنكدة ، للحياة الباقية المؤبدة، واعلموا أن الدنيا مفازة فيها الطريق إلى الآخرة، وقنطرة عليها الجواز إلى الساهرة[٧].

فأنيروا مسالكها بصيام هواجرها ، واقطعوا مهالكها بقيام دياجرها[٨]، فإنه من اتخذ الليل جملا، قطع عليه مفاوز الهلكات ، ومن اختار التقوى سبلا، أدته إلى منازل

---

(١) استجار زيد بعمرو فأجاره إذا طلب منه أن يؤمنه مما يخاف فأمنه وأجرت زيدًا على عمرو منعته منه.

(٢) الملكوت الملك العظيم وهو من الملك كالرهبوت من الرهبة والجبروت من الجبر.

(٣) استخلصه واصطفاه وانتخبه واجتباه كلها بمعنى اختاره.

(٤) أوهاه أضعفه.

(٥) عفاه تعفية درسه وأزال أثره.

(٦) آذنت أعلمت ، والانقلاع الذهاب ، والاطلاع الظهور فجأة.

(٧) القنطرة الجسر. والساهرة وجه الأرض.

(٨) الهواجر جمع هاجرة وهي وقت اشتداد الحر وذلك عند منتصف النهار، والدياجر جمع ديجور وهو الظلام.

الراحات[١]. ومن تيقظ لحراسة نفسه ، أمن هجوم السيئات ، ومن جعل الدنيا معقلا أسلمته إلى نوازل الآفات[٢]. فاتقوا الله عباد الله واستقصروا أجلا آخره الموت وإن طال، واستصغروا أملا يحجبه الفوت أن ينال ، فلو لوحت لكم طلائع الآجال ، لافتضحت عندكم خوادع الآمال[٣]؛ وكأن قد انكشف لكم مستورها ، وردف لكم حضورها؛ ووقع بكم مقدورها، وأسرع إليكم كرورها فهتك حجب الغيوب ، وأنتهك ثمر القلوب[٤].

واسترجع الودائع، واستودع الفجائع ، وشتت الشمل ، وبتت الوصل[٥]. وأترع ممرات الكئوس ، وانتزع نفسيات النفوس[٦]؛ وبتر العلائق وأظهر الحقائق[٧]. ورد الأجسام إلى ما خلقت منه. وأورد الأنام مورداً لا محيص لهم عنه[٨].

فصارت الفلوات مساكنهم، والظلمات مواطنهم، تراكا لما جمعوه، ملاكا لما زرعوه ، أغنياء عما خلفوه، فقراء إلى ما أسلفوه خمودًا في بطون الأرض ، إلى يوم الحساب والعرض؛ هنالك يساق العالم سوقًا حثيثا، ولا يجد الظالم من الله مجيرًا ولا مغيثا[٩]. وتمتاز الخليقة طيبًا وخبيثا. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[١٠].

---

(١) اتخذ الليل جملا سافر فيه والمراد به هنا قيامه وإحياؤه بالعبادة.

(٢) المعقل الملجأ.

(٣) الطلائع جمع طليعة وهي مقدمة الجيش التي تتقدمه لتطلع على أحوال العدو ، والتلويح الإشارة بثوب ونحوه.

(٤) هتك الحجاب شقه حتى ظهر ما خلفه ، وانتهكته الحمى أضنته وأجهدته وانتهكه فلان أذهب حرمته.

(٥) شتت الشمل فرق الجمع ، وبتت قطع.

(٦) أترع ملأ ، والممر ذو المرارة يقال أمر الشيء صار ذا مرارة.

(٧) بتر قطع والعلائق جمع علاقة وهي بالكسر علاقة السوط ونحوه إلى ما يعلق به وبالفتح علاقة المحبة والخصومة ونحوهما.

(٨) محيص محيد ومهرب.

(٩) حثيث سريع.

(١٠) الامتياز التميز و الانفراز ، وتسوى بهم الأرض تتسوى بهم بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله.

حصننا الله وإياكم من الدنيا وحتوفها ، وسلمنا وإياكم من موارد خسوفها[١]؛ وأمننا وإياكم من قوارع صروفها؛ وجنبنا وإياكم خدع غرورها وتسويفها[٢]؛ إن أشرح المقال الأبي؛ وأفصح اللسان العربي؛ وأوضح البرهان الجلي؛ كلام المقتدر العلي؛ ويقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ثلاث آيات.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله ناقض عزائم المخلوقين بإبرام عزمه. وقابض خزائم أنفس الأبقين لإلزام حكمه[٣]. وحال عقد الشبهات عن بصائر أهل وده ، وفال عدد ذوي الرغبات عن محجة قصده[٤]. أحمده حمدًا يستوجبه فضله، وأعلم أن اختلاف مقاديره عدله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أجدد بها في كل مقام مقالا. وأمجد بها ذا الجلال والإكرام تعالى. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله والحق خافية صواه، واهية قواه[٥]، حل حرمه ، فل عصمه[٦]، طامسة أعلامه ، دارسة أحكامه ، منكورة أيامه مبتورة أوذامه[٧]. فأقدم ﷺ على إظهاره ونصرته، وأعلم في أنصاره وأسرته. وناصح الله في تشييد ملته، وكافح أعداءه على الإقرار بوحدانيته. حتى دك رعان البهتان فأصحرها. وفك أركان الطغيان فدمرها[٨]، وأطلع شمس اليقين وندب إليها، وشرع شرائع الدين فأوضحها لديها؛ صلى الله عليه وعلى آله صلاة يسوق ثوابه بين يديها، ويؤمن عقابه من آمن من العالمين عليها؛ وسلم تسليما .

---

(١) حتوف جمع حتف وهو الهلاك.

(٢) الصروف جمع صرف وصرف الزمان تقلبه والصروف حوادثه ونوائبه والتسويف المطل.

(٣) الخزائم جمع خزامة بالكسر وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام والزمام الخيط الذي يشد فيها والأبق الهارب.

(٤) حل العقد فكها ، وفل الجيش هزمه وفرقه وفل السيف كسر حده والعدد جمع عدة وهو ما ادخرته من مال وسلاح وغيرهما، والمحجة الطريق الواضحة وعن متعلقة بالرغبات .

(٥) الصوى الأعلام من الحجارة الواحدة صوة مثل قوة وفي الحديث أن للإسلام صوى ومنارًا كمنار الطريق.

(٦) حل حرمه أي مستحيل لا يحترم والعصم جمع عصمة وهى الربقة. والفل الرقيق الضعيف.

(٧) مبتورة مقطوعة. والأوذام جمع وذمة وهى سيور بين آذان الدلو والعرقى.

(٨) رعان جمع رعن وهو الجبل الطويل وانف الجبل. وأصحرها جعلها صحراء والمشهور أصحر الرجل دخل في الصحراء.

أيها الناس: أسيموا القلوب في رياض الحكم، وأديموا النحيب على ابيضاض اللمم[١]. وأطيلوا الاعتبار بانتقاض النعم. وأجيلوا الأفكار في انقراض الأمم. الذين كانوا من قبلكم في الأرض قاطنين ، وعلى مهاد الخفض مستوطنين[٢]. وبعهود الأيام واثقين. وإلى غايات الأماني سابقين[٣].

ممن تبوأ عرعرة دهر أصبحتم بحضيضه. وتملأ صفو زمان جار عليكم بقروضه[٤]. حتى إذا استحكمت فيهم طماعية التخليد، واستولت عليهم رفاهية التمهيد[٥].

وقادوا الخليقة بأزمة الرغب والرهب، وسارت بهم الدنيا مسير التقريب والخبب[٦]. وعموا عن مناصب إشراك جدها في مراعي اللعب، ولهوا عما يدل عليه الاعتبار فيها من سوء المنقلب ، رغا في وسط ديارهم سقب العطب، وأعدى فيهم الهلاك أعداء الجرب[٧].

وأوقعت بهم المنون إيقاع الغضب ، وأدت إليكم الأيام من أخبارهم أنواع العجب، سحبت عليهم الهوج أذيال نقائمها. وحلبت عليهم المنون سجال غمائمها[٨].

فأضحوا رهين أجداث موصدة، وودائع قبور ملحدة[٩]، ذهبوا فلم يرجعوا

(١) أسام الماشية رعاها وسامت بنفسها رعت فهي سائمة في الحالين. والنحيب البكاء واللمم جمع لمة بالكسر وهي الشعر يلم بالمنكب أي يقرب منه وابيضاض اللمم عبارة عن المشيب.

(٢) القاطن الساكن والخفض من العيش السعة فيه والراحة. والمهاد الفراش واستوطن الرجل البلد وتوطنه وأوطنه اتخذه وطنا.

(٣) يقال سبق إلى غاية المضمار أي وصل إليها قبل غيره.

(٤) عُرعُرة الجبل وأنفة أعلاه يقال نزل العدو بعرعرة الجبل ونحن بحضيضه أي نزلوا في أعلاه ونحن في أسلفه. وتملأ من الطعام والشراب أخذ منه بحظ وافر والقروض جمع قرض وهو ما أسلف المرء من إساءة وإحسان.

(٥) الرفاهية والرفاهة الراحة والسعة في العيش. والطماعية الطمع.

(٦) التقريب والخبب نوعان من أنواع السير.

(٧) السقب ولد النافة. ورغا من الرغاء وهو صوت الإبل.

(٨) الهوج الرياح التي تقلع البيوت. والسجال جمع سجل الضرع العظيم.

(٩) الرهين المحبوس. والأجداث القبور والموصدة المغلقة.

وندبوا فلم يسمعوا، وأزعجوا فلم يمنعوا، واستضيموا فلم يدفعوا[١]. أتراهم رضوا بدار الغربة دارا.أم آثروا قرار الوحشة قرارا، لا والله ما اختاروا فرقة الأحباب، والكون تحت أطباق التراب، ولكن صال عليهم القضاء فأطرقوا ، وطال بهم العفاء فأخلقوا[٢]. واتفقت عليهم الحادثات فافترقوا. وأعنقت إليهم المثلات فتمزقوا[٣].

فليت شعري ماذا قيل لهم وما لقوا أسعدوا بمكتسبهم في الآخرة أم شقوا . فهلم عباد الله إلى محاسبة النفوس ، قبل موائبة النحوس[٤]. ومقارنة الرموس ، ومعاينة اليوم العبوس، يوم غض الرءوس، وفض الطروس[٥].

والفحص عن المحسوس والملموس، بين يدي الملك القدوس ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ [الفرقان:٢٥]، ﴿ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً[٦] ﴾ [المزمل:١٤]، ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [الإسراء:٧١] ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٧] [الإسراء:٥١]طيبنا الله وإياكم بطب كتابه، وأدبنا وإياكم بآدابه ، ووفقنا وإياكم للأخذ بصوابه، ووقفنا وإياكم عندما أمرنا به؛ وإن أولى ما اهتديتم بإرشاده، وأحق ما صدقتم بوعده وإيعاده، كلام من جعلكم من خير عباده، وتقرأ: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ الآية.

خطبة أخرى يذكر فيها الموت

(١) استضامه ظلمه فهو مستضام أي مظلوم مثله فهو مضيم.

(٢) العفاء مصدر عفت الدار ودرست ويكون بمعنى التراب ومنه إذا حظيت بإخوان الصفا فعلى الدنيا العفاء. وخلق الثواب من باب سهل بلي وأخلى مثله ويجيء متعديا فيقال أخلق فلان الثوب إذا أبلاه.

(٣) الأعناق نوع من السير والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة.

(٤) هلم اسم فعل يقول هلم إلى كذا أي أقبل وهلم إخوانك أي أحضرهم وأهل الحجاز يستعملونها للمذكر والمؤنث والمفرد وغيره.

(٥) غض طرفه خفضه وكذلك غض رأسه وغض صوته. وفض الطرس فك ختمه ليقرأ ما فيه.

(٦) الكثيب الرمل المجتمع والمهيل السائل بعد اجتماعه من هال الشيء يهيله.

(٧) الفتيل هو الخيط الذي في شق النواة ولا يظلمون فتيلا أي أدنى ظلم وأصغره وإن لبثتم ما لبثتم فإن هنا نافية.

الحمد لله مسير مشرقات النجوم ومغيرها. ومدبر حركات الأفلاك ومديرها ، ومقرر البسيطة على متلاطم أمواج بحورها، ومفجر ينابيع المياه من جلاميد صم صخورها[١]. الذي صور أصناف الخليقة فأبدع في تصويرها ، وقدر اختلاف أجناسها فأحسن في تقديرها، ونشر رحمته على قويها وضعيفها وصغيرها وكبيرها ، فتبارك الذي بيده تصاريف أمورها؛ وعنده علم مبتدأها ومصيرها ، أحمده على ما ستره ، من نعمه وأبداه وآثرنا به من اتباع هداه ، حمدًا لا يجاور مخوفا من النقم إلا نفاه، ولا يغادر معروفا من النعم إلا استوفاه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أطلب بها رضاه ، وأرغب بها عمن سواه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين سما شهاب البهتان فأج ، وهما سحاب العدوان فثج[٢]. وطما بحر الشيطان فعج، ونمى ليل الطغيان فدج[٣]، فسدد الله به من أحكام الأديان ما اعوج ، ووطد به من دعائم الإيمان ما ارتج[٤]. وأوطأ أخمصه من تمادى في غيه ولج، صلى الله عليه وعلى آله ما اعتمر لله معتمر أو حج[٥] وسلم تسليما.

أيها الناس: تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل ، وبرزوا فقد قربت لكم نوق التحويل[٦]. ودعوا التمسك بخدع الأباطيل ، والركون إلى التسويف والتعليل [٧]. فقد سمعتم ما كرر الله عليكم من قصص أبناء القرى ، وما وعظكم به من مصارع من سلف من الورى؛ مما لا يعترض ذوي البصائر فيه شك ولا مرى، وأنتم

---

(١) البسيطة الأرض سميت بذلك لاتساعها. والجلاميد جمع جلمود الحجر والصم جمع أصم وحجر أصم أي صلب مصمت.

(٢) أجت النار أجيجا ارتفع لهبها. وثج الماء سال ومطر ثجاج منصب جدا.

(٣) طما البحر ارتفع ماؤه وعج صوت يقال نهر عجاج أي لمائه صوت وكذا كل ذي صوت من قوس ونحوها. ودج اشتد ظلامه والدجة على وزن حجة شدة الظلمة.

(٤) وطد الشيء ثبته وثقله والدعائم جمع دعامة بالكسر وهي عماد البيت ارتج: تحرك واضطرب.

(٥) والأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض ولج في ولج في الشيء اذا واظب عليه.

(٦) تجهز للسفر تهيأ له وبرز في الشيء فاق فيه على غيره وبرز الشيء أبرزه وأظهره. والإباطيل جمع باطل على غير قياس.

(٧) علله بالشيء تعليلا لهاه به كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن والعلالة بالضم ما يتعلل به وكذلك التعلة بكسر العين.

معرضون عنه إعراضكم عما يختلق ويفترى[١].

حتى كأن ما تعاينون منه أضغاث أحلام الكرى. وأيدي المنايا قد فصمت من أعماركم وثاق العرى[٢]. وهجمت بكم على هول مطلع كرية القرى، فالقهقرى رحمكم الله عن حبائل العطب القهقرى[٣].

واقطعوا مفاوز الهلكات بمواصلة السرى، وقفوا على أجداث المنزلين من شناخيب الذرى[٤]. المجلين بقوارع أم حبو كرى، المشغولين بما عليهم من الموت جرى[٥]. فاكشفوا عن الوجوه المنعمة أطباق الثرى، تجدوا ما بقي منها عبرة لمن يرى؛ فرحم الله امرأ رحم نفسه فبكاها، وجعل منها إليها مشتكاها، قبل أن تعلق به خطاطيف المنون، وتصدق فيه أراجيف الظنون[٦].

وتشرق عليه بمائها مقل العيون ، ويلحق بمن دثر من القرون[٧]. قبل أن يبدو على المناكب محمولا. ويغدو إلى محل المصائب منقولا؛ ويكون عن الواجب مسئولا ، وبالقدوم على الطالب الغالب مشغولا ، هنالك يرفع الحجاب، ويوضع الكتاب؛ وتقطع الأسباب ، ويمنع الإعتاب[٨]. ويجمع من حق عليه العقاب، ومن وجب له

---

(١) المرى جمع مرية وهي الشك. واختلق الخبر وخلقه افتراه.

(٢) أضغاث أحلام أخلاط منامات والأضغاث جمع ضغث وهو في الأصل قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها. والأحلام جمع حلم بضمتين وهو المنام ويطلق على العقل والكرى المنام والعرى جمع عروة وعروة الكوز أذنه التي يمسك بها وتستعار العروة لما يستمسك به والوثاق جمع وثيق وهو المتين. والقصم الكسر من غير إبانة.

(٣) المطلع موضع الاطلاع من المكان المرتفع إلى المنخفض ومن ذلك هول المطلع شبه ما يشرف عليه من هول الآخرة بذلك. والقرى الضيافة.

(٤) السرى السير ليلا. والشناخيب جمع شنخوب وهو أعلى الجبل وذرى الشيء بالضم أعاليه واحدته ذروة بكسر الذال وضمها.

(٥) أم حبوكرى لقب الداهية.

(٦) الخطاطيف جمع خطاف كرمان حديدة معكوفة الطرف وسميت بذلك لاختطاف الأشياء بها. والأراجيف الأقوال الكاذبة جمع أرجاف وأرجف زيد أتى بأخبار كاذبة ترجف منها الناس.

(٧) شرق بريقه غص وشرقت عينه بالدمع غصت به من غزارته. ودثر الشيء من باب قعد: درس وعفا .

(٨) الأسباب جمع سبب وهو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره والإعتاب الإرضاء يقال استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني والهمزة في أعتب للسلب لأن معناها أزال العتب =

الثواب ؛فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب ؛ أظلنا الله وإياكم في ذلك اليوم بظل رحمته ، وأحلنا وإياكم معاقل عصمته[١].وإوز عنا وإياكم شكر نعمته. ولا حرمنا وإياكم روح جنته[٢]. إن أكثر الكلام نفعًا. وأحمد النظام استفتاحا وقطعًا[٣]. كلام من لا نستطيع لقدره دفعًا ، وتقرأ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ الآيتين.

خطبة أخرى يذكر فيها الموت

الحمد لله البعيد مداه ، السديد هداه العتيد جداه المبيد عداه[٤]. الذي قطع بالموت عذر المعتذرين ، وقمع به كبر المتكبرين، وحسم به أطماع الطامعين ، وحكم به على الخلق أجمعين ، أحمده حمدًا يكون لجلاله تمجيدًا، ولنواله مفيدًا، وعن نكاله محيدًا ، وعلى جميع أفعاله جديدًا[٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يعرف له نديدًا، ولا يتخذ من دونه معبودًا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق مشيدًا ، وجعله على الخلق شهيدًا فجدد ما درس من الإيمان تجديدًا ، وعبد السبيل إلى الرحمن تعبيدًا[٦]، حتى سعد بتسديده من كان على الطهارة مولودا ، وشهد بتوحيده من كان لآياته عنيدًا صلى الله عليه وعلى آله صلاة يوجب لهم بها من فوائده مزيدا. ويقلدهم نوافل مننه تقليدًا وسلم تسليما.

أيها الناس: من استمع لخطوب الأيام، غني عن خطب الأنام؛ ومن ارتدع عن ركوب الآثام. رقي أعلى درجات الكرام؛ ومن قدح بصيرته بزناد الاعتبار، أنارت له

=

والشكوى.

(١) المعاقل جمع معقل وهو الملجأ. والعصمة الحفظ.

(٢) أوزعه الله الشكر ألهمه. والروح بالفتح الراحة والفرح والرحمة والنسيم.

(٣) الاستفتاح الابتداء يقال استفتح بكذا وافتتح أي ابتدأ والقطع الانتهاء ومنه كلام حسن المقطع أي الختام.

(٤) العتيد المهيأ والحاضر وأعتدت لفلان كذا أعددته له والجدى والجدوى العطية.

(٥) النكال العقوبة. حاد عن الشيء مال عنه وعدل وأحاده أماله عنه .

(٦) عبد الطريق مهده وذلله.

ظلم العواقب بمصابيح الاستبصار ، فاكبحوا رحمكم الله جوامح النفوس عن طلق الآمال ، وأسرحوا قرائح القلوب في طرق المآل[1]. وأقمعوا طوامح الأهواء بذكر مورد الأحزان ، ومفرد الأقران.

ومدير الحدثان ومميز الجبان[2]حرب أطوار النفوس، وقطب مدار النحوس، ومجرعكم أمر الكئوس ، ومودعكم مقر الرموس، الموت المذل كل عزيز المطل على كل حرز حريز[3].وكأن قد اختلفت فيكم صوارمه. وعصفت بكم سمائمه[4]. وأظلتكم قساطله. وشملتكم غياطله[5]. فشخصت لإيقاعه المقل ، وقلت لدفاعه الحيل[6].

وأسلمت الأجسام أرواحها ، وعدمت لإفساده صلاحها، فأفردتم حينئذ من نعمكم وأموالكم ، وقلدتم قلائد أعمالكم ، وزودتم من الدنيا أكفانا، ووفدتم على الله وحدانا ، ووجدتم لديه الإسرار إعلانا.

والإخبار عيانا، فيا أيها الغفلة المقصرون؛ بماذا إلى الملك الديان غدًا تعتذرون؛ أم ماذا له تقولون ، إذا قال: وقفوهم إنهم مسئولون ، أعددتم لسؤاله جوابًا شافيًا، أم وجدتم من نكاله حجابًا واقيا، هيهات هيهات أفحم والله عن الجواب لسان المجيب ، وتكلم عن الأفئدة إعلان الوجيب[7]. وشهدت الجوارح بمسطور الرقيب ، وارتعدت الفرائض لهول اليوم العصيب[8]. وحصل أهل الجرائم على مواصلة العويل والنحيب.

---

(١) كبح الدابة جذبها إليه باللجام لكي تقف ولا تجري. وجمح الفرس براكبه من باب فتح استعصى حتى غلبه والمصدر جماح بالكسر وجموح بالضم والفرس جموح وجامح والطلق يقال فلان طلق اليدين أي مطلقهما وهو كناية عن السخاء وفلان طلق اللسان أي مطلقه وهو كفاية عن الفصاحة وعدم الفهاهة. وسرح الماشية رعاها وسرحت هي رعت يتعدى ولا يتعدى. والقرائح جمع قريحة وهى الفكرة وجودة الطبع.

(٢) أمار الدم أساله وأمار السنان في المطعون ردده والجبان والجبانة الصحراء وتطلق على المقبرة.

(٣) الحرز الموضع الحصين والحريز الحصن الشديد الامتناع.

(٤) الصوارم السيوف القواطع وعصفت الريح اشتدت فهي عاصف والسمائم جمع سموم بالفتح وهى الريح الحارة.

(٥) القساطل جمع قسطل وهو غبار الحرب والغياطل جمع غيطلة وهى الصوت والجلبة في الحرب.

(٦) شخص بصره من باب قتل إذا فتح عينيه وجعله لا يطرف.

(٧) أفحمه أسكته في خصومة أو غيرها. والوجيب خفقان القلب.

(٨) الفرائض جمع فريضة وهى لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع. والارتعاد الاضطراب =

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾[١] [سبأ: ٥٤]. أشعرنا الله وإياكم ذكر ما أمر بادكاره ، ويسرنا وإياكم للسعي فيما يباعد عن ناره، وأيدنا وإياكم بالاستبصار بتصاريف أقداره. وأسعدنا وإياكم يوم القيامة بجواره. إن أنفع ما وقع به التحذير ، وأنجع ما اجتمع عليه الضمير، كلام من ليس له شريك ولا نظير، وتقرأ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ الآيتين.

خطبة أخرى يذكر فيها القيامة

الحمد لله مصرف الأمور بتدبيره ، ومسهل العسير تيسيره، ومحسن الخلق تصويره، وباسط الرزق تقديره، الذي عدم شبهه ونظيره، وأبهم على وهم الخواطر تفسيره، وتقدم قبل عذابه تحذيره، وقصم أهل العتو والاستكبار نكيره.

أحمده حمد من برز في حمده تشميره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص بالشهادة ضميره وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين ادلهمت من الكفر دياجيره، واطلخمت من الضلال غباشيره[٢].

وأصمت الأسماع زماجيره، وعمت البقاع أعاصيره[٣]؛ فقام محمد صلى الله عليه وسلم ساطعًا في البلاد نوره ، دافعًا للعناد ظهوره. مبشرة بالفلاح أساريره، ميسرة به من فلق ا لحق تباشيره[٤] حتى دخل في الإيمان من الخلق جمهوره ، ونقر في قلوب أهل اليقين ناقوره. وتكامل بذلك للرسول سروره. صلى الله عليه وعلى آله

=

والتحرك تقول أرعده فارتعد والاسم الرعدة بالكسر. ويوم عصيب أي شديد.

(١) العويل رفع الصوت بالبكاء تقول منه أعول إعوالا والنحيب مثله نحب ينحب من باب ضرب وانتحب أيضاً. والأشياع جمع شيع والشيع جمع شيعة وهى كل قوم اجتمعوا على أمر والمريب اسم فاعل من أرابه فلان إذا أوقعه في الريب وهو الشك ووصف الشك به للمبالغة.

(٢) ادلهم الليل اشتد ظلامه. والدياجبر جمع ديجور وهو الظلمة الشديدة واطلخم الليل اشتد ظلامه. والغباشير ما بين الغروب والعشاء.

(٣) والزماجير جمع زمجرة وهى كثرة الصياح والصخب. والأعاصير جمع إعصار وهى ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كأنه عمود وقيل هى ريح تثير سحابًا ذات رعد وبرق .

(٤) الأسارير جمع أسرار وهى خطوط الكف والجبهة والأسرار جمع سرر. وتباشير الصبح أوائله وكذا أوائل كل شيء ولا فعل له والتباشير أيضًا البشرى.

صلاة يتجدد بها حبوره ، ويشرف بها في المعاد بعثه ونشوره وسلم تسليما.

أيها الناس: قلقلوا القلوب عن مراقد غفلاتها، وأعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها. وذللوا جوامحها بذكر هجوم مماتها ، وتخيلوا فضائحها يوم تعرف بسماتها. وترقبوا داعيًا من جو السماء تنشر به الرمم ، وتحشر له الأمم[(١)]، وتزول معه التهم، ويطول عنده الأسف والندم؛ ياله داعيًا أسمع العظام البالية، ومناديًا جمع الأجسام المتلاشية. من حواصل الطيور وبطون السباع ، وقرار البحور ومتون اليفاع[(٢)]. حتى استقام كل عضو في موضعه، وقام كل شلو من مصرعه[(٣)]. فنهضتم أيها الناس لميقات الكره، بوجوه من هبوات الثرى مغبرة[(٤)]. وألوان من هول ما ترى مصفرة، حفاة عراة كما بدأكم أول مرة يسمعكم الداعي وينفذكم البصر، قد ألجمكم العرق وغشيكم القتر[(٥)]. ومادت الأرض فهي بما عليها ترجف ، وبست الجبال فهي برياح القيامة تنسف[(٦)]. وشخصت الأبصار فما ترى عين تطرف. وغص بأهل السماء وأهل الأرض الموقف[(٧)]. فبينا الخلائق يتوكفون حقيقة أبنائها وقوفا، والملك على أرجائها صفوفًا[(٨)].

إذ أحاطت بهم ظلمات ذات الشعب، وغشيهم منها شواظ نحاس ولهب[(٩)]. وسمعوا لها جرجرة زفير مصطخب. يفصح عن شدة تغيظ وغضب[(١٠)]. فعند ذلك جثا القائمون على الركب ، وأيقن المجرمون بالعطب. وأشفق البراء من سوء المنقلب،

(١) الرمم جمع رمة بالكسر وهى العظم البالي. وانشره أحياه.

(٢) اليفاع ما ارتفع من الأرض.

(٣) الشلو العضو من أعضاء اللحم وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد التفرق. والمصرع مكان الصرع يقال: صرع فلان إذا قيل وصرع إذا لحقه الصراع وهو داء معروف.

(٤) الهبوات جمع هبوة وهى الغبرة .

(٥) القتر جمع قترة كشجرة الغبار وما يغشي الوجه من آثار الكروب .

(٦) ماد الشيء تحرك ورجفت الأرض زلزلت وبست الجبال فتتت. ونسفت الريح التراب اقتلعته وفرقته.

(٧) شخص البصر ارتفع. وغص امتلأ.

(٨) توكف الخبر انتظر ظهوره. والأرجاء النواحي وهى جمع رجا بالقصر وهى الناحية والحافة.

(٩) ذات الشعب النار. والشواظ اللهب الذي لا دخان له والنحاس مثله.

(١٠) جرجرت النار صوتت وجرجر فلان الماء في حلقه إذا جرعه جرعا متتابعا يسمع له صوت واصطخبت الطير وغيرها اختلطت أصواتها.

وأطرق النباء لسلطان الرهب[١].

ونودي أين عبد الله وابن أمته، أين المسوف نفسه بخديعته ، أين المختطف بالموت على حين غرته، فعرف من بين الخلائق بسمته[٢]. وأحضر لتصفح صحيفته ، والموافقة على ما أسلف في مدته[٣]، مطالبًا بإقامة حجته. مروعًا بين يدي عالم خفيته؛ بوقع خطاب كالصواقع ، ولذع عتاب كالمقامع[٤]، وشهادة كتاب للفضائح جامع ، وصحة حساب للمعاذير قاطع؛ فخاب والله هنالك من كان على نفسه مسرفًا لم يجد من خلطائه منيلا ولا مسعفًا[٥]. بل وجد الحاكم له وعليه عدلا منصفًا ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف:٥٣][٦].

عدل الله بنا وبكم إلى سبيل السلامة، وحمل عنا وعنكم أعباء الظلامة[٧]. وجعل الإخلاص بتوحيده نورًا لنا في ظلمات القيامة، إن أعزر ينابيع الحكم، وأنور مصابيح الظلم، كلام باري النسم ، وتقرأ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

خطبة يذكر فيها الموت وتصرف الزمان

الحمد لله مبدع أصناف البدائع، وموسع الطائف الصنائع[٨]. الذي أوزع شكر

(١) أشفق خاف وحذر والبرآء جمع بريء والنباء جمع نبيء والأكثر في الاستعمال أنبياء.

(٢) الغرة بالكسر الغفلة والسمة والعلامة.

(٣) تصفح الكتاب نظر في صفحاته.

(٤) الصواقع الصواعق يقال صعقته الصاعقة وصقعته الصاعقة إذا أهلكته المقامع جمع مقمعه بكسر الميم آلة من الحديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل وقمعه ضربه بها وقمعه أيضًا منعه وقهره وأذله.

(٥) الخلطاء الشركاء والأصحاب .

(٦) مواقعوها واقعون فيها والمصرف المعدل.

(٧) الأعباء الأحمال وهو جمع عبء كحمل.

(٨) أبدع الشيء اخترعه لا على مثال والبدائع: جمع بديع وهو الشيء القليل النظير. والبديع في الأسماء الحسنى بمعنى المبدع ومنه بديع السموات والأرض. والصنائع جمع صنيعة وهى =

نعمه كل منيب طائع ، وأودع نور حكمه قلب اللبيب الخاشع؛ أحمده على إحسانه المتتابع، وإفضاله الشائع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مستكين لربوبيته خاضع، راغب في معروفه طامع.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بنور ساطع، وحق قاطع ، وعز قامع ، وحكم واقع ، وصول وازع ، وطول واسع[١]. فأنقذ كل مستجيب سامع، وأهلك كل مول دافع[٢]. حتى استقام الناس على أوضح الشرائع ، وأمنوا به حلول القوارع ، صلى الله وعلى آله الأنجم الطوالع، صلاة تجود عليهم بركاتها جود الغيوث المرابع[٣]. والسحب الهوامع، وسلم تسليما .

ابن آدم: أعجبك العجب وأنت أعجب مما أعجبك ، وأطربك منال ما إذا أدركت غايته أعطبك. وأعتبك من الأيام ما إذا استحكمت ثقتك به أغضبك ، وأتعبك عمران ما كلما عمرته أخربك ، فأنت تدخر ما ينفقك ، وتجد ما يخلقك[٤].

وتكذب من يصدقك وتتهم من يرزقك. كأن علمك بالتنزيل جهالة، أو كأن هدايتك بالرسول ضلالة. أو كأن صحة المعقول عندك إحالة، أو كأن حفظ الله عليك عملك إذالة[٥].

ألم يأتك نبأ سالف القرون، المتمنعين بالمعاقل والحصون. الذين اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا. وانقادت لهم صعاب الأمور ذللا، وعبدوا مفاوز البر والبحر سبلا. وجبيت إليهم ثمرات كل شيء قبلا، وكانوا أحصن الناس بالإمهال أجلا[٦].

=

المعروف والإحسان.

(١) الصول مصدر صال عليه إذا هجم عليه واستطال. والطول مصدر طال على القول إذا أفضل عليهم وتطول. والوازع المانع تقول وزعته عن كذا منعته منه وكففته عنه.

(٢) المولي المعرض تقول ولى زيد عن كذا أعرض عنه وولى هارباً فر.

(٣) المرابع جمع مربع تقول أربع الغيث إرباعا حبس الناس في رباعهم لكثرته فهو مربع.

(٤) أجد الرجل الشيء وجدده واستجده صيره جديدًا. وأخلق الرجل الثوب أبلاه.

(٥) الإحالة مصدر أحال الرجل أتى بالمحال وتكلم به. والإذالة يقال أذال فرسه وغلامه ابتذلهما في الخدمة.

(٦) الذلل جمع ذلول من ذلت الدابة انقادت. وعبّدوا سهلوا. والقبل بضمتين وبكسر ففتح

=

وأبعدهم في منال أملا، وأعلاهم في معال مثلا، وأمضاهم في مقال جدلا، كيف ذربت لهم المنون أنيابًا عصلا[١]، وبثت فيهم من نقض أجسامهم رسلا، وشرعت لهم مكان شرائع الصحة عللا، وأبدلتهم بالنشاط كسلا. حتى سقتهم من حياض الموت نهلا. ثم أعادت عليهم بعد النهل عللا، فأصبحت معاقلهم عليهم عقلا[٢]. وصارت نفوسهم لمفاد الحمام نفلا، وأعضاؤهم بنار الأسقام شعلا[٣]. ولحومهم لهوام الأرض أكلا، وردوا المقابر وحدانا وثللا[٤].

واستوفوا مدد آجالهم كملا، ولقوا تفصيل أعمالهم جملا. قد أطال البلى في اللحود لهم شغلا، وأسال على الخدود منهم مقلا. لا يهتدون إلى رجعة حيلا. ولا يشفي التأسف والندم منهم غللا[٥].

يتوقعون من القيامة أمرًا جللا، فكيف بك أيها الإنسان إذا قمت من سكر المنون شملا[٦]. فأجبت داعي الحق عجلا، وسمعت لضوضاء القيامة زجلا ، وبرزت للذي خلقك من تراب ثم من نطفه ثم سواك رجلا[٧]. ونكست الرءوس خجلا، وصارت الجنة للمتقين نزلا، والنار للمجرمين ظللا[٨]. ذلك بأنهم اتخذوا الشيطان وذريته أولياء من دون الله وهم لهم عدو بئس للظالمين بدلا، جبر الله قلوبنا وقلوبكم

=

المقابلة والعيان قال تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥].

(١) الأنياب جمع ناب. والعصل الشديدة. وذرب السيف ونحوه أحده وهو من باب نصر وذربه بالتشديد بمعناه.

(٢) النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثاني. والمعاقل الحصون. والعقل جمع عقال مثل كتب وكتاب حبل يعقل به البعير تقول عقلت البعير عقلا من باب ضرب إذا ثنيت وطيفه مع ذراعه فشددتهما معًا في وسط الذراع.

(٣) النفل الغنيمة والجمع أنفال.

(٤) الثلل: جمع ثلة بالضم الجماعة من الناس.

(٥) الغلل: جمع غلة وهى حرارة العطش.

(٦) الجلل الأمر العظيم كما هنا ويكون بمعنى الأمر الحقير وهو من الأضداد. والثمل من أثر فيه الشراب تقول ثمل ثملا من باب طرب فهو ثمل.

(٧) الضوضاء أصوات الناس في الحرب. والزجل الصوت المرتفع وارتفاع الصوت.

(٨) النزل المنزل والظلل جمع ظلة وهى كهيئة الصفة.

بأشعار مخافته، وستر عيوبنا وعيوبكم بأستار رأفته[١].

وجعلنا وإياكم من الذين أيقنت قلوبهم بعفوه فاستبشرت ، وأمنت وجوههم حلول سطوه فأسفرت[٢]. إن كتاب الله أولى ما لزمتم حفظه، وألهمتم القلوب وعظه، فإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وتقرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٢-١٠٤].

خطبة أخرى يذكر فيها الموت والوباء

الحمد لله مبدئ الخلق ومعيده، ومنشئ الرزق ومفيده. وقابل التوب ومريده ، وجاعل الحمد سبب مزيده. أحمده على نعم جللنا سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يفوز برضاه من قالها[٣]، وأشهد أن محمدًا عبد طيب عنصره، ونبي هذب جوهره[٤]. أكمل به الإيمان فشهره، وأخمل به البهتان فدمره، صلى الله عليه وعلى آله ومن هاجر إليه ونصره، صلاة يرغم بها معاطس من حاده وكفره. وسلم تسليما.

أيها الناس: كيف يروى بماء الخفض قلب من اشتغل بنار المشيب عذاراه ، أم كيف يسكن إلى دار الدنيا من السقم والهرم فيها جاراه[٥]. أم كيف تنسى النفوس من هي عما قليل فرائسه وأساراه. أم كيف يلتذ بصفو حياة من كان الموت غايته وقصاراه[٦]. ألا فازمعوا عن الدنيا رحيلا، فقد آذنكم أول لقائها بوداعها، وبادروا

---

(١) أشعرت فلانا الأمر وبالأمر فشعر أعلمته به فعلم. والأستار جمع ستر بالكسر وهو ما يستر به وأما الستر بالفتح فهو مصدر.

(٢) أسفر الصبح أضاء ومن ذلك أسفر الوجه إذا تهلل وظهر فيه البشر .

(٣) السربال القميص وسربله ألبسه السربال وتسربل لبسه. وجلل المطر الأرض عمها فلم يدع شيئًا إلا غطى عليه ومنه يقال جللت الشيء إذا غطيته.

(٤) العنصر الأصل. وجوهر الشيء ما خلقت عليه جبلته.

(٥) الخفض في العيش الراحة والسعة. وعذار الرجل شعره النازل على اللحيين وجاراه جاران له.

(٦) والفرائس جمع فريسة فعيلة مفعولة تقول فرس الأسد الشاة إذا دق عنقها وكسرها وهي فريسة. وقصارى الشيء غايته وآخر أمره.

انتهاز الفرص بتزود ما ينفق عنكم من متاعها.

وافطموا النفوس بذكر هادم اللذات عن مذموم رضاعها ، واستعملوا ودائع الأرواح فيما تحمد مغبته قبل ارتجاعها[١]. فكأن قد سلككم في أيامها سقم مفسد، أو أدرككم قبل حمامها هرم منفد، يذهبان بهجة السلامة ويركبان لجة الندامة. يدنيان المرء من سفره، ويفضيان به إلى حذره.

لا يجد أحد من أحدهما بدا ، ولا يستطيع لما نزل به منهما مردًا[٢]. فاتقوا الله عباد الله واعملوا ليوم لا ترجعون فيه مقاله ولا توسعون فيه أقاله[٣]. إذا شخص البصر فبرق، وغص بها الحلقوم فشرق. ورشح لهولها الجبين فعرق، وخاض الروح بحر المنية فغرق.

ووقع اضطراب الثكل في الأهل والجيران، وقيل آجركم الله على المصيبة بفقد فلان يا فلان ، كناية عن كل إنسان.

فكيف بك إذا رحلت مكرها عن الأوطان ، وحصلت مما جمعت يداك على الأكفان. وركبت غير مختار مركبًا من مراكب الحدثان، وتداولتك مناكب المشيعين إلى الجبان[٤]. فنزلت منزلا لا يفك من أسره عان.ولا لنازله بدفع حوادثه يدان[٥].

أيسر ما فيه روعة الفتان ، وسعى البلى في تفصيل مفاصل الأبدان[٦]. ومحو محاسن تلك الوجوه الحسان ، ثم الخروج منه إلى العرض على الديان[٧]. في يوم يشيب

---

(١) مغبة الأمر وغبه عاقبته.

(٢) لابد من كذا لا فراق منه وقيل لا عوض ولا يعرف استعماله إلا بالنفي.

(٣) رجعت الكلام وغيره رددته. والإقالة مصدر أقال تقول أقاله الله من عثرته إذا رفعه من سقوطه ومنه الإقالة في البيع لأنها رفع العقد.

(٤) الجبانة بتشديد الباء الصحراء ربما أطلقت على المقبرة وقليلاً ما تحذف الهاء من آخرها والتشييع التوديع تقول شيعت الضيف إذا خرجت معه عند رحيله إكرامًا له.

(٥) العاني الأسير تقول عني فلان من باب رضي إذا نشب في الأسار فهو عان. واليدان تثنية يد تقول ليس لفلان يدان بهذا الأمر أي قوة وطاقة.

(٦) الروع بالفتح الفزع والروعة الفزعة وراعه الأمر أفزعه وروعه مثله. والمفصل بوزن مجلس واحد مفاصل الأعضاء وفصل القصاب الشاة تفصيلاً عضاها أي جزأها أعضاء.

(٧) الديان في صفة الله تعالى المجازي والمحاسب وهو من دانه إذا جازاه وحاسبه والدين مصدر منه بمعنى الجزاء ومنه يوم الدين.

هوله رءوس الولدان، ويبين الربح والخسران فيه صحة الميزان. ويزيل ظلم الشكوك أنوار الإيقان ويصير الخبر فيه نصب العيان. ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن:٣٧] وغص الموقف بأصناف الإنس والجان. ووقع الجزاء على الإحسان بالإحسان، وعلى الإساءة بخلود دار الهوان. وأقبل النداء يخترق مسامع الآذان. ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٦]. جعلنا الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا وإياكم موارد الظالمين. وأدخلنا وإياكم في عباده الصالحين إنه أقدر القادرين، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين.

خطبة في الموت والمعاد

الحمد لله الذي أظهر حكمته للخلق في انتظار فطره، وأشعر قلوب أهل الحق مقاصد الاعتبار بقدره(١). ودل ذوي البصائر على إعجاز ما أحدث بمشاهدة غرره، وجل عن مشاكلة العالم في أنواعه وطباعه وصوره(٢). وعلم خفي الأضمار في مكنون غوامض ستره ، فتبارك الذي أزمة الأمور معقودة بإمضاء قضائه وقدره(٣).

أحمده على ما استأثر به من نعمه وعوض، حمد من ألجأ أمره إليه وفوض(٤).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من حث على الإقرار بها وحرض ، وأدار بلفظها لسانه ونضض(٥)، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين

---

(١) الفطر جمع فطرة وهي الخلقة وفطر الله الخلق فطرًا خلقهم وأشعره كذا أعلمه به. والاعتبار الاتعاظ.

(٢) الغرر جمع غرة وغرة كل شيء أوله وأكرمه والغرة في الأصل البياض في جبهة الفرس فوق الدرهم يقال فرس أغر ومهرة غراء. والمشاكلة المشابهة.

(٣) المكنون المستور والستر جمع سترة.

(٤) استأثر فلان بالشيء استبد به والمراد به هنا المنع؟ وفوض أمره إليه سلمه.

(٥) نضنض لسانه حركه.

تداعت من الحق القواعد، وشاعت من أفعال الخلق الأوابد[١]. وهدر فنيق الضلال في شقشقته ، وخطر مزهوا في مجال أهل ثقته[٢].

وظن السفهاء أن لا رجعة لدارس العدل ، ولا صرعة لفارس الجهل. فأخمد الله بنبيه محمد ﷺ من الفتنة ضرامها ، وأغمد به من الجاهلية حسامها[٣].

وجلا به عن الملة ظلامها، وأعلى به في ذرى العز دعامها[٤]. وأكمل به النبوة وجعله ختامها ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يصل بدوام الأيام دوامها، وسلم تسليما.

أيها الناس: ما لأنواء العيون مخلفة، وما لأدواء القلوب متلفة[٥]. وما للنفوس إلى موارد الهلكة موجفة، وما للأهواء عن مقاصد البركة متخلفة[٦]، أسبب يقوم به العذر عائق ، أم أدب يحوم عليه الفكر رائق؛ أم لعب بما هو إلى محل الجد سائق أم طرب لوصال دنيا هي عما قليل طالق ؛ لقد أسمع النداء لولا أن في الإسماع صمما، ونجع الدواء لو صادف في النفوس همما .

وأودع الليل والنهار ألباب الألباء حكما وأوسع المقدار أهل الحق والباطل نعمًا

---

(١) تداعي البناء تصدع من جوانبه وآذن بالانهدام والسقوط. والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس. والأوابد جمع آبدة وهي في الأفعال ما تستوحش منه النفوس وتنفر.

(٢) الفنيق الفحل من الإبل. وهدر البعير هديرًا ردد صوته في حنجرته وهو من باب ضرب. والشقشقة مصدر شقشق البعير إذا هدر.

(٣) الضرام اشتعال النار في الحلفاء ونحوها وضرمت النار واضطرمت اشتعلت وأضرمها اشعلها. وأخمد النار سكن لهبها. وأغمد الحسام جعله في غمده والغمد قراب السيف وهو ضد استل السيف.

(٤) ذرى الشيء أعاليه. والدعام جمع دعامة وهى عماد البيت وما يسند به الحائط إذا مال ليمنعه من السقوط ويقال للسيد في قومه هو دعامة القوم.

(٥) الأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع ثم سمي الأثر الحاصل عن ذلك عندهم بالنوء وقد ورد النهي عن قولهم مطرنا بنوء كذا، وأخلف النوء إذا لم يمطر.

(٦) الوجيف ضرب من سير الإبل والخيل وهو العنق في السير وقد وجف البعير إذا عدا وأوجفته إذا أعديته.

ونقمًا [١]؛ وطم الموت على كل طامة قبله، وأبان الله في البرية عدله ؛ فبم يثق عبد الدنيا ويتعطل طالبها؛ وعلام يعرج تابعها ويعول خاطبها، وقد كشرت عن أنياب الفتك به عواقبها. وانحسرت عن فلق السخري منه غياهبها[٢]؛ وتفسرت بصدق الخيانة له كواذبها. وتنكرت عليه بأشكال الصور عجائبها[٣].

فليثق المغرور فيها بمنية تحضره ، وميتة تأسره؛ وقبر يكفره ، ومحل ينكره[٤]. وصيحة تنشره ، ولزوم يحضره. وقدوم على من لا يعذره. فرحم الله امرأ زلل للحق قلبًا وسمعا وأسبل على الفائت من زللـــه دمعًا ، وقمع بذكر الموت جامح هواه قمعًا، ولم يأل في التزود لمعاده جمعًا[٥]. وكانت الموعظة أشد من السيف في جوارحه وقعا، وقبل أن يقتسم جسمه المشيعون ربعًا ربعا، ويودعه الموعدون من فلاة الأرض صدعا[٦]

قبل أن يسمع من القارعة قرعًا ، وتموج القيامة بأهلها خفضًا ورفعًا ويضيق المجرم بما ثبت في كتابه ذرعًا[٧]، ولا يستطيع لما استحق من عقابه دفعًا فلا تكونوا عباد الله كمن باع بالضرر نفعًا .

اجتث ليأسه من الحصاد زرعا أولئك: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]. هتك الله عن قلوبنا وقلوبكم حجاب

---

(١) طم على كل طامة قبله أي غلب على كل داهية كانت قبله أي غلب على كل داهية كانت قبله.

(٢) كشر عن أنيابه أبداها للضحك أو لغيره قال المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

والسخري: بكسر السين وضمها اسم من سخر منه من باب طرب إذا هزئ به والغياهب جمع غيهب وهو الظلمة.

(٣) تنكر الشيء تغير إلى مجهول ونكرت الشيء غيرته كذلك.

(٤) يكفره يستره وكل شيء غطى شيئًا فقد كفره ومنه سمي غير المؤمن والزارع كافرًا لأن الأول يستر نعم الله عليه والثاني يستر البذر بالتراب.

(٥) لم يأل لم يقصر.

(٦) المشيعون الموعدون واقتسام جسمه ربعًا ربعًا باعتبار الحاملين للنعش والصدع الشق.

(٧) ضاق بالأمر ذرعًا لم يطقه ولم يقو عليه. وأصل الذرع بسط اليد فكأنك تريد مد يده فلم ينله.

الطبع وسلك بنا وبكم شعاب الورع[١]. وبصرنا وإياكم بعيوبنا ، وجبرنا وإياكم بمحو ذنوبنا؛ إن أحسن ما هجس به خاطر ، وأنفع ما وعظ به باد وحاضر[٢]. كلام من هو الأول والآخر، وتقرأ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر:١٨-٢٠].

خطبة يذكر فيها الموت والمعاد

الحمد لله الذي لا يحيل معروفه خلف ولا مطال، ويحيل تكييفه وصف ولا مقال، ولا يلحقه في عظيم ما ابتدع سآمة ولا ملال ، ولا تخلقه الأيام والشهور والأحوال[٣].

أحمده على ما لا يدرك شكره ولا ينال حمدًا لا يكون لمتصله انفصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يشوب شهادته اعتلال، ولا الخيول الشك في حلبة يقينه مجال[٤].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله آمرًا بالمعروف. وزاجرًا عن المخوف، ومطهرًا من الدنس ، ومفسرًا لما التبس[٥]. فأفصح بتنزيله ، وشرح محكم تأويله؛ وبين عن تحريمه وتحليله ، وجاهد في سبيله من صد عن الإقرار بدليله. حتى استقام الناس على نهج تعديله ، وتمسكوا بسننه وتمثيله[٦]. صلى الله عليه وعلى آله صلاة يبلغه بها

---

(١) الطبع الدنس والصدأ والمراد به هنا الغفلة والرين وهتك الحجاب شقه جتى يبدو منه ما وراءه. والشعاب جمع شعب بالكسر الطريق في الجبل.

(٢) هجس خطر. والبادي من نزل البادية والحاضر ضده وهو من أقام في الحاضرة وهي المدن والقرى.

(٣) السآمة الملال. والأحوال الأعوام وهو جمع حول.

(٤) شاب اللبن بالماء خلطه به. والحلبة خيل تخرج للسباق من كل ناحية يقال جاءت فرسه في آخر الحلبة أي في آخر الخيل.

(٥) التبس اشتبه وأشكل تقول لبست عليه الأمر من باب ضرب خلطته عليه فالتبس أي اختلط واشتبه ومصدر لبس اللبس بالفتح وأما اللبس بالضم فهو مصدر لبس الثوب من باب تعب.

(٦) السنن بفتح السين الطريق.

نهاية تأميله، وسلم تسليما.

أيها الناس: إني لكم بالقرار، وقد أقلقكم جد السفار[١]. وتداعت لوطء المنون قواعد الإعمار ، وتساعت في نقض مرركم صروف الليل والنهار أفلا حازم ترده إلى المحجة فكرته، ألا عازم تكده إلى محل الراحة خبرته[٢]. ألا لازم شأنه قبل أن تلزمه حفرته، ألا نادم تمده بغروب الدموع عبرته[٣]. لقد سخر من نفسه من في الحياة أطمعها.

وهزئ بها من آمنها قبل أن يعرف بعد العرض على الله موضعها وأن امرأ أطلق باللغو لسانه، وأنفق في اللهو زمانه، وأكذب بالظن عيانه، وملك الحرص عنانه[٤]. لفي غياطل غفلة مركومة الأرواق وتحت غوائل نقله مزمومة النياق[٥]. ووارد مناهل حسرة مسمومة المذاق ، وطاوي منازل رحلة معدومة الرفاق. فلا تجعلوا عباد الله أنفسكم الضعيفة لعذاب الله غرضا، فإنكم لا تجدون أنفسًا غيرها تكون لكم منها عوضًا[٦]، كونوا قومًا دعوًا فأجابوا ، وأمروا بالتزود فأطابوا[٧]، وأنذروا المعاد فأنابوا، وحذروا الإيعاد فلم يرتابوا[٨]. ألا وإن الموت قد فغر لابتلاعكم فاه، وامتدت لقبض أرواحكم يداه[٩]، وأحاط بقاصيكم ودانيكم رداه ، فلا يصوت بأحد منكم إلا كانت نفسه صداه[١٠].

وكأن قد ترك الديار بلاقع من عمارها وسلك الوحشة في نواحيها وأقطارها.

---

(١) السفار والمسافرة مصدر سافر.

(٢) تكده تتعبه.

(٣) غروب جمع غرب وهو مجرى الدمع والعبرة الدمعة. ومد النهر البحر زاد في مائه.

(٤) أكذبت فلانًا إذا أخبرت بأن الذي حدثك به كذب، العنان ما تمسك به الدبة.

(٥) والغياطل جمع غيطلة وهو الغبار وركم الشيء من باب نصر إذا جمعه وألقى بعضه على بعض. والأرواق جمع روق وهو طائفة من الليل.

(٦) الغرض الهدف الذي يرمى فيه.

(٧) أطاب الزاد جعله طيبًا.

(٨) الإيعاد التهديد يقال وعده في الخير وأوعده في الشر. وارتابوا شكوا.

(٩) فغر فاه فتح فمه.

(١٠) القاصي البعيد والداني القريب. والصدى الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها.

وهتك الحلائل بعد طول استتارها ، وألحق طوال الأعمار بقصارها[١]. فركبتم أيها الناس إلى الحفر مراكب صعابًا ، ونزلتم من القصور الآهله منازل خرابًا ولقيتم عند الامتحان ملائكة غضابًا، ولبثتم في الألحاد أعوامًا وأحقابًا[٢].

ثم بعثتم للمعاد فأتيتم أحزابا. هنالك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابًا[٣]. وتكون الأعمال المشوبة بالنفاق سرابًا. ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:٣٨][٤]، .﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٣٩، ٤٠] أروى الله ببحور الحكم صوادي قلوبنا، وغطى بستور النعم بوادي عيوبنا[٥]، وتجاوز بعفوه عن زللنا وذنوبنا. وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

خطبة أخرى في ذكر تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله قاصم الملوك والجبابرة، وهادم المعاقل والحصون العامرة، ومعفي رسومها بالرياح السافية والسحب الماطرة، وراد جميع الخلائق إذا شاء في الحافرة[٦].أحمده والحمد له فريضة، حمدًا تنقه به الأفئدة المريضة[٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من صدع بالتوحيد لسانه، ونزع عن التقليد جنانه[٨]. وأشهد أن محمدً عبده ورسوله أرسله حين اصطخبت من

(١) الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة.

(٢) الألحاد القبوره والإحقاب جمع حقب بوزن قفل وهو الدهر وقد تضم القاف للإتباع.

(٣) الكتاب الكتب والكتابة والإحصاء الضبط.

(٤) المشوبة المخلوطة والسراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء وليس بماء.

(٥) الصوادي العطاش. والبوادي الظواهر وإضافة كلٍّ إلى ما يليه من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٦) الرسم الأثر ورسم الدار ما كان من آثارها لاصقا بالأرض. وسفت الريح التراب حملته وذرته. ومطرت السماء من باب طلب فهي ماطرة ويقال أمطرت فهي ممطرة في لغة والحافرة أول الأمر والمراد به التراب.

(٧) نقه من مرضه من باب طرب وخضع إذا صح وهو في عقب علته فهو نقه وناقه.

(٨) صدع بالحق تكلم به جهاراً ونزع عن الشيء كف عنه وبابه جلس والتقليد الأخذ بقول غيره =

الكفر أو أذى أبحره ، وخطبت من الباطل مكاكي أعصره[(١)].

وضربت على النفوس أرواق عثيرة، وخلبت حبات القلوب أغاريد مزهرة[(٢)]. فأشاد بكلمة الإخلاص في أسود الخلق وأحمره، وأباد كل عاص بسيف حيدره حتى أنشر من الدين هامد مقبره ، وأسفر من اليقين لألاء جوهره[(٣)]. وصال معروف الشرع بإبطال منكره ، وعبد الله بمعلن الحق ومظهره ، وحج بيت الله بمقلد الهدي ومشعره ، ثم توفاه الله عند استكمال مدته وانقضاء عمره[(٤)]. وجعل روضة من رياض الجنة بين قبره ومنبره ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يصدرهم بها رواء من كوثره، وسلم تسليما.

أيها الناس: حصحص الحق فما من الحق مناص، وأشخص الخلق فليس لأحد من الخلق خلاص[(٥)]. وأنتم على ما يباعدكم من الله حراص، ولكم على موارد الهلكة اغتصاص[(٦)]. وفيكم عن مقاصد البركة انتكاص ، وكأن ليس أمامكم جزاء ولا قصاص[(٧)]. ولجوارح الموت في وحش نفوسكم اقتناص ليس بها عليها تأب ولا اعتياص[(٨)].

=

بغير برهان.

(١) الأواذي جمع آذي وهو موج البحر. واصطخبت الطير وغيرها اختلطت أصواتها واشتدت والمكاكي جمع مكاء بوزن رمان طائر أبيض له مكاء أي صفير.

(٢) أرواق جمع روق بالفتح يقال ضرب فلان روقه بموضع كذا إذا نزل به ونصب خيمته. والعسير بالكسر ولا تفتح فيه العين الغبار والمزهر كمنبر من آلات الملاهي، والأغاريد الأغاني وخلبه من باب كتب إذا خدعه بلسانه.

(٣) همدت النار طفئت وذهبت ألبتة وهمد الشيء بلي وبابه قعد. وأنشر الله الميت أحياه. والمقبر من أقبرت فلانًا إذا جعلت له قبرًا.

(٤) الهدي ما يهدى إلى الحرم من النعم والنعم والإبل والبقر والغنم. وتقليد الهدي أن يعلق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه. وإشعار الهدي أن يحز في سنام البعير حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدي ويسمى شعيرة وجمعها شعائر.

(٥) حصحص الحق ظهر وبان، والمناص المفرّ. وشخص من بلد إلى بلد ذهب وأشخصه غيره.

(٦) حراص جمع حريص. غصُ المجلس بالقوم واغتص امتلأ بهم والمراد بالاغتصاص هنا الازدحام.

(٧) انتكص الرجل رجع على عقبيه.

(٨) الجزاء اسم من جازاه بما صنع عامله بما يستحق إن خيرًا وإن شرًّا والجوارح من السباع والطير ذوات الصيد والاقتناص الاصطياد والتأبي الامتناع والاعتياص الصعوبة يقال اعتاص

=

أفما في فتك الأيام بمن سلف. عظة شافية لمن خلف. ألا فقفوا على ديار الهالكين ، واستخبروها عنهم إن كنتم شاكين. ونادوا في أقطار الربوع الهامدة وآثار الجموع البائدة، يا منازل الأمم الخالية ، ومعاقل أولي الهمم العالية، ما فعل سكانك الأولون؟ وأين حل قطانك المتحملون؟ فسيجيبكم صماتها عبرة وترجع القول إليكم آياتها فكرة[١]. أن القوم عمروا البلاد فشادوا ، وقهروا العباد فسادوا ، وجيشوا الجيوش فقادوا ، وسمحوا بالأموال فجادوا ، واصطلموا بالنكال من عادوا وكادوا ؛ ثم قيدوا بخطم الحمام فانقادوا[٢]. وجيدوا بشآبيب الانتقام فبادوا، وهدمت صروف الأيام ما شيدوا[٣]، وسلبتهم يد الدهر ما أفادوا ، ولم يبلغوا من الدنيا ما أرادوا[٤]. فهم صرعى بأنواع المثلات، هلكى في بقاع الفلوات.

لو كشف لكم الغطا عن مصائرهم وما حل بهم لنزهتم النفوس من حطام مكتسبهم . ولصرفتم الجوارح عن سلوك مذهبهم ، ولبكيتم الدماء إشفاقًا من سوء منقلبهم. لكن سترهم عنكم حجاب الغفلة، وأنساكموهم استعذاب المهلة، ولم يخطر ببالكم اقتراب النقلة ، ولا سنح لآمالكم انقضاب الوصلة[٥]. فاهجروا رحمكم الله وثير المراقد . وادخروا طيب المكتسب تخلصوا من انتقاد الناقد[٦]؛ واغتنموا فسحة المهل قبل انسداد المقاصد ، واقتحموا سبيل الآخرة على قلة المرافق والمساعد؛ فإن

=

عليّ كذا أي صعب ولم يتأت.

(١) الصمات بالضم الصمت. والآيات جمع آية وهي العلامة والآية أيضًا العبرة.

(٢) اصطلم الشيء استأصله قطعًا والنكال العقوبة. والخطم جمع خطام ككتب وكتاب وخطام الدابة ما تقاد به.

(٣) الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر وجيدت الأرض أصابها مطر غزير، وبادوا أهلكوا والأمم البادية هي المنقرضة كعاد وثمود. وصروف الأيام حوادث الدهر. وشاد البناء بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ويستعمل في الأكثر بمعنى بناه بناء محكما. وشيده تشييدًا طوله ودفعه.

(٤) أفادوا بمعنى استفادو يقال أفدت المال إذا أفدته سواك وهو الأكثر وأفدته أو استفدته وهو الأقل.

(٥) قضبت الشيء قضبا من باب ضرب فانقضب إذا قطعته فانقطع.

(٦) فراش وثير ثخين لين. والمراقد جمع مرقد وهو موضع النوم والمراد به هنا الفرشِ من ذكر المحل وإرادة الحال.

الأيام تجدبكم وأنتم تلعبون ، وسبل النجاة دارسة فأين تذهبون.

وقد أظلكم الرحيل أفلا تتأهبون، كأن السامعين منكم بهذا الحديث مكذبون[١]. أتراهم لا يعلمون أي مركب غدًا يركبون. أم لا يدرون أي كأس من الموت يشربون ، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠]. أعزنا الله وإياكم بطاعته، ولا أذلنا وإياكم بترك أمره وإضاعته، وأعاننا وإياكم على أهوال الموت وفظاعته، إن أوضح الوعظ منهاجًا.

وأفصح اللفظ ازدواجًا[٢]. كلام من جعل البحرين فراتا وأجاجا، وتقرأ: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَـٰدًا ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد

الحمد لله الذي لا تفصح بماهيته العبارات، ولا تلوح بكيفيته الإشارات ولا تدل على أينيته الأمارات ، ولا تكشف حجاب لا هوتيته الأمثال المستعارات[٣].

أحمده حمد من أوزع الشكر قلبه ، وعلم أن الموفق لذلك ربه[٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وضع رداء الكبر عن منكبه ، وصدع بالتوحيد في نثره وخطبه ، وآمن بالله وملائكته ورسله وكتبه ، وصدق محمدًا صلى الله عليه وسلم فيما جاء به.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين صرت من الكفر جنادبه ؛ ودزت بالغدر كواكبه ، وكرت في الآفاق كتائبه، وهرت بالشقاق ثعالبه[٥].

ودرت بالملح الزعاق سحائبه، وازبأرت في قلوب أهل النفاق عقاربه[٦]. فأطفأ

---

(١) أظلكم الرحيل أي قرب منكم حتى كأنه فوق رءوسكم والتأهب الاستعداد للشيء.

(٢) والمنهاج الطريق والازدواج التزاوج وهو التلائم والتناسب.

(٣) والأمارات العلائم واللاهوت الألوهية وهي كلمة غير عربية.

(٤) جنادب جمع جندب وهو ضرب من الجراد وصرّ الجندب صريرًا صوت.

(٥) الكتائب جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش مجتمعة، وكر الفارس كرًا من باب قتل إذا فرّ للجولان ثم عاد للقتال. وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد وقد هر من باب فر. والشقاق والمشاقة الخلاف والعداوة.

(٦) السحائب جمع سحابة ودرت السحابة إذا كان مطرها مدراراً. والملح صفة مشبهة من ملح تقول ملح الماء مثل كرم فهو ملح ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة. والزعاق الشديد الملوحة وازبأر الرجل تهيأ للشر وازبأر انتفش.

الله به شواظ الحروب ، وألان به فظاظ القلوب. حتى فشا الإيمان أسرارًا وأعلانا، وأصبح أهله بنعمة الله إخوانًا، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يتبعها روحًا وريحانًا، ومغفرة ورضوانا، كما أمرنا بذلك وأوصانًا[١]. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الدنيا متاع ، مقامكم فيها اطلاع، ووصلها لكم انقطاع، وارتفاعها بكم اتضاع، تحلى مذاقه ما تمر ختامه، وتصبي بالرضاع من تسر فطامه، وتظهر مصافاة من تضمر حمامه، وتختل بالصغار من تظهر إكرامه[٢]. ما نال أحد رغدًا مراعيها، إلا من بين أنياب أفاعيها[٣]. ولا ثوب بالسرور داعيها، إلا أجابه بالثبور ناعيها[٤].

قد أوردت أبناها شر الموارد وأرصدت لهم آفاتها بكل المقاصد[٥]. تحزهم أيامها حز المبارد ، وتشوب لهم صفو الحياة بسم الأساود[٦].

فرحم الله امرأ لحظها لحظ المعرض الصادف ، ولفظها لفظ المبغض العائف[٧]؛ فإنها دار أولعت بشتات القرناء ، وأودعت منيات الآباء والأبناء[٨].

لها من الموت يد غالبة لا تطاول ، وقدرة غاصبة لا تصاول[٩]، وعين مراقبة لا تخاتل ، ورسل مطالبة لا تماطل[١٠]. وسهام صائبة لا تناضل ، وأحكام واجبة لا تقابل[١١]. ألا فأسرحوا الأبصار في آثار معاركها، واقدحوا الأفكار بتذكار ملوكها

---

(١) الروح الراحة والريحان الرحمة والرزق.

(٢) تختل تخدع. والصغار الذلة والحقارة.

(٣) الرغد العيش الواسع الهني.

(٤) ثوب الداعي ردد صوته. والثبور الهلاك والخسران والناعي من نعى الميت ينعاه إذا أخبر بموته.

(٥) أرصد الشيء لكذا أعده له وهيأه والمراصد جمع مرصد وهو الطريق.

(٦) المبارد جمع مبرد كمنبر. والحز القرض في الشيء. والشوب الخلط والمزج. والأساود جمع أسود وهو من أسماء الحية.

(٧) الصادف المعرض تقول صدف عن الشيء أعرض وبابه ضرب ولفظ الشيء رماه من فمه. والعائف الكاره يقال عاف الرجل الطعام عيافة إذا كرهه واشمأز منه.

(٨) أولع بالشيء فهو مولع إذا أغرى به والشتات الفرقة.

(٩) المصاولة المواثبة والمغالبة في الصيال.

(١٠) خاتله خادعه وختله خدعه.

(١١) ناضله راماه.

وممالكها؛ تنزلكم ظلم أقطار مسالكها وتسعدكم الدموع بمدرار سوافكها، وتخبركم الديار بمصارع أقوامها وتشهد عندكم الآثار بقوارع أيامها[١]. وترجع إليكم القول لو أفصحت بكلامها، إن الحوادث اعنقت على أهلها بأحكامها[٢]. وأزعجت الملوك عن نعمها بإرغامها، ومعكتهم بزلازل أقدامها[٣]. وطحنتهم بكلاكل انتقامها، وغيبتهم في وهاد الأرض وأكامها[٤].

فتلك منازلهم بادية أعلامها ، خاطبة على أطلالها أبوامها[٥]. قد ألبسها حلل العفاء أجرامها ، ورقمها في طراز الفناء رقامها[٦]. أولئك الذين أفلوا فنجمتم، ورحلوا فأقمتم[٧]. وأبادهم الموت كما علمتم ، وأنتم طامعون في البقاء بعدهم فيما زعمتم ، كلا والله ما أشخصوا لتقروا، ولا نغصوا لتسروا[٨].

ولابد أن تمروا حيث مروا ، فلا تثقوا بخدع الدنيا ولا تغتروا. وهب الله لنا ولكم حسن الاستعداد للموت، ووفقنا وإياكم للعمل الصالح قبل الفوت ، إن أفصح ما نطق به الناطق، وأوضح ما جاء به الوعد الصادق. كلام من كلام لا مخلوق ولا خالق ، ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ [يونس: ٢٤]الآية.

خطبة في ذكر الموت وصفته (وهي خطبة المنام)

---

(١) مصارع الأقوام مهالكها أي أمكنة هلاكها وقوارع الأيام دواهيها الشديدة.

(٢) الأعناق مصدر أعنق إذا سار عنقًا والعنق بفتحتين ضرب من السير فسيح سريع.

(٣) معك الشيء في التراب إذا دلكه به. الآكام جمع أكم مثل جبال وجبل والأكم جمع أكمة وهي التل.

(٤) الوهاد جمع وهد والوهد جمع وهدة وهي المكان المنخفض.

(٥) بادية ظاهرة والأعلام جمع علم والعلم العلامة الجبل، والراية والأطلال جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار. والأبوام جمع بوم وهو طائر يسكن الخراب.

(٦) العفاء مصدر عفت الدار إذا درست والتراب أيضًا والإجرام مصدر أجرم الرجل إذا أتى بجريمة وهي الذنب. والطراز علم الثوب فارسي معرب والطراز أيضًا النمط قال حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

ورقم الثوب: كتبه.

(٧) أفل غاب ونجم طلع وبابهما دخل.

(٨) أشخص الرجل أخرج من موضع إلى غيره وأقر ترك في موضعه ونغص الرجل كدر عيشه.

الحمد لله الذي علا في ارتفاع مجده عن إعراض الهمم، وخلا باتساع رفده من اعتراض التهم[١]، وجلا قلوب أوليائه بينابيع الحكم، وهداهم بنور اجتبائه لأرشد لقم[٢].أحمده على صنوف النعم، حمدًا تضيق بإحصائه حروف الكلم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشفي القلوب من السقم، وتكفي المرهوب من النقم. وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله نقله في أطهر صلب ورحم، واختصه بأحمد الأخلاق والشيم، وأرسله إلى العرب والعجم، وجعل أمته خير الأمم؛ فشفى الأسماع من الصمم، ووفى بالعهود والذمم؛ ونفى بنوره حنادس الظلم ، صلى الله عليه وعلى آله وأهل الفضل والكرم وسلم تسليمًا .

أيها الناس: ما أسلس قياد من كان الموت جريره ، وأبعد سداد من كان هواه أميره[٣]، وأسرع فطام من كانت الدنيا ظيره، وأمنع جناب من أصبحت التقوى ظهيره[٤].

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه. وتأهبوا لوثبات المنون ، فإنها كامنة في الحركات والسكون[٥]. بينا يرى المرء مسرورًا بشبابه، مغرورًا بإعجابه؛ مغمورًا بسعة اكتسابه مستورًا عنه ما خلق له بما يغرى به ، إذ أسعرت فيه الأسقام شهابها وكدرت له الأيام شرابها[٦].

وحومت عليه المنية عقابها، وأعلقت به ظفرها ونابها. فسرت فيه أوجاعه، وتنكرت عليه طباعه، وأظل رحيله ووداعه ، وقل عنه منعه ودفاعه . فأصبح ذا بصر

---

(١) الرفد بالكسر العطاء وبالفتح المصدر ورفده أعطاه ورفده أعانه وبابهما ضرب.

(٢) جلا السيف جلاء صقله وأزال صداه وجلا همه أذهبه وجلا بصره بالكحل أزال غشاوته واللقم الطريق الواضح.

(٣) الجرير حبل يجعل للبعير ليقاد به. والسلس القياد اللين المطيع وما في ما أسلس تعجبيه.

(٤) الظئر بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على ولد غيرها. ومنه قيل للمرأة الأجنبية التي تحضن ولد غيرها ظئر ويقال للرجل الحاضن أيضا ظئر، والجمع أظآر مثل حمل وأحمال، وأمنع من منع الحصن. مناعة بوزن ضخم ضخامة فهو منيع إذا كان ممتنعًا عمن يريد به سوءا. والظهير المعين والنصير.

(٥) وثبات جمع وثبة وهي مصدر المرة من وثب الرجل وثوبًا إذا قفز. والكامنة من الكمون وهو التواري والاستخفاء.

(٦) أسعر النار وسعرها أوقدها.

حائر، وقلب طائر، ونفس غائر في قطب هلاك دائر، قد أيقن بمفارقة أهله ووطنه ، وأذعن بانتزاع روحه من بدنه[١].

حتى إذا تحقق فيه اليأس ، وحل به المحذور والبأس ، أومأ إلى حاضر عواده ، موصيًا لهم بأصاغر أولاده. والنفس بالسياق تجذب ، والموت بالفواق يقرب[٢]. والعيون لهول مصرعه تسكب، والحامة عليه تعدد وتندب[٣]. حتى تجلى له ملك الموت صلى الله عليه من حجبه، فقضى فيه قضاء أمر به. فعافه الجليس، وأوحش منه الأنيس. وزود من ماله كفنا، وحصل في الأرض بعمله مرتهنا. وحيدًا على كثرة الجيران ، بعيدًا على قرب المكان.

مقيمًا بين قوم كانوا فزالوا ، وجرت عليهم الحادثات فحالوا[٤]. لا يخبرون بما إليه آلوا، ولو قدروا على المقال لقالوا[٥]. قد شربوا من الموت كأسًا مرة، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة. وآلى عليهم الدهر ألية برة ، أن لا يجعل لهم إلى دار الدنيا كرة[٦]؛ كأنهم لم يكونوا للعيون قرة، ولم يعدوا في الأحياء مرة؛ أسكتهم والله الذي أنطقهم، وأبادهم الذي خلقهم ، وسيجدهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم[٧].

يوم يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً[٨]. يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[٩] [آل

---

(١) أذعن أنقاد ولم يستعص.

(٢) السياق النزاع. والفواق بالضم ما يأخذ الإنسان عند النزاع. والفواق أيضًا ترجيع الشهقة الغالبة.

(٣) سكب الماء انصب وسكبه غيره صبه يتعدى ولا يتعدى والحامة خاصة الرجل من أهله وولده وندبت المرأة الميت عددت محاسنه.

(٤) حالوا تغيروا.

(٥) آل إلى كذا صار إليه.

(٦) آلى يولي إيلاء حلف وائتلى مثله والألية اليمين واليمين البرة هي التي لم يحنث صاحبها. والكرة الرجعة.

(٧) أجد الشيء وجدده واستجده جعله جديدًا وأخلق الثوب أبلاه.

(٨) الوقود بالفتح الحطب وبالضم مصدر وقدت النار إذا اتقدت واشتعلت.

(٩) وما عملت مبتدأ خبره تود. والمد المدى والغاية.

عمران: ٣٠].

جعلنا الله وإياكم ممن قدر قدره، فقبل أمره[١]؛وأدام في الخلوات ذكره، وجعل تقوى عالم الخفيات ذخره؛ وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، أن أحسن الحديث منظومًا ومفردًا ، وأبلغ الوعظ قديمًا ومجددًا؛ كلام من أحصى كل شيء عددًا، ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣] وتقرأ إلى آخرها.

خطبة أخرى تعرف بالصوفية

الحمد لله مختار من يصطفيه من عباده، موفق من يجتبيه لمراده؛ ومؤيدهم بتسديده وإرشاده ، وساترهم بستور الاختصاص في أكناف بلاده[٢].

أحمده للتوفيق للثناء عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزلف لديه[٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين برق من سحاب الكفر خلبه، ونطق بعجاب الشعر أكلبه، وستر شمس اليقين دخانه وعبدت من دون الحق المبين أوثانه .

فلم يزل صلى الله عليه وعلى آله يطفئ بالإيمان ضرامها، ويبرئ بالقرآن سقامها؛ ويجلو بنور الإسلام قتامها، ويعلو بحول ذي الجلال والإكرام أصنامها[٤]. حتى تهذب مشرب الإيمان فطاب وتصوب كوكب البهتان فغاب[٥]. وخسر عابد الشيطان فخاب ، وظفر من أناب إلى الرحمن فتاب صلى الله عليه وعلى آله صلاة يجزل لهم بها الثواب ويحلهم بها في المنازل الرحاب[٦]. وسلم تسليما

أيها الناس: إن تقوى الله سبب برضاه متصل، ورضاه غاية يحررها العمل.

---

(١) قدرت فلانًا قدره عظمته وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩١] أي ما عظموه حق تعظيمه.

(٢) الأكناف جمع كنف كسبب وهو الجانب.

(٣) الإزلاف التقريب.

(٤) البرق الخلب والسحاب الخلب الذي لا مطر فيه فإنه يخلب ناظره ويخدعه ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز إنما أنت كبرق خلب.

(٥) القتام الغبار الأسود. والأصنام جمع صنم وهو الوثن ويقال الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن هو المتخذ من حجر أو خشب. والحول القوة.

(٦) التهذيب التنقية ومنه هذبت فلانًا فتهذب. وتصوب مال.

والعمل ممكن يرجئه الأمل، والأمل مطية ميدانها المهل[١]، والمهل لذة يهدمها الأجل، والأجل باغت تضيق بدفعه الحيل[٢]. فأطلقوا رحمكم الله أعنه الأعمال، في حلبات الإمهال. وأنفقوا تلتة عنفوان الآجال ، في طرقات المآل[٣]. وانظروا لنفوسكم نظرا ولي الأحلام الثقال ، وادخروا ذخائركم حيث ذخائر الأبدال[٤]. الذين قنعوا النفوس بسياط الإشفاق ، وقطعوا الأطماع بسيوف الإملاق[٥]، وقمعوا الأهواء بذكر يوم التلاق، وكرعوا من المصافاة كؤوسًا حلوة المذاق[٦]. ونزهتهم الهمم العلوية عن دنيات الأخلاق ، ونبهتم القسم القدسية على الوفاء بالميثاق؛ أولئك الذين وخدت بهم مطايا الهمم ، معرقلة تحت جلابيب الظلم[٧]؛ على أقصد سمت وأرشد لقم ، حتى أناخت بهم في رياض الحكم[٨]؛فهم تحت أشجارها يتقيلون، وبنسيم أنوارها يتعللون[٩].

تسمع لقلوبهم من خوف مأمولهم وجيبا ، ويبدي لهم اشتياقهم إليه زفيرًا ونحيبًا[١٠]؛ قد جعلوا ذكره لهم من الدنيا نصيبا ، ولم يجدوا لدائهم سواه طبيبا ، رمقوا العواقب بالبصائر البصيرة، وخرقوا الغياهب بالأفكار المنيرة[١١]؛ وجنبوا

---

(١) أجزل له العطاء أكثر. والرحاب جمع رحيب وهو الواسع.

(٢) أرجأ الأمر أخره. والمطية البعير ذكرًا كان أو أنثى والجمع مطي ومطايا.

(٣) الباغت المفاجئ يقال بغته إذا جاء بغتة.

(٤) التلتة والحاجة وعنفوان الشيء أوله. والطرقات جمع طرق والطرق جمع طريق.نظر لفلان أشفق عليه ونظر إلى فلان تأملهُ بالعين. والأحلام العقول. والثقال الرزان.

(٥) قنع السقاء قنعًا خنث رأسه وكسره إلى خارج. والسياط جمع سوط وهو ما يضرب به. وقوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر: ١٣] أي نوع عذاب لأن الضرب بالسوط ضرب منه. والإملاق الفقر.

(٦) كرع من الحوض إذا شرب منه بفيه.

(٧) وخد البعير أسرع. والإرقال نوع من الخبب والخبب خطو فسيح دون العنق.

(٨) السمت الطريق. والأقصد من قولهم قصد في الأمر إذا توسط وطلب الأسد ولم يجاوز الحد وطريق قصد أي سهل. واللقم الطريق الواضح.

(٩) التقيل شرب نصف النهار يقال قيله فتقيل أي سقاه نصف النهار فشرب. والأنوار جمع نور بالفتح وهو الزهر وتعلل بالشيء تلهى به.

(١٠) الوجيب خفقان القلب. والزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه. والنحيب البكاء بصوت.

(١١) رمق الشيء نظر إليه والبصائر جمع بصيرة وهي للقلب كالبصر للعين والبصيرة خلاف العمياء.

الجنوب مهاد الفرش الوثيرة، وغسلوا الذنوب بفيض الأدمع الغزيرة[١]؛ وعقلوا القلوب بعقل الصبر المريرة، وآثروا المحبوب بنفائس الأنفس الأثيرة[٢]؛وصححوا معاملة عالم الإعلان والسريرة فأعاضهم قرر الأعين القريرة وأنالهم غرائب النعم الخطيرة، وتوجهم بتيجان الكرامة ، وزوجهم بالحور الحسان في دار المقامة، دار وأي دار! دار الخلد والقرار، دار مأمونة العثار، مشرقة الأقطار. متدانية الثمار ، متلألئة الأنوار. معدومة الغيار. مباحة للصفوة الأخيار[٣]، قد أنسوا فيها بجوار الجبار. وكوشفوا بحقائق سرائر الاختيار. وتبوءوا منازل الشهداء والأبرار ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. ألا فاسلكوا سبيل من هذه سبيله ، وأدركوا مقيل من تلك الدار مقيله، قبل أن يشتمل الهدم على البناء ، والكدر على الصفاء.

وينقطع من الحياة حبل الرجاء ، وتكون المنازل تحت أطباق العراء[٤]. قبل أن يصير الويح ويلا ، والقطر سيلا[٥]، والصبح ليلا، ويسحب الموت على أهل السماء والأرضْ ذيلا، قبل أن يقول الشيخ الكبير وا شيبتاه! ويقول الكهل الخطير وا خجلتاه![٦].

ويقول الحدث النضير وا حسرتاه! ويقول الطفل الصغير وا أمتاه![٧]. أجل لقد حزبهم من القيامة أمر وجلوا منه وأشفقوا ، وغشيهم من الندامة ما ختم على أفواههم فلم ينطقوا[٨].

ووقفوا من الأعمال على ما نكسوا له الرءوس وأطرقوا. وعاينوا من الأهوال ما

---

(١) الوثيرة: الثخينة اللينة.

(٢) العقل جمع عقال وهو ما يعقل به البعير. والمريرة القوية المحكمة وآثرت زيدًا على نفسي في كذا فضلته ورجحته. والأثيرة المكينة المعززة.

(٣) الغيار اسم من التغير. وصفو الشيء وصفوته نخبته.

(٤) العراء القضاء الذي لا يستتر فيه بشيء.

(٥) ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب.

(٦) الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب واكتهل الرجل صار كهلاً والخطير الذي له خطر أي قدر وبابه شرف.

(٧) الحدث الشاب الحديث السن والنضير ذو النضرة وهي الرونق والحسن ولفظة وفي هذه المواضع للندبة.

(٨) أجل بمعنى نعم. وحزبهم أمر أصابهم.

ودوا معه أنهم لم يخلقوا. جعلنا الله وإياكم ممن اصطفاه لنفسه. وأمتعه بنعيم دار قدسه، إن أنور البينات وأجمعها، وأكبر العظات وأنفعها. كلام من خلق الأشياء فأبدعها، وتقرأ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧١] إلى آخر السورة.

خطبة أخرى

يذكر فيها الموت وتصرف الزمان بأهله

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، فجعلهم أغراضًا لسهام الأقدار ، ووكل بهم أمراضًا تزعجهم عن القرار(١). وتجري منهم مجرى الدماء في الأبشار، لا يعصم منها الاعتصام بالحذار(٢).ولا يحض بها الفقراء دون ذوي اليسار، بل هي آيات عدل الله في البادين والحضار(٣).

أحمده على نعمه المسبلة الغزار، وأعوذ به من العتو والإصرار(٤). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من عذاب النار، مبوئة من شهد بها دار القرار.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بأيمن شعار، وأبين فخار، وأنور منار، وأطهر إعلان وإسرار، مجتبلا من صميم العرب في النضار، مؤيدًا بالمهاجرين والأنصار(٥). منصورًا بالملائكة الأبرار ، صلى الله عليه وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن قوارع الأيام خاطبة فهل أذن لعظاتها واعية ، وإن فجائع الأحكام صائبة فهل نفس لجهاتها مراعية وإن مطامع الآمال كاذبة فهل همة إلى التنزه عنها داعية؟ وإن طوالع الآجال واجبة، فهل قدم إلى التزود منها ساعية.

ألا فاسرحوا ثواقب الأسماع والأبصار. في جميع الجهات والأقطار هل ترون في جموعكم إلا الشتات. أو تسمعون في ربوعكم إلا فلان مات، أين الآباء الأكابر؟ أين

---

(١) أغراض جمع غرض وهو الهدف الذي يرمى إليه. القرار اسم من قر في المكان استقر فيه.

(٢) الأبشار جمع بشر وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

(٣) اليسار الغني والبادون النازلون في البادية الحضار النازلون في المدن والقرى.

(٤) الغزار جمع غزير يقال ماء غزير أي كثير. والعتو الطغيان والاستكبار.

(٥) اجتبله جبله وخلقه. والصميم الخالص من الشيء وصميم التلب وسطه. والنضار الخالص النسب.

الأبناء الأصاغر؟ أين الخليط والمعاشر؟ أين المعين والمضافر؟ عثرت والله بهم الجدود والعواثر ، وأبادتهم السنون الغوابر[١]، وبترت أعمارهم الحادثات البواتر، واختطفتهم من المنون عقبان كواسر[٢]. فذوت من شبانهم الأغصان البواصر ، وخلت من شيوخهم المشاهد والمحاضر[٣]. وعدمت من أجسامهم تلك الجواهر، وطفئت من وجوههم الأنوار الزواهر[٤].

وابتلعتهم الحفر والمقابر، إلى يوم تبلى السرائر. فلو كشفتم عنهم أغطية الأجداث ، بعد ليلتين أو ثلاث لرأيتم الأحداق على الخدود سائلة والألوان من ضيق اللحود حائلة. وهوام الأرض في نواعم الأبدان جائلة ، والرءوس الموسدة على الإيمان زائلة. ينكرها من كان بها عارفًا، وينفر منها من لم يزل لها آلفًا.

رقدوا في مضاجع هم بها داخرون ، وهمدوا في مصارع يفضي إليها الأولون والآخرون[٥]. وأنتم عباد الله الخلف للسلف، والهدف للتلف ، والفروع التي قد قطع الموت أصولها ، والجموع التي قد أسرع الدهر تحويلها.

وقد تسمعون الواعية بالعويل، في كل منزل وسبيل ، حقًا ليس بالكذب، وجدًا ليس باللعب، حتى كأن منادي الحشر قد أمر فيكم بالنداء ، ومنع أن يقبل منكم عوضًا أو يسمح بالفداء ، فسمعًا يا بني الأموات لداعي آبائكم سمعًا ، وقمعًا بذكر هادم اللذات لجامح أهوائكم قمعًا.

وقطعًا لرجاء بقائكم في دار الفناء قطعًا، إسوة من كان أشد منكم قوة وأكثر جمعًا[٦]. جعلنا الله وإياكم ممن أمات بذكر الممات أمله ، وأحيا بإحياء الباقيات الصالحات عمله. وأعمل في النجاة من سوء البيات حيله ، وأنفق بواقي الساعات

---

(١) الجدود جمع جد بالفتح وهو الحظ والبخت. وعثر به جده لم يساعفه بخته. والإبادة الإهلاك والغوابر المواضي.

(٢) بتر الشيء قطعه على غير تمام. والعقبان جمع عقاب وهو طائر من الجوارح وقيل لها كواسر لأنها تكسر ما تصيده.

(٣) ذوى ذبل.

(٤) طفئت النار وانطفأت بمعنى. والزواهر جمع زاهر بمعنى مضيء يقال زهرت النار من باب ظهر إذا أضاءت.

(٥) الداخر الذليل. وأفضى إلى الشيء وصل إليه.

(٦) الإسوة بكسر الهمزة وضمها هو ما يأتسي به الحزين وائتسى به اقتدى به.

والأوقات فيما خلق له[١]. إن أغض ما تلي على الأبد ، وأحض المواعظ على اتباع الرشد كلام رافع السماء بغير عمد[٢]. وتقرأ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] الآيتين.

خطبة في تصرف الزمان وذكر المعاد

الحمد لله مؤلف الأشياء بلا اقتداء، ومصرف القضاء بلا اعتداء وسامك السماء بغير عمد في الهواء وساطح الأرض طافية على تيار الماء[٣]. الذي زم ما خلق بالعد والإحصاء، وعم ما رزق بالبذل والإعطاء[٤]، وعلم دبيب النملة السوداء ، على صفا الصخرة الصماء[٥]. تحت جلابيب حندس الظلماء ، في قعر قاموس لجة الدأماء[٦]. أحمده على السراء والضراء، حمدًا يوجب المزيد من النعماء.أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة متلألئة الصفاء مبوئة قائلها منازل أهل الوفاء، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ابتعثه من الذروة العلياء ، في صميم العرب العرباء[٧]. إلى أهل ترات وشحناء ، وذوي اختلاف في الآراء[٨]. يعمهون في الجاهلية الجهلاء ، ويسفهون بالقول الهراء[٩].فشرع لهم سبيل النجاء، وقومهم على المحجة البيضاء، وأتاهم بأصدق الأنباء، وأنقذهم من ظلة الشقاء؛ صلى الله عليه وعلى آله وأهل العباء ، وصحابته البررة الأتقياء ، صلاة تدوم دوام الأرض والسماء ، وسلم تسليما.

أيها الناس: أكرهوا النفوس على مخالفة الأهواء ، وناجزوها في أداء حق الله

---

(١) البيات بالفتح الإغارة ليلاً وهو اسم من بيته شبيتًا وبيت الأمر دبره ليلاً.

(٢) شيء غض وغضيض أي طريّ تقول منه غضضت بكسر الضاد وفتحها غضاضة وغضوضة وكل ناضر غض نحو الشباب وحض على الشيء حث عليه.

(٣)السامك الرافع. والسمك بالسكون السقف. الطافي ما علا فوق الماء ولم يرسب. والتيار الموج.

(٤) زم ضبط.

(٥) الصفا الحجر الصلد.

(٦) حنادس جمع حندس وهي الظلمة الشديدة. والقاموس البحر أو أبعد موضع فيه والدأماء البحر.

(٧) العرب العاربة الخلص منهم أكدمن لفظ كليل اليل وربما قالوا العرب العرباء.

(٨) ترات جمع ترة وهي الذحل والذحل الثأر والحقد. والشحناء العداوة والبغضاء.

(٩) العمه التحير والتردد وقد عمه إذا تحير من باب طرب والهراء ما لا معنى له من الأقوال.

مناجزة الأعداء[١]. وأصبروها في العاجلة على حلول البلاء، تظفروها في الآجلة بطول الرخاء[٢]. فإنما أكره المريض على مر الدواء، لما أمل في عاقبته من إزاله الداء. واعلموا أن الدنيا دار معدومة السراء، تنقل نعم أبنائها بينهم تنقل الأفياء[٣].

فاقطعوا رحمكم الله من متاعها حبل الرجاء، فقد علمتم أنه لا سبيل فيها إلى البقاء، وأنها منزل التعب والعناء ومحل فرقة الأحباب والقرناء[٤]. أين من كان قبلكم من القدماء ؟ من الجبابرة والملوك العظماء؟. والسادات الأكابر والأمراء، ومن ذوى الضبنة والضوضاء[٥]،

وأولى الثروة والثراء، وأهل الغنى والغناء[٦]؛ أين من نازع الله رداء الكبرياء؟، ووثق بصحته في دار الأعلاء[٧].

أين الذين ألبستهم الدنيا رونق السناء، وشمخت بهم العزة في الشاهقة الشماء؟[٨]. واستطالوا بكثرة الأموال والعبداء، انظروا كيف تقضقضت عليهم الحادثات تقضقض الشعواء[٩]. وصرعتهم الأيام بسيف المنية الغلباء ، ونزعت عنهم حلل النضارة والبهاء[١٠]. وألبستهم سرابيل الصور الشنعاء، حين هدمت من عزهم رفيع البناء. وسكنت منهم حركات الجوارح والأعضاء، وغيبتهم في بطون صحاصح

(١) ناجزه القتال بادره به وناجزه قاتله.

(٢) صبر نفسه حبسها وصبر على الأمر تحمله وصبر عنه تلهى عنه والعاجلة الدنيا والآجلة الآخرة.

(٣) الأفياء جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل والمراد به هنا الظل مطلقًا.

(٤) العناء مصدر ععني بالكسر إذا تعب ونصب. والقرناء جمع قرين وهو الصاحب.

(٥) الضبنة الأهل والعيال ومن لا كفاية فيه من الرفاق. والضوضاء الجلبة والصياح.

(٦) الثروة كثرة العدد. والثراء كثرة المال يقال إنه لذو ثروة وذو ثراء أي إنه لذو عدد وكثرة مال. والغني يسار. والغناء بالفتح الكفاية والنفع.

(٧) أعلاء جمع عليل.

(٨) السناء الرفعة والرونق الحسن. وشمخ بأنفه رفع أنفه عزًا وتكبرًا. والشاهقة المرتفعة يقال جبل شاهق أي مرتفع. والشماء مؤنث أشم وهو من الشمم ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه.

(٩) العبداء العبيد. والشعواء الغارة المتفرقة. وتقضقض الشيء تفرق.

(١٠) الغلباء الوثيقة القوية. والنضارة الحسن.

الأفلاء[١].

ولم تغن عنهم دقائق حيل الأطباء ، فتلك قبورهم مهجورة الفناء ، وتلك قصورهم مظلمة الأرجاء، موحشة المقيل في الإصباح والإمساء[٢]. تسمع في أقطارها من تجاوب خطب الأصداء، مواعظ أبلغ من مواعظ الخطباء[٣]. فرحم الله امرأ اعتبر بما عاينه من هؤلاء ، واستحيا من الله حق الحياء. وأسبل على ما يعلم من نفسه سجال البكاء ، قبل كشف الغطاء.

وتقلقل الأحشاء، وتنفس الصعداء[٤]. ومفارقة الأحباء ، والاشتغال عن الأهل والخلطاء. فإن كلا إلى فناء، ولابد من الجزاء. يوم يتجلى الحكم العدل لفصل القضاء ، ويقتص للجماء من القرناء[٥]. يوم يقوم المجرم مقام الأذلاء، يوم يستظل الأولياء بظل اللواء. ويحل الأعداء محل الأشقياء، ويسمع الفريقان إعلان النداء؛ يا أهل الجنة خلودًا في النعيم بلا انقضاء ، ويا أهل النار خلودًا في الجحيم بلا انتهاء.

جعلنا الله وإياكم ممن صدف عن الفحشاء، وصرف قلبه عن موارد الأسواء[٦]؛ والتمس لدائه مظان الشفاء، وأدخلنا وإياكم في عباده الصالحين الأتقياء.

إن أبلغ عظات البلغاء، وأنفع وصاة الحكماء، كلام من هو شيء لا كالأشياء. وتقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر:١٨] الثلاث آيات.

خطبة يذكر فيها الموت

الحمد لله الواحد الذي لا تثنى بعده الخناصر، الصمد الذي لا تمازجه الطبائع ولا تمده العناصر[٧]. الفرد الذي لا ينبغي له الشركاء ولا تشابكه الأواصر، العزيز

---

(١) الصحاصح جمع صحصح وهو المكان المستوي. والأفلاء جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة.

(٢) الأرجاء جمع رجا وهو الناحية. والمقيل مكان القيلولة. والإصباح والإمساء مصدران من أصبح الرجال وأمسى إذا دخل في الصباح والمساء.

(٣) الأصداء جمع صدى وهو ذكر البوم.

(٤) الصعداء تنفس ممدود من هم.

(٥) الجماء الشاة التي لا قرن لها. والقرناء التي لها قرن.

(٦) صدف أعرض. والأسواء جمع سوء.

(٧) الذي لا تثنى بعده الخناصر هو الواحد الذي لا ثاني له.

الذي قل له على أفعاله المعاون والناصر[١]. الجبار الذي لا يتخيله وهم و لا يجري به خاطر، القهار الذي لا يعجزه باد ولا يفوته حاضر[٢].

أحمده على ما لا يحمده عليه سواه، وأستقيله استقالة عبد معترف بما جناه، وأسأله العون على ما يحبه ويرضاه، وأشهد بقوة اليقين والإخلاص أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبد شرفه وحباه، ونذير أزلفه واجتباه[٣]. أظهر به الحق وأعلاه ودمر به الباطل فعفاه، وأزال به الشك فنفاه ، وأحال به الشرك وأخفاه[٤]، وأخلص به الدين فصفاه ، ثم اختار له ما عنده فتوفاه ، صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه، صلاة ينير بها مناقبه وعلاه. وسلم تسليما.

أيها الناس: رحل الناس فعلام تعريج المتثبطين ، وأدلجوا في غياهب الحادثات فإلام سنة المفرطين[٥]. وتسلطت على الكافة يد المنون فحتام غرة المتسلطين ، ونفذ القضاء بالكائن فما وجه تسخط المتسخطين[٦]. أأشربت القلوب طمعًا كاذبًا، أم أصبحت النفوس أملا خائبًا ، أم لا يصدق امرؤٌ بما كان عينيه غائبًا ، أم فقد الموت فليس بما حل من دينه مطالبًا. هيهات بل أغفلتم حراسة القلوب فأمكن العدو منيعها، وأهملتم سياسة النفوس فاستحكم في البلاء وقوعها. وأطلقتم أعنتها في الشهوات فعسر عليكم رجوعها، وأنفقتم أوقاتها في التبعات فأفقركم تضييعها، وكأنكم والله بكل رطب منكم يابسا، وبكل طلق عابسًا. وبكل آهل دارسًا ، وبكل آمل آيسا، قد عدم نفنفا، ولزم صفصفا[٧].

---

(١) الأواصر جمع آصرة وهو ما عطفك على رجل من قرابة وشبهها وشابكه داخله ويقال بينهما شبكة نسب وزان غرفة أي اتصال وتداخل.

(٢) البادي ساكن البادية.

(٣) حبا الرجل حباء أعطاه بغير عوض. وأزلفه قرّبه.

(٤) أحال الشيء غيره عن طبعه ووصفه.

(٥) عرجت على الشيء وقفت عنده وعرجت عنه عدلت عنه وتركته. والمتثبط المتأخر والمتشاغل، وأدلج سار الليل كله فهو مدلج.

(٦) والغياهب جمع غيهب وهي الظلمة الشديدة والليل المظلم. والسنة النعاس والغفلة، والمفرط في الشيء المقصر فيه.

(٧) النفنف المهوي بين الجبلين. والصفصف المستوي من الأرض.

وجاور أمواتا ، وعاد رفاتا[١]. يود أن لم يكن شيئًا مذكورًا ، عند معاينته منكرًا ونكيرًا. يالها محنة أعدمت الألباب ، ومسألة ألزمت الجواب. وحيرة جمجمت الخطاب، وروعة أبهمت الصواب[٢]. إذ سئل عن ربه الذي عبده ، ودينه الذي اعتقده. ونبيه الذي أرشده ، وعمره فيما أنفذه[٣].

فيخبر كل بماكان له طالبًا ، وعليه أيام حياته مواظبًا . هنالك ترتهن النفوس بإقرارها ، وتوقر الظهور بأوزارها[٤]؛ وتطول الحسرات على إصرارها ، ولا يؤذن لها في اعتذارها. فرحم الله سامعًا وعى ما استمع، وراجعًا أناب إلى الله فارتدع؛ وجامعًا من شمل قلبه ما انصدع ، وزارعًا تحرى فأطاب ما زرع[٥]. ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم: ٤٣].يوم يصاح بكم من الأجداث فتسرعون، يوم تساقون إلى القيامة فتجمعون ، يوم تجازون بما كنتم تصنعون ، يوم تنادون من قبل الله فتسمعون ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]. جعلنا الله وإياكم ممن نبه فانتبه ، واتضح له من سبيل الحق ما اشتبه، وكان الله قصده وطلبته حيث اتجه.

إن أقطع الكلام لمواد الشكوك ، وأبدع ما رصع به نظام القول المحبوك[٦]. كلام خالق الخلق ومالك الملوك. وتقرأ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

خطبة يذكر فيها الفتنة وينهى عنها

الحمد لله الشديد أيده، المبيد كيده[٧]. السديد قوله، العتيد

(١) الرفات الحطام.

(٢) جمجم الكلام لم يبينه. والروعة المرة من الروع وهو الخوف.

(٣) أنفده أفناه.

(٤) ترتهن تحتبس، وتوقر تحمل وتثقل والأوزار: الذنوب.

(٥) اجمع الله شمله أي ما تشتت من أمره وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره، وانصدع شمله تفرق، وصدعت القوم فتصدعوا، وأصدعوا أي فرقتهم فتفرقوا، وأصل أصدعوا تصدعوا قلبت التاء صادا ثم أدغمت الأولى في الثانية فزيدت همزة الوصل ونظيره اصدقوا وتصدقوا.

(٦) المحبوك المحكم يقال حبكت الثوب إذا أجدت نسجه.

(٧) الأيد القوة. والمبيد المهلك. والكيد المكر وهو هنا الاستدراج.

طــوله[١]؛ الذي لا يرد ما قضاه راد ، ولا يمنع مما أمضاه محاد[٢]. أحمده على نعمه وإحسانه، وأعوذ به من نقمه وخذلانه[٣]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ســلطانه ، ولا مناوئ له في عظم شأنه[٤]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله عــند تشعب الأهواء، وتلهب الشحناء[٥]. في قلوب الأملاء، من الجاهلية الجهلاء[٦]؛ فأطفــأ الله بنوره نار فتنها، وعفى بظهوره آثار سننها. وأزال بالإيمان أوتار أحنها ، وجــلا بالقرآن صدأ درنها[٧]. صلى الله عليه وعلى آله ينابيع الحكمة ومعدنها، ومحال الرحمة وموطنها[٨].وأشرف البرية وأوزنها، وخصهم بأطيب التحيات وأحسنها، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الفتنة نار شديد ضرامها ، بعيد مرامها ، جائرة أحكامها ، دامرة أعلامها[٩]. مسمومة سهامها، مذمومة أيامها . تغير النعم ، وتعجل النقم ، وتقطع وشائج التواصل ، وتصير بأهلها إلى البغضاء والتخاذل[١٠]. يطلع فيها الشيطان رأسه ، ويبث بها في القلوب وسواسه. فيجعل الآراء فائلة، والأحكام عائلة[١١].

(١) العتيد الحاضر المهيأ. والطول الفضل.

(٢) المحاد المخالف.

(٣) الخذلان بالكسر ترك العون والنصرة وبابه نصر.

(٤) المناوئ المخالف والمعادي وناوأه عاداه وهو بالهمزة ويجوز تخفيفها.

(٥) التشعب التفرق. والشحناء العداوة والحقد.

(٦) الإملاء جمع ملأ وهم أشراف القوم. الجاهلية هي المدة التي بين اضمحلال الشرع السابق وظهور اللاحق وسميت بذلك لكثرة الجهل فيها. والجهلاء المتوغلة في الجهل قال بعض الأفاضل يقال كان ذلك في الجاهلية الجهلاء أي الجاهلية القديمة وليس بمراد هنا كما لا يخفى.

(٧) الأوتار جمع وتر وهو الثأر والذحل. والإحن جمع إحنة وهي الحقد.

(٨) الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع فيه الماء. والمعدن بكسر الدال موضع الإقامة تقول عدنت بالبلد إذا أقمت فيه والعدن الإقامة ومنه جنة عدن ومعدن كل شيء حيث يكون أصله.

(٩) دامرة هالكة والمراد بها هنا دارسة.

(١٠) وشائج جمع وشيجة وهي الاشتباك والالتحام يقال وشج بين الشيئين خلط بينهما وبينهم وشائج نسب أي اشتباك فيه.

(١١) فائلة ضعيفة سخيفة يقال فال رأيه يفيل إذا لم يصب. والعائلة الجائرة يقال عال الرجل عولاً إذا جار وظلم ويقال عالت الفريضة عولاً إذا ارتفع حسابها وزادت سهامها فنقصت الأنصباء.

والأهواء مختلفة، والأحقاد مكتنفه، وجمرات الأكباد موقدة، وطرقات الرشاد موصدة[١]. حتى يكون القريب بعيدا، وذو العشيرة والأهل وحيدًا.

وهل هي إلا نار وقودها الغضب ، ومذكيها الصخب[٢]. وقادحها اللعب ، ومؤججها الكذب[٣]. يطمع العدو في أهلها ، وتقطع المودة بوصلها ، فالله الله عباد الله أن يوري الشيطان بينكم زنادها. أو يورد قلوبكم شادها[٤]. أو يظفر منكم بخبث السرائر، فيطحنكم بدواهي الدوائر[٥]. فتبوءوا في الدنيا بعارها وشنارها ، وفي الآخرة بنارها وبوارها[٦]؛ ولا تستلذوا في العاجل شرب عقارها، فتذموا في الأجل غب خمارها[٧]، واحذروا أن تسلكوا من الفتن سبلها ، والزموا كلمة التقوى وكونوا أحق بها وأهلها. وذروا نخوة الحمية، ودعوة الجاهلية[٨]؛ فقد جعلكم الله بالإسلام خوانا، وأمركم أن تكونوا على البر والتقوى أعوانا. ولا تكونوا من الذين أرجئوا العمل بسوف وحتى ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى[٩]؛ فقد سمعتم ما وصف الله تعالى به نبيه المختار، وأصحابه الخيرة الأبرار، حين ضرب لهم في كتابه مثلا ، وأمركم باتباعهم قولا وعملا. فقال عز جلاله ، وصدق مقاله. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) موصدة مطبقة منسدة تقول أوصدت الباب إذا أغلقته.

(٢) الوقود بالفتح ما يوقد به الشيء. وأذكى النار أشعلها وذكت النار تذكو: اشتعلت والصخب: الجلبة ورفع الأصوات.

(٣) أجج النار اوقدها واجت تؤج بالضم أجيجًا إذا توقدت.

(٤) أورى الزند أخرج ناره ووريّ الزند خرجت ناره، والثماد جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له.

(٥) الدوائر النوائب والمصائب والدواهي النوازل الشديدة وهي اسم فاعل من دهاه الأمر يدهاه إذا نزل به.

(٦) باء بالشيء رجع به. والشنار العار. والبوار الهلاك.

(٧) العقار بالضم الخمر سميت بذلك لأنها تعقر صاحبها، وغب الشيء عاقبته. والخمار بالضم بقية السكر.

(٨) النخوة عزة النفس، والحمية الغضب والأنفة.

(٩) أرجئوا العمل أخروه. وشتى متفرقة وهي جمع شتيت يقال شيء شتيت أي متفرق وأمور شتى أي متفرقة.

وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]وقد صح عن رسول الله ﷺ في الآثار التي لا تجدون لها نقضا، أنه قال: **«أمتي كالبنيان يشد بعضه بعضا»** ، فمتى يشد البنيان من يهدمه، ومتى يكون الإنسان أخا لمن لا يرحمه.

ترضعون ثدي العقوق، وتوضعون في غير الحقوق[١]وتقطعون ما أكده أسلافكم من متشابك الرحم، هذا، وأنتم قصد سيل العدو العرم[٢]. ونصب حريقة المضطرم ، وغرض بأسه المصطلم[٣]. لا بلغه الله هواه من اختلافكم ، وأدال منه بتضافركم وائتلافكم[٤].فاغسلوا رحمكم الله بالتوبة غل قلوبكم ، وذللوا جوامح الأهواء بذكر ذنوبكم[٥]. وأردعوا باللسان واليد داعركم ، وأجمعوا بأسكم على عدو الله ليكون الله ناصركم[٦]، وليشتغل كل امرئ منكم بجد الزمان عن لعبه، وصدقه عن كذبه، وليكن له زاجر من دينه وأدبه ، فإنه من خالف ما أمر به ، وسل سيف البغي قتل به. وعودوا إلى ما كنتم بسبيله من التشمير، وترك الونية والتقصير[٧]. واسلكوا في الجد والاجتهاد مناهج أهل الثغور. ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [المائدة:٧][٨]. أغمد الله عنا

---

(١) الإيضاع سير سريع سهل يقال وضعت الدابة إذا سارت هذا السير وأوضعها راكبها.

(٢) العرم الشديد ويطلق العرم على حياض المسناة.

(٣) المضطرم المشتعل. والغرض الهدف. والمصطلم المستأصل الذاهب بالأصل.

(٤) أدال من العدو استرد منه الدولة. والتضافر التعاون.

(٥) الغل بالكسر الحقد والجوامح جمع جامح يقال جمح الفرس إذا اعتز على فارسه وغلبه فهو جامح.

(٦) اردعوا كفوا وازجروا. والداعر الخبيث الفاجر. وأجمعوا فعل أمر من جمع فتكون الهمزة همزة وصل والميم مفتوحة أو من أجمع فتكون الهمزة همزة قطع والميم مكسورة يقول جمعت فكرى على كذا وأجمعت الأمر إذا حققت العزم عليه.

(٧) الونية الضعف والفتور يقال وني في الأمر يني إذا ضعف فيه وفتر وتوانى في الأمر إذا لم يهتم به.

(٨) الثغور جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو. وذات الصدور ضمائر
=

وعنكم سيف الفتنة ، ولا أخلانا وإياكم من الإحسان والمنة[١]، وحشرنا وإياكم على الإسلام والسنة ، وجعلنا وإياكم ممن يؤول في المعاد إلى الجنة ، إن أحسن ما وعظ به المتقون ، وانفع ما وعاه الموفقون كلام من نحن بآلائه مصدقون. وتقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

خطبة يذكر فيها الموت

الحمد لله النافع اتقاؤه ، الواسع عطاؤه. الساطع بهاؤه ، الواقع قضاؤه. الذي جعل الموت لبريته مآلاً، وصرفهم بمشيئته حالا فحالا[٢].

أحمده على إيجاب ما أسدى ومنح، وأعوذ به من ارتكاب ما أردى وفضح[٣]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ماض في شهادته لا متثبط. راض بإرادته غير متسخط[٤]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله والناس إلى كل ناعقة مصيخون ، وبكل بائقة مرضوخون[٥].وفي كل عمه موجفون ولكل سفه مقتفون[٦]، فأجارهم الله نبيه ﷺ من الفتن المضلة ، وأعزهم بسلطانه بعد الذله. وحسم بدوائه كل علة . وهيمن بملته على كل ملة[٧]. صلى الله عليه وعلى آله المصطفين من أطهر جبلة، صلاة دائمة على الأبد غير مضمحلة. وسلم تسليما.

أيها الناس: استدركوا سوابق الحوبات، بلواحق التوبات[٨]، واغسلوا درن

=

القلوب.

(١) غمد السيف جعله في غمده فهو مغمود وأغمده أيضًا فهو مغمد وهما لغتان فصيحتان وتغمده الله برحمته غمره بها.

(٢) المآل المرجع والمصير. حالاً فحالاً أي حال بعد حال.

(٣) أسدى إليه معروفًا أولاه إياه وأردى أهلك.

(٤) ثبطه عن الأمر قعد به وشغله فتشاغل وتأخر عنه.

(٥) نعق الراعي بغنمه نعيقًا من باب ضرب إذا صاح بها وزجرها وأصاخ للشيء استمع له والبائقة الداهية. ورضخ رأسه بالحجر رضه.

(٦) العمه التحير والاقتفاء الاتباع.

(٧) حسم قطع والمهيمن الشاهد وهيمن على كذا إذا كان رقيبًا عليه حافظًا.

(٨) الحوبات جمع حوبة بالفتح وهي الإثم كالحوب بالضم.

التبعات ، بسجال العبرت[١]، وأديموا ذكر هادم الذات، في مواطن الخلوات. فإنه الآخذ بالكظائم، والجابذ إلى مورد العظائم[٢].

كاشف أغطية القيامة وأول أندية الحسرة والندامة. قاطع العلائق، ومبيد الخلائق، ومحق الحقائق، وأفظ حاد وسائق. مستحث الآخرة، وباب الحافرة ، الموت المفرق بين الأحباء ، الذي إعيا دواؤه على الأطباء.

فأسرع به منفقًا ما ادخر ، وملحقًا من غبر بمن دثر[٣]. حتى لا يدع وصيدًا إلا قرعه، ولا مشيدًا إلا ضعضعه[٤]. ولا شملاً إلا صدعه، ولا وصلاً إلا قطعه، ولا معارًا إلا ارتجعه، ولا جبارًا إلا صرعه ، وكأن قد حرك على أحدكم سواكنه ، وشبك في انتزاع روحه برائنه[٥]. فاستعرت بناره مفاصله ، وظهرت لاقتدراه مقاتله[٦]. واختطف رقاده ، ورجف فؤاده. واختلف عواده ، وأزف بعاده[٧]؛ وأصبح ذا جسد بال. وأنين عال، وحراك غال وهلاك متوال، وفؤاد سال ، عن كل أهل ومال. قد أذابت عليه نار المنون، جوامد مياه العيون. وانجاب ظلام شكه عن صبح اليقين ، فعند ذلك قال رب ارجعون؛ هيهات إنها أمنية لا تحق، وقلب مسلط لا يرحم ولا يرق. وخطب يجل عن الوصف ويدق ، وطريق يطول على المسافر ويشق. طريق معقود بالآخرة آخره، مردود في الحافرة مسافره، فقيد الطلعة راكبه بعيد الرجعة غائبه، قد كتب في جرائد الأمم الخالية ونسب إلى. هوامد الرمم البالية [٨]، محجوبًا عن الدنيا وأهلها ، مطلوبًا بجرائمة كلها، فرحم الله امرأ جعل هذا الحديث له درسا. وأطاب

(١) الدرن الوسخ والتبعات جمع تبعة وهي المظلمة والسجال جمع سجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء والعبرات جمع عبرة وهي الدمعة.

(٢) الكظائم مخارج النفس.

(٣) غبر بقي ودثر درس وذهب وتأتي غبر بمعنى مضى وهو من الأضداد.

(٤) الوصيد الباب ويأتي بمعنى فناء الدار والمشيد البناء المعمول بالشيد وهو الجص والمراد به هنا المحكم المتين. وضعضع البناء هدمه حتى الأرض.

(٥) البرائن من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، والمخلب ظفر البرثن.

(٦) استعرت النار وتسعرت توقدت والسعر النار. ومقاتل الإنسان مواضعه التي إذا أصيبت قتلته.

(٧) أزف قرب. والبعاد مصدر باعد.

(٨) الجرائد جمع جريدة وهي الصحيفة يكتب فيها. والخالية الماضية، والهوامد جمع هامدة وهو البالي من كل شيء والرمم جمع رمة وهي العظم البالي.

عما هو مقول عنه نفسًا.

وأعد الزاد قبل الرحيل ، ومهد المهاد قبل التحويل.فإنه على ما قدم يقدم، وبحكمه عليه في القيامة يحكم.

جعلنا الله وإياكم ممن أدار في مواقع الغير خاطره، وأنار بودائع العبر قلبه وناظره؛ وعلم أن عائق الفوت يقطعه عن المراد فبادره وكان ذكر الموت عن الونية والتخلف زاجره[١]. إن أولى ما قبله العقل، واتفق على الأخذ به القول والفعل. كلام من ليس له شبه ولا مثل، وتقرأ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٦]

خطبة أخرى في الموت وذم الدنيا

الحمد لله الشديد محاله، السديد مقاله[٢]. المجيد جلاله، العتيد نواله[٣]. الذي طفئت كواكب أفكار المتخيلين عند التماس معرفة ذاته، وخسأت ثواقب أبصار المتأملين دون الوصول إلى تحصيل إثباته[٤]. وعدم له المشاكل والضريب فلم تجل الأوهام في طرق شبهاته، ودل على أنه الواحد القديم دخول الحدث على مخلوقاته[٥]. فتبارك الذي لا يوصف إلا بموجود حكمه وباهر آياته؛ أحمده على العوارف الجلية، واللطائف الخفية؛ حمدًا يعمر سبيل مواهبه ، ويقوم بحقه وواجبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أخذ الله على أشباح الأمم ميثاقها، وأنار في القدم إشراقها ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أبعد البرية همما، وأحمدها أمما[٦]. وأعصمها ذمما، وأكرمها لمما[٧]. وأعدلها أمما ، وأجملها

---

(١) الونية الفترة والتخلف التأخر.

(٢) المحال بالكسر القوة والقدرة.

(٣) المجيد من المجد وهو العز والشرف والجلال العظمة. والعتيد الحاضر المهيأ، والنوال والنائل العطاء.

(٤) خسأ البصر سدر وكل الثواقب جمع ثاقب وهو النافذ وقيل للنجم ثاقب لأنه يثقب الظلام وينفذه.

(٥) المشاكل المشابه. والضريب المثل.

(٦) الأمم القصد. وأحمد البرية طريقة هم العرب فإنهم أحمد الأمم طريقة في الجاهلية والإسلام.

(٧) الأعصم الأحفظ والذمم جمع ذمة وهي العهد. واللمم جمع لمة وهي الرفقة.

جمما(١)؛ وأطهرها شيمًا، وأغزرها ديما إلى أمم للباطل رائغة، عن الحق زائغة(٢). فافتحم ﷺ نيرانها وأغم شيطانها(٣). وحكم أوثانها ، وحسم أضغانها(٤)، فأصبحت الألباب مجمومة ، والأسباب مزمومة(٥). والسنن معلومة ، والفتن معدومة. صلى الله عليه وعلى آله صلاة تكون بالإيمان موسومة، وبالرضوان مختومة؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: أصيخوا بأسماع القلوب، لقراع الخطوب(٦). تسمعوا له دويا في انتهاب الأعمار ، وتجدوه مليا بإخراب الديار(٧). وفيا بتحقيق الحذار، جليا في كرور الليل والنهار. أوَمَا في غير الأيام، وسير الأنام ما دل ذوي الأفهام، على نقص التمام ، ونقض الإبرام، بعموم الحمام، بلى والله ولكن ران على القلوب مكتسبها، وهان على النفوس منقلبها(٨). حتى تخيلت الإقامة في دار الظعن ، وأملت السلامة في مدار المحن ؛ أولى لها أنفسا مزمومة بأزمة أهوائها، مرحومة لخطل رائها(٩)؛ مطوية في نشر أعمارها، مجزية بإعلانها وأسرارها، وكأن قد أسمعها الموت صريف أنيابه ، وجرعها ذعاف شرابه(١٠). فأيتم ولدانها ، وأيم نسوانها(١١)؛ وأوحش أوطانها، وأهدى إلى المقابر

(١) الأمم جمع أمة وهي القامة واعتدالها كناية عن اعتدال الطبع، والجمم جمع وجمة وهي مجتمع شعر الناصية ويقال هي التي تبلغ المنكبين.

(٢) راغ إلى كذا مال إليه سرًا وزاغ عن الأمر مال عنه.

(٣) أفحم نيرانها أطفأها وسوّدها وجعلها فحمًا وأرغم شيطانها أعاد ذله وقهره.

(٤) حطم كسر وحسم قطع والأضغان جمع ضغن وهو العداوة والحقد.

(٥) المجموم المستريح.

(٦) الإصاخة استماع. والقراع المقارعة وهي المضاربة بالسلاح. والخطوب جمع خطب وهي الشدة.

(٧) الدويُ صوت النحل وما أشبهه والملي المقتدر.

(٨) ران الشيء على فلان رينا غلبه ثم أطلق الرين على الغطاء والمنقلب الانقلاب.

(٩) أولى له تهدد ووعيد قال الأصمعي معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به. والأزمة جمع زمام وهو ما يقاد به البعير وزممت البعير شددت عليه زمامه. والأهواء جمع هوى وهو ميل النفس وانحرافها نحو ما لا تحمد مغبته والخطل الخطأ في الرأي والمنطق.

(١٠) صريف البكرة صوتها عند الاستسقاء وقد صرفت من باب ضرب وكذلك صريف الباب والناب. والذعاف المر.

(١١) أيتم ولدانها جعلهم أيتامًا. وأيم نسوانها جعلهن أيامى أي بدون أزواج.

أبدانها، فهشم ثغورها. ومعط شعورها[١]. وبشع نضيرها، وأسرع تغييرها، وأصارها إلى حال العدم، كما أصار قبلها سالف الأمم، أما في ذلك عباد الله ما أنذر بالرحيل، ودل على التحويل، وقلقل القلوب على القرار، وشغل عن غرور هذه الدار[٢].

فكيف هو أقرب منازل السفر الطويل. وأعذب مناهل اليوم الثقيل ، ذلك يوم فرار الخليل من الخليل ، وانحدار الملائكة قبيلا بعد قبيل[٣]. فأين بك أيها الراسب في غمر تلك الأهاويل، عند التماس الخلاص وتعذر السبيل[٤]. عند لزوم الحجة بقيام الدليل ، عند المناقشة على النقير والفتيل، عند دعاء أهل الخسران بالويل والعويل[٥]. هنالك يقيل المجرمون شر مقيل. ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤٤] جعلنا الله وإياكم ممن نفى لعبه بجده ، وجعل أربه في انحرافه عن الدنيا وزهده. وأدام تعبه للخلاص بجهده، واشترى نفسه من الله باليسير من وجده[٦].

إن أحسن الكلام بديها، وأكثر القول على الخير تنبيها. كلام من لا تجد له عديلا ولا شبيها ، ثم تقرأ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٦] الآية.

خطبة يذكر فيها الجهاد وظهور الأعداء

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ، ومذل من أضاع أمره وعصاه، الذي وفق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه. أحمده على حلو نعمه ومر بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله لا إله لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه

(١) الهشم كسر الشيء اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية ومعط شعورها أسقطها والأمعط الذي لا شعر في جسده وتمعط شعره تساقط من داء ونحوه.

(٢) قلقل الشيء حركه.

(٣) القبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدًا والجمع قبل.

(٤) الراسب النازل إلى أسفل يقال رسب التراب في الماء سفل واستقر في قعره. والأهاويل جمع أهوال والأهوال جمع هول.

(٥) النقير النكتة التي في ظهر النواة، والفتيل ما يكون في شق النواة.

(٦) الوجد خلاف العدم أي الفقر.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله آمرًا بالمعروف، وزاجرًا عن المخوف. ومطهرًا من الدنس ، ومفسرًا للبس.فلم يزل ﷺ دالاً لمن أنكره عليه ، حتى اختار الله له ما عنده فقبضه إليه. صلى الله عليه وعلى آله صلاة تزلف لديه ، وينيله بها الشفاعة يوم الوقوف بين يديه ، وإن شئت قلت عبد أسرع لما دعاه ، ونبي اضطلع بما استرعاه[1]. ابتعثه من أطيب منصب في العرب وأزكاه، واختاره من أشرف نسب فيها وأعلاه[2]. ودل به على نهج هداه، وأذل به المتكبرين من عداه، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يشرف بها عقباه، وينجز بها وعده يوم يلقاه. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن أحلام الغفلات مفصحة بصدق حلول المثلات، وإن الإصرار على التبعات، يؤذن بهجوم مذموم البيات[3]. وإن علينا من الغفلة سنة لا يوقظ هاجعها، وفينا من الإصرار آفه لا تؤمن مصارعها[4]. وكفى بظهور الأعداء عن خبث السرائر مخبرًا، وباختلاف الأهواء من قرب نزول الدوائر منذرًا[5]. أو لم يأتكم نبأ من سلف من الأولين ، وما حل بهم عند مخالفتهم سنن المرسلين. وهم الذين أعارتهم الأيام محاسنها، وأظهرت لهم الأرض معادنها. ومهدت لهم النعم مواطنها، وسترت عنهم الحوادث مكامنها. فجندوا الجنود ، وسحبوا البرود[6]. ورفعوا البنود، وتخيلوا الخلود[7]. واصطنعوا الصنائع ، واقتطعوا القطائع[8]. واتخذوا المصانع، وأمنوا القوارع[9]. وذللوا العباد والبلاد قهرًا ، فغبروا بذلك دهرًا. ثم بدلوا نعمة الله عليهم كفرًا ، ولم يقابلوا إحسانه إليهم شكرا. فشربوا الخمور، وارتكبوا الفجور. وتسامروا

---

(١) اضطلع بالأمر إذا قدر عليه ورجل ضليع قوي.

(٢) المنصب المنبت والمحتد والأزكى الأطهر وبعثه وابتعثه بمعنى أي أرسله.

(٣) البيات الإغارة ليلاً والمثلات فتح الميم وضم الثاء العقوبات.

(٤) السنة النعاس. والهاجع النائم بالليل. والإصرار الإقامة على الشيء.

(٥) الدوائر جمع دائرة وهي الهزيمة والنائبة المهلكة.

(٦) الجنود جمع جند وهم الأعوان والأنصار وجند الجنود اتخذ الجنود.

(٧) البنود جمع بند وهو العلم الكبير فارسي معرَّب.

(٨) الصنائع جمع صنيعة وهي المعروفة والإحسان واصطنع فلان صنيعة إذا فعل معروفًا والقطائع جمع قطيعة يقال اقطعه قطيعة أى أعطاه طائفة من أرض الخراج واقتطع الشيء أخذه.

(٩) المصانع الحصون. والقوارع النوائب الشديدة.

بالغيبة، وتفاخروا بالريبة[١]. وباعوا الأمانات ، وأضاعوا الصلوات. واتبعوا الشهوات. واستمعوا القينات، وأظهروا المنكرات[٢]. بأكل الربا في التجارات، وفعل الرياء وزور الشهادات، لم يعتبروا بالآيات، ولا راقبوا رب الأرض والسموات؛ ولا استحيوا من عالم الخفيات، جاروا فيما حكموا، وعتوا في البلاد وظلموا ، وجاهروا الله بما اجترموا، ولم يبالوا على أقدموا.

ولا عملوا بما علموا، وظنوا أنهم لن يسلموا[٣]. فلم يزالوا كذلك وعلى ذلك حتى اصطلموا ، وغيبوا في التراب ما وأرغموا[٤]. ولقد علموا على من قدموا، فلم تنفعهم الندامة إذ ندموا. كعاد إرم ذات العماد، وفرعون ذي الأوتاد[٥]، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد[٦].

وما أحوالنا عباد الله في القوة فوق أحوالهم، ولا أفعالنا في الخبث دون أفعالهم ولا معنا كتاب بالسلامة من نكالهم، ولا نأمن من مخالفة الله أن يجعلنا كأمثالهم، فما لنا لا يأخذ الأقوياء منا على أيدي الضعفاء والعلماء على أيدي السفهاء فبادروا عباد الله فسحة المهل ما دام مبذولا، وواصلوا صحة العمل ما دام مقبولا ، وأقلعوا ما دام حبل الحياة موصولا ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [النساء: ٤٧][٧]. جعلنا الله وإياكم ممن أخذ لنفسه قبل الأخذ منها، وصرف بالتوبة وبيل النقمة عنها. إن أجمع الكلام لأصناف التحذير، وأنفع المقال للقلب الضرير ، كلام من ليس كمثله شيء وهو السميع

---

(١) تسامر القوم تحادثوا في الليل والريبة التهمة والشك.

(٢) القينات المغنيات.

(٣) أسلمه خذله ولن يسلموا لن يخذلوا.

(٤) اصطلموا استؤصلوا بالهلاك. وأرغموا أهينوا ووضعت أنوفهم في الرغام وهو التراب.

(٥) إرم عطف بيان أو بدل من عاد وذات العماد إشارة إلى ارتفاع بيوتهم.

(٦) سوط عذاب نوع عذاب. والمرصاد المرصد يقال قعد فلان بالمرصد وبالمرصاد أي بطريق الارتقاب والانتظار ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤] أي مراقبك فلا يخفى عليه شيء من أعمالك ولا تفونه.

(٧) طمس الوجوه محو ما فيها من العين والأنف والحاجب. وردها على الأدبار جعلها كالأقفاء.

البصير، وتقرأ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] الآية.

خطبة يذكر فيها قدوم وال

الحمد لله شكرًا على ما أوزعنا عليه شكرًا، وصبرًا وتسليمًا لما ألهمنا عليه صبرا، الذي أسبل علينا من كفايته سترا؛ وأبدلنا من بعد عسر يسرا، وأعظم لمن اتقاه وخافه أجرًا، ووعدنا بالحسنة الواحدة عشرًا، وقدم إلينا قبل إيقاع نقمته عذرًا، وجعل دار البوار مآل من بدل نعمته كفرًا[١]. أحمده حمد من أعد حمده ذخرًا، وجدد بآلائه في كل مقام ذكرًا[٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدمنها سرا وجهرًا، وأشهد بها شفعًا ووترًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أطهر بريته نجرا، وأظهرها فخرًا[٣]. وأكبرها قدرًا، وأزخرها بحرًا، وأشرحها صدرًا، فجلا عن الأسماع بحكمه وقرًا[٤]. وأعاد حل محارم الله حجرًا، وأوجب رحمته لمن قبل له نهيًا وأمرًا[٥]. وصب نقمته على من اعتقد له غدرًا حتى استجابت له الأمم طوعًا وقسرًا[٦]. وعاد عرف البهتان بإيمانه نكرًا[٧]؛ صلى الله عليه وعلى آله ما تلا دهر دهرًا، صلاة تنثر عليهم بركات مواهبه نثرًا؛ وتنشر علينا رحمته ورضوانه نشرًا، وسلم تسليما.

أيها الناس: اعتصموا بتقوى الله يعصمكم بتسديدها، واغتنموا مدد آجالكم يسعدكم بحميدها[٨]. واشكروا سوالف نعمه يمددكم بمزيدها، واذكروا توالي أياديه

---

(١) البوار الهلاك وبدل نعمته كفرًا جعل الكفر جزاء النعمة.

(٢) أعد هيأ. والذخر ما أعددته لوقت الحاجة إليه ويسمى أيضًا بالذخيرة، والآلاء النعم.

(٣) النجر والنجار الحسب.

(٤) الوقر بالفتح الثقل في الأذن وفي بعض النسخ قبل هذه الفقرة ما صورته منزهًا أن يقول شعرًا مبرأ أن يكون ما جاء به سحرًا وفي طرة الكتاب قال الشيخ الكندي معنى الكلام أن صدره أشد انشراحًا من صدر غيره فإذن لا يجوز إشراحها لأن أفعل هذا لا يبني من المفعول إنما يبني من الفاعل فالصدر مشروح لا شارح اه.

(٥) الحجر الحرام والمراد أنه أعاد الحرام حرامًا بعد ما استحل.

(٦) القسر القهر وقسره على الأمر أكرهه عليه.

(٧) العرف المعروف، والنكر المنكر.

(٨) التسديد التوفيق للسداد بالفتح وهو الصواب.

لديكم يرفدكم بتجديدها[١].

وانظروا بعيون الهمم إلى خفي ألطاف مبديها ومعيدها، واجأروا إلى الله في إسباغها عليكم وتمهيدها[٢]. فما استأثر الله بأولى نعمتيه إلا ليختبر صبركم، ولا ظاهر عليكم أخراهما إلا ليبلو شكركم[٣]. فاحمدوه على الدائر المسلوب صبرًا، وعلى الحاضر المجلوب شكرًا. فقد رأب الصدع، وأحسن الصنع[٤]؛ وأجزل المثوبة، وجبر المصيبة[٥]. وقشع السدف وأسرع الخلف[٦]؛ سلبكم من وهب نظيره، وقدر ذلك فأحسن تقديره، فكونوا عباد الله بآلاء الله عارفين، ولنعمائه واصفين. فإنه ما أفل نجم طلع رقيبه، ولا فقد قرم قام نسيبه[٧].

فاسألوا الله حراسة بحر منحكم جواهره، ووكل برعايتكم قلبه وناظره، الأمير فلان ابن فلان ذي النوال الجزل، والمقال الفصل[٨]. والفعال العدل، والكمال والفضل، المتوحد بإقامة التوحيد، المتورد دون الأمة كل خطب شديد، القائم من مفترض الجهاد، بما قعد عنه كل حاضر وباد؛ بلغه الله من الدنيا والآخرة آماله، وأدام إلى ما يزلف لديه إقباله[٩]. ومما أحيا به ذكر بلائه الخالي، وأذكى به زناد إنعامه التالي[١٠]؛ وأنار به غرر إحسانه المتوالي، إكرامكم بولاية مهجته الأمير

---

(١) رفده وأرفده أعانه والأيادي النعم والتوالي التتابع.

(٢) جأر إلى الله تضرع إليه بالدعاء. وإسباغ النعمة إتمامها.

(٣) استأثر الله بفلان إذا مات ورجي له الغفران وأولى النعمتين هو الوالي السابق والظاهر أنه أخو الأمير أبي المعالي ابن سيف الدولة، وبلاه وابتلاه اختبره وابتلاء الله تعالى للخلائق ليظهر ما سبق في علمه مما يقتضيه استعدادهم إلى الوجود لئلا يبقى تعلل لمتعلل.

(٤) رأب الصدع أصلحه والصدع الشق.

(٥) المثوبة الثواب.

(٦) السدف الظلمة وقشع السدف كشفه وأزاله.

(٧) رقيب النجم هو الذي يطلع إذا غرب ذلك النجم. والقرم السيد وأصله البعير المكرم الذي لا يحمل عليه، والجزل الكثير.

(٨) المقال الفصل القول الذي يفصل بين الخطأ والصواب.

(٩) يزلف يقرب.

(١٠) البلاء اسم من ابتلاه إذا اختبره وامتحنه ويكون في الخير والشر. والخالي الماضي السابق وأذكى النار أشعلها والزناد جمع زند وهو الذي يقدح به النار وهو الأعلى وتسمى السفلى زندة، والتالي اللاحق.

أبي المعـــالي[١]؛ فـــالآن قر في دياركم الخصب إن شاء الله شاملاً. وكر إليكم الإقبال كاملاً[٢]، ودر عليكم غمام الدعة هاطلا، وفر عنكم زمان الخوف والبؤس راحلا[٣]. فـــزموا عباد الله نعم الله عندكم بحسن مراعاتها. ولا تهملوا سياستها في جميع أوقاتها، وارغبوا إلى الله بإخلاص نيات القلوب وصدق طوياتها، أن يصرف عنه شرور نوازل الأيـــام ومحذور آفاتها ؛ اللهم أحل فلان ابن فلان من معالي الأمور محل أهل العناية، وتغمـــده من رأفتك بأخص رعاية وأكمل كفاية، وعرفه وسائر المسلمين بركة هذه الـــولاية؛ وبلغه من مآرب الدنيا والآخرة أقصى نهاية، وأبعد غاية، وفقنا الله وإياكم لأرشد السبل، واستعملنا وإياكم بصالح العمل، وأسعدنا وإياكم بتبليغ الأمل.

إن أحسن الحديث كتاب الله وتقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

خطبة أخرى يذكر فيها الموت
(ويصلح أن يخطب بها يوم العيد)

الحمد لله العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع، الوفي الذي لا يقطعه عن إنجاز وعده قاطع. القوي الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع. أحمده والحمد له واجب، وأنزهه عما يفتريه عليه الكاذب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من خلص بالشهادة يقينه، وسلم من شبه الشك دينه. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين أظهر الطاغوت بدعه، ودمر المنحوت تبعه[٤]. واستخف الكفر شيعه، وأساغت الكافة جرعه[٥].

---

(١) المتوالي المتواصل والمهجة النفس والمراد به هنا ابنه.

(٢) الخصب النماء والبركة وهو خلاف الجدب وهو اسم من أخصب المكان إذا كثر نباته وكرّ رجع.

(٣) الدعة الراحة والسكون ورجل وديع ساكن والموادعة المصالحة. ومطر هاطل متتابع القطر. والبؤس الشدة.

(٤) الطاغوت الشيطان وكل رأس في الضلال. والمنحوت هو الصنم والتبع التابع ويكون واحدًا وجمعًا وإذا كان واحدًا جمع على اتباع مثل سبب وأسباب.

(٥) الجرع جمع جرعة وهي الحسوة من الماء وساغ الشارب سهل مدخله في الحلق وأسغته جعلته سائغًا.

فقشع الله بمحمد ﷺ قزعه، وأطفأ بنوره لمعه[١]. وقوم به الجاهل وردعه وحطم به الباطل وقمعه. وحسم بهالعذر وقطعه، ونظم به الشمل وجمعه. وشهر به الدين وشرعه، وأعز بسلطانه الحق ومن اتبعه. صلى الله عليه وعلى آله ومن آمن معه، كما شرف بذكره أعياده وجمعه. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الموت لكم مناجز، ليس بينه وبين أرواحكم حاجز[٢]. وكل عما أمر به عاجز، لا يحفزه إلى خلاص نفسه حافز[٣]. قد ضربت الغفلة على قلبه سرادقها، وحجبت الأيام عن فكره بوائقها[٤]. وغيبت المنون عن باله حقائقها. ونصبت عليه من حيث يأمن مجانقها[٥]. فبينا هو راكض في ميدان لعبه، خائض في غمرات أربه[٦]؛ معارض صدق أجله بكذبه ناهض في غير ما أمر به. إذ قطع الزمان منه ما وصله، وارتجع عليه فيما وهب له، وتيقظ فيه لما كان أغفله، حين بلغ الكتاب أجله[٧]. فأصبح الدهر عليه صائلا، والسقم في أعضائه جائلا. وورنق الحياة عنه زائلا، والموت بينه وبين أمله حائلا؛ قد حل به الحتف المراصد. وقل له على حاله المساعد[٨]. وأسلمه الولد والوالد، ورحمه العدو والحاسد. يا له مبضعًا بأفواه المنون، مشيعًا بأمواه العيون[٩]. مستبدلا من الحركة بالسكون، مرتحلا إلى معسكر سالف

(١) القزع جمع قزعة وهي قطعة من السحاب رقيقة، وقشعت الريح السحاب كشفته فأقشع أي انكشف وهو من النوادر التي تعدى ثلاثيها ولزم رباعيها.

(٢) المناجز المقاتل والحاجز الفاصل بين الشيئين.

(٣) حفزه دفعه من خلفه وحفزه ساقه وبابه ضرب، والعاجز ضد القادر والأولى أن يقول متعاجز لأن العاجز لا يلام.

(٤) السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. والبوائق الدواهي.

(٥) المجانق جمع منجنيق وهي آلة ترمى بها الحصون.

(٦) الركض تحريك الرجل وبابه نصر وركض الفرس برجله استحثه ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا والصواب ركض الفرس فهو مركوض، والغمرات جمع غمرة وهي المرة من قولك غمره الماء إذا علاه وبابه نصر. والأرب الحاجة.

(٧) بلغ الكتاب أجله انتهت المدة التي عينت فيه.

(٨) الحتف الهلاك ومات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب ولا يبني منه فعل، والمراصد المراقب.

(٩) بضع الجرح شقه وبابه قطع وبضعه بالتشديد مثله.

القرون[١]. قليلا بطؤه، ذليلا شطؤه[٢]. جليلا رزؤه، ثقيلا عبؤه[٣]. محتملا على مركب من مراكب الأهوال، تتهاداه مناكب الرجال، إلى ديار الأموات. ومدار الآفات. ومنازل قوم كانوا فبانوا، وأزل عزهم الموت فهانوا؛ فرحم الله امرأ مال إلى عرصاتهم، وأطال المسألة عن حالاتهم.

فجعل الفكرة فيهم له خطابا. والعبرة بهم عنهم جوابًا. أخلق والله منهم الجديد، وفرق أوصالهم الصعيد، ومزق أكفانهم الصديد، ووهن منهم الجلد والجليد. واستوى في حالهم الموالي والعبيد، وأباد جمعهم المبيد. وأشكل علينا منهم الشقي والسعيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. جعلنا الله وإياكم ممن ذكر أيامه. فحذر مقامه[٤]، وشكر إنعامه فاستوجب في المعاد إتمامه. إن كتاب الله أولى ما اتبع، وكلامه أحلى ما استمع. فتدبروا أمثاله أيها العالمون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وتقرأ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٦] الآيات.

خطب المواقيت

(خطبة يذكر فيها استقبال السنة وفضل يوم عاشوراء)

الحمد لله منشئ أصناف الفطر، ومحيي الأرض بوابل المطر[٥]. الغالب على ما بطن وظهر، والعالم بما بقي ودثر[٦]. أحمده حمد من أولي جميلا فشكر، وأنزهه عن قول من جحد به وكفر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعالى فقدر، وملك فقهر، وعصي فغفر، وجوهر بالقبيح فستر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله محجة لمن استبصر، وحجة على من استكبر، فقام بأمر ربه وأنذر. وجاهد في سبيله وشمر. ودعا

---

(١) المعسكر موضع العسكر.

(٢) شطء الزرع والنبات فراخه وقيل طرفه.

(٣) الرزء والرزية المصيبة والعبء الحمل.

(٤) الضمير في أيامه ومقامه يرجع إلى الله سبحانه قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ٥].

(٥) الفطر جمع فطرة وهي الخلقة وتطلق على الجبلة، وابل المطر غزيره وهو من إضافة الصفة للموصوف وأصله المطر الوابل.

(٦) دثر اندرس وذهب أثره.

إلى طاعة الله وأمر. ونهى عن مخالفته وزجر. حتى ابلولج قمر الإيمان فأبدر، وخبا نجم البهتان فأدبر[١]؛ صلى الله عليه وعلى آله وأكثر، كما طيب جبلتهم وطهر[٢] وسلم تسليما.

أيها الناس: أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإن تقواه توجب كريم المآب، وجزيل الثواب، وإن مخالفته تحل أليم العقاب، ووبيل العذاب. فتمسكوا بأقوى سبب من تقواه، وكونوا ممن يراقبه ويخشاه. ولا تأمنوا مكره ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] واعلموا عباد الله أن ممر الليالي والأيام، ومكر الشهور والأعوام. ينذران بانقضاب الأعمار، ويؤذنان بخراب الديار[٣]. ويقربان البعيد، ويبليان الجديد. ويهدمان المشيد. ويوهنان الجليد[٤]، حكمة جارية بمقدار، وسنة ماضية على اقتدار. وقدرة تعجز عن تحصيلها فطن أولي الأفكار، فاعتبروا يا أولي البصائر والأبصار.

وقد مضت رحمكم الله من مدة الحياة، سنة تدني إلى ورود الوفاة، فالزكي من استودعها صالحًا من عمله، والشقي من شهدت عليه بقبيح زلّله. وإن أمرأ تنقضي بالبطالة أوقاته، وتمضي في الجهالة ساعاته، لجدير أن يطول على نفسه بكاؤه، ويدوم في طلب التخلص عناؤه[٥]. ويكثر ممن أمهله حياؤه ما دام يسعده بقاؤه، وقد استقبلتم رحمكم الله عامًا جديدًا، وافتتحتم شهرًا محرمًا حميدًا، أول شهور السنة في التحريم، وأحقها بالتفضيل والتقديم[٦]، خصه الله في اليوم العاشر، بثواب جزيل وافر.

---

(١) بلج الصبح أضاء وأنار وابلولج مبالغة فيه. وخبت النار خمد لهبها.

(٢) صلى الله عليه فعل ماض معناه الدعاء أي اللهم صل عليه. وإنما عدل عن هذا البناء لأمرين أحدهما: أنه على الصيغة التي تسمى في أكثر مواقعها بالأمر، وثانيهما: أن الفعل الماضي يفيد تحقق الوقوع فعبر به للإشارة إلى أن هذا الدعاء مجاب وأصل الصلاة الدعاء وهو من الله عز وجل الرحمة وعديت بـ"على" لتضمنها معنى التعطف والتحنن. والرحمة لفظ عام يفسر في كل موضع بما يناسب المقام حفنا سبحانه برحمته وشملنا بفضله ونعمته.

(٣) الانقضاب الانقطاع وآذنه بالشيء أعلمه به.

(٤) الوهن الضعف يقال وهن إذا ضعف وأوهنه غيره إذا أضعفه. والجليد والجلد القويّ.

(٥) العناء التعب والمشقة.

(٦) التحريم ضد التحليل وكانت العرب تحرم القتال في أربعة أشهر وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد والفرد هو رجل وإنما سمي الشهر الأول من السنة =

أنت بفضله الأنبياء. وصامه الصالحون والعلماء، فمن رغب في اغتنامه، وقدم النية في صيامه، فليصم التاسع والعاشر استظهارًا،ولا تعرضوا عن تعظيمه استكبارًا[١]؛ فإن صيام عاشوراء يعدل صيام سنة مقبولة، والتوسعة فيه على العيال سنة غير مجهولة، فأوسعوا فيه على العيال، من فضل الله الحلال.

واستقيلوا الله عثراتكم، واستغفروه لسيئاتكم[٢]. واسألوه أن يوفر من بركة سنتكم أقسامكم، ويطهر بها قلوبكم وأجسامكم. وأن يديل لكم من أعدائكم بتأييده، ويمدكم بنصره وجنوده[٣]. وأن يوفقكم للتناصف والتراحم، والخروج من الغصوب والمظالم[٤]. وأن يعمكم برأفة ولاتكم، وعدل حكامكم وقضاتكم. ويهديكم لمرضاته، ويجريكم على أجمل عاداته. فإن المنيب إليه سالم، والمتخلف عنه نادم، جعلنا الله وإياكم ممن سابق إلى رضاه. واستقاله مما جناه ولم يؤثر على لزوم طاعته شيئًا سواه.

إن أحسن ما نطق به متكلم، وأبلغ ما أصغي إليه متفهم، كلام من لا يقع به توهم، وتقرأ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] إلى قوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخطب بها في شهر ربيع الأول)

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من آسفه[٥]. المتوحد في قهره، المتفرد

محرمًا لتحريم القتال فيه وأدخلوا عليه (الـ) لمحًا للصفة في الأصل.

(١) الاستظهار مصدر استظهرت في طلب الشيء إذا تحريت وأخذت بالاحتياط فيه ويقال استظهرت بالشيء إذا استعنت به.

(٢) العثرات جمع عثرة وهي الزلة وأقاله من عثرته صفح عنه واستقاله طلب الصفح عنها.

(٣) أدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه.

(٤) تناصف القوم أنصف بعضهم بعضا. وتراحموا رحم بعضهم بعضًا والغصوب جمع غصب بمعنى الشيء المغصوب ولذا جمعه.

(٥) قد اعترض كثير من الأدباء على هذا المطلع لعدم موافقته للمقام قال ابن حجة وقد اعتذر عنه جماعة من أكابر العلماء وأورد الشيخ سريّ الدين ابن هانئ في شرحه الذي كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذراً لأبي البقاء أرجو أن تهب عليه نسمات القبول، قال بعض الأفاضل فيما ابتدأ به الخطيب هذه الخطبة مناسبة لطيفة غامضة وهو أن النبي ﷺ كان

بعز أمره، أحمده حمد معترف بما أولاه، مستقيل مما جناه، مستغفر من قبيح ما أتاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص بعيدًا عما يقوله الكافر ويفتريه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ائتمنه على الغيب، وبرأه من كل دنس وعيب. صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأزكاها، وأحلهم من منازل الكرامة أعلاها، وسلم تسليما.

أيها الناس: إنه ليس أحد أكرم على الله من نبيه، ولا أشرف عنده من محمد نجيه وصفيه(١)؛ وإنه لم يؤخر عند انقضاء مدته، ولم يعمر عند حضور منيته.

ولقد أتاه في مثل شهركم هذا من رسل ربه الكرام، الموكلون بقبض نفوس الأنام. فجدوا بروحه الزكية لينقلوها، وعاجلوها ليرحلوها، إلى رحمة ورضوان، وخيرات حسان؛ فاشتد لذلك كربه وأنينه، وترادف قلقه وحنينه، واختلفت بالانقباض والانبساط شماله ويمينه، وعرق لهول مصرعه جبينه، فبكى لمنظره من أبصره، وانتحب لمصرعه من حضره(٢). فلم يدفع الجزع عنه مفدورا، ولا راقب الملك فيه أهلا ولا عشيرًا(٣). بل امتثل ما كان به مأمورًا، واتبع ما وجده في اللوح مسطورًا، هذا وهو أول من ينشق عنه بطن الأرض وصاحب الشفاعة يوم العرض.

=

الكفار يترقبون موته لينقطع أمره فأهلكهم الله وانتقم منهم ثم لما انتظم شمل الإسلام نقل إليه نبيه ﷺ والذي قاله أبو البقاء قريب من هذا وقال جمال الدين إسماعيل المشهور بابن الفقاعي ردًا على التاج الكندي:

تأمل ما أقول تكن بصيرًا	بما ألقى إلينا الفاضلونا
كلام الشيخ في استفتاح هذي	تضمن عندي الفتح المبينا
فقل للشيخ تاج الدين هلا	كشفت بفكرك السر المصونا
فإن الشيخ ألقى القصد فيها	إلى القرآن منتهلاً معينًا
فإما نذهبن بك اعتبرها	تجده قد تقصدها يقينا
فلا تأخذ عليه بعد هذا	فتحسب في عداد الجاهلينا

وفي هذا القدر كفاية.

(١) النجيّ الذي تساره يقال نجوت فلانًا وناجيته إذا ساررته.

(٢) الانتحاب البكاء.

(٣) العشير المخالط.

وهو على يقين من السلامة في المعاد، وثقة بالكرامة يوم قيام الأشهاد[١]. فكيف بمن لا يعلم متى الرحيل، ولا يتحقق أين المقيل. ولا يدري على ما يقدم، ولا بما عليه في القيامة يحكم، فياخلف من قد دثر، ويا بقية من قد غبر. يا أسراء الدنيا ويا قرناء الفنا[٢].

ويا عدد الآجال، ويا عبيد الآمال. أما تتعظون بمصرع محمد صلى الله عليه سيد المرسلين، وإمام المتقين وحبيب رب العالمين. أتظنون أنكم في الدنيا مخلدون، أم تحسبون أنكم من الموت محصنون، ساء ما تتوهمون، هيهات هيهات، إنكم إذًا لمغرورون، جد والله الرحيل، فاحتقبوا زادًا كافيًا، ووجب السؤال فأعدوا جوابًا شافيًا[٣]. فكأن قد نعق بكم ناعق الشتات، ودارت عليكم رحى الآفات[٤]. فلم تستطيعوا نقصًا من السيئات، ولا زيادة في الحسنات، أين من كان قبلكم من القرون، أهل العز المصون، الذين كانوا أطول منكم أعمارًا، وأكثر في الأرض آثارًا. قصفت والله المنون أعمارهم، ومحت الحوادث آثارهم[٥].

وعطلت لفقدهم عشارهم، وأخرب الموت ديارهم[٦]. فأضحوا رميمًا تحت أطباق الثرى وعادوا رفاتًا من طول البلى[٧]. أكلا للهوام، ومرتعًا للسوام[٨]. مجالاً للهواب، إلى يوم الحساب[٩]. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨][١٠].

---

(١) الأشهاد جمع شهيد وهو من يشهد على الأمم بالتبليغ وهم الأنبياء ونبينا ﷺ يشهد لهم بالتبليغ.
(٢) أسراء جمع أسير ويجمع الأسير في الأغلب على أسرى وأسارى.
(٣) احتقب الزاد حمله.
(٤) نعق الراعي بغنمه صاح بها وزجرها وحكى ابن كيسان نعق الغراب.
(٥) قصفت الريح الشجر كسرته.
(٦) العشار النوق الحوامل وتعطيلها تركها بلا راع وبلا حلب لما دهاهم من الأمر.
(٧) الرميم البالي، والثرى التراب الندي، والرفات العظم البالي الذي يتفتت.
(٨) الأكل المأكول. والهوام بالتشديد جمع هامة وهي الحيوان الذي يدب يقال هم هميما إذا دب. والسوام بالتشديد جمع سامة وهي ذات السم وإن خفف يكون جمع سائمة وهي الماشية في المرعى.
(٩) المجال موضع الجولان وهو التردد في المكان. والهوابُ جمع هابة وهي الريح.
(١٠) يصدر الناس أشتاتًا أي ينصرفون من موقف الحساب متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة =

جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بالوعظ، وينافس في جزيل الحظ.

إن أحسن ما جرى به القول، كلام من له المن والطول، وتقرأ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] الآيتين.

خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي تم خلقه فاعتدل، وعم رزقه فاتصل، ولزم شكره فوجب، وعظم أمره فغلب، أحمده حمد موفق لحمده، مصدق بوعده. متحقق بقصده، متعلق برفده[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة واجبة على كل مخلوق ناطق، جالبة لكل موموق موافق[٢]؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله والأمم في حلبات الضلال راكضة، وفي طلبات المحال ناهضة[٣]. ولمواثيق العهود ناقضة، وبمخاريق الجحود معارضة[٤].

فكان ﷺ ثقاف منآدها، وذعاف مرادها[٥]؛ ومصلح فسادها، وموضح إرشادها، وحاسم أدوائها، وفاطم أهوائها. حتى بسقت أيكة الإيمان. وزهقت شوكة البهتان[٦].

وتألقت كواكب الإسلام، وتمزقت مواكب الطغام[٧]. صلى الله عليه وعلى آله

=

وآخذ ذات الشمال إلى النار. والذرة النملة الصغيرة والمثقال الزنة والمقدار.

(١) الرفد: بالكسر العطية والمعونة وبالفتح الإعانة والإعطاء.

(٢) الموموق: المحبوب يقال ومقه رمقة إذا أحبه.

(٣) الحلبات: الميادين.

(٤) المخاريق: هو ما يلعب به الصبيان من الخرق المفتولة وهو جمع مخراق. والجحود الإنكار مع العلم.

(٥) الثقاف: ما تسوى به الرماح وتثقيف الرماح يتسوبتها وإزالة اعوجاجها والمنآد: المعوج. والذعاف: سم الساعة، والمراد جمع مارد.

(٦) بسقت: علت. والأيكة: الغيضة وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيها الشجر، وزهقت نفسه خرجت. وزهق الباطل: اضمحل، والبهتان الكذب والافتراء.

(٧) تألقت: لمعت. والمواكب: جمع موكب وهو القوم الركوب على الإبل للزينة وكذلك جماعة الفرسان، والطغام أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء.

الخيرة الكرام، صلاة متصلة بلا نفاد ولا انصرام[١]. وسلم تسليمًا.

أيها الناس: عم الفناء فما إلى بقاء سبيل. وتم القضاء فما لمبرمه تبديل، وطم بحر الموت فحار فيه الدليل، وأم اختطاف النفوس فهو بهلاكها كفيل[٢]. ولو ردع الموت شرف أصيل، أو دفع القدر قدر جليل، أو منع الحذر وجه جميل، لكان أول ناج بكماله الرسول، ولقد تقضى في مثل شهركم هذا أجله، وأحاطت به من الموت المقدور عقله، ودنت لقبض نفسه النفيسة أملاكه، وعز على البرية من وثاق المنية فكاكه، حتى إذا غص بها الحلقوم، وجاش بحشرجتها الحيزوم[٣].

وامتدت اليمين وانقبضت الشمال وتقلقلت الأعضاء والأوصال، ورشح الجبين لكرب السياق، وآذن رسول الله ﷺ بالفراق. ونادته الطاهرة البتول، والقلقة الثكول[٤]، واكربي لكربك يا أبه، فأجابها صلوات الله عليه، وقد ودعها بضمها إليه، «**لا كرب على أبيك بعد اليوم**» فأي نحيب عليه ما ارتفع، وأي طرف عليه ما دمع، وأي حزن لفقده ما اتسع، وأي عزاء لبعده ما امتنع[٥]. هذا وقد سقي من المنية أعذب كوؤسها.

وأمن في القيامة ريب نحوسها[٦]. وهو صاحب الشفاعة يوم العرض وأكرم أهل السماء والأرض. فكيف بالمفتونين من أهل الكبائر الآمنين حلول الدوائر؛ الذائقين من الدنيا صفوًا عاقبته كدر، وحلواً خاتمته صبر؛ إذا فجئتهم البديهة، وصرفت لهم الكاس الكريهة[٧]. وقوبلوا بسيئ أعمالهم، عند حضور آجالهم؛ وتنكر أحوالهم، وتعذر إمهالهم، وانقطاع آمالهم؛ ومعاينتهم أملاك الغضب.المبشرة بسوء المنقلب؛ فيالها من صرعة ما أضرها، وجرعة ما أمرها.

---

(١) النفاد: مصدر نفد الشيء بالكسر إذا فنى والانصرام: الانقطاع.

(٢) طم السيل: غلب، وأم: قصد.

(٣) الحشرجة: صوت يردده المريض في حلقه. والحيزوم: وسط الصدر، وجاش: اضطرب.

(٤) البتول: المنقطعة إلى مولاها.

(٥) العزاء: الصبر.

(٦) الريب: حوادث الدهر.

(٧) فجئه الأمر: بالكسر فجأءة وفجاءة بالضم والمد أتاه بغتة، والبديهة: اسم من قولك بدهه الأمر إذا فجئه فيكون الإسناد هنا من قبيل الإسناد في قوله جد جدّه.

ورحلة ما أقربها. وخطة ما أصعبها[١]. فكيف يطمع في البقاء الطامعون؛ وهم المصدقون بما يسمعون؛ أم ماذا ينتظر المقصرون، ويتعلل به المغرورون؛ أيحسبون أنهم من المنون مستورون، أم يتوهمون أنهم إلى الأبد مؤخرون[٢]، ساء ما يستشعرون ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾، جعلنا الله وإياكم ممن استقصر في الدنيا مدته، وأعد لحلول الموت عدته[٣]. وأخلق في طاعة الله مولاه شبابه وجدته، إن أبلغ ما جليت به الأحزان، وأنفع ما وعته القلوب والآذان، وأولى ما أنصت لتلاوته القرآن[٤]. وتقرأ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾.

خطبة يذكر فيها فضل رجب

الحمد لله منتهى الحمد، ومبتدأ المجد[٥]. الوفي بالعهد، الصادق في الوعد. الذي ليس لما رفعه خافض، ولا لما أبرمه ناقض؛ ولا له في ملكه شريك ولا معارض. أحمده حمد خاضع لجلاله وكرمه، مستزيد بالحمد مواد نواله ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن إحاطة الجهات، والمتكبر عن إدراك الصفات. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى أمة شديد ضلالها، كثير هالها، فدلها على السنن وعرفها، وأنقذها من الفتن واختطفها، وحذرها المهالك وخوفها، وطهرها من الدنس وشرفها، صلى الله عليه وعلى آله أطيب الصلوات وألطفها، وسلم تسليما.

أيها الناس: أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإنها شعار المؤمنين، ودثار المتقين، ووصية الله فيكم أجمعين[٦]. جعلها الله لمن لزمها واعتصم بها ذخرا، وأحسن

---

(١) الخطة: بالضم الأمر والقصة وأما الخطة بالكسر فهي الأرض التي يختطها الرجل لنفسه.

(٢) الأبد: ما لا نهاية له في المستقبل قال بعض الأفاضل لو قال إلى آخر الأبد كان أولى وفيه أن الأبد لا آخر له إلا إذا أريد به طول المدة.

(٣) استقصر مدته: عدها قصيرة.

(٤) وعى الشيء حفظه وتدبره. وأنصت: استمع. والقرآن: خبر إن.

(٥) المنتهى: صفة والمعنى الحمد لله الذي ينتهي إليه حمد الحامدين والمراد إن الخلق وأن حمد بعضهم بعضا فذلك الحمد يرجع إليه.

(٦) الدثار: كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار: ما ولي الجسد من الثياب.

له في نص كتابه ذكرًا. فقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [١]. واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى نصب لكم أعلام الرشاد، وأوضح لكم سبيل السداد. أكرامًا لكم وتطولا، وإنعامًا عليكم وتفضلا، ففضل الشهور بعضها على بعض، وجعل فيها مواقيت السنن والفرض، زيادة في القليل من أعمالكم، ونماء للصالح من أفعالكم ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ألا وإن شهركم هذا شهر حرام، فضلته الجاهلية وشرفه الإسلام. افتتح الله به ثلاثة أشهر كرام، فضلها على شهور السنين والأعوام، فرجب أول شهور البركة المنقذة من كل فتنة وهلكة. وهو شهر الله الأصب، تصب فيه البركات على البرايا، وتضاعف فيه الحسنات لمن أقلع عن الخطايا[٢].

فعظموا عباد الله ما عظم الله من حرمة هذا الشهر، واستحيوا من الله في السر والجهر، واستغفروا فيه ربكم للسلف وكونوا على حذر منه في المؤتنف[٣]. فإن المذنب في هذه الشهور لا يمهل، وعقوبته تتقدم وتعجل.

والويل لمغتر جاهل، ساه عن رشده غافل. يأمل الفوز بالبطالة، ويرتكب الذنوب بالجهالة، لا يستمع للذكر، ولا ينتفع بشرف يوم ولا شهر، حتى تصرم أجله، وحصل في عنقه عمله[٤]. فطلب الإقالة فلم يجب إليها، والتمس العودة فلم يقدر عليها. هيهات حال الموت بينه وبين ما يشتهيه، وشغل عن أحبابه بما هو فيه يا له من نادم على تضييعه آسف على السيئ من صنيعه حين عاين رتب الصالحين، وأبصر منازل المفلحين. الذين قدروا الله حق قدره وكانوا نصب نهيه وأمره ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ

---

(١) اعتصم بالشيء: استمسك به. والنص: ما لا يحتمل التأويل ويطلق النص على نفس ما جاء عن الشارع من الكتاب أو السنن يقال ورد هذا الحكم في نص الكتاب أي نفس الكتاب. ويقال هذا نص ما ذكره فلان أي عينه.

(٢) رجب: منصرف ويقال له الأصب لأن الرحمة تصب فيه وبابه افعل وإن كان لمن وقع منه الفعل لكن لما كان الصب واقعًا فيه نسب إليه ويقال أيضا لأنهم كانوا يتركون فيه القتال فلا يسمع للسلاح صوت ويجوز أن تكون الباء في الأصب بدلا من الميم كما في لازب ولازم.

(٣) السلف: ما تقدم والمؤتنف المستقبل من قولك ائتنفت الأمر إذا ابتدأته.

(٤) تصرم: ذهب.

﴿وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ جعلنا الله وإياكم ممن أدرع بالوجل، وارتدع عن الزلل، وجد في إصلاح العمل، ولم يملكه طول الأمل. إن أنفع الوعظ لأهل التمييز، وأحرز كل حرز حريز كلام القوي العزيز وتقرأ ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية.

خطبة أخرى يذكر فيها رجبا

الحمد لله رافع السموات بغير عمد مقلة، وبارئ البريات لا متكثرًا بها من قلة[١]. الذي قدر خلقها في مواقعها، وعرفها مضارها من منافعها؛ وعلم عاصيها من طائعها، وفرق بين خلقها وطبائعها، ليدل بوجود الصنعة على صانعها. أحمده وهو أهل المحامد، وأستعينه على المحن القواصد[٢]. وأستغفره للموبقات الأوابد، وأسترفده إنه أكرم رافد[٣]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة اطمأنت بها الجوارح، وامتلأت منها الجوانح[٤]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعثه إلى خير أمة، وكشف به كل غمة وأتم به كل نعمة؛ صلوات الله وملائكته عليه، كما أطاع الله ودعا خلقه إليه؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: من نوى الإقلاع فهذا أوانه، ومن أزمع الاسترجاع فقد آن أبانه، ومن رام النزاع فقد حان عدانه[٥]. هذا شهر التوبة والندم، والصدقة وصلة الرحم، وأحد الأشهر الحرام، المنقذة من حلول النقم، شهر منزليه عظيمة وحرمته قديمة، الحسنة فيه جزيل أجرها، والسيئة فيه ثقيل وزرها، فهل من باك على زلل، أو مقلع عن قبيح عمل. أو مقصر من طول أمل، أو منطو من الله على خوف ووجل. في شهر لا يرد فيه سائل، ولا يحرم فيه آمل. ولا يخيب فيه عامل، ولا يمهل فيه غافل. أين الأجسام العاملة؟!، أين الشفاه الذابلة؟!؛ أين الأحشاء الراجفة؟!، أين القلوب

---

(١) العمد: جمع عماد وهو ما يقام تحت سقف ونحوه لعمده أي تقويته ومقلة: حاملة من أقللته إذا حملته.

(٢) القواصد: المتعمدات.

(٣) الموبقات: المهلكات تقول: أوبقه إذا أهلكه، والأوابد الشدائد وهي جمع آبدة بمعنى الشديدة والداهية، وأسترفده أطلب رفده وهو العطاء.

(٤) الجوارح الأعضاء التي يجرح بها الإنسان أي يكتسب، والجوانح الضلوع.

(٥) إبانه: وقته، والنزاع الرجوع عن الذنب يقال نزع عن كذا إذا رجع عنه ونزع إلى كذا إذا مال إليه. وعدانه أوانه المعدّ له.

الواجفة؟!. أين الأبصار الخاشعة ؟!، أين الأعناق الخاضعة؟!، أين التململ من ثقل الأوزار؟!، أين الحذر من منقلب الإصرار؟![1].

أين الاجتهاد في محو القبائح، أين الاستعداد للتوبيخ بمسطور الفضائح، أتثقون بالحياة إلى عام قابل، أم تأمنون حلول الموت العاجل[2]. كلا لا جنة من الموت ولا درك بعد الفوت[3]. وإنما هي معاذير مقدمة، ومقادير مبهمة[4]. وفرص مغتنمة، وغصص مقتحمة[5]؛ وآجال منصرمة، وآمال منفصمة، ونفوس مستسلمة، ونحوس مخترمة[6]. وقبور مظلمة، وأمور مستعجمة، ومسائل منتظمة، ودلائل مترجمة، عن تفاقم الأمر، وأهوال يوم الحشر[7]؛ وشدة الفاقة والفقر، إلى العمل اليسير النزر[8]. فمن شمر في السعي نفعه، ومن اغتر بالبغي صرعه[9].

فالله الله عباد الله أن تسلكوا سبل المهالك، فإنها تسرع بسالكها إلى مالك، خازن النار، وصاحب دار البوار، وسجن المنافقين والفجار، ومحل سخط الجبار[10]؛ صرفنا الله وإياكم عن طرائقها، وسلمنا وإياكم من بوائقها.

فما أنعم بال من سلم منها، وأحسن حال من زحزح عنها[11]. إن أرصن ما ثبت في المهارق، وأحسن ما سمع من لفظ ناطق، كلام المقتدر الخالق[12]. وتقرأ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ الآية.

---

(١) التململ القلق من حرارة الكرب من الملة وهو الرماد الحار. والإصرار الدوام على الذنب.

(٢) قبل العام والشهر قبولا من باب قعد فهو قابل خلاف دبر وأقبل أيضًا فهو مقبل.

(٣) درك ادارك.

(٤) مبهمة خفية .

(٥) الفرصة اختلاس الشيء حذرا من فواته.

(٦) مستسلمة منقادة مطيعة. ومخترمة مختطفة.

(٧) مستعجمة مشكلة خفية من العجمة وهو الخفاء.

(٨) تفاقم الأمر عظمه.

(٩) النزر القليل.

(١٠) البغي مجاوزة الحد في الظلم.

(١١) السجن الحبس والجمع سجون وهو معطوف على دار. والفاجر الخارج عن طاعة الله.

(١٢) زحزح بعد.

خطبة يذكر فيها رجبا يخطب بها عند آخره

الحمد لله مؤلف الفطر على غير مثال سبق، ومصرف القدر بمشيئته في كل ما خلق. والمكلف عبادته من عقل من بريته ونطق، والمحرف أهل طاعته عن مسلك من حاده وفسق[١]، أحمده مدمنا.

وأشهد أن لا إله إلا هو موقنا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ببوالغ الحكم. وجلله بسوابغ النعم[٢]. وأوطأه رقاب الأمم، وبوأه جناب الحرم[٣]. فلم يزل صلى الله عليه بزناد الإيمان قادحًا، ولعباد الأوثان مكافحًا[٤]. وفي غمرات الأهوال سابحًا، ولله في كل الأحوال مناصحًا، حتى صار جذع الإيمان قارحًا، وأصبح نهج اليقين واضحًا[٥]، وعاد فاسد الشرع صالحًا صلى الله عليه وعلى آله ما زجر عائف سانحًا أو بارحًا[٦]. وسلم تسليما.

أيها الناس: سددوا أود أعمالكم بثقافها، وحددوا عدد آمالكم باستئنافها[٧]، ورددوا ذكر آجالكم قبل إشرافها، ومهدوا لأنفسكم قبل اختطافها[٨]، وتزودوا من أيامكم قبل انصرافها، واجتهدوا في العمل الصالح قبل أهوال القيامة وانكشافها، واغتنموا أيام شهر عظم الله قدره ومحله، وعمكم ببركته منذ أهله[٩]. وسماه رجبًا حين

---

(١) حاده خالفه، وفسق فجر وفسق عن أمر ربه خرج والمصدر الفسوق والاسم الفسق، والفاسق يتناول الكافر في الأصل ثم خصه العرف بالعاصي من المؤمنين.

(٢) البوالغ والسابغ بمعنى التامة.

(٣) بوأه دارا أسكنه إياها،والجناب الفناء والساحة.

(٤) قدح النار بالزناد أخرجها بها وكافحه لاقاه مواجهة وكافحوهم في الحرب ضاربوهم تلقاء الوجوه.

(٥) قرح ذو الحافر انهت أسنانه وذلك عند إكمال خمس سنين، والجذع ما قبل الثنى والجمع جذاع.

(٦) والعائف ذو العيافة وهي زجر الطير وهو ضرب من التكهن، والسانح: من سنح الطائر ونحوه إذا جرى على يمينك إلى يسارك والعرب تتيامن بذلك والبارح عكس السانح وكانت العرب تتشاءم بذلك.

(٧) الأود العوج،والثقاف ما تقوم به الرماح وتثقيف القناة تقويمها.

(٨) الإشراف القرب يقال أشرف على كذا إذا قرب منه واطلع عليه.

(٩) أهله أبدى هلاله هذا ما أراده الخطيب وفي كتب اللغة أهل المولود خرج صارخا وأهل المحرم رفع صوته بالتلبية عند الإحرام وأهل الهلال بالبناء للمفعول وللفاعل إذا ظهر وأهللنا الهلال =

أعلاه وأجله، فتزودوا منه فقد نفد إلا أقله[١]. واستدركوا ببقيته الفائت من ماضيه، وتقربوا إلى ربكم فيه بما يرضيه، ولا تجعلوا غرور آمالكم، حجبًا بينكم وبين آجالكم، فكأن قد سلكت بكم الظنون سبيل الخيبة، وهتكت عليكم المنون ستور الهيبة، فجعلت المفاصل حامية، والمقاتل بادية[٢]. والمنازل خالية. والحلائل باكية[٣]. والمتحرك ساكنًا، والمقيم ظاعنًا[٤]. أخا سفر لا يبرح، وقرين ضنك لا يفسح[٥]. ورهين باب لا يفتح، ونهب فساد لا يصلح[٦]. أسير الغربة. بعيد الأوبة. مشغولاً بقطع سبله الشاقة، إلى يوم تحقيق الحاقة، أما في ذلك عباد الله ما كسب الخشوع، وسكب الدموع[٧]؛ وأذهب الهجوع، وأوجب الرجوع، بلى والله ولو لم يكن إلا الموت وحده، فكيف وهو أيسر مما بعده، أمارنا الله وإياكم بنوافل أعطياته، وأجارنا وإياكم بمعاقل توفيقاته[٨]؛ وأعارنا وإياكم ملابس تقاته، وأصارنا وإياكم إلى طرائق مرضاته، إن أحسن الحديث متلوا ومزبورًا، وأبين القصص منظومًا ومنثورًا، كلام من أنزل القرآن هدى ونورًا[٩]؛ وتقرأ ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها وداع رجب واستقبال شعبان

الحمد لله سبح كل شيء بحمده، وغمر كل حي بسعة رفده، وحجب مواد الفطن أن تحيط بحده، وأخرس فصاح الألسن أن تنطق بقبله أو بعده[١٠]، أحمده على

=

رفعنا الصوت برؤيته.

(١) الترجيب التعظيم تقول رجبت فلانا إذا عظمته ومنه سمي رجب

(٢) حامية حارة وبادية ظاهرة.

(٣) الحلائل الزوجات.

(٤) الظاعن الراحل.

(٥) الضنك الضيق، ويفسح يوسع.

(٦) رهين مرهون أي محبوس.

(٧) كسب يتعدى إلى مفعولين كما هنا ويتعدى إلى مفعول واحد نحو كسبت مالا.

(٨) أمارنا قال الكندي المعروف من هذا المثال مار الرجل أهله يميرهم ميرا وأمار سهو ومعنى مارهم في الأصل أتاهم بالميرة وهي الطعام.

(٩) المزبور المكتوب.

(١٠) مواد الشيء أصوله، والحد بمعنى الحقيقة والكنه، وفصاح الألسن من قبيل إضافة الصفة =

توالي البركات من عنده، حمدًا أتنجز به مضمون وعده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده، وأشهد أن محمدًا نبيه الوفي بعهده، ورسوله الموضح سبيل قصده، قدح الله شهاب الإيمان بزنده، وفل حد الشيطان بحده، وأيده بحزبه وجنده صلى الله عليه وعلى مؤمني آل جده، والمصطفين من صحابته وأهل وده[١]. ما قهقه سحاب برعده، أو دار فلك بنحسه أو سعده[٢]. وسلم تسليما.

أيها الناس: من عرف الحق أنكر الباطل، ومن أحب الآجل أبغض العاجل، ومن فكر في العواقب، لم يقدم على المعاطب[٣]. وطلب الفائت عناء والقول بغير عمل هباء[٤]. والجامع لغيره مفتون، والبائع لنفسه مغبون والمرء أعلم بسريرته، وكل عامل على بصيرته، والمصيبة في الأديان أعظم منها في الأموال والأبدان، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وشمروا في السعي إلى مرضاته، فإنكم في شهور القبول، وأيام تنفذ عن قليل؛ تطول عليها ندامة من ضيعها، وتدوم سلامة من عرف موضعها.

قد آذن رجب منها بالقفول، وأظل شعبان بعده للنزول[٥]. فيا حسرة من لم يفز من شهره بطائل، ويا خيبة من أخر التوبة إلى عام قابل. لقد وثق من الحياة بما ليس إليه، وأمن من الوفاة ما هو محتوم عليه سحقًا له مطبوعًا على قلبه، متخلفًا عن صحبه، مصرًا على ذنبه، مجترئًا على سخط ربه. حتى تصرمت أيام شهره ولياليه، وصار شهيدًا عليه بما اجترح فيه؛ ثم ما لبث أن نصب له الموت أشراكه، وأورده هلاكه[٦]. فعرف حينئذ ما أنكر، واستكبر ما استصغر، وتحسر على ما قصر، واستعبر

=

للموصوف أي الألسن الفصاح والمراد بهذه الفقرة أن الله تعالى ليس له قبل ولا بعد إذ لو كان ذلك لكانت الألسن الفصيحة غير خرساء عن الإفصاح عنهما فهذا التركيب من قبيل على لاحب لا يهتدى بمناره أي ليس له منار فيهتدي به.

(١) آل جده آل إبراهيم عليه السلام.

(٢) القهقهة الضحك بصوت فاستعار ذلك الصوت الرعد مقرونا بوميض البرق.

(٣) أقدم على الشيء إذا هجم عليه، والمعاطب المهالك.

(٤) الهباء الغبار الدقيق الذي تطيره الرياح.

(٥) القفول الرجوع من السفر، وأظل دنا وقرب.

(٦) فاعل لبث ضمير مستتر ويجوز أن يكون المصدر المستفاد من أن نصب ومعنى ما لبث ما تأخر.

حين أبصر[1]؛ فلم تغن حسرته فتيلا، ولا شفت منه عبرته عليلا، إني وقد طوي كتابه، وعدم إيابه[2]؛ وحرر حسابة وحصل اكتسابه، وحق عليه ثوابه أو عقابه.

يا له أسير جدث لا يؤمل، وقرين شعث لا يرجل[3]. جار جيران لا يتزاورون، وأخا إخوان لا يتعاشرون. فهم في حال الوجود معدومون، وعلى ظهر سفر مقيمون، إن خوطبوا لم يملكوا خطابًا أو سئلوا أعيوا جوابًا[4]. صال عليهم القضاء فخمدوا، وألح بهم الفناء فنفدوا[5].وغشيتهم سنة الموت فرقدوا، فليت شعري أشقوا أم سعدوا[6]، فرحم الله امرأ سلك المحجة، وأعد الحجة فإنه لا بد مسئول، ومن الدنيا إلى الآخرة منقول. أحسن الله لنا ولكم المعونة، وجللنا وإياكم السكينة[7]. وجعلنا وإياكم من حزبه، المغتبطين بقربه[8]. إن أنفع القول في المواعظ والإنذار، وأبلغ ما أخذ به أولوا القلوب والأبصار، كلام الملك القهار، وتقرأ أول سور هود إلى قول الله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

خطبة أخرى يذكر فيها دخول شعبان

الحمد لله فالق النوى والحب، ومخرج الحصيد والأب[9]. وقابل التوب وغافر الذنب، الواحد الصمد الرب. الذي لا يدركه ناظر، ولا يملكه خاطر. ولا يفوته باد ولا حاضر، ولا له في ملكه معين ولا مؤازر[10]. أحمده حمدًا يستفرغ وسع الطاقة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذخيرة ليوم الفقر والفاقة، وعدة

---

(١) استعير بكى.

(٢) إنى بمعنى كيف أي كيف تغنى عنه حسرته وقد طوى كتابه فالواو هنا للحال.

(٣) الجدث القبر، والشعث الدنس والغبار والشعث في الشعر بعد عهده بالدهن والتسريح، وترحيل الشعر تسريحه.

(٤) أعيوا جوابا لحقهم العي في الجواب والأولى أن يقال عيوا جوابا يقال أعيا الرجل إذا لحقه الكلال في السير وعي إذا لحقه الكلال في الكلام وجوابا منصوب على التمييز.

(٥) ألح دام ولج ونفدوا فنوا.

(٦) خبر ليت محذوف تقديره، واقع والشعر العلم.

(٧) جللنا البسنا والسكينة السكون وعدم القلق.

(٨) المغتبط المبتهج المسرور والغبطة السرور.

(٩) الحصيد الزرع المحصود، والأب المرعى يريد قوت الناس وقوت الأنعام.

(١٠) المؤازر المعين.

إذا حقت الحاقة[١]. وأشهد أن محمدًا عبده المبعوث من تهامة، ورسوله الموسوم بالشامة[٢]. جعله الله حادي الأنبياء في الإمامة، وهاديهم المقدم يوم القيامة. صلى الله عليه وعلى آله أهل النجدة والشهامة، وخصهم بغرائب الفضل وطرائف الكرامة[٣]. وسلم تسليما

أيها الناس: أقلعوا عن الذنوب قبل أن تقلعوا، وارجعوا عن الحوب قبل أن ترجعوا، وتمتعوا بالعمل الصالح قبل أن تمنعوا[٤]. فقد أتاح الله لكم شهور التجارة الرابحة فتاجروه، وأنذركم شدة بأسه فحاذروه، هذا عباد الله شعبان ضاربًا بجرانه، قادمًا بمعروف ربكم وإحسانه[٥]؛ تتشعب من المساء عليكم بركاته، وتزكي أعمالكم أوقاته وساعاته[٦]. أطنب رسول الله ﷺ في وصفه، ورغب في قيام ليلة نصفه فتأهبوا رحمكم الله لقصدها، وشمروا لاغتنام وردها، فكم طليق فيها من وثاق الذنوب، وحقيق بنيل كل مطلوب. ينزل الله تعالى فيها صكاك الأرزاق، ويعجل لبركتها فكاك الأعناق[٧]. فاهربوا إلى عباد الله فيها من سوء الاجتراح، واطلبوا منه حوائجكم تظفروا بالنجاح[٨]. واعلموا أن وراءكم طالبًا لا يغفل، وسالبًا لا يمهل، ونارًا تلفح، ومقامًا يفضح[٩]. وقضاء فصلا وحكمًا عدلاً[١٠]. وكتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

---

(١) الحاقة القيامة وحقت ثبتت وظهرت.

(٢) تهامة مكة، والموسوم المعلم، والشامة خاتم النبوة بين كتفيه.

(٣) النجدة القوة وأنجدته قويته، والشهامة قوة النفس وصحة الرأي، والطرائف جمع طريف وهو الغريب النادر.

(٤) أقلعوا كفوا وهو الإقلاع بمعنى الكف وتقلعوا من القلع، والحوب الذنب، وترجعوا بالبناء للمفعول ويجوز فيه وفي تقلعوا أن يبنى للفاعل ويكون المعنى أقلعوا عن الذنوب اختيارا قبل أن تقلعوا اضطرار بسبب الموت وقس عليه ما بعده.

(٥) شعبان مأخوذ من التشعب وهو التفرق لأن رجبا يقعدون فيه عن القتل لكونه محرما فإذا جاء شعبان تشعبوا للغارات، والجران مقدم عنق البعير من مذبحه، إلى منحره وإنما يضرب بجرانه إذا أراد طول المكث.

(٦) تشعب الماء تفجر.

(٧) الصكاك جمع صك وهو كتاب فيه الأرزاق ونحوها.

(٨) الاجتراح الاكتساب.

(٩) تلفح تصيب بسرعة.

(١٠) الفصل الفاصل بين الحق والباطل.

إلا أحصاها، وديانا لا يدع ظلامة إلا ردها واستقصاها[1]؛ فرحم الله امرأ ذا شيبة عرف حقها فأكرمها، وذا شبيبة استحسن خلقها فرحمها، وذا بصيرة خبر مادة دائه فحسمها، وذا سريرة أصلح فسادها فأحكمها[2]. قبل أن ينبخ بكم الموت نياقه، ويضرب عليكم رواقه[3]. ويمر لكم مذاقه، ويرهقكم سياقه[4]. ويوردكم موارد قوم سلفوا. ومن أموالهم وديارهم وأولادهم اختطفوا، فهم في منازل الهلكى نازلون، وعلى ما قدموا من العمل حاصلون. قد فصل وصال الثرى أوصالهم، وغيرت غير البلى أحوالهم، وغدًا يصير المختلفون عنهم أمثالهم، فما لهم لا يعتبرون بهم مآلهم. جعلنا الله وإياكم ممن أطرح اللهو جانبًا، وأتخذ الجد صاحبًا وكان لهواه غالبًا، ولمولاه مراقبا. إن خير ما نطقت به فصاح الألسن، ووعاه قلب كل مؤمن. كلام الإله المحسن، وتقرأ أول سورة الدخان إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

خطبة يذكر فيها وداع شعبان

الحمد لله الذي لم تخل منه غاية فيحاز، ولم تنأ عنه نهاية فيجاز[5]. ولم يجانس الجواهر فتشاكله، ولم يمازج الأعراض فتداخله[6]. بل هو مالئ الأشياء من غير حلول، والمطلع عليها بغير أفول[7]. والمحيط بقاصيها ودانيها بتحصيل، والدائم بلا زوال ولا تحويل. أحمده وهو ولي الحمد، وأقر بربوبيته إقرار العبد.

وأشهد له بما شهد به لنفسه، والملائكة المسبحة بقدسه[8] حيث يقول: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وأشهد أن محمدًا عبده المختار من الخلائق، وأمينه المكاشف بغيوب الحقائق، ورسوله المبعوث بأحمد المذاهب

---

(١) يغادر يترك، والديان المجازي وهو من الدين بمعنى الجزاء.

(٢) الحسم القطع.

(٣) النياق جمع ناقة، والرواق سقف مقدم البيت والفسطاط ومد الليل رواقه أي ظلمته.

(٤) يرهقكم يفنيكم، وسياق الموت أوائله لأنها تسوق المرء إلى الموت.

(٥) يحاز من الحوز، ويجاز من الجواز أي ليس له مكان فيحتوى عليه ولم يبعد عليه مكان حتى يجوه المار إليه لأن كل ذلك من صفات الأجسام.

(٦) جانس الشيء إذا كان من جنسه.

(٧) الأفول الغيبة والمعنى أنه يطلع على الشيء من غير أن يغيب عن غيره.

(٨) القدس الطهارة والمراد به التنزه عن صفات الحوادث.

والطرائق، إلى أهل اللسن والشقاشق، والإلحاد في أسماء الخالق[١]. وهَدّ الله به من الكفر كل شاهق، واستأصل بسيفه شأفة كل فاسق[٢]. وأمكنه من ناصية كل منافق، حتى اتسق الحق في المغارب والمشارق، وزهق الباطل أبعده الله من زاهق[٣]. صلى الله عليه وعلى آله ما لاح وميض بارق، ونضنض لسان بنطق ناطق[٤]. وسلم تسليما.

أيها الناس: ليس الأسف كل الأسف على فوت ما إدراكه فوت، ولا اللهف كل اللهف على فقد حياة آخرها الموت، ولكن الحزن الطويل، والحسرة التي لا تزول عند التخلف إذا برز السابقون، والإبعاد إذا قرب الصادقون، والتعب إذا استراح العاملون، والخمول إذا نبه الخاملون[٥]. يا لها حسرة لا يغب كمدها، ومصيبة لا ينتهي أمدها[٦].

هذا عباد الله شعبان قد لج به محاقه، وأظلكم عما قليل فراقه[٧]. راحلا بأعمالكم إلى ربه، شاهدًا على كل امرئ بكسبه.

فيا نضارة وجوه العاملين، عند توفية أجورهم، ويا حرارة قلوب الغافلين، عند معاينة تقصيرهم[٨]. فاستنهضوا رحمكم الله العزمات على عز الأبد، واغتنموا التشمير في فسحة المدد، قبل هجوم ما هو لكم بالرصد، من الموت الذي لا يبقي منكم على أحد، فكأن قد ثوب بكم داعيه، وقام فيكم مناديه[٩]. فانتزع الأرواح من أجسادها، وأسكنها ظلم ألحادها، وفرق بين الآباء وأولادها، ولم يغن عنها كثرة بكائها وتعدادها، بل شغلت بطول وحشتها وانفرادها، واستسلمت لضيمها واضطهادها[١٠].

---

(١) اللسن الفصاحة، والشقاشق: جمع شقشقة وهي هدير الفحل، والإلحاد الميل والزيغ عن الحق.

(٢) أستأصل الشيء أخذه من أصله ولم يبق منه بقية، وشأفة الشيء أصله وما يتعلق به.

(٣) زهق الباطل ذهب بالكلية وزهقت نفسه خرجت.

(٤) البارق السحاب ذو البرق أو هو البرق وومض البرق لمع، ونضنض لسان تحرك.

(٥) نبه صار نبيها أي عالي القدر مشهور الذكر والخامل ضد النبيه.

(٦) غب عن القوم يغب من باب نصر غبا بالكسر إذا أتاهم يوما وترك يوما.

(٧) محاق الشهر تضاؤل القمر في آخره.

(٨) نضارة الوجوه حسنها ونعمتها.

(٩) ثوب ردد النداء.

(١٠) ضامه ضيما مثل ضاره ضيرا وزنًا ومعنى، ومعنى ضاره أضر به، وضهده واضطهده آذاه وقهره.

وآذنت بتلاشيها وإنفادها، إلى يوم مرجعها ومعادها.

فرحم الله امرأ فكر في العواقب، واعتبر بالتجارب. قبل أن تكون العبرة فيه لا له، كما عاين من قبله أمثاله.

جعلنا الله وإياكم ممن خصته عنايته وشملته رحمته وكفايته، فأبصر بنوره، ما أظلم عليه من أموره.

إن أحسن النثر وأتقنه، وأنور النظم وأبينه[1]. كلام من خلق كل شيء فأحسنه، وتقرأ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها دخول شهر رمضان

الحمد لله المبيد الوارث، المعيد الباعث. الذي قهر بالفناء ما دونه، وعلم من الغيب مكنونه[2]. وأنجز من الوعد مضمونه، واختار من خلقه محمدًا أمينه، وجعل الحنيفية شريعته ودينه. أحمده وهو بالحمد جدير، وأستنصره وهو نعم المولى ونعم النصير[3].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة سالمة العاقبة، قائمة بحقوق الله الواجبة. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بأسد الطرائق والمذاهب، واختاره من صفوة النجباء والنجائب[4]. وابتعثه من أطهر المنابت والمناصب، وأحله من صميم العرب في أعلى الذوائب[5]. من شجرة مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، صلى الله عليه وعلى آله الأطهرين الأطايب. ما وخدت قلوص براكب، ودار فلك المشارق والمغارب[6]. وسلم تسليما.

---

(١) النظم الكلام المنتظم المتناسق وليس هنا مقابلا للنثر.

(٢) المكنون المستور المصون.

(٣) جدير حقيق وحرى، وأستنصره أطلب نصره.

(٤) والنجباء جمع نجيب والنجائب جمع نجيبة.

(٥) ابتعثه بعثه وأرسله، والمناصب جمع منصب وهو الأصل والمحتد، والذوائب جمع ذؤابة وهي في الأصل الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة فإن كانت ملوية فهي عقيصة واستعيرت لأعالي الناس هنا، وصميم العرب نخبتهم.

(٦) القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلص بضمتين وقلائص وجمع القُلص قلاص، ووخدت أسرعت.

أيها الناس: اقتحموا حلبة السباق إلى الفوز الأكبر، واغتنموا صحبة الرفاق في الشهر الأزهر[١]. وتسببوا لادخار الزاد في العمر الأقصر، وتأهبوا للمعاد إلى يوم المحشر. فقد عمتكم رحمكم الله من شهر رمضان النعمة السابغة، ولزمتكم من الله الحجة البالغة[٢]. ألا وإنه شهر جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام[٣]. وأشرف قواعد الإسلام، المشرقة بنور الصيام والقيام، أنزل الله فيه كتابه، وفتح فيه للسائلين أبوابه. فلا دعاء فيه إلا مسموع، ولا عمل إلا مرفوع.

ولا خير إلا مجموع، ولا ضير إلا مدفوع. الظافر الميمون من اغتنم أوقاته، والخاسر المغبون من أهمله ففاته؛ فيا أيها العامل هذا أوان ازديادك واستمتاعك، ويا أيها الغافل هذا شهر تيقظك وإقلاعك[٤]. شهر فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر. ما سأل الله فيها سائل إلا أعطاه، ولا استجار به مستجير إلا أعزه وكفاه؛ ولا أناب إليه منيب إلا قبله واجتباه، ولا تعرض لمعروفه طالب إلا جاد عليه وحباه، ولا استقاله مستقيل إلا اقاله، ولا لجأ إليه لاجئ إلا أجاره وأصلح باله[٥]. فالغنيمة الغنيمة أيها المشمرون، والعزيمة العزيمة أيها المقصرون في شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه مطهرة من نجس الآثام[٦]. ومرده جنة مغلولة، والرحمة فيه من الله لملتمسها مبذولة، وحبال التوبة بالقبول موصولة، وساعاته بالمغفرة مأهولة[٧]. قبل أن تستوعبوا شهركم فتنفقوه، وتطلبوه فلا تلحقوه[٨].

---

(١) الاقتحام الدخول في الشيء بدون روية، والحلبة مجال الخيل للسباق وتطلق على الخيل تأتي من كل أوب.

(٢) السابغة التامة الواسعة والحجة البالغة هي التامة التي بلغت النهاية.

(٣) النظام في الأصل مصدر نظم اللؤلؤ إذا جمعه في السلك ثم نقل إلى الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ثم نقل إلى العقد وإن شئت قلت هو مصدر أتى بمعنى المفعول كالكتاب بمعنى المكتوب وواسطة العقد الجوهر الذي في وسطه وهو أجودها.

(٤) استمتع بالشيء وتمتع به انتفع به ومتعه الله بكذا أطال انتفاعه به والإقلاع عن الشيء تركه والكف عنه.

(٥) المستقيل الذي يطلب الإقالة وهي الصفح عن الزلة.

(٦) مطهرة يجوز أن يكون اسم فاعل ويجوز أن يكون اسم مفعول.

(٧) مأهولة معمورة بأهلها.

(٨) استوعب الشيء أتى عليه بأسره.

فلو عاينتم سرعة مسير آجالكم، لباينتم خدعة غرور آمالكم[١]. ولو كشفت لكم حقيقة مآلكم، لكان الاستعداد له جل أشغالكم[٢]. فالله الله عباد الله أن تمحقوا أوقات شهركم بالتسويف، أو تركنوا من أعمالكم إلى البخس والتطفيف[٣]. فتردوا المعاد بغير زاد، وتندموا على قلة الزرع عند معاينة الحصاد، وتؤولوا إلى شر مآل من الاعتذار ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ أنهضنا الله وإياكم بأداء النوافل والفرائض، وسلم قلوبنا وقلوبكم من الشك المعارض، ووفقنا وإياكم للعمل بما يرضاه، وخار لنا ولكم فيما قدره وقضاه إن أحسن ما أفصحت به الألسن الناطقات، وأبين ما انشرحت به الصدور المطبقات، كلام من لا تغيره الآناء والأوقات وتقرأ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها شهر رمضان وفضله

الحمد لله الذي أقر في القلوب معرفته فاطمأنت بذكره، وأسبغ على الخلائق نعمته فارتهنت بشكره[٤]. وأمر السموات والأرضين فاستجبن لأمره، ولم يؤده حفظ ما ذرأ في بره وبحره[٥]. أحمده على نعمه الفرادى والتؤام، ومننه المجللة الجسام[٦]. حمدًا يكون لمواد قسمه مارياً، ولعوام كرمه متقاضيًا[٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبرئ سقم القلوب، وكلمة تضوئ ظلم الذنوب[٨]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بكتاب منير، مهيمن على التوراة والإنجيل والزبور[٩]. شرح به مبهمات الصدور، وأوضح به مشكلات

---

(١) باينتم فارقتم والخدعة الخديعة وهو بالفتح والضم والفتح أفصح .

(٢) جل الشيء معظمه.

(٣) التسويف التأخير وهو مأخوذ من سوف أفعل، والبخس والتطفيف النقصان.

(٤) ارتهنت احتبست أي قيدت بوجوب شكره.

(٥) يؤوده يثقله، وذرأ خلق.

(٦) الفرادى جمع فرد وهو شاذ في القياس والتؤام بوزن حطام جمع توأم يقال لكل من الولدين المولودين في بطن هذا توأم هذا، والجسام جمع جسيم.

(٧) الماري المستخرج من مريت الضرع إذا استخرجت لبنه، والعوام جمع عامة وهو الشامل المتسع.

(٨) تضوئ تكشف

(٩) مهيمن شاهد أمين.

الأمور. فدعا إلى الله بالترغيب والتحذير، ونهى عن التخلف والتقصير. وشمر في طاعة ربه أي تشمير صلى الله عليه وعلى آله ما سمر ابنا سمير، وأبن حراء مناوح ثبير[١]؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: تأهبوا للرحيل فقد وقع بكم الإزعاج، وعالجوا أدواءكم فقد أمكنكم العلاج، هذا سيد الشهور، الفاتح لأغلاق الصدور[٢]. المنقذ من ورطات الثبور، والمخصوص بليلة كل أمر مقدور[٣]. اختارها الله على ألف شهر. وجعلها سلامًا إلى مطلع الفجر، ما أدركها داع ذو إنابة، إلا ظفر بتعجيل الإجابة.

فأين النظر بعين الاعتبار، وأين التدبر بحقائق الاستبصار. وأين التفكر في تصاريف الليل والنهار، أنسيتم قول عالم الأسرار ﴿ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾.

فيا أيها المغرور بطول أمله، الغافل عن حلول أجله، هذا أوان جدك واجتهادك، وتزودك ليوم معادك في أيام لعل مثلها لا يؤول إليك حتى يعاجلك الممات، وفي شهر لعل نظيره لا يحول عليك إلا وأنت رفات[٤].

فرحم الله امرأ أيقظ قلبه من سنة هواه، واختار لنفسه ما يحمده من سواه. قبل أن تترامى به الأقدار، ويحل به الحذار. وتوحش منه الديار، ولا يسمع منه الاعتذار. قبل أن يصير مستقبل أمله ماضيًا. ومشيد أجله واهيًا[٥]. وجديد جسده خلقًا باليا، ورفيع صيته منسيًا متلاشيًا أسوة من عاينه ممن مضي وسبيل من صار حديثًا فانقضى. هذه والله سبيلكم أيها المغرورون، ﴿ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾، ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

جعلنا الله وإياكم ممن لا يقتحم موردًا حتى يتحقق مصدره، وألبسنا وإياكم من

---

(١) ابنا سمير الليل والنهار وسمر تحدث في ضوء القمر، وأبن أقام، وحراء وثبير جبلان بمكة وهما مصروفان، ومناوح مقابل وتناوح الرجلان تقابلا.

(٢) أغلاق جمع غلق وهو الذي يقفل به الباب.

(٣) الورطات جمع ورطة وهي المهلكة والثبور الهلاك.

(٤) يؤول يرجع، ويحول عليه يدور عليه الحول وهو السنة، والرفات العظام البالية.

(٥) الواهي الضعيف المشرف على الانهدام.

لباس التقوى أفخره، ولا جعلنا وإياكم ممن يخالف خبره مخبره[١].

إن أحسن ما جرت به الأقلام، وأتسق به النثر والنظام؛ كلام من له المن والإنعام، ثم تقرأ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إلى آخرها.

خطبة يذكر فيها وداع شهر رمضان

الحمد لله المخوف مكره، المألوف ذكره. الكثيف ستره، العنيف زجره[٢]، الذي ضوأ قلوب الخائفين بمصابيح أنسه، وبوأ همم العارفين مقاعد العز من قدسه فهو الشاكر على ما له الشكر عليه والقادر الذي لا ملجأ منه إلا إليه. أحمده على حسن نظره، وأسلم لقضائه وقدره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رحمن الدنيا والآخرة، العزيز ذو القوة القاهرة. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله حين ضرب الكفر بجرانه، وندب الضلال إلى شيطانه[٣]. وجمح الشرك في عنانه، وتمادى الجاهل في طغيانه[٤]. واستبد لعبادة أوثانه، فأذل الله رجز شيطانها بعز سلطانه[٥]. وأنار ظُلَمَ بهتانها بنور برهانه، وأقر الحق على قواعد أركانه[٦]. صلى الله عليه وعلى آله وأعوانه، الموفين بعقد ذمته وأيمانه[٧]. صلاة يحلهم بها دار أمانه؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: ما لمن أظله الرحيل عن التزود راغبا؛ وما لمن وضح له السبيل عن المحجة ناكبًا[٨]. أخور في البصائر، أم كدر في الضمائر[٩]. أم شك فيما وقع به العيان أم

---

(١) الخبر الحديث عن الشيء والمخبر الاختبار.

(٢) الستر بالكسر الشيء الساتر وبالفتح المصدر ويتعين هنا الكسر لأنه وصفه بالكثافة وكثافة الستر كناية عن كونه حاجبا ما وراءه، والعنيف الشديد.

(٣) ضرب الكفر بجرانه مثل يضرب للشيء المتمكن واصله أن البعير يضع جرانه على الأرض عند قصد المكث والجران مقدم عنق البعير من مدبحه إلى منحره والجمع جُرن وأجرنه مثل حمار وحمر وأحمرة، وندب دعا.

(٤) تمادى في الشيء بقي فيه، والطغيان زيادة العتو.

(٥) استبد استقل وانفرد، والرجز الخبث ويكون الرجز بمعنى العذاب.

(٦) البهتان من بهته إذا جاءه بأمر يسكت لفظاعته وظهور بطلانه.

(٧) إيمانه مصدر آمنت فلانا إذا أجرته وجعلته آمنا.

(٨) السبيل يذكر ويؤنث والأكثر التأنيث، والناكب عن الشيء العادل عنه.

(٩) الخور الضعف واللين.

ترك لما صدع به القرآن[١]. أم يظن تارك الارتياد لنفسه، أنه يقدر على رد أمسه، كلا ليجدن البطالون غب البطالة، وليردن موردًا لا يجابون فيه إلى الإقالة، وليبلغن الكتاب أجله، وليلقين كل عامل منكم عمله.

هذا عباد الله شهر رمضان قد أزمع للرحيل، وأجمع على النقلة عما قليل فيا ذوي الفطن والعقول، أين أنوار خلع القبول؟ من العبرات السواكب. والزفرات الغوالب[٢]. والخطرات الثواقب، في سترات الغياهب[٣]؟. أين شواهد الامتحان؟ في نحول الأبدان. واصفرار الألوان، للجد والاجتهاد في شهر رمضان. ألا وأنه راحل لا محالة فشيعوه، وتمتعوا بما بقي من أيامه وودعوه، فما من شهر رمضان في الشهور عوض، ولا كمفترضه في غيره مفترض. شهر عمارات القلوب، وكفارات الذنوب. واغتصاص المساجد، بالازدحام والتحاشد[٤]. وهبوط الأملاك. بصكاك العتق والفكاك[٥]. ولعل كثيرًا منكم لا يدركه بعد عامه، ولا تؤخره المنون إلى استكمال تمامه.

فيا حسرة من كان في أيام شهره مفرطًا، وعن رفقة السابقين متثبطًا[٦]. لقد بان خسرانه غدًا عند أرباح العاملين، ونسخ اسمه في دواوين الغافلين.وأنى له بشهر مثل شهره، هيهات إن ساعة منه لخير له من دهره فبادروا عباد الله وأقلام العمل مطلقه، وأيام المهل مشرقه، وفي النفوس مُنَّه، وفي مدة شهر رمضان تُلنَّه[٧]. قبل أن يستوعب المحاق هلاله، ويوجب الفراق زياله[٨]. قبل أن تطلبوه فلا تجدوه، وتودوا أنكم لم تفقدوه؛ قبل ولوع الأسقام. ووقوع الأحكام؛ وهجوم الأيام، بمحتوم الحمام؛ قبل

---

(١) صدع به صرح.

(٢) العبرات الدموع والزفرات الأنفاس الصاعدة حسرة.

(٣) الخطرات جمع خطرة وهو ما يخطر في النفس، والثواقب المضيئة، والسترات بضم التاء جمع سترة، والغياهب الظلم.

(٤) التحاشد الاجتماع.

(٥) الفكاك بالفتح والكسر والفتح أفصح وهو العتق هنا.

(٦) متثبطا متأخرا.

(٧) التلنه البقية والتاء والنون أصليان ولا يأتي منه فعل، والمنة بالضم القوة.

(٨) الزيال الزوال.

عوق العوائق وبوق البوائق[١]. وقطع العلائق، لكشف الحقائق. هنالك تخرس الألسن الفصيحة؛ وتطمس الأعين الصحيحة؛ وتظهر المخبآت القبيحة، ويكثر العار والفضيحة، وتطول الرقدة في بطون الألحاد، إلى يوم المحشر والمعاد، فمن عارضه شك في هذا التعداد، فسيذكر ما أقول له ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

آجرنا الله وإياكم على المصيبة بفقد شهر البركة؛ وأجزل أقسامنا وأقسامكم من رحمته المشتركة[٢]؛ وأمتعنا وإياكم بالاجتهاد في بقيته. وسلك بنا وبكم طريق تقيته[٣]. إن أحسن الكلام الجزل، وأبين القول الفصل، وأبعد الجد من الهزل، كلام الحكم العدل. وتقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها فضل أيام العشر

الحمد لله الذي أمَّت الوجوه وجهه أينما توجهت، وعدمت البصائر شبهه كيفما شبهت[٤]. وأفحمت الفصحاء عن تحصيل صفته بكل ما تفوهت، وأحجمت العقول عن الإحاطة بكيفيته فوقفت حيث انتهت[٥]. أحمده والرابح الحامد.

وأشهد أن لا إله إلا الله هو الصمد الواحد، لا شريك له ولا ولد ولا والد. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حجة للحجج قاطعة، ومحجة إلى الفلج شارعة[٦]. ونقمة على الملحدين واقعة، ورحمة للموحدين جامعة، فدرست بكتابه الكتب، وخنست بشهابه الشهب[٧]. ونطقت بفخره العرب، وأشرقت بذكره الخطب[٨]. صلى الله عليه وعلى آله صلاة ترفع لهم بها الرتب، وتوسع لهم بها المنازل

---

(١) البوائق الشدائد وباقتهم بوقا أصابتهم.

(٢) آجرنا جعل لنا أجرا.

(٣) التقية والتقاة والتقى التقوى.

(٤) أمت قصدت.

(٥) أفحمه اسكته في خصومة أو غيرها وأفحمت الفصحاء بالبناء للمفعول: انقطعوا وسكتوا، وأحجمت تأخرت ورجعت، والمراد بالكيفية الحقيقة إذ الحق لا كيفية له بالمعنى المتعارف.

(٦) الفلج بضم الفاء الغلب والظفر وهو الاسم والمصدر بفتحها، وشارعة مؤدية وموصلة.

(٧) خنس عنه تأخر وبابه دخل والخناس الشيطان سمى به لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، والخُنَّس الكواكب كلها لأنها تخنس في المغيب أو لأنها تخفى نهارا وقيل بعضها من السيارة.

(٨) الخطب جمع خطبة وهو اسم الكلام المتضمن شرح الخطب وهو الأمر العظيم ولهذا كانوا لا =

والرحب[١]. وسلم تسليماً.

أيها الناس: إن الله وله الحمد اختار من السنة أيامًا شرفها، ومواقيت بينها لكم فعرفها جعلها الله لزللكم ممحاة، ولصالح أعمالكم منماة[٢]. دلالة على قصد السبيل إليه، وكفالة بالمزيد لمن رغب فيما لديه. فمن شكر كتب من الآمنين، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

وهذه الأيام رحمكم الله أيام العشر، المقدم بها ذو الحجة على كل شهر[٣]. ختمها الله بيوم النحر، وأتبعها بأيام النفر[٤]. وجعل فيها لأهل طاعته مشهدًا جامعًا يكون لدعائهم فيه مجيبا سامعًا، يسعى إليه وفد الله من كل فج وإقليم، ملبين دعوة أبيهم إبراهيم، عليه أفضل الصلاة والتسليم[٥]. إذ ابتلاه الله في مثل هذه العشر بذبح ولده، وأمره أن يتولى ذلك بيده. فانتهى إلى أمر ربه، وأطفأ بنور رضوانه نار قلبه. وخرج بابنه إلى حيث أمر، وأعلمه بالأمر الذي قدر؛ فاستسلما لحتم القضاء، وعزما من أمرهما على الإمضاء، حتى إذا تله للجبين، وأخذ الشفرة باليمين[٦]. فأهوى بها إلى نحره، معلنًا بحمد الله وشكره[٧]؛ والملائكة بالدعاء لهما تضج ؛ والوحش وجدًا بهما تعج[٨]. والسماء من فوقهما تثج، والأرض من تحتهما ترج[٩]. وأطلع الله من كل على صدق نيته، وقوة صبره عند بليته، فناداه أرحم الراحمين: ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، وأتاه جبريل بالفدية، فعمد إليها الخليل

=

يخطبون إلا فيه.

(١) الرحب جمع رحيب مثل رغف ورغيف.

(٢) ممحاة ومنماة مفعلة من المحو والنمو أي جعله الله سبب محو الزلل ونمو صالح العمل.

(٣) ذو الحجة من الحج وهو القصد وسمي بذلك لوقوع الحج فيه.

(٤) أيام النفر يوما الثاني عشر والثالث عشر.

(٥) الوفد في الأصل مصدر وسمي به الواردون، والفج الطريق، والإقليم الموضع الجامع لبلدان كثيرة كالعراق.

(٦) تله: أضجعه، والجبين ما عن يمين الجبهة ويسارها، والشفرة السكين.

(٧) النحر: اللبّة.

(٨) عج صوت مرة بعد أخرى ومضارعه يعج بالكسر.

(٩) ثج الماء سال ومطر ثجاج منصب جدًا وبابه رد، ورجه حركه وزلزله.

بالمدية، فنحرها قربانا، وجهر باسم الله والتكبير عليها إعلانا، فأبقاها الله في عقبه سنة أكمل بها عليكم المنة. فعظموا عباد الله ما عظم الله منحُرمة هذه الايام. باجتناب المحارم والآثام. وليقدم النيَّة في الأضحيّة من كان لها واجدا. ولا يُغفل التزود من كان الى الآخرة وافدا. وفروا إلى الله جميعًا من مصائد الذنوب. وعظموا شعائر الله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [١]. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه عنا، ومَنَّ علينا وعليكم بقبول اليسير منا، ولا أخلانا وإياكم من حسن نظره حيث ما كنا، إن أحسن ما أخذ به الآخذون، وأنفع ما لاذ به اللائذون، كلام من نحن له عابدون [٢]، وتقرأ: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ الآية.

خطبة أخرى

يذكر فيها أيام العشر وفضل يوم عرفة

الحمد لله مشرف الأيام بعضها على بعض، ومصرف الأحكام بالإبرام والنقض. ومكلف الأنام بالقيام بأداء الفرض، ومؤلف الأجسام باعتدال الطول والعرض الذي لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة، ولم تفده حقيقة الأنباء دلالة، ولم تجر بماهيته مقالة، ولا لربوبيته تغير ولا إزالة. أحمده على استخلاصنا لإيداع ذكره، واختصاصنا بإيزاع شكره [٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أبصر اليقين بعين البصيرة، فآثر سلوك محجته المنيرة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله عند انتشار الفساد، في أقطار البلاد، واستعار العنا، في أفكار العباد [٤]، فأبرم من الإيمان سحيله. وأوضح من البرهان سبيله، وأرغم حزب الشيطان وجيله [٥]، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يشرف بها مقيله. كما شرف وكرم إبراهيم خليله، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن التشمير بالإدراك ضمين، كما أن التقصير بالهلاك قمين. فشمروا رحمكم الله لاغتنام الأجر، في بقية أيام العشر، فإنها الأيام المعلومات،

---

(١) الشعائر جمع شعيرة وهي كل موضع جعل معلما للنسك وقد تكون بمعنى النسك.

(٢) في نسخة من نحن به عائذون.

(٣) إيزاع الشكر الهامه.

(٤) استعار مصدر استعرت النار إذا التهبت، والعناد المبالغة في الإعراض ومخالفة الحق.

(٥) أبرمت الحبل احكمت فتله وهو حبل مبرم، والسحيل الخيط يفتل فتلا، والجيل القبيل.

الممحصات المعظمات[١]. وفي غد يجتمع إخوانكم بعرفات، ويرتفع الدعاء بضجة الأصوات[٢]. ويطلع الله من فوق سبع سموات لتفريق الجوائز والصلات[٣].

يباهي بجمعهم الملائكة المقربين، ويجلل رحمته كافة الحاضرين. فيقول: ملائكتي أما ترون عبادي قد فارقوا خفض المعاش، وأَمُّوني من بين راكب وماش[٤]. يحنون إلي حنين الطير إلى أوكارها، ويفدون علي من فجاج الأرض وأقطارها[٥]. أنضاء على الأنضاء، خواضا لجج الرمضاء[٦]؛ قد ملأوا البلاد تكبيرًا وتهليلا، واتخذوا الإخلاص بالوحدانية إلي سبيلا، يضجون بالتلبية لبيك اللهم لبيك، ها نحن عبيدك الوافدون عليك[٧]؛ الراغبون فيما لديك، الهاربون منك إليك، أشهدكم لأمهدن لهم الضيافة، ولأحسنن على مخلفيهم الخلافة. ولأعظمن عليهم المنه، ولاجعلن قراهم الجنة[٨]. وكفى بالله منيلا للعباد، وكفيلا بإنجاز الميعاد، وإذ أبعدكم التعليل عن شرف ذلك المقام، وأقعدكم التأميل من عام إلى عام[٩]. فطهروا السرائر من دنس التبعات، وأعمروا الضمائر بذكر يوم الحسرات.

وانتشروا غدًا في بقاع الأرض ويفاع الفلوات، وأكثروا استغفار عالم الخفيات[١٠]. يشملكم ببركات تلك الدعوات، وبرزوا كما برز أولياؤه السابقون،

---

(١) الممحصات المطهرات من محصت النار الذهب أزالت عنه ما يشوبه .

(٢) عرفات موضع واحد سمي بالجمع وهو علم والتنوين فيها ليس تنوين الصرف وإنما هو تنوين يقابل النون في نحو مسلمون .

(٣) الجوائز جمع جائزة وأصله ما يعطيه الممدوح على الشعر ونحوه. والصلة البر على غير جهة التعويض.

(٤) المعاش العيش وخفضه لينه وطيبه. وأموني قصدوني .

(٥) الأوكار جمع وكر بفتح الواو بيت الطائر في الجبل ونحوه والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٦) الأنضاء جمع نضو وهو المهزول من السير ونحوه والمعنى مهزولون على جمال مهزولة من السير. والرمضاء الأرض الحارة من شدة وقع الشمس.

(٧) لبيك إقامة على طاعتك بعد إقامة أو إجابة بعد إجابة وأصله من ألب بالمكان إذا أقام به .

(٨) أعظم المنة أجزلها. والقري الضيافة.

(٩) التعليل مصدر عللته إذا أخرته بعلة .

(١٠) اليفاع ما ارتفع من الأرض .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١).

---

(١) سمى سبحانه عدم معرفة الإنسان إياه نسيانا لكثرة الدلائل عليه:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ورتب عليها نسيان النفس إشارة إلى أن من عرف نفسه عرف ربه. وقد استدل بهذه الآية من يقول بالاستعداد والمراد بذلك أن الله سبحان تعلق علمه في الأزل بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر ثم أوجدها على حسب ذلك قالوا وبهذا يتضح معنى قوله سبحانه: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ فلو قال شقي كيف أؤاخذ وقد تعلق العلم الأزلي بشقائي قيل له إن العلم تابع للمعلوم فما تعلق العلم إلا بما أنت عليه وما أفاض عليك في الوجود إلا ما اقتضاه قبولك واستعدادك وليس المراد بكون العلم تابعا للمعلوم أنه متأخر عنه بل المراد أنه إذا تصور تعلق العلم بتصور المعلوم أولا وأنه على صفة خاصة ثم يتصور تعلق العلم به ومعنى استعداد الشيء لأمر ما كون ذلك الأمر لازما لذلك الشيء لا ينفك عنه كالزوجية للأربعة فإنها ملازمة لها في الذهن ولا تكون في الخارج إلا كذلك.

وقد أورد على هذه المسألة اعتراضات شتى وأجابوا عنها ولا يتسع المقام لإ يراد ذلك وإنما نذكر شيئا من عبارات القائلين بها ومنها يستنتج بعض الاعتراضات مع الجواب عنها.

قال حجة الإسلام في المقصد الأسنى بعد أن فسر الرحمة وذكر استشكال بعض الناس لوقوع البلايا والمحن : إن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا بل كان خيرا والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة .

وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير لو رفع لذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنها الخير الجزيل وهو سلامة البدن ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن و لكان الشر أعظم. وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير لكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد قصد قطع اليد لأجله فكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولا والقطع مطلوبا لغيره ثانيا فهما داخلان تحت الإرادة لكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره والمراد لذاته قبل المراد لغيره ولذا قال: «سبقت رحمتي غضبي» فغضبه إرادته للشر والشر بإرادته ورحمته إرادته للخير والخير بإرادته ولكن أراد الخير للخير نفسه وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير فالخير مقضي بالذات والشر مقضي بالعرض وكل بقدر وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلا.

فالآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنا لا في ضمن الشر فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين أما في قولك إن هذا الشر لا خير تحته فإن هذا مما تقصر العقول عن معرفته ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامة شرا محضا أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصا شرا محضا لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول لأنه في حقه شر محض ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة ولا يدري أن

=

=
التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض لا ينبغي للخير أن يهمله أو اتهم عقلك في الخاطر الثاني وهو قولك إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن فإن هذا أيضا دقيق غامض فليس كل محال وممكن مما تدرك استحالته وإمكانه بالبديهة ولا بالنظر القريب بل ربما يعرف ذلك بنظر غامض دقيق يقصر عنه الأكثرون فاتهم عقلك في هذين الطرفين ولا تشكن أصلا في أنه أرحم الراحمين فإنه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق اسم الرحيم وتحته كشف منع الشرع من إفشائه فاقنع بالإيماء ولا تطمع في الإفشاء ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله اهـــ.

وقال في جواهر القرآن في فصل الرضا بالقضاء: إن المسببات رتبت على الأسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الإمكان أحسن منها وأكمل ولو كان لكان بخلا لا جودا أو عجزا يناقض القدرة وقال في الإحياء في كتاب «التوكل» إن ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الإمكان أصلا أحين منه ولا أتم ولا أكمل وقد اعترض على هذه العبارة في حياته من ظن أن في الإمكان أبدع مما كان وأجاب عن ذلك وقال في أثناء الجواب إن للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله ومصادر أموره وليتحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وإرادته وقدرته وأن ذلك عل غاية الحكمة ونهاية الإتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا واضحا على كماله في صفات جلاله الموجبة لإجلاله اهـــ.

وقد توهم بعض الناس أنه في هذا المقال مال إلى مذهب الاعتزال فإنهم يقولون بوجوب رعاية الأصلح وقد أخطأوا من وجهين الأول أن حجة الإسلام لا يقول بأن الله سبحانه يجب عليه شيء الثاني أن المعتزلة ذهبوا إلى وجوب رعاية الأصلح في جانب كل فرد فأبلسوا أي إبلاس حين قيل لهم أي صلاح روعي فيمن جمع له بين الكفر والإفلاس.

والحجة نظر إلى العالم من حيث هو وحكم عليه بما حكم والحكم على المجموع بشيء لا يقتضي الحكم به على كل جزء من أجزائه إذا نظر إليه وحده ألا ترى أن الداخل إلى دار في غاية الإحكام ونهاية الإتقان قد يعترض في بادي الرأي على حجرة منها ظنا منه أنها لو كانت على غير تلك الصورة كانت أحسن فإذا كرر النظرة ودقق الفكرة ولاحظ الدار بتمامها رجع عن حكمه وتبين له أن ذلك الجزء معمول على الحكمة.

هذا ولنختم هذا المبحث بالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم في صحيحه لمناسبته لهذا الباب واشتماله على أسرار هي منية أولي الألباب وهو:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني
=

جعلنا الله وإياكم ممن استمع للوعظ فوعاه، وقام بحقوق ربه في جميع ما استرعاه، وعمنا وإياكم ببركة دعاء من دعاه، إن أحسن ما تضمنته السطور وانشرحت بتلاوته الصدور. كلام من لا تغالبه الأمور، وتقرأ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ الآيات.

خطب الجهاديات

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب(١). الشديد العقاب العتيد الثواب(٢) الذي جل عن الأشكال والأضراب، وتعالى عن مشاكلة الخلطاء والأصحاب(٣). وقصرت عن إدراك صفاته غايات الإسهاب، وحصرت دون تفسير ذاته عبارات ذوي الإطناب(٤). فهو الباطن المعبود بلا مواراة حجاب، والظاهر الموجود في العقول بلا ارتياب(٥). أحمده على نعمه الهنيئة العذاب.

= أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» اهـ.

ونقل عن الإمام أحمد أنه كان إذا حدث به جثا على ركبتيه.

(١) تاب الله عليه غفر له وأنقذه من المعاصي فهو تواب .

(٢) العتيد : المهيأ الحاضر .

(٣) الأشكال: جمع شكل وهو المثل . والأضراب : جمع ضرب مثل شكل وزنا ومعنى يقال : هو ضربه وضريبه أي مثله.

(٤) الإسهاب مصدر أسهب إذا كثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء وهو نادر . والإطناب : مصدر أطنب إذا بالغ في قوله. وحصرت : بكسر الصاد عيت يقال حصر في كلامه إذا لحقه العي ولم يبين مراده والمصدر الحصر بفتح الصاد ويقال أيضا حصر صدره إذا ضاق .

(٥) المواراة مصدر وارى الشيء إذا أخفاه وستره والارتياب الشك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة دائمة بلا انقضاب[١]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله انتخبه من أشرف العرب العراب، وابتعثه من أطهر أصل ونصاب[٢]. من شجرة عبد مناف بن قصي بن كلاب مبرأ من كل دنس وعاب[٣]. مطهر القول عن الخطل والكذاب، ففرق الله به جموع الأحزاب[٤]. وشد أزره بخير صحاب، صلى الله عليه وعلى آله الخيرة الأطياب[٥]، وصحابته البررة الأنجاب، صلاة تفيض عليهم بركاتها فيض السحاب[٦]، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بانقلاب وإن الآخرة قد أقبلت وأذعنت باقتراب[٧].فلا نحن لما أدبر من هذه ذوو اجتناب، ولا لما أنذر من تلك أولو ارتقاب[٨]، كأن قلوبنا من الصم الصلاب، أو كأن نفوسنا واثقة بحسن المآب[٩]. كلا بل ران عليها خبث الاكتساب، وأعمى بصائرها طول اللعاب[١٠].

فليس ينفعها قرع العتاب، ولا يردعها صدع الكتاب، ولا تمضها أذالة الأحساب[١١]. قد دخلت علينا الفتنة من كل باب، وأطمعتنا الدنيا أطماع السراب[١].

---

(١) العذاب جمع عذب مثل سهام وسهم والعذاب الطيب السائغ شربه والانقضاب الانقطاع.

(٢) العرب العراب والعرب والعاربة هم الخلص من العرب أكد من لفظه كليل أليل وربما قالوا العرب العرباء وأما العرب المستعربة بكسر الراء فهم الذين ليسوا بخلص وكذا المتعربة وتعرب فلان: طتشبه بالعرب والنصاب بالسكر والمنصب بوزن مجلس الأصل .

(٣) العاب العيب ومثله الذام والذيم.

(٤) الخطل الخطأ في الكلام أو الرأي . والكذاب بوزن كتاب الكذب وهو مصدر أيضا وإذا شددت الذال يكون مصدر كذبت تكذيبا. والأحزاب جمع حزب وهم الطائفة من الناس ثم شاع استعماله في الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام .

(٥) الأزر الظهر والقوة وآزره على الشيء أعانه عليه.

(٦) البررة جمع بار والأبرار جمع بر تقول بررت والذي بكسر الراء أبره بفتح الباء برا فأنا بار به وبر .

(٧) آذنت أعلمت. وأذعنت: انقادت وأجابت.

(٨) الإشارة في تلك للآخرة، والارتقاب الانتظار.

(٩) المراد بالصم الحجارة يقال حجر أصم إذا كان صلبا مصمتا والمصمت الذي لا جوف له والصلاب جمع صلب بضم الصاد وهو الشديد، والمآب : المرجع والمصير .

(١٠) ران الذنب على القلب رينا غطى عليه غطاء كثيفا، واللعاب : اللعب ويجوز أن يكون مصدر لاعبه ملاعبة.

(١١) صدع الكتاب تأثيره في القلوب تأثيرا بينا وأصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع =

السراب[1]. نتهارش على حطامها تهارش الكلاب، ونلبس فيها جلود الضان على قلوب الذئاب[2]، ننظر إلى المعروف نظر الخزر الغضاب، ونسكن إلى المنكر سكون الباني بالخود الكعاب[3]. وقد أظلنا من العدو سحاب ممتدة الإطناب. ودبت في ديارنا منه عقارب الخراب، وعم الغلاء والبلاء بقبيح الاكتساب[4]، فما العجاب الفادح عندنا بعجاب، ولا نفوسنا تكترث بعظيم المصاب[5]. وما ذاك إلا لصول العبيد فيكم على الأرباب، وعدلكم الهجان بالصريح اللباب[6]. وانقياد الرءوس فيكم للأذناب، وارتكاب كل هواه إلى ضد الصواب[7]. شأنكم بينكم التنابز بالألقاب، واغتياب أنفذ في الأعراض من الحراب[8]. وشهد ملق أقتل من سم الحباب، وخبث فعال ينقض مبرم الأسباب، وأرواح عن الانقياد للحق صعاب[9]. فلا العالم يعمل بما علمه من حكم

=

ومضه الشيء من باب نصر وأمضه إذا أوجعه وآلمه، والإذالة : الإهانة والابتذال. والأحساب جمع حسب وهو ما يعد من الفضائل والمفاخر.

(١) السرب ما نراه نصف النهار كأنه ماء .

(٢) تهارش الكلاب : تخاصمها على الجيف وما أشبه ذلك والفقرة الثانية كالشطر الثاني في قول الشاعر :

إذا نظر الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(٣) الخزر جمع أخزر وهو الذي ينظر بطرف عينه كبرا. وبنى على المرأة دخل بها وأصله أن الرجل كان إذا تزوج بنى للعرس خباء جديدا ثم قيل : لكل داخل بأهله بأن وتعدية الخطيب له بالباء خلاف المشهور قال ابن دريد : بنى عليها وبنى بها والأول أفصح والخود بالفتح الشابة الناعمة والجمع الخود بالضم، والكعاب بالفتح الكاعب الجارية التي نهد ثدياها.

(٤) السحاب السحب و السحائب جمع سحابة وهي الغيم، والإطناب جمع طنب بضمتين وهو الحبل الذي تشد به الخيمة ونحوها.

(٥) الفادح الأمر الموجع، ولم يكترث بالشيء لم يبال به .

(٦) الهجان يكون واحدا وجمعا ومذكرا ومؤنثا وهو أيضا جمع هجين مثل كرام وكريم والهجين هو ابن الأمة إذا كان أبوه عربيا والمقرف ابن العبد إذا كانت أمه عربية والصريح الخالص واللباب الخالص أيضا وجره على أنه مضاف إليه أو صفة لما قبله، والعدل التسوية تقول عدلت كذا بكذا إذا سويته به وجعلته مثله.

(٧) الأذناب : الأتباع والسفل.

(٨) نبزه لقبه وبابه ضرب وتنابزوا لقب بعضهم بعضا، والحراب جمع حربة وهي آلة تشبه الرمح.

(٩) الشهد بالضم والفتح العسل في شمعها، والملق : التذلل والخضوع، والحباب بالضم الحية الخبيثة وبالفتح نفاخات الماء التي تعلوه وبالكسر مصدر حابه محابة إذا واده، والفعال إن

=

الكتاب، ولا يردعه ما أتقنه من السنن والآداب[١]. فأنيبوا عباد الله إلى ربكم من سوء مصارع الاغتياب، واستعدوا لهجوم قطاع الأصلاب[٢]. ومفرق الأحباب، ومسكنكم تحت أطباق التراب، ومنزلكم منازل الاغتراب بحيث تصم الأسماع عن الخطاب، ويقع الامتناع عن الجواب، وتستعتبون فلا تقدرون على الإعتاب[٣]. وتمكثون في الأرض أحقابا بعد أحقاب، ثم يصاح بكم ليوم الحساب[٤]. فتقومون سكارى من غير شراب، وتنقطع بينكم شوابك الأنساب[٥]. وتصير أعمالكم قلائد في الرقاب. إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب[٦].

جعلنا الله وإياكم ممن شمر لدار الأرغاب، واستعبر حذار الإرهاب، واستدفع بتقوى الله أليم العقاب[٧]. إن أحسن ما نسقته لهوات الخطاب، وأبين ما حققته أدوات الإعراب، كلام من توكلت عليه وإليه متاب[٨]. وتقرأ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها الجهاد والحض عليه

الحمد لله العلي عرشه، القوي بطشه، الوفي وعده السني رفده[٩]. الوحي أمره،

=
كسرت منه الفاء يكون جمع فعل مثل قداح وقدح وإن قرئ بالفتح يكون مصدر فعل فعالا مثل ذهب ذهابا ويكون الفعال بالفتح بمعنى الوصف الحسن والقبيح أيضا. والمبرم المحكم.

(١) يردعه يكفه.

(٢) أناب إلى الله تعالى تاب إليه ورجع، والأصلاب جمع صلب وهو كل ظهر له فقار والفقار جمع فقارة وهي الخرزة والفقرة بكسر الفاء لغة في الفقارة والجمع فقر وفقرات مثل سدرة وسدرات والفقرة في السجع مستعارة من الفقرة للظهر.

(٣) استعتبه فأعتبه استرضاه فأرضاه.

(٤) الأحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر .

(٥) شوابك الأنساب الأنساب المتداخلة.

(٦) القلائد جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق .

(٧) الأرغاب الترغيب واستعبر جرت عبرته وهي الدمع، واستدفع أليم العقاب طلب أن يدفع عنه.

(٨) نسق الكلام عطف بعضه على بعض، واللهوات جمع لهاة وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم وتجمع أيضا على لها ومنه قولهم اللها تفتح اللها، والأولى بضم اللام جمع لهوة بمعنى العطية والثانية بالفتح جمع لهاة، وأدوات الإعراب في الكلمات العاملة .

(٩) السني: الرفيع والسناء الرفعة. والرفد بكسر الراء العطاء والصلة وبفتحها المصدر .

المقضي شكره[١]. الذي سبح الرعد بحمده، ودحرت الفطن عن بلوغ حده[٢]. أحمده على إلهامنا حمده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه عبده الوجيه عنده[٣] وسؤله الحافظ عهده، بعثه ليصدع بحقه[٤]، وينذر جميع خلقه فشمر في تشييد الإيمان، وجاهد حزب الشيطان، وأخمد جمرات البهتان، وأذل عبدة الأوثان وأعز دين الرحمن[٥] حتى فاضت أنوار العدل، وغاضت بحار الجهل [٦] صلى الله عليه وعلى آله أهل الشرف والفضل؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الله أيه بكم فهل أنتم سامعون وندبكم إلى طاعته فهل أنتم إليها مسارعون[٧]. وزجركم عن معصيته فهل أنتم عنها راجعون، وساومكم بنفوسكم فهل لها أنتم بائعون[٨]. وجعل أثمانها جنته فهل أنتم إليها نازعون، وأنبت لكم من الحبة سبعمائة فهل أنتم لها زارعون[٩]. وأوعد من خالفة عذاب جهنم فما أنتم صانعون، وهو القائل سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الآيتين، ألا وإن الجهاد كنز وفر الله منه أقساكم، وحرز طهر الله به أجسامكم وعز أظهر الله به إسلامكم، فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، فانفروا رحمكم الله جميعًا وثبات، وشنوا على أعداكم الغارات[١٠].

---

(١) الوحي السريع وهو من الوحاء بالمد والقصر وهو السرعة .

(٢) دحره طرده وأبعده وبابه خضع والحد التحديد.

(٣) الوجيه من الوجاهة تقول وجه الرجل إذا صار ذا جاه وقدر بابه ظرف.

(٤) صدع بالأمر تكلم به جهارا، والإنذار : الإعلام والإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف .

(٥) تشييد الإيمان تقويته وإعلاء كلمته.

(٦) غاضت نضبت ونقصت .

(٧) أيه بكم ناداكم وقال لكم يأيها الناس، ندبكم إلى الطاعة دعاكم إليها .

(٨) المساومة طلب البيع.

(٩) نزع إلى أهله نزوعا اشتاق .

(١٠) نفروا إلى الشيء أسرعوا إليه ويقال للقوم النافرين لحرب أو غيرها نفير تسمية بالمصدر . ثبات جمع ثبة وهي الجماعة في تفرقة أي أسرعوا إلى الجهاد جميعا أو فرقة بعد فرقة، وشنوا الغارة: فرقوا الخيل التي تغير على العدو والغارة في الأصل اسم من أغار الفرس إغارة إذا أسرع في العدو وأغار القوم أسرعوا في السير ثم أطلقت الغارة على الخيل المغيرة.

وتمسكوا بعصم الأقدام ومعاقل الثبات، وأخلصوا في جهاد عدوكم حقائق النيات[1]. فإنه والله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، ولا قعدوا عن صون ذمارهم إلا اضمحلوا[2]. واعلموا أنه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد، كما لا يصلح السفر بغير زاد.

فقدموا مجاهدة القلوب، قبل مشاهدة الحروب، ومغالبة الأهواء، قبل محاربة الأعداء. وبادروا بإصلاح السرائر، فإنها من أنفس العدد والذخائر. وليدفع القاعدون عن المجاهدين بالدعاء، ومن لم يستطع منكم سبيلا إلى اللقاء. فاعتاضوا من حياة لا بد من فنائها، بالحياة التي لا ريب في بقائها.

وكونوا ممن أطاع الله وشمر في مرضاته، وسابقوا بالجهاد إلى تملك جناته، فإن للجنة بابا حدوده تطهير الأعمال، وتشييده إنفاق الأموال، وساحته زحف الرجال إلى الرجال، وطريقه غمغمة الأبطال[3]. ومفتاحه الثبات في معترك القتال، ومدخله من مشرعة الصوارم والنبال[4]، فأوجبوا رحمكم الله صفقة البيع الرابح، بالثمن الجزيل الراجح، من الملك المساوم المسامح. فقد ضمن لكم ذلك في نص كتابه، وبينه في محكم خطابه، حيث يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الآية جعلنا الله وإياكم ممن غلب هواه، وسارع في مرضاة مولاه وكانت الجنة منقلبه ومثواه[5].

إن أحسن القصص والكلام، وأبلغ النثر والنظام، كلام ذي الجلال والإكرام[6]،

---

(١) العصم جمع عصمة وهي ما يتمسك به ويمتنع به من غيره . والمعاقل . الحصون.

(٢) عقر الدار فناؤها ووسطها، والذمار ما لزمك حفظه من حريم وغيره.

(٣) الزحف : الدنو من العدو، والغمغمة كلام لا يبين، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع الذي تبطل معه الحيل .

(٤) المعركة والمعرك والمعترك موضع الحرب، ومشرعة الماء هي مورد الشاربة وشرعت الدواب في الماء دخلت، والصوارم السيوف القواطع.

(٥) المنقلب المكان الذي ينقلب إليه، والمثوى مكان الإقامة .

(٦) القصص بالفتح مصدر قصصت عليه الحديث إذا سردته عليه وبالكسر جمع قصة والنظام الشعر قال بعض الأدباء يجب حمل النظام هنا على الكلمات المنظومة أي المؤلفة تأليفا متناسقا والنثر على إفراد تلك الكلمات وإلا أوهم أن في القرآن شعرا لأن اسم التفضيل بعض ما يضاف إليه ولو قال وأبلغ من كل نثر ونظام لكان كلامه في نهاية الانتظام وأجاب بعضهم =

وتقرأ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ الآيتين.

خطبة يذكر فيها الجهاد ويوبخ الناس على الفرار من الزحف

الحمد لله مؤيد الصابرين بعزيز نصره، وميسر الشاكرين لحميد شكره، وموفق المختارين للقيام بأمره، وقاصم الجبارين بوبيل مكره[١]، أحمده على ما أنعم، وأسلم لأمره فيما حكم وأبرم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أيقن بها القلب، ورضيها لنفسه الرب، وأشهد أن محمدًا عبده الصادع برسالته، ورسوله المؤيد بأهل ولايته، بعثه بالدين المشهور، والكتاب المسطور، واللواء المنصور، والشرف المنشور، إلى أهل فسوق وفجور، وضلال وغرور، وأباطيل وزور فدعاهم إلى اتباع الهدى والنور، ونهاهم عن منكرات الأمور، صلى الله عليه وعلى آله منتهى الدهور، ومختلف العصور، صلاة دائمة بلا فناء ولا فتور. وسلم تسليما.

أيها الناس: شمروا للجهاد عن ساق العزم الجلي، وأقدموا على عدوكم إقدام الآتي[٢]. فإنه والله لا قرب أجل أحدكم الإقدام، ولا زاد في عمره الإحجام، وإنما هي آجال محدودة، وأنفاس معدودة، فأنفقوها في ابتغاء الخلف، ولا تمحقوها في سبيل التلف، ولا تكونوا من الذين اتخذوا الدنيا معقلا. ورضوا بالعجز والتخلف موئلا[٣]. فأسلمتهم الدنيا إلى الخذلان، وقادهم العجز إلى الهوان، فلم يحصل لهم من الدنيا ما

=

بأن المنظوم والمنثور عبارة عن جميع الكلام فكأنه قال وأبلغ جميع الكلام وهذا سائغ ألبتة على أن النثر إذا أريد به إفراد الكلمات لم يجز وصفه بالبلاغة كما قرر في فن المعاني وقد وقع مثل هذه العبارة في مواضع كثيرة من هذه الخطب .

(١) المختارين اسم مفعول وهم الذين اختارهم واللام متعلقة بموفق، والقصم كسر الشيء حتى يبين، والوبيل : الشديد.

(٢) شمر للأمر وشمر له أذياله وشمر عن ساقه كناية عن الجد فيه والاستعداد له وأصله من تشمير الإزار ونحوه تقول شمر إزاره إذا رفعه فإن الأكثر فيمن أراد أن يعمل عملا ظاهرا باهتمام أن يكف أطراف ثيابه لئلا تعوقه عن الحركة والشغل ثم استعمل في كل ما اهتم به وإن لم يشمر له حقيقة والمراد بالتشمير عن ساق العزم الحزم في العزم، والآتي السيل الذي يأتي بشدة وفي نسخة الأبي وهو الشجاع.

(٣) الموئل: الملجأ والمرجع تقول وأل إليه إذا لجأ إليه معتصما به والمعقل كالموئل وزنا ومعنى.

أملوه، وفاتهم من الآخرة ما أهملوه.

وما أقبح العجز رحمكم الله بنفوس طاهرة، وألباب حاضرة تنكل عن جهاد جثث كافرة، تشتمل على قلوب طائرة[١]، ليس لها بصائر كبصائركم، ولا تؤمل أن تصير إلى مصائركم، أو ما سمعتم الله تعالى يقول: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾.

فبأي وجوه على الله غدًا تقدمون، وبأي معاذير عنده تعتذرون، وأنتم عن سبيله ناكبون، ومن عدوه وعدوكم هاربون، وعما رغبكم فيه من الجهاد راغبون[٢]. وإلى ما نهاكم عنه موجفون، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون[٣].

فقصروا عباد الله من الدنيا آمالكم، واستصغروا في جنب ما أعد الله لكم أحوالكم. وأنفقوا في سبيله أنفسكم وأموالكم، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم[٤].

فإن الله يتولى إعزازكم وإذلالهم، ورفعكم وإخمالهم، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم[٥].

فانفروا رحمكم الله رجالا وركبانا، شيوخًا وشبانًا[٦]. مشمرين غير مقصرين، مقبلين غير مدبرين، مجدين في الطلب، غير راكنين إلى الهرب، وقدموا تزكية الأعمال، وتقوى الله في كل حال.

فوالذي بعث محمدًا بالحق رسولا، قسمًا لا تجدون له تبديلا. لئن نصرتم الله لينصرنكم، ولئن دعوتموه لينجينكم، ولئن استغثتم به ليغيثنكم، ولئن شكرتموه ليزيدنكم، ولئن كفرتموه ليعذبنكم. إنه لا يخلف الميعاد، فبادروا فقد وضح السبيل،

(١) جثث جمع جثة وهي شخص الإنسان إذا كان قاعدا و نائما فإن كان منتصبا فهو طلل والشخص يعم الكل وأكثر ما تستعمل الجثة في شخص الميت، والقلوب الطائرة عبارة عن القلوب التي لا تعي من الجبن والخوف وهي في مقابلة الألباب الحاضرة.

(٢) نكب عن الطريق عدل عنه وانحرف وبابه نصر .

(٣) موجفون مسرعون وأصل الإيجاف أعمال المطي والخيل .

(٤) لن يتركم: لن ينقصكم .

(٥) أخمله: أخفى ذكره. والمولى الناصر.

(٦) الرجال : جمع راجل وهو خلاف الفارس وركبان جمع راكب .

واستجيبوا فقد قام الدليل، وتزودوا فقد أزف الرحيل، وقولوا عند كل شديدة: حسبنا الله ونعم الوكيل.

إن أحسن المنظوم والمنثور، وأنفع ما ثبت في الصدور، كلام العزيز الغفور، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ الآية.

خطبة يذكر فيها الجهاد

الحمد لله الواحد الذي لا يتبعض من الأعداد، الدائم الذي لا يتصل بغاية ونفاد[١]، الحي الذي لا يدخل تحت الكون والفساد، البريء من الصاحبة والوالد والأولاد[٢]. أحمده على آلائه. وأعوذ به من مر قضائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في سلطانه، ولا نظير له في عظم شأنه. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله منارًا للحق، ورحمة على جميع الخلق، فسعد من آمن به واتبعه، وبعد من جحده وأنكر ما جاء معه[٣]. صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما منَّ به علينا وأنعم.

أيها الناس: إلى كم تسمعون الذكر فلا تعون، وإلى كم تقرعون بالزجر فلا تقلعون[٤]. كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ، أو كأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ[٥]. وعدوكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله، صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه، وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه.

هذه البهائم تناضل عن ذمارها، وهذه الطير تموت حمية دون أوكارها[٦]. بلا

---

(١) يتبعض يتجزأ تقول بعضت الشيء فتبعض إذا جزأته فتجزأ، ولما كان الواحد يطلق على معنيين أحدهما: مبدأ العدد، وثانيهما: ما لا نظير له وكان المراد المعنى الثاني إذ المعنى الأول لا ينافي الثاني وصف الواحد بما وصف لرفع هذا الاحتمال والنفاد مصدر نفد الشيء بالكسر إذا فني.

(٢) الفساد مصدر فسد الشيء إذا تغير، والكون مصدر كان الشيء إذا حدث، وإنما سمي هذا العالم عالم الكون والفساد لأن كل كون فيه يستلزم فسادا كما أن كل فساد فيه يستلزم كونا.

(٣) بعد بالكسر هلك فهو باعد، وأما بعد بالضم فهو ضد قرب فهو بعيد.

(٤) لا تعون لا تفهمون، وقرعت الدابة إذا ضربتها بالمقرعة وقرعت زيد بالكلام إذا زجرته وعنفته وأقلع عن الشيء كف عنه.

(٥) تمج نفذف مج الشراب من فيه رمي به.

(٦) تناضل تدافع وأصل المناضلة المغالبة في الرمى والأوكار جمع وكر بفتح الواو وهو عش الطائر.

كتاب أنزل عليها، ولا رسول أرسل إليها، وأنتم أولو العقول والأفهام، وأهل الشرائع والأحكام. تندون من عدوكم نديد الإبل، وتدرعون له مدارع العجز والفشل(١). وأنتم والله أولى بالغزو إليهم، وأحرى بالمغار عليهم(٢)؛ لأنكم أمناء الله على كتابه، والمصدقون بثوابه وعقابه، خصكم الله بالنجدة والبأس، وجعلكم خير أمة أخرجت للناس(٣).

فأين حمية الإيمان؟! وأين بصيرة الإيقان؟! وأين الإشفاق من لهب النيران؟! وأين الثقة بضمان الرحمن؟! فقد قال عز جلاله في الفرقان: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (٤) فقد اشترط عليكم التقوى والصبر، وضمن لكم المعونة والنصر. أفتتهمونه في ضمانه، أم تشكون في عدله وإحسانه.

فسابقوا رحمكم الله إلى الجهاد بقلوب نقية، ونفوس أبية. وأعمال رضية، ووجوه مضيه(٥). وخذوا بعزائم التشمير واكشفوا عن رءوسكم عار التقصير، وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم؛ ولا تركنوا إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم(٦) ﴿ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الآية فالجهاد الجهاد

---

(١) تندون: تنفرون وتتفرقون يقال : ندت الإبل إذا تفرقت خوفا وذهبت على وجوهها، والمدارع: جمع مدرعة وهي قميص المرأة وأدرع المدرعة لبسها وأدرع لبس الدرع أو المدرعة والفشل: الضعف والفتور.

(٢) إليهم متعلقة بالغزو لتضمنه معنى السير . والمغار مصدر ميمي بمعنى الإغارة.

(٣) النجدة القوة، والبأس : الشدة.

(٤) الفور في الأصل مصدر فار إذا احتد وغلى ثم استعمل بمعنى عدم التراخي نقول فعلته فورا أي بدون تراخ، والمسومون الذين يجعلون لخيلهم سيما وهي العلامة ومنه الخيل المسومة والمسومون بصيغة اسم المفعول الذين جعلوا لأنفسهم سيما.

(٥) القلوب النقية هي الطاهرة والنفوس الأبية: هي العزيزة التي تأبى الضيم، والوجوه المضية هي المسفرة المتهللة وفي نسخة المصنف وضية في موضع مضية وهي بمعناها لأنها من الوضاءة وهي الحسن والجمال وإضاءة الوجه يستلزم ذلك.

(٦) لا تركنوا لا تسكنوا يقال ركنت إليه ركونا من باب تعب إذا سكنت إليه، واعتمدت عليه وأما ركن بضم الكاف فهو بمعنى صار ركينا أي وقورا ومصدره الركانة.

أيها الموقنون، والظفر الظفر أيها الصابرون، والجنة الجنة أيها الراغبون، والنار النار أيها الهاربون.

فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان، وأوسع أبواب الرضوان، وأرفع درجات الجنان وإن من ناصح الله فيه لبين منزلتين مرغوب فيهما مجمع على تفضيلهما. إما السعادة بالظفر في العاجل، وإما الفوز بالشهادة في الآجل، وأكره المنزلتين إليكم؛ أعظمها نعمة عليكم.

فانصروا الله فإن نصر الله حرز من الهلكات حريز ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

إن أحسن ما نطقت به بلغاء الخطاب، وأنور ما أضاءت به ظلماء الألباب كلام العزيز الوهاب، وتقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتين.

خطبة في ذكر الجهاد وتسكين الناس لاضطراب وقع بهم وخوف عند فتح العدو حلب في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

الحمد لله الذي ليس له نظير فيناقضه، ولا وزير فيعارضه، ولا ظهير فيراوضه ولا مشير فيفاوضه[(١)]. بل هو الله القديم المتفرد بغيب علمه؛ الحكيم الذي لا معقب لحكمه[(٢)]؛ أحمده على ما أولى وأبلى، وهو بالحمد أحق وأولى[(٣)].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو المثل الأعلى، والوجه الذي لا يهلك ولا يبلى[(٤)]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله هدى به إلى الطريقة المثلى، وعفى به سبل الجاهلية الأولى[(٥)]. فصارت كلمته العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، صلى

(١) الظهير المعين، والمراوضة: النصر وأصله من الرياضة وهي التدريب على الشيء، والمفاوضة: المشاورة.

(٢) المعقب : المتتبع المستدرك.

(٣) باله الله بخير أو شر يبلوه وأبلاه بالألف وابتلاه بمعنى امتحنه والاسم بلاء مثل سلام والبلوى والبلية مثله.

(٤) الوجه الذات وبلي الشيء بالكسر خلق وفني.

(٥) المثلي الوسطى المعتدلة وعفى له درس به وأزال.

الله عليه وعلى آله في الليل إذا يغشى، وفي النهار إذا تجلى، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الله جل ذكره وغلب أمره اختار لكم الإسلام دينا، وكان لكم بالنصر على الأعداء ضمينا، بمعاذير قدمها إليكم، ومواثيق أحكمها عليكم[١].

فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾. أفضمان الله يحقر، أم نعم الله تكفر[٢]. أم يد الله عن أعدائه تقصر، أم الوفاء بما وعد الله عليه يعسر، مالكم لا تدبرون القرآن، وتدرعون الإيمان[٣]؛ وتجاهدون في الله حق جهاده وتحادون من حاده من عباده[٤]. أتظنون أنه يخذلكم وأنتم له ناصرون؟، أم تتوهمون أنه يسلمكم وأنتم في سبيله صابرون؟[٥]. كلا إنه لا تجوزه ظلامة، ولا تعزب عنه قلامة [٦]. ولا يهتك من استتر بعزه، ولا يهلك من اعتصم بحرزه، فالبسوا رحمكم الله للجهاد سرابيل الصادقين، وادرعوا مدارع الواثقين[٧]. الذين تجلببوا دلاص اليقين، واستجنوا جنن الدين، فكان الله معهم في كل حين[٨]. معينًا لهم في كل معترك كفيلا لهم بضمان الدرك[٩].

واحذروا الثقة بغير الله فإنها تورث الفشل، وتقذف في القلوب الوجل، وانصروا

---

(١) المعازير الأعذار وهو جمع لا واحد له من لفظه، والمواثيق : العهود.

(٢) يخفر: يبطل وينقض، يقال أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرت الرجل إذا أجرته.

(٣) تدبرون القرآن تتدبرون وتتفكرون فيه، وتدرعون الإيمان : تجعلونه درعا لكم .

(٤) تحادون: تمانعون وتغالبون، وحاد الله امتنع من قبول أمره.

(٥) أسلمه: خذله وتركه.

(٦) الظلامة: بالضم اسم لما تطلبه عند المظالم وتسمى أيضا المظلمة بفتح الميم وكسر اللام والمراد بعدم جوازها عدم ذهابها وإضاعتها، والقلامة في الأصل ما يسقط من القلم والظفر وهذا البناء أكثر ما يستعمل في الأشياء المنفية كالبرادة والنحانة والنحالة ولا يعزب عنه لا يغيب عنه.

(٧) السرابيل جمع سربال وهو القميص ويطلق على الدرع مجازا.

(٨) تجلببوا لبسوا الجلابيب والجلباب في الأصل الملحفة، والدلاص بالكسر الدروع البراقة الواحد والجمع بلفظ واحد يقال درع دلاص ودروع دلاص. والجن جمع جنة وهي ما استترت به من سلاح واستجن بجنة استتر بها.

(٩) الدرك التبعة وضمان الدرك أن يقول الضامن ما لحقك من درك فعلي خلاصه.

دينًا أكرمكم الله به من قبل أن تخلقوا، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ولا يهولنكم عدو الله ولو طبقت الغبراء جنوده، وشرقت الفضاء بنوده(١).

فإن الغالب الظافر من ثبته الله وكان معه، والهارب الدامر من شتته الله وقمعه(٢). وقوموا لله من جهاده بأداء الفرض، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض، فاستشعروا عباد الله الثبات في مختطف الأرواح، ومختلف الرماح(٣). عند هيقعة الصوارم، وشغشغة اللهاذم(٤). وهينمة الغماغم، وزمزمة الهماهم(٥). وافتضاض الغلاصم، عند ارفضاض الجماجم(٦). وكرات الخيل، في هبوات كالليل(٧). ولمع البواتر في نقع كالدياجر(٨) واعتناق القساطل عند اصطفاق الجحافل(٩). هنالك يشتري الله من المؤمنين أنفسهم بأوفر الأثمان، وتفتح للصابرين

---

(١) طبقت الغبراء جنوده غطت الأرض جيوشه، وشرقت ملأت وأصله من الشرق بفتحتين بمعنى انسداد الحلق بالماء تقول شرق بريقه ثم استعمل بمعنى الامتلاء تقول شرق بهم الوادي كما تقول غص إلا أن المشهور تعديته بالهمزة يقال: أشرقت فلانا بريقه والخطيب عداه بالتضعيف، والبنود: الأعلام .

(٢) الدامر الهالك يقال: دمر يدمر دمارا بمعنى هلك وبابه دخل ويعدى بالتضعيف فيقال: دمره الله ودمر عليه والدامر أيضا الداخل بغير إذن يقال: دمر فلان على القوم دمورا إذا هجم عليهم بغير استئذان.

(٣) مختطف الأرواح موضع اختطافها، ومختلف الرماح موضع اختلافها واختلافها مجيئها من جهات مختلفة .

(٤) الهيقعة حكاية أصوات السيوف عند وقعها، والشغشغة: تصويت الرماح عند الطعن واللهاذم جمع لهذم وهو القاطع من الأسنة .

(٥) الهينمة الحديث على هدوء وسكون، والغماغم الأصوات المختلفة، والزمزمة صوت خفي يشابه صوت الزنبور وسميت قراءة المجوس زمزمة من هذا، والهماهم جمع همهمة وهي ترديد الصوت وهمهم الأسد إذا ردد زئيره.

(٦) الغلاصم جمع غلصمة وهي طرف الحلقوم وافتضاضها هتكها وقطعها والارفضاض التفرق، والجماجم جمع جمجمة وهي جماع عظام الرأس التي تحوي الدماغ.

(٧) الهبوات جمع هبوة وهي الغبار المرتفع.

(٨) البواتر جمع باتر وهو السيف القاطع والنقع الغبار والدياجر جمع ديجور وهو شدة الظلمة والقياس دياجير .

(٩) القساطل جمع قسطل وهو ما انعقد على الجيش من غبار الحوافر عند مصادمة الخيل . والجحافل جمع جحفل وهو الجيش العظيم واصطفاق الجيوش تصادمها.

أبواب الجنان، وتبرز مخبآت الحور الحسان، بأيديهن كتب الأمان من العزيز الرحمن، لمن وفى بالعهد والضمان، فمن شمر وأخلص نال رتب الأبرار، ومن أدبر ونكص آل بالعار إلى النار، خالدًا في دار البوار، وما للظالمين من أنصار.

جعلنا الله وإياكم ممن لا يرغب بنفسه عن طاعة ربه، ولا يصر على صغيرة ولا كبيرة من ذنبه، وأسعدنا وإياكم بجواره وقربه، وأدخلنا وإياكم في أوليائه وحزبه، إن أشرق النور المضي، وأصدق الحديث المرضي، وأرغم القول للشيطان الغوي، كلام ذي العزة القوي[١]. وتقرأ ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ الآيتين.

خطبة أخرى يذكر فيها فضل الجهاد
(ويسكن الناس عند ورود الخبر بفتح حلب)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط، وكاشف الضر من بعد القنوط[٢]. الذي من استنصره أمن غلبات الرجال، ومن استغفره سلم من موبقات الأعمال[٣]. ومن اعتصم به آل إلى خير مآل، ومن أخلص له كان عونه في كل حال، أحمده على ما يسوء ويسر، وأعلم أنه هو الذي ينفع ويضر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الذي لا يغلب ولا يذل، والدائم الذي كل ما دونه زائل مضمحل[٤]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله نقله في أطهر الأصلاب والأرحام، مبرأ من كل عاب وذام[٥]. حتى شد به أطناب الإسلام، وهد به أحزاب الأصنام[٦]. فأصبح الإيمان فاشيًا بأقياله، والبهتان متلاشيًا بصاليه[٧].

---

(١) أرغم اسم تفضيل من الإرغام وهو الإذلال وكان حقه أن يقول وأشد القول إرغاما للشيطان الغوي لما تقرر في فن الصرف من أن اسم التفضيل من غير الثلاثي يتوصل إليه بلفظ أشد وما أشد وما أشبهه وقس على ذلك أشرق فإنه من الإشراق وهو الإضاءة ولا يصح جعله من شرقت الشمس لأن معناه طلعت .

(٢) القنوط: اليأس.

(٣) الموبقات: المهلكات.

(٤) المضمحل: الزائل شيئا فشيئا إلى أن يفنى.

(٥) العاب والعيب والذام والذيم بمعنى واحد.

(٦) في نسخة جد بدل هد ومعناه قطع.

(٧) الصيال والصول مصدر صال، والمتلاشي اسم فاعل من تلاشى الشيء إذا فني وهي كلمة مولدة مأخوذة من لا شيء .

صلى الله عليه وعلى أهله وآله وخصهم بنوافل إحسانه وإفضاله.

أيها الناس: إن الجهاد باب الجنة الأعظم وطريقها الأقوم، من سلكه أمن المهالك، ومن أدركه قطن الممالك، ومن شمر له كفي الفاقرة، ومن أهمله خسر الدنيا والآخرة[١]. فخسران دنياه الذل والعار، وخسران أخراه الخزي والنار.

فاتقوا الله عباد الله وزموا شوارد القلوب بعصم الإخلاص، واحتموا مصائد الذنوب بذكر يوم القصاص[٢]. ولا تنكلوا عن الجهاد طلبًا لطول التعمير، وهربًا من الموت المقدور[٣]. فإن الأمور تذل للمقادير، حتى تصير الآفات في التدبير، أوَمَا سمعتم الله تعالى يوبخ أقوامًا خلفهم الطمع عن منافعهم، فقال: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾، وإذا كانت الوفاة على المرء محتومة، كانت الشهادة له غنيمة؛ فلم تستجنون بالجزع، وتولون إلى الفزع[٤].وقد قذف الله في قلوب أعدائكم الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ولبس قلوبكم بمعرفته يقينًا وإيمانًا، أفما يستنكف أهل التوحيد وحملة القرآن، أن يستسلموا لأهل الجحود وعبدة الصلبان، ولو كانوا عدد النجوم والقطر، وملء البر والبحر، أليسوا جسومًا ماثلة، تتضمن قلوبا ماحلة[٥] نعق بها الشيطان فاستخفها، ووعدها فأخلفها[٦]. ولو مستها صوارم أهل الحق، ونحتها عزائم الإخلاص والصدق[٧]؛ لتهافتت تهافت الفراش المنثور، هبت به ريحا جنوب ودبور[٨].

فأحسنوا رحمكم الله الثقة بمن لم يزل بكم برا لطيفا، وقاتلوا أولياء الشيطان إن

---

(١) الفاقرة : الداهية التي تكسر الفقار: أي الظهر.

(٢) الإضافة في شوارد القلوب من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف والإضافة في مصائد الذنوب من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه أي زموا القلوب الشوارد واحتموا الذنوب التي هي كالمصائد.

(٣) نكل عن العدو وعن اليمين جبن وبابه دخل.

(٤) تستجنون تستترون وفي نسخة تستخفون، وتولون إلى الفزع وفي نسخة تألون أي: تلجئون.

(٥) ماثلة شاخصة منتصبة، وماحلة خالية من الخير والمعرفة من المحل وهو ضد الخصب والخير .

(٦) نعق بها صاح بها وجمعها كما ينعق الراعي بغنمه، واستخفها: وجدها خفيفة.

(٧) نحتها قصدتها من النحو .

(٨) تهافتت : تساقطت، والفراش بالفتح طير ضعيف يرمي بنفسه في النار والدبور الريح التي تقابل الصبا والصبا ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار .

كيد الشيطان كان ضعيفًا. وشيدوا أباني الجهاد. على أركان الاجتهاد(١). وأصلحوا ضمائر القلوب؛ فإنها من أوقى جنن الحروب وأرهبوا عدو الله بتضافر الكلمة على إرغامه؛ واستعداد العدة له عند إحجامه وإقدامه(٢)؛ فما لهوانكم وإكرامهم أوطأهم الله دياركم.

ولكن لقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾(٣). ألا وإنه من تواضع لله عظم، ومن سلم لأمره سلم، ومن تاجر بالجهاد في سبيله غنم، ومن آثر خلافه ضل وندم، فالسباق السباق أيها الأكياس، واللحاق اللحاق أيها الناس(٤).

قبل أن تستوعب منكم الأنفاس. وتتضمنكم الأرماس. فلا تهتدون إلى الرجعة سبيلا، ولا تجدون من الصرعة مقيلا(٥). واستدفعوا كل أمر مظلم بهيم، بالإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(٦). خبأنا الله وإياكم في مخابئ عوافيه، وألهمنا وإياكم الاستعداد لما لا شك فيه، وأعاننا وإياكم على إصلاح ما نعلنه ونخفيه، ورزق كل امرئ منا التعفف والرضى بما يكفيه، إن أحسن الكلام موقعًا في القلوب، وأبين النظام مدفعًا للمرهوب، كلام المتفرد بعلم الغيوب وتقرأ ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ الآيتين.

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

(وحفر الخندق حول سور ميّا فارقين وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ومن آذار سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة)

الحمد لله الكريم وجهه، والمعدوم شبهه، المألوف عفوه، المخوف سطوه، الذي لا تدركه الأبصار، ولا تملكه الأفكار، ولا تحويه الأقطار، ولا يفنيه الليل

---

(١) شيدوا : احكموا، والأباني جمع أبنية وهي جمع بناء وهي كلمة قليلة الاستعمال .

(٢) أرهبوا: خوفوا، وتضافر الكلمة إجماعها على شيء واحد وأصله من ضافرته إذا عاونته والإحجام النكول والامتناع.

(٣) لنبلونكم نختبركم واختبارهم لتقوم عليهم الحجة ويظهر للخلائق المخلص من المنافق.

(٤) الأكياس: جمع كيس بتشديد الياء وهو الذي ينظر في عواقب الأمر .

(٥) استيعاب الشيء استئصاله، والأرماس القبور.

(٦) استدفع الشيء طلب أن يدفع عنه والمدفع الدفع، والبهيم المبهم والمشكل.

والنهار، ولا يخفى عليه الإعلان والإسرار، وهو الله الواحد القهار[١]. أحمده على سبوغ النعم، وبلوغ الهمم، حمدًا يقوم بواجب شكره، ويديم جميل ستره[٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ممحصة للذنوب، مخلصة من كل مرهوب[٣]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بأوضح دليل، وأفسح سبيل، وأفصح قيل، من أرجح جيل. إلى أهل عتو وتضليل، وغلو في الأباطيل، يعكفون على التماثيل، ويصدفون عن محكم التنزيل[٤]. فخاض في طاعة ربه غمر الأهاويل، وراض بحزبه كل حزب وقبيل[٥]. حتى عرف من الإيمان كل مجهول، ودخل الناس في دين الله أي دخول. صلى الله عليه وعلى آله بالغداة والأصيل، صلاة دائمة بلا زوال ولا تحويل[٦]. وسلم تسليما.

أيها الناس: ما أقبح التقصير بعد التبصير، وأنجح التشمير عند التحذير. وأليق القبول بذوي العقول، وأشرف التنبيه بعد الخمول. فاستبشروا رحمكم الله بنعم من الله مجللة، وأياد منه متصلة، يقيكم بها الحذر، ويصفي لكم بها الكدر[٧]. ويؤمنكم بأسها كل بأس، ويكفيكم بلباسها غلبة الأرجاس[٨]. أو ما ترون نتائج التضافر على الطاعة، وترك سلوك سبل الإضاعة، كيف أدت بكم إلى إصلاح شأنكم، وتحصين معاقلكم وأوطانكم، والسباق إلى الفوائد، وما يؤذن بمحمود العوائد، والرجوع إلى الله فيما أمر، والنزوع عما نهى عنه وزجر[٩]. والتيقظ لإ يثار الحقائق في سبيله، والاقتداء في حفر الخندق بسنة رسوله، جنة واقية من المحذور، ومنه باقية على الدهور، ذلك من

---

(١) في نسخة المصنف إعلان ولا إسرار.

(٢) الستر بالكسر ما به يستتر كائنا ما كان وبالفتح مصدر ستر .

(٣) محص الذهب بالنار أخلصه مما يشوبه.

(٤) يعكفون: يقيمون وهو بضم العين وكسرها، ويصدفون: يعرضون.

(٥) غمر بضم الغين جمع : غمرة بفتحها وهي الشدة ونظير ذلك نوبة ونوب ويجوز أن تكون بفتح ثم سكون وهو في الأصل الماء الكثير ويستعار للشدة والأهاويل : جمع أهوال وهو جمع هول، ورضت المهر أروضه إذا دربته على المشي حتى يجود مشيه.

(٦) الأصيل : العشي.

(٧) يقيكم: صفة إياد ولذلك لم يجزمه ولو كان جوابا لاستبشروا لجزمه وحذف الياء منه.

(٨) الأرجاس : جمع رجس وهو في الأصل النجس والمراد به هنا الخبيث.

(٩) النزوع عن الشيء الإقلاع عنه وأما النزاع إلى الشيء فالميل إليه.

فضل الله عليكم فاشكروه، واعترفوا بنعمه ولا تكفروه، وأظهروا لأعدائكم العدة، واستقصروا من بقائكم المدة[1]. وخذوا للجهاد أهبته، والبسوا للمعاد جنته. ولا تألوا إلى معاقل الإحجام، لتمنعوا بها من نوازل الأحكام[2]. فإن الله تعالى يقول وهو أصدق قيلا. ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. فأي جنة أجن من الأجل الحصين، وأي عدة أعد من الإخلاص واليقين، وأي ركن أعطب من ركن الظالمين، وأي حزب أغلب من حزب رب العالمين.

وإن امرأ جاد بنفسه في سبيل ربه، لجدير أن يجود عليه بغفران ذنبه، فبادروا عباد الله والطرق إلى الله واضحة، والتجارة في سبيله رابحة، وحياض العمل منزعة، ورياض المهل ممرعة[3].

وفي النجاة مطمع، وفي الحياة مستمتع، قبل أن تغلق أبواب الرجاء، وتتحقق أسباب القضاء. ويحول الموت بين الأمل والآمل، ويطول الندم من المستوطن الراحل، عند حصوله في المعاد على الحاصل، وأسفه على ما ليس إليه بالواصل.

فاعملوا رحمكم الله قبل أن لا تجدوا إلى العمل سبيلا، وأمهدوا لنفوسكم في الآخرة مقيلا. فإنه والله ما بعد الدنيا دار، إلا جنة أو نار. جعلنا الله وإياكم ممن لا تحجب عنه من الله رحمة؛ ولا تغبه من نوافله نعمة[4]. ولا تدخل عليه من مخالفته وصمة. ولا تقعد به عن إرادته همة[5]. إن أحسن ما جرى به ترداد الأنفاس، واطمأنت به شوارد الحواس. ووعته قلوب الأكياس ؛ كلام خالق الجنة والناس. وتقرأ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ ﴾.

---

(١) استقصروا المدة عدوها قصيرة.

(٢) أهبة الحرب عدتها والجمع أهب والعدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح قال الأخفش ومنه قوله تعالى: ﴿ جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ ويقال: جعله ذا عدد، ولا تألوا إلى معاقل الإحجام، الإحجام ضد الإقدام والمعاقل الحصون ووأل إليه لجأ.

(٣) المترعة المملوءة، والممرعة المخصبة يقال: أمرع المكان إذا كثر مرعاه.

(٤) لا تغبه لا تنقطع عنه في وقت ما يقال أغببت الزيارة إذا لم تواصلها.

(٥) الوصمة العيب .

خطبة أخرى في ذكر الجهاد
(ويذكر فيها موافاة نفير خراسان)

وكانت موافاتهم يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وذلك لليلة بقيت من تشرين الآخر وعدتهم ثمانية آلاف فارس وراجل في أحسن ما يكون من العدة والجهازات والبنود التي كان فيها ما طوله خمسون ذراعًا في الهواء والبخت والعدد التي لم ير مثلها ونزل بعد ذلك في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو أول كانون الأول نجا فتى الأمير سيف الدولة في أربعة آلاف فارس وراجل في أعظم ما يكون من العدة وذلك على فاقة شديدة من أهل ديار بكر إلى الغوث وإشفاق وخوف من العدو خذله الله، فعملت هذه الخطبة أذكر فيها موافاة الجيوش من الشرق والغرب وأذكر نعم الله في ذلك وأحرض على الجهاد وخطبت بها في يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة.

الحمد لله الوفي بوعده الحفي بعبده[1]. الملي برفده، العلي في مجده[2]. الذي أطلع على نهاية الضعف منا، فقشع غيابة الخوف عنا، فهو ولينا وحافظنا حيثما كنا تفضلا منه على كافتنا ومنا[3].

نحمده على ما توحدنا به من لباس العافية، وأيدنا به من معونته الكافية[4].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة في صميم القلب محلها، والله أحق بها وأهلها. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بكتاب أحكمه، وصواب ألزمه، ودين أبرمه، ووعد تممه، فأعز من وافقه وأكرمه، وأذل من فارقه وأرغمه؛ حتى أوضح من الشك مظلمه، وفتح من الشرك مبهمه، وأطلع من الحق أنجمه، صلى عليه وعلى من اختاره الله بعده وقدمه؛ وسلم تسليمًا.

---

(١) الحفي المبالغ في الإكرام .

(٢) الملي بالشيء القائم به والمقتدر عليه .

(٣) الغيابة الغممة وكل ما غيب شيئا عنك، وقشع كشف وأزال، الكافة الجميع من الناس يقال : لقيتهم كافة أن كلهم كذا في المختار وقال بعض الشراح: إنما تقع في سياق النفي وهي غير مضاف فاستعمالها هنا خطأ.

(٤) توحد بالشيء تفرد به ولا يستعمل متعديا فالصواب كما في طرة نسختنا أوحدنا به تقول أوحدت فلانا بكذا إذا خصصته به .

أيها الناس: جافوا الجنوب عن وثير المهاد، وامنعوا العيون لذيذ الرقاد[١]. وشمروا في سبيل ربكم تشمير الآساد، وأبردوا بجلاد عدوكم حرارة الأكباد[٢]. فقد أوضح لكم أسباب السلامة من الإبعاد، وفتح لكم أبواب دار الكرامة بمفاتيح الجهاد.

وأزاح عللكم بتضافر إخوانكم الأنجاد، الذين أموا نصرتكم من أقطار البلاد[٣]. وأراكم من قدرته ما لم تؤملوه، وأظهر لكم من الطافة الخفية ما لم تستأهلوه[٤].

أتاكم بالغوث شرقًا وغربا، وأمدكم بجنوده رجلا وركباً؛ عصائب حفزتها إليكم غيرة الحمية، وكتائب حنتها عليكم رحم الحنيفية[٥].

جعلوا مقدماتهم صدق نياتهم. وساقاتهم طهارة طوياتهم[٦].فأتوكم شعثا من كل فج عميق غبرًا بهبوات كل نهج سحيق[٧]. على حراجيج أنقاض الدلج، وعناجيج خواض اللجج[٨] مخاطرين بغوالي المهج، متآزرين على إظهار الحجج[٩]. مستقصرين بعد السفر، مستشعرين جزيل الأجر، مباشرين لفحات حر الهجير، مساورين نفحات

---

(١) جافوا باعدوا يقال جافى جنبه عن الفراش باعده وتجافى عن الشيء تباعد عنه، والمهاد الفراش والمهاد: الفراش والمهاد: الموضع المستقيم الثابت، والوثير: اللين.

(٢) الآساد جمع أسد، وبرد الشيء من باب نصر جعله باردا وبرده أيضًا تبريدا والجلاد المجالدة وهي الضرب على الجلد وتكون بمعنى المقاواة والمغالبة من الجلد بفتح اللام.

(٣) الأنجاد الأبطال الواحد نجد وهو من النجدة بمعنى القوة، وأموا أقصدوا.

(٤) استأهل الشيء استحقه وصار له أهلا وهي كلمة مذكورة فيما يلحن فيه.

(٥) عصائب جمع عصابة وهي الجماعة يشد بعضهم بعضا وأصل التعصيب الشد وحفزتها أعجلتها واشخصتها بسرعة والكتائب جمع كتيبة وهم الفرسان يتكتبون أي ينضم بعضهم إلى بعض وحنتها عطفتها يقال فلان يحنو على فلان أي يعطف عليه ويشفق، والحنيفية دين الإسلام.

(٦) الساقات جمع ساقة وهم قوم من أقوياء العسكر يسيرون آخرهم لأجل الضعيف والمنقطع والشارد.

(٧) الشعث جمع أشعث وهو الذى تشعث شعره ولونه بالغبار ونحوه، والفج الطريق، والعميق البعيد والهبوات جمع هبوة وهي الغبار والنهج الطريق، والسحيق البعيد

(٨) حراجيج جمع حرجوج وهي الناقة الطويلة، والأنقاض جمع نقض بكسر النون وهو البعير المهزول، والدلج: جمع دلجة وهو السير أول الليل. والعناجيج جمع عنجوج وهو الجواد من الخيل.

(٩) متآزرين متعاونين من قولك آزرته أي قويته وشددت أزره أي ظهره

قر الزمهرير[١].

قد فارقوا الأهل والأوطان، وجابوا الصحاصح والقيعان[٢]، تخبط بهم الركاب سبسبًا بعد سبسب، يذهب فيه الحريت كل مذهب[٣]. ينتعل برضراضها، وينهل من حياضها[٤].

فلأيا بعد لأي ما وردوكم، وبنسائس الحشاشات رفدوكم[٥]. أنضاء الحل والترحال، بالغدو والآصال[٦]. ابتغاء وجه ذي الجلال ؛ والتماسًا للشرف الأكبر يوم المآل؛ إعذارًا من الله إليكم أيها الغافلون؛ واستظهارًا بالحجة عليكم لينظر كيف تعملون[٧].

وكل ذلك ببركة الأمير فلان ابن فلان ومواصلة اهتمامه، نرغب إلى الله في حراسته ودوام أيامه.

فقدموا رحمكم الله عقد العزائم على الجهاد، وأحسموا بإصلاح السرائر مواد الفساد. وأطيبوا زرعكم تظفروا بطيب الحصاد، وأجيبوا داعي الله فقد دلكم على المراد.

وارغبوا فيما رغب فيه مطيعوه، من شرف ثغركم هذا الذي أنتم مضيعوه، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام، ولقوله الإجلال والأعظام، فيما صح من أخباره المجمع عليها «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها»[٨].

---

(١) الهجير شدة الحر لأنه يهجر فيه السير واللفحة الإصابة وكذلك النفحة، والقر البرد.

(٢) الصحاصح القفار، والقيعان جمع قاع وهو الفلاة الواسعة الخالية من النبت.

(٣) تخبط بهم أي تعسف،والركاب الإبل الواحدة راحلة من غير لفظه،والسبسب المفازة النائية. والخريت الدليل الحاذق.

(٤) ينتعل برضراضها أي يجعل رضارض الأرض أي حصاها كالنعل، وينهل يشرب.

(٥) اللأي البطؤ وما زائدة أي وردوا إليكم بعد بطؤ شديد لبعد الشقة وزيادة المشقة والنسائس جمع نسيسة وهي بقية النفس، والحشاشات جمع حشاشة وهي بقية النفس أيضًا، ورفدوكم أعانوكم وقووكم.

(٦) أنضاء جمع نضو وهو البعير الذي أنضاه السفر وهزله، والحل النزول والترحال الرحيل.

(٧) الإعذار إقامة العذر وإزاحة العلة تقول أعذرت إليه إذا بينت العذر فيما تفعله

(٨) الهيعة الصوت المفزع والهائعة الصارخة.

فالتشمير التشمير أيها القاعدون، والنفير النفير أيها المجاهدون؛ إلى أعداء الله ورسوله، الصادين عن سبيله، مادامت كتب الأعمال مفضوضة، وأيدي الآجال عنكم مقبوضة[١]. قبل تقاذف نجوم الحياة؛ وترادف قدوم الوفاة[٢].

فيومئذ يجد باللاعبين ما كانوا به يلعبون. ﴿ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾. من الله علينا وعليكم بنصره القريب، وأدال لأهل التوحيد من عبدة الصليب[٣] ولا جعل مواصلة نعمه علينا استدراجنا، ولا أحدًا منا إلا إليه محتاجا. إن أعذب النظام تفصيلا، وأعجب الكلام تأويلا، كلام من لا تجد لسنته تحويلا. ونقرأ ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إلى آخر السورة.

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله ملبس من أطاعه أنوار القبول، ومركس من عصاه في مضال الخمول[٤] الذي خاطب بمراده أهل العقول وجعلهم الأمناء، والحكام على كل جهول. أحمده حمد من علم أن حمده فريضة.

وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له كلمة تنقه بها الأفئدة المريضة[٥]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله مصلتًا بالحسام، مخبتا في الظلام[٦]، مثبتًا للأنام مشتتًا للطغام[٧]. مشيدًا لشعار الإسلام مؤيدًا بالملائكة الكرام؛ حتى أذل عبدة الأصنام، وألف القلوب بتشذيب الهام[٨]. صلى الله عليه وعلى آله الهداة الأعلام.

---

(١) مفضوضة منشورة لم تختم بعد.

(٢) تقاذف النجوم تصادمها.

(٣) أدال لأهل التوحيد جعل الدولة والنصرة لهم.

(٤) أركسه الله في كذا رده إليه وأركس الشيء قلبه ورد أوله على آخره، ومضال جمع مضلة بفتح الميم وكسر الضاد ويجوز فتحها الموضع الذي فيه، والخمول خفاء القدر والذكر.

(٥) نقه من المرض نقها فهو نقه إذا برئ منه ولكنه في عقبه وبابه تعب ويقال نقه من باب نفع فهو ناقه.

(٦) المصلت شاهر السيف، والمخبت الخاشع لله.

(٧) المشتت المفرق، والطغام الجهال وأوغاد الناس.

(٨) التشذيب التنحية تقول شذبت الجذع إذا أزلت ما عليه من خشونة والهام أعلى الرأس وتشذيب الهام تفريق الرءوس عن الأبدان.

صلاة دائمة بدوام الأيام. وسلم تسليما.

أيها الناس: اقطعوا بتقوى الله أودية الأعمار، وارفعوا في جهاد عدو الله ألوية الأبرار. وأصدعوا بكتاب الله قلوب المنافقين والفجار، وانزعوا بأدكار المرد إلى الله عن موبقات الأوزار[١].

والتمسوا كنوز القرآن في أمثاله وقصصه، ولا تظلعوا عن حمل عزائمة طلبًا لرخصه[٢]. وامزجوا سائغ الحياة بذكر علز الموت وغصصه، وبادروا غفلات الزمان بانتهاز فرصه[٣].

فإن الصحة يعتريها المرض، والأطهار تنويها الحيض؛ وجوهر الآخرة لا يفي به من الدنيا عرض، فابذلوا في الجهاد النفوس فقد عظم عنها العوض. واصبروا وصابروا ورابطوا وإن مسكم المضض، واغرقوا في النزع فقد استهدف من عدوكم الغرض[٤].

وتمسكوا بحبل جهاده فقد استحصدت لكم مرره، وريشوا السهام لمقاتله فقد أمكنتكم ثغره[٥]. اغتنموا صفاء. وقت عم العدو كدره، واحتموا منه بشاكي السلاح فإن حامي النحل إبره[٦]. وتحصنوا من كيد العدو بمعاقل الصبر، وثقوا مع الثبات بعاجل النصر. وأكثروا ذكر الله تعالى عند اللقاء في السر والجهر، ولا تجعلوا لكم ملجأ سواه عند تضايق الأمر.

واستشعروا السكينة إذا كشفت الحرب نقابها، وأطار الأقدام عقابها[٧].وأحر اللطام ضرابها، وأمر الحمام شرابها، وتذكرت العرب العرباء أنسابها، ومثلت العلماء

---

(١) المرد الرجوع، والموبقات المهلكات، والأوزار الذنوب.

(٢) لا تظلعوا لا تضعفوا يقال بعير ظالع أي معنى وحقه أن يعديه بفي يقال ظلع في مشيه إذا مشى مشي الأعرج.

(٣) العلز القلق والهلع يقال علز فلان بالكسر إذا قلق وبات فلان علزا أي وجعا قلقا لا ينام.

(٤) المضض الألم، وأغرقوا في النزع أي بالغوا في جذب القسي ليكون أبعد لمدى السهام.

(٥) استحصدت مرر الحبل إذا أحكم فتل قواه والقوى جمع قوة وهي الطاقة من الحبل وتسمى مرة بالكسر وراش السهم الزق عليه الريش فهو مريش والثغر جمع ثغرة وهي موضع النحر.

(٦) شاكي السلاح لابس السلاح وهو مقلوب من شائك.

(٧) استشعروا السكينة أي اجعلوها شعاركم أو أشعروها نفوسكم والسكينة الوقار والهدوء والثبات.والعقاب طائر معروف واطارة عقاب الحرب عبارة عن اشتدادها.

مرجعها ومآبها[١]. ونزلتم للجهاد منزلا قد أشرعت إليه الجنة أبوابها وطالعت الحور الحسان منه أحبابها[٢]، وأترعت الولدان لمصطفى الله فيه أكوابها.

وقيل هذه عروس دار الآمال فكونوا الآن خطابها[٣]. وصرخ الشيطان بطغام أعوانه، وأرعد وأبرق بأضاليل بهتانه[٤]. وهول باحتشاد عبدة صلبانه، وضمن لهم ما هو مخفر في ضمانه[٥].

وجاء الحق وبطل النفاق، وانسدت بجيش العدو الجهات والآفاق. افأخمدوا هنالك بصواعق العزمات رهجه، وأبطلوا بصوادق الحملات حججه[٦]. وأرأبوا بصم الرماح فرجه، واضربوا بيض الصفاح ثبجه[٧]. واركبوا ببذل الأرواح لججه، وانهبوا بالموت الصراح مهجه[٨]، حتى تولي شياطين الكفرة أدبارها، وتطفئ شآبيب البررة نارها[٩]، ويبيد الجلاد حماتها وأنصارها، وتضع الحرب بعد حربهم أوزارها[١٠]. فإن لقاحها مؤذن بنتاجها، وانفتاحها تابع لارتتاجها[١١]. وما تلبث إلا ريث ما يضربها مخاض الصبر، ويعلو وجوه من صدقها أبيضاض النصر[١٢]. حتى قد نتجت للمدبرين

---

(١) تذكرت أنسابها يعني ما تفعله العرب من الانتساب عند المبارزة.

(٢) أشعرت إليه الجنة أبوابها أي فتحت أبوابها إليه.

(٣) أترعت ملأت والأكواب جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له.

(٤) الطغام الأوغاد. وأرعد وأبرق أوعد وهدد

(٥) هول خوف، والاحتشاد الاجتماع، والمخفر ناقض العهد.

(٦) الرهج الغبار وفي نسخة وهجة في موضع رهجه والوهج حر النار ولهبا

(٧) أرأبوا أصلحوا وسدوا وصم الرماح صلابها.والفرج جمع فرجة وهي الخلل بين الشيئين والصفاح جمع صفيحة والمراد بها السيف، وثبجه وسطه وأصل الثبج ما بين الكاهل إلى الظهر والكاهل الحارك وهو ما بين الكتفين.

(٨) الصراح الخالص والمهج النفوس.

(٩) الشآبيب دفع المطر واحدها شؤبوب.

(١٠) أوزار الحرب هي أثقال المحاربين وهي السلاح وإنما يضعون السلاح عند انقضاء الحرب.

(١١) اللقاح بالفتح حمل الناقة يقال لقحت لقحا ولقاحا، والنتاج الوضع يقال نتجت الناقة على مالم يسم فاعله حان نتاجها وقيل استبان حملها فهي نتوج ولا يقال منتج، والارتتاج الانغلاق.

(١٢) ريث ما قدر ما والريث في الأصل البطؤ. والمخاض وجع الولادة.

نتيجة العار، مزمومة بزمام البوار(١). مرحولة برحالة الدمار، ترغو بنهاب الأعمار(٢). وتدعو بإخراب الديار، وتسوق أهلها سوقًا حثيثًا إلى النار، فعليكم أيها الناس بسبيل الموت فيه حياة، والهلاك فيه نجاة.

فاقصدوا قصده، ولا تخيموا عن منهل إن وردتموه لم تظمئوا بعده(٣). واستبشروا بصدق وعد من لا يخلفكم وعده، وتنجزوا بالجهاد في سبيله جزيل ما عنده.﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الآية.

خطب أخرى في الجهاد

الحمد لله ناصر من تحقق بنصره، وذاكر من تعلق بذكره. ومهلك من تجبر بكفره، ومدرك من خالفه وفسق عن أمره. أحمده على النعم التي لم ترغها الآمال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الدائم الذي ليس له زوال(٤)، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ختم به الرسل، وأوضح به السبل. وأزاح به العلل، وأبطل بملته الملل. صلى الله عليه وعلى آله. كما استنقذنا من الضلالة بإرساله. وسلم تسليما.

أيها الناس: ما لأفراس الجهاد صافنة لا تركض، وما لآساد الجهاد خادرة لا تنهض(٥). وما لأيدى الكفرة قبل امتدادها لا تقبض، وما لأسبابها قبل استحكام فتلها لا تنقض(٦). أحين تألق شهاب الإيمان فسطع. وتمزق ضباب البهتان فانقشع(٧).

---

(١) زم البعير خطمه والزمام الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود وقد يسمى المقود زمامًا.

(٢) مرحولة مجعول عليها الرحل وترغو تصيح.

(٣) لا تخيموا لا تجنبوا وتضعفوا والظمأ العطش.

(٤) لم ترغها لم تطلبها.

(٥) صافنة واقفة يقال صفن الرجل إذا وقف وصفنت الدابة وقفت على ثلاث وثنت سنبك الرابعة وتركض تضرب بالأرجل لتشتد في السير، والخادرة المقيمة في خدرها والخدر بيت الأسد

(٦) الأسباب في الأصل الحبال ثم جعل كل ما يتوصل به إلى غيره سببا واستعاره هنا للقوة والحيلة.

(٧) تألق تلألأ. وسطع انبسط نوره، والضباب مثل الدخان، وانقشع زال وانكشف، والبهتان الكذب والافتراء.

وخفق قلب الضلال فانخلع، وزهق باطل ذوي الإبطال فانقمع[١]. أخلدتم إلى الدعة قبل أوان الإخلاد، وأغمدتم سيوفكم عن مقارعة الأضداد[٢].

وقعدتم عن الأخذ بثأر الحرم والأولاد، وسددتم ما فتحه الله لكم من أبواب الجهاد. فرارًا زعمتم من تحريض العدو على الاحتشاد، وما أراه إلا اغترارًا بكمون ناره تحت الرماد[٣]. والله لو أمكنته فيكم فرصة لما أغفلها، ولو استوت له عليكم كرة لشمر لها[٤]. فالله الله عباد الله قبل اندمال القرحة، وزوال الترحة.[٥].

أدموا الكلم بالكلم وصلوا الحزم بالعزم[٦]. فإن الكسير أسرع إنجبارًا من المهيض والنكيس أفظع داء من المريض[٧]. وقمع العدو في بلده أوان إحجامه، أيسر من دفع مدده عند إقدامه[٨].

فالبدار البدار إلى جهاد الأمة الكافرة، والسباق السباق إلى نيل شرف الدنيا والآخرة؛ ما دام شعب العدو منصدعًا، وحبله منقطعًا[٩]. وأظفاره مقلمة، وأسواره مثلمة[١٠]. قبل أن تعوق العوائق دون المراد، وتتعذر عليكم أسباب الجهاد. فإذا لقيتم

---

(١) خفق اضطرب وتحرك وزهق بطل من قولهم زهق عن موضعه إذا زايله ومنه زهوق النفس وانقمع ذل واستتر.

(٢) أخلدتم ملتم وركنتم والدعة السكون وترك الحركة المتعبة، وأغمد السيف جعله في غمده والغمد غلاف السيف ومن هذا تغمده الله برحمته أي ستره،والمقارعة المضاربة بالسيوف والرماح.

(٣) كمن الشيء يكمن كمونا إذا اختفى وبابه دخل.

(٤) أغفل الفرصة ضيعها.

(٥) اندمال القرحة تكامل برئها، والترحة ضد الفرحة.

(٦) الكلم الجرح وادموه أسيلوا دمه أي تابعوا ضربهم لتدفعوا ضرهم.

(٧) المهيض اسم مفعول من هضته إذا أضعفت قوته والمراد بالمهيض من كسر بعد أن جبر كسره والنكيس الذي عاد إلى المرض بعد أن برئ يقال نكس الرجل على مالم يسم فاعله نكسا بضم النون إذا مرض بعد النقه ويقال تعسا له ونكسا وتفتح النون للازدواج أولأنه لغة.

(٨) قمعه قهره وأذله والإحجام ضد الإقدام.

(٩) الشعب الالتئام ويأتي بمعنى التفريق وهو من الأضداد.

(١٠) الثلمة الخلل في الحائط وغيره وقد ثلمه من باب ضرب وثلمه أيضًا مشدد للكثرة.

عدو الله فجدوا في الطلب، ونافسوا في المسلوب دون السلب[(١)]. وإياكم وإفساد الغنيمة بالغلول، والإقدام على مخالفة الله والرسول. والتأسي بفعل كل آثم جهول، وتدبروا كتاب الله ياذوي البصائر والعقول، فإن الله تعالى يقول: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيات الثلاث.

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله مستدرج العصاة من حيث لا يعلمون، والمملي لهم لينظر كيف يعملون[(٢)]. لا يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون، حتى يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

أحمده على النعم السائرة في البلايا الغامرة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنس بها القلب فخالفها، وصد عمن كرهها فخالفها[(٣)]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اختاره من الخلق صفيًا، وأرسله بالوعد وفيًا؛ فكان صلى الله عليه وعلى آله بالمؤمنين حفيًا[(٤)]. ولمن والى الله وليًا؛ ولسلفه في الآخرين لسان صدق عليا، صلى الله عليه وعلى آله بكرة وعشيًا؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: إن نعم الله آلفة من شكرها فعقلها، نادة صادفة عمن أسامها فأهملها[(٥)]. ولقد أنعم الله عليكم نعمًا شيد بآخرها أولها، وأكد بتفصيلها جملها، من فتوح سببها لكم وسهلها، ومغانم أفاءها عليكم فأجزلها[(٦)]. ووقائع فتح بها من سبل الجهاد مقفلها، ومعارك شفى بها من النفوس غللها[(٧)].

أمدكم فيها بمعونته صبرا ونصرًا، وأمكنكم من نواصي الكفرة قتلا

---

(١) المسلوب هو العدو والسلب ما لديه من ثياب وغيرها وقد أشار لقول أبي تمام
(إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب)

(٢) أملي الله له أمهله وطول له.

(٣) حالفها لازمها وكان حليفًا لها .

(٤) الحفي البار المعين.

(٥) عقلها ربطها، ونادة شاردة، وصادفة معرضة، وأسامها أخرجها للرعي يقال سامت الماشية إذا رعت وأسامها صاحبها أخرجها للرعي وأهملها أرسلها في الرعي بغير حافظ فمعنى أسامها فأهملها رعاها وأضاعها وذلك بترك الشكر بالقول والفعل.

(٦) أفاءها جعلها فيئا لكم وكسبا

(٧) المعارك مواضع الحرب وسميت بذلك لكونها تتعارك فيها الرجال أي يلتوي فيها بعضهم على بعض والغلة حرارة القلب من العطش أو الحزن.

وأسرًا.فأصبحت ربق الأسار في أعناق الزراور والبطارق، وأحكامكم نافذة في أعزاء الدماسق[١]. ورهبتكم مشتتة جموع الفيالق، وذكركم شائعًا في أقطار المغارب والمشارق[٢]. وأسماؤكم مثبتة في جرائد أهل الحقائق، وفخركم خالد خلود الراسيات الشواهق[٣].

وأنتم تعلمون أنكم لم تستوجبوا ذلك بأعمالكم، ولم يجر مثاله في طرق آمالكم بدأ بالنعم عليكم قبل استحقاقها، وحكم سيوفكم في قلل الأعداء وأعناقها[٤]. أكان من حق من خصكم بشهر الصبر وآثركم بجليل الفتح والنصر، ووعدكم على صيامه جزيل الثواب والأجر.

أن قابلتم نعم الله في صبيحة يوم الفطر، بالاعتكاف عن شرب خبيث الخمر[٥]. من بعد ما خالفتم أمره فيما أمر، واستحللتم ما حرم عليكم وحظر[٦].فجعلتم حل الغنيمة دولة تنتهب، وغلولا يغتصب.

وظهر حرام يرتكب، لا يحاذر الله فيه ولا يرتقب[٧]. اجتراء على الله واغتراراً بستر السلامة، كأنكم لم تسمعوا قوله تعالى ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]؛ فدونكموها حلاوة ورد سيمر صدره، وتجرع صفوة سيعم

---

(١) الربق جمع ربقة وهي حبل يجعل فيه عدة عرى ثم يجعل في كل واحدة منها رأس البهيمة وهي من أولاد المعز وتستعار للعهد ومنه من فعل كذا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، والأسار القد والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ، والزراور جمع زروار مثل أسوار وهو القائد من قواد الأكراد والبطارق جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم، والدماسق جمع دمستق وهو رئيس الروم.

(٢) الفيالق الجيوش واحدها فيلق.

(٣) الراسيات الجبال الثابتات يقال رسا يرسو إذا ثبت.

(٤) القلل جمع قلة وهو أعلى الرأس.

(٥) قال الكندي العكوف هنا أولى من الاعتكاف، وخبيث الخمر إضافة فاسدة وإنما كان العكوف أولى من الاعتكاف لأن العكوف هو الإقبال على الشيء وملازمته والاعتكاف لزوم المسجد طاعة وتحنثا.

(٦) حظر الشيء منعه.

(٧) الدولة بالضم في المال يقال صار الفيء بينهم دولة يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا. والغلول في الغنم الخيانة يقال غل من المغنم يغل بالضم خان، ويرتقب يحاذر ويراقب.

كدره[١].

وقعب حلاب سيندم حالبه، وحميد أمر ستذم عواقبه[٢]؛ فالله الله عباد الله أن تخربوا قواعد النعم بمعاول العصيان، أو تعرضوا مصونات الحرم للهتك والهوان[٣]؛ أو تؤثروا دار المخاوف على دار الأمان، فيجوز عليكم عدوكم قصبات السبق يوم الرهان[٤].

فما قلت فئة كان تقوى الله شعارها، ولا قلت عصبة والملائكة أنصارها. ولا انحمر تغال رحى على الحق مدارها. ولا فسدت تدابير أقوام إذا صلحت أسرارها[٥]؛ فالآن فبادروا قبل وقوع النكير، ولا يظهر الإقلاع فيكم من المأمور والأمير[٦]. وأرهبوا أعدء الله بمواصلة التشمير، فقد تفرى غسق الليل عن الصبح المنير[٧].

ورمى الله أعداءكم بالنآد العنقفير، ونادى منادي الحق فيهم بالشتات والتدمير[٨]. فعليكم أيها الناس بتقوى الله فإنها أوكد الأسباب، واطلبوا ثأركم من عدوكم أشد الطلاب. واعلموا في الجهاد بما نزل به حكم الكتاب، وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. وإياكم والاشتغال عن إثخانهم بغلول الأسلاب، فإن الغلول منذر بسوء الحساب، والنكوص عند اللقاء على الأعقاب[٩]﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ

---

(١) الورد الماء يورد عليه والصدر التولي عن الماء.

(٢) القعب إناء نظيف يحلب فيه.

(٣) المعاول جمع معول وهو الحديدة التي ينقب بها .

(٤) يوم الرهان يوم المسابقة في خيل الحلبة.

(٥) في الطرة قال الشيخ يعني الكندي الثفال جلد يوضع تحت رحى اليد ليسقط عليه الدقيق وقوله انحمر أي أنقشر يقال حمرت القشر والسير سحوت قشره عنه وحمرت الشاة سلختها والمعنى أن ثقال رحى الحق لا ينالها أذى فكيف ما هو أشرف منه وهذه الكلمة تقع مصحفة مجهولة في أكثر نسخ هذا الكتاب.

(٦) النكير المنكر والإنكار ومنه قوله تعالى: (فكيف كان نكير) والإقلاع الكف.

(٧) تفري الليل انكشف وهو من فريت الجلد إذا شققته.

(٨) النآد الداهية قال الشاعر.

فاياكم وداهية نآد أظلتكم بعارضها المخيل

والعنقفير الداهية أيضًا والتدمير: الإهلاك والدمار الهلاك.

(٩) أثخن في العدو بالغ في ضربه وقتله وأثخنته الجراحة إذا عمقت، والنكوص: الرجوع إلى وراء

ﭐلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] جعلنا الله وإياكم ممن شرح بالتقوى صدره، وطهر من الريب فكره[١]، وأسبل عليه في الدنيا والآخرة ستره، وأدام على أعدائه وأعداء المسلمين نصره.

إن أنور قلائد الكلم، أكبر فوائد الفهم، كلام مخرج الموجود من العدم. وتقرأ: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[الرعد: ١٠] الآية.

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله معز من أطاعه بسلطانه، ومذل من عصاه بخذلانه. ومحقق من عبده بنور برهانه، ومغرق من جحده في لجج طغيانه. أحمده على ما أتى به قدره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة شهدت بها فطره وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالقسط قائما، وللأمة عاصمًا[٢]؛ ولعلم الرشاد رافعا، وإلى جهاد الأضداد مسارعًا؛ فلم يزل صلى الله عليه وسلم لمهجته باذلا، وعن التوحيد وحوزته مناضلا[٣]. حتى أعز الله به الإيمان، وقهر دينه الأديان، وكسر الأوثان، ونكس الصلبان، وأرغم الشيطان، وأرضى الرحمن. صلى الله عليه وعلى آله صلاة يتبعها الرضوان، ويعطيهم بها يوم الفزع الأكبر الأمان. وسلم تسليما.

أيها الناس: لم ترغبون بنفوسكم عمن هو أملك لها منكم وتركبون من الفشل حرونًا لا يدفع الحذر عنكم[٤]. وأنتم ذو الغرائز النيرة، وأولو النحائز الخيرة[٥]. وأهل عزائم الكتاب، المخاطبون فيه بأولي الألباب. والمطالبون بإقامة حدوده، والمصدقون بوعده ووعيده.

فلا العظات تنفي عنكم ظلم ذنوبكم، ولا الآيات تشفي منكم سقم قلوبكم، ولا استماع الأمثال يوقظكم من وسن غفلتكم ولا اتساع الأمهال يحفزكم لزاد رحلتكم[٦].

---

(١) الريب جمع ريبة وهي الشيء المنكر الذي يرتاب منه.

(٢) القسط العدل.

(٣) حوزة الدين موضع اجتماعه والمراد به حيز أهل الدين، والمناضل عن الشيء المدافع عنه.

(٤) الحرون الصعب الذي لا ينقاد وفي نسخة حزونا جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض.

(٥) الغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة والنحايز جمع نحيزة وهي الطبيعة أيضًا.

(٦) الوسن أول النوم، وحفزه أعجله ودفعه من خلفه وبابه ضرب.

كأنكم تحسبون الإمهال إهمالا، أو تظنون الإملاء إغفالا، أضعتم حقوق الله بالتضافر على إبطالها، ورقعتم خروق الدين بينكم بأمثالها، وأعذبتم بالملق الألفاظ، ونبذتم الوفاء والحفاظ[١]. ونكصتم عن عدو الله وعدوكم على الأعقاب، ومددتم لحكمه خواضع الرقاب.

حتى لقد طبتم عن الحريم المستباح نفوسًا، وطأطأتم للذل الصراح رءوسا، ووطأتم لضيم المستضيم أكنافًا، ورضيتم بأرغام المرغم آنافًا[٢]. وصرتم فرصة المفترس، ونهزة المختلس[٣].

وحبًا للأقط بلا سفا، قد أقامكم العز من أوطانكم على شفا[٤]. لا ترقبون إلا يد غاشم تخطفكم أو ريح عدو هاجم تنسفكم[٥]. كالنعم بغير راع، راحت رائحة السباع، فهي شريدة طريدة بكل قاع[٦].

والعدو يتملك بلادكم قاطنا، ويحتنك سوادكم آمناً[٧]. يفك عرى أمصاركم عروة عروة، ويدك ذرى دياركم ذروة ذروة[٨]. وأنتم من روح الله آيسون. ولكتب الآفات دارسون[٩].

قد أنستكم سنة العدو فيكم فرض الجهاد، وأعدكم عدم البصائر محض الجلاد كأنكم النساء وهم الرجال، أو كأن دينهم الحق ودينكم الضلال. حتى لقد شاب يقين الغمر منكم الارتياب، وقال الجاهلون ما لنا ندعو الله فلا نجاب[١٠]. أجل إن الألسن

---

(١) الملق التذلل ولين المنطق،والنبذ الطرح والحفاظ المحافظة والأنفة.

(٢) وطأ الشيء للشيء هيأه له والأكناف جمع كنف وهو الجانب، والآناف جمع أنف وفي طرة نسختنا نقلا عن العلامة الكندي أحد الشراح الصواب منكم آنافا ثم ذكر ما صورته قال شيخنا شرف الدين عبد العزيز الأنصاري سياق الكلام يقضي بأنه نصب آنافًا برضيتم كما نصب نفوسا بطبتم فإذن لا حاجة إلى لفظة منكم وهذا بين جدًا والله أعلم اهـ.

(٣) المختلس آخذ الشيء على غفلة .

(٤) السفا شوك السنبل،والشفا مقاربة الهلاك والإشراف عليه وتأتي بمعنى حرف البئر.

(٥) الغاشم الظالم الطاغي،والريح القوة والصولة، وتنسفكم تنقلكم من أماكنكم بسرعة.

(٦) راحت رائحة السباع وجدت رائحتها وشمتها.

(٧) القاطن المقيم ويحتنك يستأصل يقال احتنك الجراد الزرع إذا أتى عليه والسواد الجمهور.

(٨) يدك يهدم، وذرى الشيء أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها.

(٩) الروح الرحمة والراحة.

(١٠) شاب خلط، والغمر الجاهل،والارتياب الشك.

بالدعاء ناطقة، ولكن القلوب للأهواء موافقة[١].

فالدعاء لذلك محجوب، والرجاء منكوب[٢]. فلا رحمة الأطفال ترقق عليها أكبادكم، ولا ألفة الأوطان تحقق عنها جهادكم، والله لو صفت الضمائر من كدر نفاقها، وانكفت السرائر إلى الثقة بخلاقها[٣]. لأعذب لكم من الحياة مر مذاقها، ولحكم سيوفكم في قلل الأعداء وأعناقها، ولكن قل نصركم إياه فقل لكم النصير، ونبذتم كتابه وراء ظهوركم فخذلكم الظهير[٤].

واعتصمتم بغير حبله فكبر عندكم الصغير، وأفشيتم بينكم الفواحش ففشا فيكم التقصير. وحجبتم قلوبكم بالقسوة فلم يصل إليها التحذير، وأهملتم النفير إلى أعداء الله فاتصل إليكم منهم النفير[٥].

وأتيتم في ناديكم المنكر فأتاكم من الله النكير، ودعوتم من دونه لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولي ولبس العشير[٦]. قال الله جل ثناؤه وقوله الحق المنير ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله هاتك ستور الهيبة عمن عصاه، ومقابل الخليقة من أعمالهم بما أحصاه. الذي جعل العز بطاعته معقودًا، والرجز بمخالفته موروداً[٧]. يصل بأنسه حبل من أطاعه، ويكل إلى نفسه من ترك أمره وأضاعه[٨]. أحمده على ما ساء وسر، وأعلم أنه إليه منه المفر.

---

(١) أجل نعم

(٢) منكوب مردود مشوب مخلوط مغشوش

(٣) انكفت مالت ورجعت وأصلها انكفأت وخفف الهمزة لمواخاة صفت

(٤) الظهير المعين.

(٥) القسوة غلظ القلب، والنفير في الأصل مصدر نفر القوم من موضعهم إذا خرجوا عنه وتفرقوا منه ثم سمي به الجماعة يخرجون من بلد إلى بلد آخر للجهاد وإغاثة المسلمين، وإنما يسمون نفيرًا إذا كان المسلمون قد استغاثوا بهم واستنصروهم

(٦) النادي، والمنكر ضد المعروف، والنكير الإنكار، والمولى الناصر، والعشير المعاشر.

(٧) الرجز العذاب.

(٨) يكل يفوض ويترك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وفق لها الصفوة من عباده، وجعلهم الأدلة على مراده[١]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بدين مرتضى، وسيف منتضى[٢].

فحمى الحقيقة، وهدى الخليقة[٣]. وأطفأ نار الضلال، وخاض المكاره في طاعة ذي الجلال صلى الله عليه وعلى آله البررة الأبدال، صلاة دائمة بالغدو والآصال[٤]؛ وسلم تسليما.

أيها الناس: اعتصموا من تقوى الله بسبب ماله انقطاع، واغتنموا صالح الأعمال مادام في المدار اتساع وداووا أدواء قلوبكم ما دام في المداواة انتفاع، وخذوا لأنفسكم قبل هجوم ما وقع به الإجماع.واشتغلوا بجد زمانكم عن لعبه، وبصدقه عن كذبه، واعملوا بما علمتم من حدود كتاب الله وأدبه فإنما شرف العالم بالعلم إذا عمل به. ومنفعة الموعوظ بالوعظ قبل عطبه[٥].

ولا تنوا في أمر المعاد، كما ونيتم في أمر الجهاد[٦]. حتى فجئكم عدوكم قبل الاستعداد، فبلغ من مكروهكم أقصى المراد، أو لم تكونوا بستور عوافي الله مستورين، وفي بحور نعمه مغمورين، وعلى أعدائه وأعدائكم منصورين، أيام كنتم بالتضافر على ما يرضيه مشهورين[٧]. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. جد والله بكم الأمر وأنتم تلعبون، وأتاكم من حيث لا تحتسبون، وأرهبكم بعد أن كنتم ترهبون.

أمطركم من غمام العدو ديمًا، وأصار دياركم بناره حممًا[٨]. وأعاد نعمه التي لم تشكروها نقما فأصبحتم تعضون الأنامل، عليها أسفًا وندمًا، أحلكم الاغترار بالله

---

(١) الصفوة اللباب وقال بعضهم هو جمع صفي.

(٢) منتصى مسلول يقال انتضيت السيف ونضوته إذا أخرجته من غمده.

(٣) الحقيقة ما يحق على الرجل أن يحميه يقال فلان حامي الحقيقة وحامي الذمار.

(٤) الأبدال جمع بدل وهو هنا الولي لله تعالى وأراد بذلك أنهم خلفاء الأنبياء عليهم السلام

(٥) العطب الهلاك

(٦) لا تنوا لا تفتروا.

(٧) التضافر التعاون.

(٨) الديم جمع ديمة وهو مطر يدوم. والحمم جمع حمه وهي فحم النار ونحوها.

أوهى محل، وأركبكم مركبًا دبر الظهر نقب الأطل[١].

وبوأكم مبوأ العاجز الأذل، ورماكم بهذا الخطب الأجل. جزاء بما كسبته أيديكم، من إتيان المناكر في ناديكم، وقطعكم متشابك الأرحام بسفك الدماء وانتهاك الأموال الحرام، وأنتم اليوم بزعمكم كنانة الإسلام التي يناضل بها عن الحرمات العظام[٢].

أفلا عالم يرجو لله وقارًا ألا عازم يكشف بالتشمير عن رأسه عارًا[٣]. ألا حازم تفيده العبر اعتبارًا، ألا قائم في الله يغضب له انتصارًا.

هيهات هيهات صمت الأسماع فلا مجيب، وعمت الأوجاع مذ عدم الطبيب، وهبت بالكافة رياح الذنوب، فتركت الأجسام خاوية بغير قلوب فوا أسفا لو كان التأسف ينفع، على رجال أضلت طريق الحق وهو مهيع[٤]. فصارت بقوارع الأعداء تقرع، ومن مرارات سوء القضاء تتجرع. أغراضًا لما تكاد له صمم الجبال تتصدع، وأعظم مما حل بها من ذلك ما تتوقع[٥].

جعلنا الله وإياكم ممن أنار بمصابيح الاعتبار فكره، وأدام على السراء والضراء شكره. وأخذ من وقوع بأسه حذره ولا جعلنا وإياكم ممن ينساه ويأمن مكره. وإن أنفع ما رسخ في الضمير، وأجمع ما انتزع به غل الصدور، كلام خالق الخلق ومدبر الأمور. وتقرأ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

خطبة أخرى يذكر فيها الجهاد

الحمد لله عاصم من اعتصم بحبله وراحم من تعرض لفضله. وقاصم الجبابرة بعدله وعالم ما تساوى العالمون في جهله، أحمده على ما علمناه من الشرائع وألهمناه من الحجج القواطع، حمدًا يكون لمزيد نعمه سببا.

---

(١) دبر الظهر معقور الظهر، والأطل باطن خف البعير، والنقب المنقوب.

(٢) الكنانة في الأصل وعاء السهام ويناضل يدافع.

(٣) الوقار العظمة ويرجو يخاف.

(٤) المهيع الطريق الواضح.

(٥) أغراضا منصوب على جهة البدل من خبر صارت ويجوز أن تكون منصوبة على الحال من مرفوع تقرع أو تتجرع ويجوز نصبه بتقدير أعني وليس في النحو أوسع بابًا من النصب

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلها لم يكن له غير التوحيد نسبا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالسيف معلما، وللضيف مكرما، وعلى المؤمنين منعما، وللكافرين مرغما، فشهر التوحيد في بلاده، وقهر القريب والبعيد من أضداده، وهدى الخليقة بإرشاده، وشد الله أزره بصفوة عباده، وأنزل كرام الملائكة لنصره وإسعاده، لما جاهد في الله حق جهاده[١]، صلى الله عليه وعلى آله عمد الإسلام وأوتاده، صلاة يبلغه بها أنهى مراده، وسلم تسليما.

أيها الناس: ما بال حبل الله فيكم يقطع، وحقه بينكم يمنع[٢]، وسربال الإيمان عنكم ينزع، وكتابه بين أظهركم لا يعمل به ولا يسمع[٣]، أفرارًا من حكمه، أم اغترارًا بحلمه، أم نقضًا لعهده، أم تكذيبا بوعده، أولستم المؤمنين الذين اشترى الله أنفسهم وأموالهم بجنته، وأوجب لهم صفقة البيع على الوفاء بعهدته، حيث يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ الآية، ألا وإن حبل الله فيكم الإقرار بتوحيده، وأداء فرائضه وإقامة حدوده، والتصديق بوعده ووعيده، وجهاد من لم يجب دعوته من سائر عبيده، بقلوب من خشيته خافقة، وألسن بما يرضيه ناطقة، ونيات في مجاهدة عدوه صادقة، ونفوس بمعونته ونصره واثقة، فمن وصل حبل الله وصله، ومن أخمل حقه أخمله[٤]، ومن قعد عن نصرته خذله، ومن كان لله كان الله له.

ولو لم يكن عباد الله في الجهاد ثواب في المآل، ومرضاة لذي الجلال، إلا الغيرة على الحرم والأطفال، والحمية على النعم والأموال، والأنفة من غلبة الكفرة الأنذال[٥]، لكان في ذلك ما يشغل عن غيره من الأعمال، ويزجر عن التلوم والاعتلال[٦]، فانفروا رحمكم الله كما أمركم إلى جهاد عدوه، وأعلوه بالمغار عليه قبل مغاره عليكم وعلوه[٧]، وانتهزوا الفرصة فيه بتشاغله قبل خلوه، وانهضوا إليه قبل نهوضه إليكم

---

(١) "لما" بكسر اللام. وتخفيف الميم، واللام للتعليل وما مصدرية.

(٢) حبل الله: عهده، وقطعه الإخلال بالوفاء به.

(٣) الأظهر: جمع ظهر، والمشهور عند الجمهور أن يقال: بين ظهرانيكم.

(٤) أخمل حقه: إخفاه بترك امتثاله، وأخمله: أخفى ذكره وأذله.

(٥) الأنفة: الحمية.

(٦) التلوم: التلكؤ في الشيء والتلدد.

(٧) المغار: الإغارة.

ودنوه، فإنكم إن قعدتم عن جهاده نهض إليكم، وإن لم تنصروا الله نصره عليكم، كدأبه فيمن رأيتموه من أهل الثغور، الذين أحل بهم دواهي الأمور، ولقد كانوا أكثر منكم جهادا، وأوفر عددا واستعدادا، أبلاهم الله بما شيب رأس الوليد، وأطفأ من صدور أكثرهم نور التوحيد، وأصار الصابرين منهم إلى الأسر وثقل الحديد، وأسلم من سلم منهم إلى التشتيت والتبديد[١]، وأبقى ديارهم عبرة للقريب والبعيد، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد.

فالله الله عباد الله لا تبيعوا الصحة بالسقم، فتهتك عنكم ستور النعم بأيدي النقم[٢]، وتقطع منكم أسباب العصم، وتحصلوا على ما لا ينفعكم من الأسف والندم[٣]، وحلوا عقد الشيطان عن قلوبكم، وارفوا بتقوى الله خروق ذنوبكم[٤]، واستحيوا من غلبة العلوج على أمصاركم، وتملكهم لحصونكم ودياركم[٥]، واشتروا بدنيا قليلة الخفض، وأعمار سريعة النقض[٦]، ونفوس يخترم الموت بعضها إثر بعض، جنة عرضها كعرض السماء والأرض[٧].

ألا وإني دالكم عليها، ومرشد من أحبها إليها، إذا تراشقت الرماة بنبالها، وتصادقت الكماة في نزالها[٨]، وتصافقت الجحافل بإبطالها، وتضايقت القنابل في مجالها[٩]، وتراسلت الخيول بتصهالها، وحارت العقول في ظلم أهوالها[١٠]، وزأرت الليوث حمية على أشبالها، والتفت رجال الحقيقة برجالها[١١]، وأسفت عقاب المنايا

---

(١) أسلمه: تركه وسلمه، والتبديد: التفريق.

(٢) الهتك: خرق الستر عما وراءه.

(٣) العصم: جمع عصمة، وهي كل ما يعتصم به ويتمسك.

(٤) رفوت الثوب: ورفأته إذا أصلحته، وبابه عدا والخروق: جمع خرق.

(٥) العلوج: جمع علج وهو الواحد من كفار العجم.

(٦) الخفض: الدعة والراحة.

(٧) اخترمهم الدهر وتخرمهم: اقتطعهم واستأصلهم.

(٨) تراشقوا: تراموا بالسهام.

(٩) تصافقت: تصادمت، والجحافل: الجيوش، وهو جمع جحفل والقنابل: جمع قنبلة وهي جماعة الخيل والفرسان.

(١٠) تراسلت الخيول: راسل بعضها بعضا، والتصهال والصهيل: واحد وهو صوت الخيل.

(١١) الزئير همهمة الأسد، والأشبال: جمع شبل وهو ولد الأسد، والحقيقة: ما يحق على الإنسان أن يحميه، والضمير في رجالها يرجع للحقيقة.

لقبض الأرواح واستلالها، وعركت رحى الحرب أبناءها بثفالها[1]، وأذل الصادقون أنفسهم طلبًا لإجلالها، والتمسوا لها النجاة في شدة قتالها، وبطل سلاح الكافة إلا التكافح بنصالها، هنالك فاطلبوا الجنة فإنها موجودة تحت ظلالها[2]، جبل الله على تقواه طباعنا، وجعل على ما يحبه ويرضاه، اجتماعنا، وفتح للعظات قلوبنا وأسماعنا، وأدام بالباقيات الصالحات استعمالنا وإمتاعنا، إن أحسن قصص الوعاظ، وأنفع ما أعربته حركات الألفاظ، كلام من احتجب بكبريائه عن الألحاظ وتقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ الآية [المائدة: ٥٤].

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله ملبس ما خلق إحسانه، ومقبس من وفق برهانه[3]، ومعطى من فسق عنانه، ومصلي من مزق نيرانه[4]، الذي أنزل بالإعذار والإنذار قرآنه، وألزم فرض الجهاد شيوخه وشبانه[5]، فأعز من لزمه وأعانه، وأذل من أهمله وأهانه، وأوجب لمن خاف مقامه أمانه، سبحانه ما أعدل أحكامه سبحانه، أحمده حمد من أطلق بالحمد لسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شرح بالتوحيد جنانه[6]، وأشهد أن محمدًا عبد شرف شانه، ونبي أزلف مكانه[7]، وأظهر بالنبوة سلطانه، وأعلى في شرف الأبوة بنيانه[8]، وملأ بالعدل محاله وأوطانه، وجعل المؤمنين أنصاره وأعوانه، حتى هدم من الكفر قواعده وأركانه، وحطم أصنامه وأوثانه[9]، صلى

---

(١) أسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه والإسفاف: الدنو من الدنايا، وعركت: عالجت، والثفال: جلدة تكون تحت الرحى لحفظ الدقيق.

(٢) التكافح: تلاقي الفرسان، وكافحه: شافهه.

(٣) إحسان: منصوب بملبس، وبرهان منصوب بمقبس، ومقبس: من أقبست فلانا علما، وأقبست فلانا نارا.

(٤) أصليته نارا: إذا ألقيته فيها، كأنك تريد إحراقه، وصليته نارا: إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، ومرق السهم: خرج من الجانب الآخر، وبابه دخل، وسميت الخوارج مارقة لقوله ﷺ: «يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية».

(٥) أعذر في الأمر: إذا بالغ فيه حتى صار معذورا، وفي المثل: أعذر من أنذر.

(٦) الجنان: القلب.

(٧) أزلف: قرب.

(٨) السلطان: الحجة والبرهان والولاية.

(٩) حطم: كسر، والصنم: ما كان مصورا من حجر أو نحاس، والوثن: ما لا يكون صورة.

الله عليه وعلى آله صلاة ينيلهم بها رضوانه، ويبوئهم بها يوم الفزع الأكبر جنانه، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الطرق إلى الله واضحة ولكن طريق الجهاد أقصدها، وإن فروض الكتاب لازمة ولكن فرض قتال ذوي الإلحاد أوكدها، فما بال الجهاد فيكم مهملا، وباب الاجتهاد دونكم مقفلا، كأنكم لا تجدون عن الفشل معدلا، ولا ترون غير الحياة الدنيا منزلا.

يا حسرتا على نفوس بالذل راضية، وأمة على غير سمت الهدى ماضية، قد أمكنت العدو منها معاصيها، واستحكم البلاء على دانيها وقاصيها، فالمعروف مستور، والمنكر مشهور، والحق بالباطل مقهور، والعدو عليها لخبث سرائرها منصور، قد غلب على الأمصار، وكلب على إخراب الديار[1]، آمنا أن تحفز أحدكم الأنفة إليه، أو يصول غضبا لله والإسلام عليه[2]، وكلما قرعت بقوارع الوعظ أسماعكم أبتها قلوبكم فقل بها انتفاعكم.

أفلا سامع يسمع فيجيب، ألا نازع يقلع فينيب، ألا رام يرشق حقيقة الغرض فيصيب، ألا محام يبعثه على جهاد عبدة الصليب رأي صليب[3].

أين أهل العزائم والنيات، أين أبناء الصبر والثبات، أين حلفاء الصوم والصلاة، أين ذوو الصدقة والصلات[4].

أين المشفقون من سوء البيات، أين المحامون عن الحرم المصونات[5]، أين الناظرون بعيون البصائر إلى مصادر الغايات، أين المشتاقون إلى الحور الحسان المخلدات[6]، أين الهاربون من ثقل الأوزار والتبعات، أين الطالبون شرف المحيا والممات، أين الناشئون تحت خفق البنود والرايات، أين الموفون بالعهود والأمانات،

(١) كلب: احتد واشتد، وبابه تعب، وكالبه مكالبة وكلابا: أظهر عداوته ومناصبته وجاهره بذلك، وتكالب القوم: تجاهروا بالعداوة، وتكالبوا على كذا: تواثبوا.

(٢) حفزة الأمر: أعجله وساقه.

(٣) الرأي الصليب: القوي المحكم.

(٤) حلفاء الصوم والصلاة: ملازموها، وهو جمع حليف، وهو في الأصل الذي حلف لرفيقه على نصرته وحلف له رفيقه على ذلك، والصلات جمع صلة.

(٥) المشفق: الخائف الحذر، والبيات: الأخذ ليلا على غفلة.

(٦) مصادر الغايات: ما يسفر عنه آخر الأمر، والمخلدات: الخالدات أو المحليات، يقال مخلد لذي السوار أو القرط.

أين حمال السور والآيات، أين المنعوتون في سورتي الأحزاب والحجرات.

هيهات هيهات هيهات، أصبح والله أهل هذه الصفات، في بطون الفلوات، وأصبحتم بعدهم رهائن الشتات، ضلالا في مهالك الشهوات، مستسلمين لحلول المثلات، أحياء ولكن في الحقيقة كالأموات[١]، تسلكون سبل الفساد، وتتركون فضل الجهاد، وتقعدون عن ادخار الزاد، حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد.

فأطيبوا رحمكم الله ما تزرعون، وأنفقوا في سبيل الله ما تجمعون[٢]، وأقلعوا عما عنه ستقلعون، وارجعوا إلى مرضاة من إليه غدا ترجعون[٣]، وتفكروا في الموعظة فعساكم تنتفعون، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١]، إلى قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

صرف الله نفوسنا ونفوسكم عن قول المنكرات وفعلها، وجعل الاستعداد للمرد إليه أكبر شغلها، ومن علينا وعليكم بالإجابة وإن كنا غير أهلها[٤]. وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين[٥].

خطبة أخرى
في ذكر الجهاد عملها بالموصل

الحمد لله ممزق ظلل البلاء عند ادلهمامها، ومفرق جمل الأعداء بعد التئامها[٦]، ومبدد شمل الفئة الكافرة حين انتظامها، ومؤيد العصبة الصابرة بعز نصره أوان

---

(١) المثلات: العقوبات، والمستسلم: الخاضع المنقاد.

(٢) أطيبوا ما تزرعون: أي: اجعلوه طيبا، فإن المرء يحصد ما زرع.

(٣) أقلعوا عما عنه ستقلعون أي: كفوا اختيارا عن الدنيا التي ستكفون عنها اضطرارا، ويجوز فتح اللام في تقلعون فيكون مأخوذا من قولك: قلعت الشجرة، إذا اجتثت من أصلها.

(٤) المرد: الرجوع.

(٥) أستغفر الله: أي أطلب منه المغفرة، ولي ولكم: أي لأجلي ولأجلكم، ولسائر المسلمين: أي لبقية المسلمين، فسائر بمعنى البقية، ولا يستعمل بمعنى الجميع وأنشد سيبويه:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ... وسائره باد إلى الشمس أجمع

(٦) ممزق: مفرق، والظلل: جمع ظلة، وهو ما أظلك من سحاب وغيره، وادلهمامها: شدة ظلامها، يقال: ادلهم الليل إذا اشتد ظلامه، والالتئام: الاجتماع والتوافق.

استسلامها[1]، أحمده على بأساء أقضيته وانعامها، وأرغب إليه في إلبأس عافيته وإتمامها[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تستدام النعم بدوامها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله قادح زناد الهداية ورافع أعلامها[3]، أرسله بإتعاس الكفرة وإرغامها، وتنكيس صلبها وكسر أصنامها[4]، فلم يزل صلى الله عليه وعلى آله مشمرا في إخماد ضرامها، مجدا في إبطال شرائعها وأحكامها[5]، حتى أقر ملة الإسلام على دعامها، وحسم أطماع أعدائها بحسامها[6]، صلى الله عليه وعلى آله أمراء الأمة وحكامها، صلاة تنصرم الأعداد قبل انصرامها، وسلم تسليما.

أيها الناس: أجيدوا للقاء عدوكم عقد العزائم والحبا، واستشعروا الثبات لمكافحته تحت ظلال اللهاذم والظبا[7]، فقد بلغ سيله من دياركم أعلى الزبا، وطم بحره الوهاد منها والربا[8]، فهو خذله الله داء لا تزيله أضاليل الرقي، ولا يمنع منه إلا الاعتصام بمعاقل التقى[9]، فاتقوا الله عباد الله سرا وإعلانا، وادرعوا للجهاد في سبيله

---

(١) الفئة: الطائفة، والعصبة من الرجال: نحو العشرة إلى الأربعين، والعصابة: الجماعة، وأراد هنا بالعصبة: العصابة كما لا يخفى، وسر هذا الإطلاق الإشارة إلى أن الجماعة وإن كانوا في قلة يؤيدون بالنصر عند الصبر.

(٢) المناسب للبأساء السراء.

(٣) الزناد: ما تقتدح به النار، والقادح: فاعل ذلك.

(٤) الإتعاس: الإذلال، وأصل التعس: السقوط إلى الأرض عثارا، وأتعسه الله: كبه لوجهه.

(٥) الضرام: النار تلتهب بسرعة.

(٦) الدعام: جمع دعامة، وهي ما يقام به الشيء، تقول: دعمت البناء إذا أسندته، وحسم: قطع والضمير في حسامها راجع لملة الإسلام.

(٧) الحبا: جمع حبوة، وهو ما يديره الإنسان على ظهره وساقيه إذا جلس، وعقد الحبوة: كناية عن الثبات، واللهاذم، الرماح، والظبا: السيوف، وهي جمع ظبة، والظبة: حد السيف، وكثيرا ما يراد به السيف، والمكافحة: المشافهة في القتال وغيره.

(٨) الزبا: جمع زبية، وهي حفرة تحفر للأسد ليصاد، وتتخذ في المواضع العالية، وبلوغ السيل إليها دليل على كثرته، والربا: جمع ربوة، وهو الموضع المرتفع، والوهاد: جمع وهدة، وهي الموضع المنخفض.

(٩) الرقي: جمع رقية، وهي ما يقرأ على الملسوع ونحوه.

صبرا وإيمانا[١]، فقد صار خبر العدو عندكم عيانا، وأصبح الشك في إقدامه عليكم إيقانا، ولا مغيث لكم من الإسلام يرتقب، ولا ناصر لكم من الأقوام ينتدب[٢]، ولا ملجأ غير الله يحتسب، فاصطحبوا طاعته وتقواه فإنهما نعم المصطحب[٣]، بهما تنال درجات السمو، ويدال لمن لزمها من العدو[٤]، واعلموا أنكم في أشرف منازل الدنيا منزلا، وأكرم معاقل الإسلام معقلا، النائم فيه أفضل من القائم في سواه، والساهر في حراسته احتسابا لا تبصر النار عيناه، يا له منزلا قد شرعت الجنان إليه أبوابها، وأترعت الولدان لمصطفى الله فيه أكوابها[٥]، وطالعت الحور الحسان منه أحبابها، ونودي هذه عروس دار الخلد فكونوا الآن خطابها، فأرخصوا في ابتياعها غوالي المهج[٦]، واعتلوا بتملكها عوالي الدرج، واغتنموا بمقارعة العدو قريب الفرج، فإن الله اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ألا فأوجبوا رحمكم الله صفقة بيع النفوس لمشتريها، وأقرضوا الأموال من يضاعفها لكم ويزكيها[٧]، وابذلوا الأرواح في سبيل من يحرسها عليكم ويقيها، ولا تبخلن بها فإن أمره نافذ فيها، وقد قال عز من قائل، في كتاب لا يأتيه الباطل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة: ١١١] الآيتين.

خطبة أخرى في ذكر الجهاد

الحمد لله ذي النعم اللطاف في البلايا الكثاف، والمنن الضواف على البرايا الضعاف[٨]، الذي فات حدود النعوت والأوصاف، وأقام ما خلق بالعدل والإنصاف، أحمده حمد من وفق للاعتراف.

---

(١) ادرعوا صبرا وإيمانا: اجعلوها دروعا لكم.

(٢) يرتقب: ينتظر، وينتدب: يحث على نصرتكم.

(٣) قال العلامة الكندي: اصطحب القوم فعل لازم، وقد عداه الخطيب، والصواب: استصحبوا طاعته، هذا هو الوجه وأما اصطحبت الرجل في معنى صحبته واستصحبته؛ فلا أعلم أحدا رواه، والذي في كتب العربية بخلافه، وإن جاء منه شيء متعد فهو مقصور على السماع.

(٤) يدال: ينصر وتكون له الدولة.

(٥) الأكواب: جمع كوب، وهو كوز لا عروة له، وأترعت: ملأت.

(٦) الابتياع: الاشتراء، واعتلوا: اصعدوا وارتفعوا.

(٧) أوجب البيع: بته.

(٨) اللطاف: جمع لطيف، والكثاف: جمع كثيف وهو الغليظ، والضواف: جمع ضافية وهي النعمة السابغة، من قولك: ضفا الثوب يضفو إذا كان طويلا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلافا على أهل الخلاف، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله نقله في الأصلاب الشراف والأرحام النظاف، حتى أخرجه من مصاص عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[١]، فهدى به سبل العفاف، وأردى به ذوي الزيغ والانحراف، وأذل به عز هبل ونائلة وإساف، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة بلا انصراف[٢]، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن تقوى الله خير سبيل، من لزمها أدته إلى خير مقيل، ومن سئمها عمي عن الدليل، ومن حرمها باء بالندم الطويل[٣]، بها يوقي الولي حذره، ويولي العدو دبره، وينصر الله من نصره، ويفل حد من حاده وكفره[٤]، فاتقوا الله عباد الله تقوى ذوي العقول، المشهورين بخلع القبول، ودعوا التمسك بخدع الأباطيل، والخوض في مهالك القال والقيل، فقد تبلج لكم من الحق سافره، وتوجه لنصر دين الله ناصره[٥]، وأقبلت إليكم من كل فج عساكره.

فكونوا عباد الله ممن يوازره على عدو الله ويضافره، بزماع المعدين، وإسراع المجدين[٦]، وثبات المتحققين، ونيات المتقين، عند اغبرار الأفق، واحمرار الحدق[٧]. وانهمار العرق[٨]، وارتكاب طبق عن طبق، وازدلاف الزحوف، والتقاف الصفوف[٩]، واختلاف السيوف، والانصراف من الحتوف إلى الحتوف[١٠]، إذا تداعت الأقران إلى

(١) مصاص الشيء: خالصه وكأنه الذي يستخرج بالمص.
(٢) هبل ونائلة وإساف: أسماء أصنام كانت تعبد في الجاهلية.
(٣) سئمها: ملها وضجر منها، وباء بالندم: رجع به.
(٤) يفل: يكسر.
(٥) تبلج: طلع وظهر، وسافره: ظاهره، من قوله: سفرت المرأة إذا ألقت قناعها عن وجهها، وفي قوله ناصره: تورية بناصر الدولة أمير الموصل وهو أخو سيف الدولة.
(٦) الزماع: الشجاعة والعزيمة النافذة.
(٧) اغبرار الأفق: كناية عن اشتداد الحرب حتى يصل النقع إلى الأفق، واحمرار الحدق: كناية عن الغضب والشدة.
(٨) انهمار العرق: انصبابه، وارتكاب طبق عن طبق: أي حال بعد حال.
(٩) ازدلاف الزحوف: تقارب المتزاحفين.
(١٠) الحتوف: جمع حتف وهو الهلاك والانصراف من الحتوف إلى الحتوف: إذا أحاط بهم الموت من كل مكان، ولم يبق إلا ثبات الجنان.

النزال، وأبطل حكم الصوارم حكم النبال[١]، وحسن التجاهل باللمم البجال. وحامت عقاب المنايا على الأبطال[٢]، وتساقت الكماة بينها كؤوس الآجال، وفصمت بحقائقها عرى الآمال[٣]، وسلت النفوس عن الأولاد والأموال، وابتاعت من الله دار المآل بدار الزوال، هنالك فأقدموا ولا تحجموا، واهجموا ولا تستسلموا، كفاحا بالصفاح، واجتياحا بالرماح[٤]، حتى يسطع شهاب الإيمان، وتنصدع شعاب البهتان، فإن الشيطان ينكص حينئذ على عقبيه، ويبرأ ممن نعق به فاستكان إليه، وتلوح من الحق أنواره، ولا يعصم الفار من القدر فراره، فأقبلوا رحمكم الله على جهاد العدو يدم الله إقبالكم، وأخرجوا حق الله من الأموال يثمر الله أموالكم[٥]، وأصلحوا فساد الأعمال يصلح الله لكم أحوالكم، وأهينوا النفوس في سبيل الله يكرم الله مآلكم، وحصنوا بالصبر الجميل حرمكم وأطفالكم، وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

جعلنا الله وإياكم ممن حمى أنفه غضبا لله ورسوله، وجاهد بنفسه وماله في سبيله، واحتقب زادا كافيا ليوم رحيله، وأخذ للموت أهبته قبل نزوله[٦]، إن أحسن ما وعظ به خاطب، وأنفع ما رغب في استماعه راغب، كلام من لا يغلبه غالب، وتقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]الآية.

خطبة أخرى يذكر فيها الجهاد ويذكر فيها أخذ الدمستق

الحمد لله الفائت حدود النعوت والأوصاف، العائد بتجديد النعم وخفي الألطاف[٧]، الذي أطفأ نار الاختلاف بنور الائتلاف، وبوأ المقلعين عن مهالك الإسراف، مراتب الموفقين للعدل والإنصاف، أحمده على نعمه التي لا تحصى عددا.

---

(١) تداعت الأقران: دعا بعضهم بعضا.

(٢) التجاهل: إظهار الجهل، واللمم: جمع لمة وهي الشعر الملم بالمنكب، والبجال: جمع بجيل وهو الضخم، وحامت: دارت.

(٣) الكماة: جمع كمي وهو الشجاع، وفصمت: قطعت.

(٤) كفاحا بالصفاح: مواجهة بالسيوف، واجتياحا بالرماح: استئصالا بها.

(٥) يثمر: يكثر وينمى.

(٦) احتقب زادا كافيا: أي: جمعه وادخره في حقيبته.

(٧) العائد: من عاد عليه بمعروفه إذا أفضل عليه، والاسم العائدة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تنقطع أبدا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين مد الشقاق على القلوب ظلله، وشرع النفاق في الآفاق سبله[١]، وبث الشيطان في أتباعه رسله، ونصب للكافة بكل صراط حيله[٢]، ففرق الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلله، وأخزى به الطاغوت ومن قبله، وبلغه من إظهار كلمة الحق أمله، ثم قبضه مختارا عند استكماله أجله[٣]، صلى الله عليه وعلى آله صلاة ينجز بها في القيامة ما ضمن له. وسلم تسليما.

أيها الناس: اتقوا الله تقوى من أناب إليه، واحذروا مخالفته حذر من يوقن بالعرض عليه، واشكروا نعمه يزدكم من فضله وسعة ما لديه، واسألوه التوفيق فإن أزمة الأمور بيديه، واعلموا أن اختلاف الأهواء، هاتك ستور النعماء، باتك أسباب الرجاء، مؤذن بحلول مذموم البلاء[٤]، وما هلكت أمة من الأمم السالفة، إلا بتشاحنها وأهوائها المتخالفة[٥]، فراقبوا الله عباد الله في السر والجهر، وأخلصوا الضمائر في طاعة أولي الأمر، وكونا قومًا عرفوا مواقع النعم فشكروها، وعزفت نفوسهم عن مواقف التهم فحذروها[٦]، وانظروا إلى صنيع الله بعدوكم طاغية الروم، الذي ضلت في انتظام أحواله ثواقب الأحلام والفهوم، حين دوخ الأقطار، وفتح الأمصار[٧]، وأخرب الديار، وجاوز في بغيه وعتوه المقدار، حتى إذا ارتعدت منه فرائص الإسلام، وخامت عنه جيوش الإقدام[٨]، وطاشت لفرقه عقول الأنام، وتقاعست عن الفتك به صروف

---

(١) شاقه: خالفه وصار في شق غير شقه وهو مثل حاده، والظلل: جمع ظلة وهو الساتر للشيء، ومنه قيل للغمام: ظلة، وشرع الباب إلى الطريق شروعا اتصل به، وشرعته أنا يستعمل لازما ومتعديا، ويتعدى بالألف أيضًا فيقال: أشرعته إذا فتحته وأوصلته.

(٢) بث الأمير الجند في البلاد: نشرهم، وكافة: بمعنى جميع لا تدخلها الألف واللام ولا تضاف ولا تستعمل إلا حالا، وقد استعملها استعمال جمع كثير من العلماء في كتبه كابن جني والرماني، والسراط: الطريق، ويبدل من السين صاد فيقال صراط.

(٣) الثلل: جمع ثلة، وهي الجماعة من الناس.

(٤) باتك: قاطع، وبتك أذنه شقها.

(٥) التشاحن: التباغض والتنافس. والشحناء: البغضاء.

(٦) عزف عن الشيء: انصرف عنه وأنف منه.

(٧) دوخ: ذلل، وداخ: ذل.

(٨) فرائص: جمع فريصة وهي لحمة بين الجنب والكتف، أول ما يرعد من الإنسان هي، وخامت: جبنت.

الليالي والأيام[١]، ووقع اليأس من دفعه، لطف الله الكريم لكم بلطيف صنعه، وأتاه من مأمنه، وقتله بأنصاره في وطنه، منة من الله لم تستوجبها أفعالنا، ونعمة لم تجل في طريقها آمالنا.

فالآن عباد الله فاستديموها بإصلاح السرائر، وقابلوها بالإقلاع عن الصغائر والكبائر، وخذوا على أيدي سفهائكم، واعرفوا حقوق علمائكم وكبرائكم، والزموا طاعة ولاتكم وأمرائكم، وعودوا بالفضل من أموالكم على فقرائكم، وسدوا ثغركم باتفاق أخلاقكم وآرائكم، يعززكم الله وينصركم على أعدائكم، واشتغلوا بما ندب الله إليه أيها الغافلون، ولا تعدلوا عن أمره فتهلكوا كما هلك العادلون، واحذروا أن يستحوذ على أموركم الأرذلون: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

عصمنا الله وإياكم بتقواه، ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجمع الكلمة على اتباع هداه، وأصلح منا ومنكم ما لا يقدر على إصلاحه أحد سواه، إن أنجع الوعظ وأنهاه، وأنفع الإنذار وأشفاه، كلام من لا إله سواه[٢]، وتقرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

الخطب المختصرة

الحمد لله شكرًا على ما أنعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما أمر وألزم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة من آمن به وأسلم، وحاد من كفر به وأرغم[٣]، صلى الله عليه وعلى آله ما أضاء دهر وأظلم، وأعلى محالهم يوم الشفاعة وأكرم. وسلم تسليما.

اعلموا عباد الله أنه لا معقل لكم من الموت، ولا عمل بعد الفوت، ولا ريب في النشور، ولا مدفع للمقدور، ولا مناص يوم القيامة، ولا خلاص إلا برد الظلامة[٤]،

(١) طاشت: خفت من طاش الميزان، أي: خف فارتفع الجانب الآخر ارتفاعا زائدا، والفرق: الخوف، وتقاسعت: رجعت.

(٢) أنجع: أنفع، وأنهى الوعظ: أكثره نهيا وزجرا.

(٣) حاده: خالفه وصار في حد غير حده، وأرغمه: أذله وهو معطوف على حاد.

(٤) مناص: مهرب ومخلص، والظلامة: اسم ما ظلم به.

ولا ظلم عند الرحمن، ولا حيف في الميزان[١]، ولا خير في الألطاط، ولا جواز إلا على الصراط[٢]، ولا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، ولا منزل لمن حرم الجنة غير النار.

جعلنا الله وإياكم ممن تزود من دار قلعته، لدار رجعته[٣]، وتنبه لإصلاح شأنه قبل حلول صرعته، وكان الموت نصب عينه أيام متعته[٤]، إن أبين البيان، وأوضح البرهان، كلام الملك الديان[٥]، وتقرأ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] الآية.

خطبة أخرى

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرب الصمد الواحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعثه في الأميين رسولا، وجعله على النبيين شهيدًا مقبولا، وبما وعد من ثواب المطيعين كفيلا، صلى الله عليه وعلى آله بكرة وأصيلا[٦]، وسلم تسليما.

أيها الناس: اكدحوا للآخرة كدحا، وأضربوا عن الدنيا صفحا[٧]، فقد فوقت إليكم سهام شتاتها، وطبقت عليكم غمام آفاتها[٨]، وأرتكم آثار وقائع المنون، فيما سلف من مصارع القرون، فلا تستطيلوا عباد الله مدة الإنظار، وقدموا في الإقامة عدة

---

(١) الحيف: الجور والظلم، وبابه: باع.

(٢) الألطاط: المطل، يقال: لطه: حقه، وألطه: منعه.

(٣) يقال: هذا منزل قلعة بالضم، أي: ليس بمستوطن، ويقال: هم على قلعة. أي: رحلة.

(٤) تمتع بكذا واستمتع به بمعنى انتفع والاسم المتعة وأمتعه الله بكذا نفعه به ومتعه.

(٥) الدين الجزاء يقال دانه يدينه دينا إذا جازاه ومنه الديان.

(٦) البكرة من الغداة جمعها بكر مثل غرفة وغرف وأبكار جمع الجمع وبكر إلى الشيء بكورا من باب قعد أسرع أي وقت كان وأنشد:

بكرت تلومك بعد وهن في الندى

ومعناه عجلت ولم يرد بكور الغدو، والأصيل هو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب والجمع أصل بضمتين وآصال وآصائل وأصلان بضم الهمزة وقد آصل دخل في الأصيل وجاء مؤصلا.

(٧) اكدحوا اكتسبوا بجد واجتهاد، واضربوا عن الدنيا صفحا أعرضوا عنها.

(٨) فوقت صوبت.

السفار[١]، فكأن الآلام قد اعترضت، والأجسام قد انتقضت، والنحوس قد رشقت، والنفوس قد زهقت[٢]، والضرائح قد تشققت، والفضائح قد تحققت، والجوارح قد نطقت، والرهون قد غلقت[٣]، والواقعة قد وقعت، والخليقة قد جمعت، والسماء قد فرجت، والأرض قد بدلت[٤]، والجبال قد نسفت، والبحار قد سجرت[٥]، والجنة قد أزلفت، والجحيم قد أججت[٦]، والحاكم قد نصب ميزانه، والظالم قد تبين خسرانه، ففاز بالراحة من تعب لها، وامتاز بالخيبة من رغب عنها ولها[٧].

جعلنا الله وإياكم ممن أحسن في المعاملة، فاستوجب حسن المقابلة، وفلج بإقامة الحجة يوم المجادلة[٨]، إن أحسن ما تلاه التالون، وعمل به العاملون، كلام من نحن لعفوه آملون، وتقرأ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] الآية.

خطبة أخرى

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من قام بحقه، وأشهد أن محمدًا عبده المشهور بصدقه، ورسوله الدال على أحمد طرقه، صلى الله عليه وعلى آله أفضل ما صلى على أحد من خلقه. وسلم تسليما.

أيها الناس: اتقوا الله وحده، واعتصموا بحبله واحفظوا عهده، وشمروا في اكتساب ما يزلفكم عنده، واستديموا بإدمان شكره إحسانه ورفده، واستنجزوا بمواصلة ذكره ودعائه وعده، واعلموا أن الموت بحر لا بد أن تلجوا مده، ومنهل

---

(١) الإنظار: الإمهال، والسفار: المسافرة.

(٢) رشقت رمت بسهامها، وزهقت النفوس خرجت.

(٣) غلق الرهن إذا لم يفك وأخذ بالدين.

(٤) فرجت شقت.

(٥) نسفت ذريت وأطيرت بعد دكها، وسجرت ملئت أو أشعلت يقال سجر التنور إذا أحماه وسجر النهر إذا ملأه وبابهما نصر ويقال سجر بالتضعيف.

(٦) أزلفت قربت، واججت أوقدت والهبت.

(٧) لها عن الشيء سلاه وتركه.

(٨) فلج غلب وفاز.

كتب الله على كل حي ورده[١]، فرحم الله امرأ جدد في دار الغرور زهده، وراقب الرقيب عليه جهده[٢]، واستقاله خطأه وعمده، وأنفق في طاعته سعيه وكده، وجعل شعاره ذكر الموت وما بعده[٣]، جعلنا الله وإياكم ممن أخلص على التوبة عقده، وأبان عن الحوبة بعده، ورأى الحق بعين الحقيقة فقصد قصده[٤]، إن أغض الكلام وأجده، وأقوم القول وأسده، كلام من لا تبلغ الأوهام حده[٥]، وتقرأ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨] الآية.

خطبة أخرى

الحمد لله أولى محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحق معبود، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكرم مولود، صلى الله عليه وعلى آله صلاة مقرونة بالخلود، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الموت باب لابد من دخوله، وضيف لا ريب في نزوله، وهاجم لا مدفع لحلوله، وصارم لا مطمع في كلوله[٦]، فرحم الله امرأ أخذ من صحته لسقمه، ومن شبيبته لهرمه، ومن قوته لألمه، ومن جدته لعدمه[٧]، ومن مقامه لرحلته، ومن دنياه لآخرته[٨]، وكان في طاعة ربه من المبرزين، فإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين[٩]، وأستغفر الله العظيم.

---

(١) تلجوا تدخلوا ومد البحر زيادته هو ضد الجزر، والمنهل موضع النهل وهو الشرب الأول، والورد نوبة الشرب ونوبة الحمى.

(٢) الرقيب الملك الموكل بالعبد ويجوز أن يراد به الحق تعالى، والجهد بالضم في لغة الحجاز وبالفتح في لغة غيرهم الوسع والطاقة وقيل المضموم الطاقة والمفتوح المشقة.

(٣) الكد الاجتهاد والنشاط.

(٤) أبان أظهر، والحوبة الإثم، وقصد قصده قصد نحوه.

(٥) أغض الكلام أطرأه،والحد هنا الحقيقة وليس بمعنى النهاية.

(٦) الكلول مصدر كل السيف إذا زال حده حتى لا يقطع وكل الرجل إذا أعيا وكذلك كل البصر وبابه فر وفي بعض النسخ فلوله وهو جمع فل مثل فلوس وفلس والفل كسر في حد السيف.

(٧) الجدة -بكسر الجيم وتخفيف الدال-: الغنى، يقال: وجد الرجل وجدا بالضم ويكسر وجدة أيضًا إذا استغنى.

(٨) المقام الإقامة وهو مصدر ميمي من أقام.

(٩) برز الرجل في العلم تبريزا برع وفاق نظراءه وهو مأخوذ من برز الفرس إذا سبق الخيل في الحلبة.

خطبة أخرى

الحمد لله الجبار العظيم، القهار القديم الغفار الرحيم، الستار الحليم، الفتاح العليم، ذي السماح الكريم، الذي عظم أن تحيط به الأوهام، وعز فلا يدرك ولا يرام، أحمده على ما جللنا به من النعم، وجنبنا من النقم، وخولنا من جزيل القسم، حمدًا يكافئ رفده، ويكون مدخرًا عنده[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص في توحيده، وأقر أنه عبد من عبيده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله والناس في الجهالة شيع، ولطاغوت الضلالة تبع[٢]، فأنقذهم من الهلاك، وهداهم سبل الفكاك[٣]، حتى استقام الأود، واجتمع البدد[٤]، وعبد الواحد الصمد، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يفنى دونها العدد، وينقضي قبل انقضائها الأبد، ولا يبلغ مداها أحد، وسلم تسليما.

أيها الناس: قد وضح لكم الحق فاتبعوه، ووعظكم الدهر فاستمعوا لوعظه وعوه[٥]، وأراكم من العبر والغير ما فيه مزدجر، وأتاكم من الآيات ما يحار فيه القلب والبصر[٦]، أفلا تنتبهون من رقدة الغفلة، أفلا تتأهبون لوشك الرحلة[٧]، ألا تصرفون النفوس عن شهواتها، ألا تمهدون لها قبل حين مماتها، فأن الموت يهتك عصم الحياة، والحساب يفصح بأسرار العصاة، والتيقظ للعمل سبب النجاة، والنبأ العظيم عند هجوم الوفاة، فرحم الله امرأ جعل طلائع قلبه نظره، وجوامع حزمه فكره، وودائع لبه عبره، وأنفق في السعي لخلاصة عمره، فإن إلى الله عاقبة الأمور، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور، عصمنا الله وإياكم بحبله، ووفقنا وإياكم لقول الحق وفعله، وجعلنا وإياكم من أهله.

خطبة أخرى

الحمد لله ولي النعم الفرادى والتؤام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

---

(١) يكافئ رفده يماثل عطاءه.

(٢) شيع فرق في الأهواء والأديان.

(٣) فكاك الرهن ما يفك به والمراد هنا فكاك النفوس من النار.

(٤) الأود: الاعوجاج، والبدد: المتفرق.

(٥) عوه: افهموه من وعيت العلم إذا ضبطته.

(٦) الغير تغير الزمان وتقلبه والمزدجر مصدر ميمي من ازدجر بمعنى انزجر.

(٧) الوشك السرعة.

شهادة جعلها أول قواعد الإسلام[١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى كافة الأنام صلى الله عليه وعلى آله الخيرة الكرام، صلاة دائمة: لا انفصال ولا انفصام[٢]، وسلم تسليما.

أيها الناس: اشكروا الله على ما صنع، وأكثروا حمده على ما صرف ودفع، صرف عنكم عظيما، ومنحكم جسيما، ولم يزل بكم برا رحيما، وانعامه عليكم حديثا وقديما، لا ينوي لكم أحد سوءا إلا أركسه لأم رأسه، ولا يبني لكم بناء كيد إلا هدمه من أساسه[٣]، فقابلوا عباد الله هذه النعمة بشكر منيلها، ولا تكفروها فيبتليكم بتحويها، وكونوا قوما سلمت قلوبهم من دنس النفاق، واتخذوا العدة ليوم التلاق، فإن الأجر على حسب الأعمال، وزنا بوزن ومكيالا بمكيال، ومن تكبر على الله وضعه، ومن تواضع لله رفعه، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن زرع التقوى حمد عند الحصاد ما زرعه، فلا تجعلوا لمعاصي الله عليكم سبيلا، ولا تشتغلوا بالدنيا اشتغال من لا يجد عنها تحويلا، وارفضوا فليست لكم مقرا ولا مقيلا، واعملوا للآخرة فإنها خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا[٤]، جعلنا الله وإياكم ممن استزاد بشكره مذخور مزيده، وآمن بإدمان ذكره محذور وعيده، إن أحسن الحديث كتاب الله، وتقرأ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة: ١١] الآية.

خطبة أخرى

الحمد لله على ما أوجب حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأن محمدًا عبد رفع مجده، ورسول أنجز وعده، صلى الله عليه وعلى الأئمة بعده، صلاة ترفع منزلتهم

---

(١) الفرادى جمع فرد على غير قياس، وتؤام بوزن حطام جمع توأم ويجمع أيضًا على توائم والتوأم اسم لولد يكون معه آخر في بطن واحد والولدان توأمان.

(٢) فصمت الشيء فصما من باب ضرب إذا كسرته من غير إبانة وفصل فانفصم.

(٣) أركسه: أذله ورده صاغرا ومنه سمي الرجيع ركسا، وأم الدماغ الجلدة التي تجمع الدماغ ويقال أيضًا أم الرأس.

(٤) المقر مكان القرار، والمقيل مكان القيلولة وهي نوم نصف النهار، والفتيل: ما يكون في شق النواة، ويضرب به المثل في الشيء الحقير وفي إعرابه وجهان أحدهما: أن يكون مفعولا لا لتظلمون وهو متعد إلى مفعولين ومعناه تنقصون وثانيهما أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره ظلما قدر فتيل فحذف المصدر وصفته وأقيم المضاف إليه مقامها.

وتزلفهم عنده[١]، وسلم تسليما.

أيها الناس: من كان الدهر خطيبه كفاه، ومن كان الفكر طبيبه شفاه، ومن كان غرور الأمل قائده أرداه، ومن كان صالح العمل رائده هداه[٢]، إنه والله ما بعد ما قربته الأيام، ولا سعد من أوبقته الآثام[٣]، ولا سلم من اتخذ المهالك سبيلا، ولا نعم من كان الموت بوجهه كفيلا[٤]، وما أنتم الأسيل الآخرة قراره، وذبال الموت الوحي ناره[٥]، وقوف والآجال بكم سائرة، وحلال والأيام بكم مسافرة[٦]، ورقود والمنايا فنائكم ساهرة، تعمرون الدنيا وداركم الدار الآخرة[٧]، فأعدوا لما لا يدفعه حول محتال، وجدوا في التزود ليوم المآل، واقطعوا من الدنيا علائق الآمال، واتبعوا الحق تسلموا من حيرة الضلال، فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لتموتن ثم لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير[٨]، ختم الله بالمغفرة والسعادة أعمارنا، وعمر بتقواه إعلاننا وإسرارنا، إن أفصح الوعظ المنسوق، وأوضح اللفظ المنطوق، كلام من كلامه منزل غير مخلوق، وتقرأ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٦].

خطبة أخرى

الحمد لله أولى ما يبتدأ به الكلام ويستفتح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعلى ما يثني به إلى الرب ويمدح[٩]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أحلى

---

(١) تزلفهم تقربهم.

(٢) الرائد هو الذي ترسله في طلب الكلأ تقول راد الكلأ إذا طلبه وارتاد ارتياد مثله.

(٣) أوبقته: أهلكته، والآثام جمع إثم وهو الذنب.

(٤) الكفيل بالوجه: هو الكفيل بالنفس تقول أنا كفيل بنفس زيد إذا ضمنت إحضاره متى أريد منك.

(٥) الذبال فتيلة المصباح، والوحي السريع.

(٦) الحلال جمع حال وبابه رد تقول حل بالمكان حلولا إذا نزل.

(٧) الرقود الرقاد بمعنى النيام، والفناء: بالفتح مصدر فني الشيء وأما الفناء بالكسر فهو الوصيد وهو سعة أمام البيت وقيل ما أمتد من جوانبه ويجوز أرادته هنا.

(٨) خائنة الأعين قيل هي كسر الطرف بالإشارة الخفية وقيل هي النظرة الثانية عن تعمد.

(٩) الحمد مبتدأ ولله متعلق به وأولى خبر المبتدأ وجميع ما سبق من الخطب فخبر المبتدأ فيه لله، وأعلى خبر مبتدأ أيضًا والمبتدأ هو جملة كلمة الشهادة بأسرها فتنبه لذلك ذكره بعض الأفاضل.

البرية كلاما وأفصح، وأوزن الأنام حلما وأرجح[1]، وأوضح الأنبياء شرعا وأفسح، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يفوز من تاجر الله بها ويربح، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن اتقاء الله واجب، وأمره غالب، والأجل طالب، والدهر واعظ بعبره خاطب، والزمان معط بغيره سالب[2]، والموت بعدد الأنفاس مراقب، والمرء لاه عما خلق له لاعب، والملك رقيب على عمله كاتب، والقبر كفيل به إلى يوم القيامة لازب[3]، والعذاب واقع بالعصاة واصب، والحكم العدل بمثاقيل الذر محاسب[4]، فمن استقامت محجته، فلجت حجته[5]، ومن ساء في الحياة الدنيا مقترفه، كان إلى النار يوم القيامة منصرفه[6]، قال الله جل جلاله، وصدق مقاله، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ [الزلزلة: ٦].

خطبة أخرى

الحمد لله المدعو إلها بكل اللغات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العالي عن إحاطة النعوت والصفات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالبينات، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات، وسلم تسليما.

أيها الناس: حمت التقوى حلفاءها من الآفات، ورمت الدنيا أبناءها مرامي الهلكات[7]، وسددت المنون إلى نفوسكم سهامها القاتلات، وأنتم راقدون في مراقد

---

(١) الحلم بالكسر الأناة وقد حلم بالضم حلما، وأوزن بمعنى أعظم.

(٢) يجوز في الدهر النصب على العطف على اسم إن ويجوز فيه الرفع على الابتداء وكذلك ما شاكله والأولى الرفع عند طول الفاصل لتكون كل فقرة كأنها مستقلة عما قبلها، وقوله بغيره متعلق بسالب وقد اعترض عليه بعضهم بأن هذه الفقرة وما شاكلها تتضمن نسبة الأفعال للدهر وقد ورد النهي عن ذلك فإن الدهر لا مدخل له في الأفعال وإنما هي من آثار ذي الجلال وأجيب بأن هذا كلام جار على الألسنة سائغ في العرف والنهي إنما ورد عن الاعتقاد لا عن القول.

(٣) اللازب اللازم الذي يعلق بما يمر به ومنه طين لازب.

(٤) الواصب الدائم.

(٥) فلجت حجته غلبت وفازت وبابه دخل، وفلج بحجته غلب وفاز بها.

(٦) المقترف الاقتراف وهو الاكتساب، والمنصرف الانصراف.

(٧) الحلفاء جمع حليف وهو الرجل ينزل بالقوم ويعتضد بهم، والمرامي جمع مرمى وهو موضع الرمي.

الغفلات، مقتنصون بحبائل الشهوات[1]، كأنكم لا تسلكون سبل الآباء والأمهات، كيف لا وقد علت الأنساب في الميتين والميتات.

فرحم الله امرأً بادر الإقلاع عن السيئات، وواصل الإسراع في الخيرات، قبل انقطاع مدد الأوقات، وارتجاع النفوس المعارات، وطي الصحف المستودعات، ونشر فضائح الاقتراف والجنايات، فلا تغتروا بوصل داع إلى الشتات، وحياة قائدة إلى الممات، فورب السماء والأرض إن ما توعدون لآت.

طهر الله قلوبنا وقلوبكم من دنس الشبهات، واستعملنا وإياكم بالباقيات الصالحات، إن أنفع الزجر وأحسن العظات، كلام عالم الخفيات، وتقرأ: ﴿ قُلۡ مَتَـٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] الآية.

خطبة أخرى

الحمد له فاطر السموات ورافعها، وباسط الأرض وواضعها[2]، وعالم الأسرار

(١) سدد السهم صوبه إلى المرمى، والمقتنص: المصيد، والحبائل جمع حباله وهي شرك الصائد.

(٢) بسط الشيء نشره ووسعه، والبساط ما يبسط ومكان بسيط أي واسع، والبسيطة الأرض وسميت بسيطة لاتساعها لا لكونها غير كروية كما يتوهمه بعض الناس ومنشأ غلطهم حمل الألفاظ اللغوية على المعاني الاصطلاحية ولم يرد في الكتاب العزيز شيء يوهم ذلك حتى يحتاج إلى تأويله، وما ورد من كونها جعلت بساطا أو مهادا أو فراشا لا ينافي كرويتها قال القاضي في تفسيره: ومعنى جعلها فراشا أي جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها اهـ، فإن قلت كيف ينكر كونها مسطحة مع قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾، قلنا إن التسطيح الذي أنكره هو المعنى العرفي لا المعنى اللغوي قال أهل اللغة سطح كل شيء أعلاه، وسطح الله الأرض بسطها، والمسطح بكسر الميم عمود الخيمة الذي تجعل لها به سطحا، فإن قلت إذا كان الأمر كذلك فمم نقل التسطيح عند المهندسين قلنا من قولهم سطح الدار إذا جعل لها سطحا والسطح في الدار لا يكون إلا مستويا نظرا لعادة العرب ولما يقتضيه لفظ السطح من البسط والاتساع ولا اتساع في سطح الدار إلا بالاستواء على أن هذا المعنى قد أعرضوا عنه في المسطح كما أعرض عنه المهندسون في قولهم سطح بسيط وسطح كروي وهذا السؤال مبني على الأغلب من وجود المناسبة بين المنقول والمنقول عنه في الألفاظ العرفية ألا ترى أن البسيط نقله الحكماء لما لا تركيب فيه أصلا مع عدم ظهور المناسبة والحاصل أنه ليس في =

وسامعها، ومعطي النوافل ومانعها، أحمده حمد شاكر لأنعمه، راض بقسمه، معترف بكرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو النعم الغامرة، والحكم الباهرة، وأشهد أن محمدًا عبده المرسل بكتابه، ونبيه الناطق بحكمه وصوابه، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأصحابه، والمختارين من أنصاره وأحزابه، كما ألزمنا ذلك وأمرنا به، وسلم تسليما.

أيها الناس: ما الاعتذار بعد الإنذار، وما الوسيلة يوم العرض على النار، وما الحجة عند مسألة الجبار، حين يقول لمن عظمت بليته، وأحاطت به خطيئته: ألم نمل لكم في المهل، ألم يأتكم نبأ السلف الأول[1]، ألم نخلقكم من ماء مهين، ألم نمددكم بأموال وبنين[2]، ألم ننس لكم في الأعمار، ألم يأتكم نبأ فيه اعتبار[3]، ألم تسيروا في الأرض فتطوى لكم على الآثار، ألم تروا كيف فعل ربكم بالأشرار، فيا شقوة من تعرض للمعاصي بعد الإنذار، ويا لهف من تربص بالتوبة والاستغفار[4]، ويا حسرة من هجم على محارم ربه واجترأ على الأوزار، ويا خيبة من أورده قبح عمله على النار، هلك الظالمون إلا أن يتغمدهم الله برحمته، وأقسم قسم صواب، إن الله برحمته لأجود

=

الكتاب والسنة ما يقتضي عدم كروية الأرض حتى يقال: إن القائلين بكرويتها كالغزالي والبيضاوي جنحوا إلى التأويل في التنزيل وقد زل كثير من الأفاضل في مثل هذا المقام بسبب ما قلنا فترى بعضهم يحمل اللفظ على معناه الاصطلاحي فيخطئ وبعضهم بصرفه عن ذلك ويظن أنه من قبل التأويل ثم يتمحل لذلك أسبابا ومن أراد تحقيق هذا المقام فليرجع إلى كتاب درء تعارض العقل والنقل للعلامة التقى.

(١) أملى له طول له وأمهله.

(٢) المهين الحقير وهو من المهانة.

(٣) نسأ الله أجله، وأنسأه إذا أخره ويتعدى بالحرف أيضًا فيقال نسأ الله في أجله وأنسأ فيه قال الكندي وقع في الرواية ألم ننس والصواب ألم ننسأ بالهمز أقول لا يخفى أن المهموز اللام يجريه بعض العرب مجرى الناقص كقول بعضهم:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ... وأقر السلام على عرب بذي سلم

ولعل إنكار الكندي لعدم الهمز لاشتباهه هنا بالفعل المشتق من النسيان.

(٤) اللهف بالسكون والفتح مصدر لهف من باب فهم وهو الأسى والحزن والغيظ وقولهم يا لهفه كلمة يتحسر بها على فائت، والتربص الانتظار والتأخر.

منه بالعقاب، إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب.

خطبة أخرى

الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خيرة المختارين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، وسلم تسليما.

أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله الذي يُؤوي إليه من اتقاه، ولا يعزب عليه إدراك من عصاه(١)، وأحذركم الغفلة عن الأمر المظل، والإدبار عن الخطب الأجل(٢)، فإنكم مطلوبون، والمطلوب أولى بالوجل، وإنكم مسؤلون، والمسئول أحق بتصحيح العمل، فرحم الله امرأ أخذ في إصلاح زاده، والتيقظ ليوم معاده، فإن الفائت بعيد إدراكه، والتشمير قوام الأمر وملاكه(٣)، والموت قاطع الأسباب، والخبر الجلي عند الغيبة في التراب، والانتباه من رقدة الموت بنفخة الصور، والموعد يوم العرض والنشور، والكتاب ناطق بهتك الستور، جعلنا الله وإياكم ممن نظر لنفسه، وأطاب زاده لحلول رمسه، إن أولى ما وعظ به العالمون، وأحسن ما تلاه التالون، كلام من نحن له عابدون، فإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وتقرأ سورة العصر إلى آخرها.

خطبة يذكر فيها احتباس المطر

الحمد لله المحمود على البأساء والضراء، المعبود في الأقطار والأرجاء(٤)، المدعو لكشف نوازل الغماء، المرجو عند انقطاع حبل الرجاء(٥)، أحمده في جميع الأوقات والآناء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مستحق التوحيد والثناء(٦)، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم الرسل والأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة بلا

---

(١) يؤوي إليه من اتقاه أي يقربه إليه وفي نسخة لا يفوز لديه إلا من اتقاه، ويعزب يغيب.

(٢) أظله الأمر إذا دنا منه.

(٣) قوام الأمر ملاكه الذي يقوم به وهو بالكسر وقد يفتح.

(٤) الأرجاء جمع رجى مقصور وهو الجانب.

(٥) الغماء الشدة وليلة غماء لا يرى هلالها وأصل الغم التغطية ومنه أخذ الغم بمعنى الكرب لكونه يغطي على القلب، والرجاء الأمل وإذا جمع فقياسه أرجية مثل قضاء وأقضيه.

(٦) الآناء الساعات واحده إنا مثل معي.

انقضاء، وسلم تسليما.

أيها الناس: ما أفظع الفقر بعد الثراء، وأشنع العسر بعد الرخاء[١]، وأبشع البؤس بعد النعماء، وأوجع المنع بعد العطاء[٢]، أما ترون نتائج الغدر بعد الوفاء، وعواقب اتباع مضلات الأهواء، كيف أدتكم إلى ظهور الأعداء، وحجبت عنكم قطر السماء، ولوحت لكم بأمارات القحط والغلاء، وأشرفت بكم على عظيم البلاء، وأنتم عاكفون على ارتكاب الفحشاء، صادفون عن سنن الأخيار والصلحاء، لاهون عن مواقع سوء القدر والقضاء[٣]، كأنكم بمعزل عن هذه الداهية الدهياء، أو كأن معكم كتابا بالسلامة والنجاء[٤]، تظهرون توكل البررة الأولياء، وتضمرون أعمال الفجرة الأشقياء، وتصدون عن التذلل لله صدود الأغنياء، وتأتون في ناديكم المنكر بلا خوف من الله ولا حياء[٥]، قد سطعت فيكم جمرات الظلم والاعتداء، وارتفعت بينكم رايات الهمج والغوغاء[٦]، وصار الأعلاء أساة الأصحاء، والجهال هداة الحكماء[٧].

فيا معشر أهل التجمل من الفقراء، وذوي المسكنة من الضعفاء، وبقيه القراء والعلماء، اتقوا الله ربكم حق الاتقاء.

واعملوا على اتباع سنة السلف الأتقياء، في الخروج إلى فلوات الأض للاستسقاء[٨]، والابتهال إلى من بيده مفاتيح الأنواء، والتضرع سرا وجهرا بإخلاص الدعاء[٩]، بعد تطهير القلوب من النفاق والشحناء، وقمع النفوس بذكر يوم الجزاء،

(١) أفظع أفحش وأغلظ، والثراء الغنى.
(٢) قال الكندي الصواب وأشد إيجاع المنع بعد العطاء لأن الفعل غير ثلاثي وفي طرة الكتاب قد جوز سيبويه صوغ فعل التعجب من الرباعي فلا مؤاخذة على الخطيب لأنه اتبع مذهب سيبويه لقصد الترصيع اهـــ.
(٣) الصادف المعرض والسنن بفتح السين الطريقة ويجوز قراءتها بضم السين فتكون جمع سنة بمعنى السيرة.
(٤) فلان بمعزل عن كذا أي مجانب له، والدهياء تأكيد للداهية من لفظه مثل ليل الليل.
(٥) صد عنه صدودا أعرض وصده صدا منعه وبابهما رد،والنادي المجلس.
(٦) الهمج ذباب يطير على وجوه الإبل ونحوها يشبه به رعاع الناس، والغوغاء ذباب شبيه بالبعوض إلا أنه لا يعض ولا يؤذي وقيل الجراد ويطلق مجازا على الأوباش.
(٧) الأساة جمع آسي وهو الطبيب.
(٨) الاستسقاء طلب السقي عند احتباس الغيث.
(٩) الأنواء السحب التي تأتي بالمطر.

والخروج من المظالم قبل الخروج إلى الصحراء[١].

وارغبوا إلى الله في دفع هذه المصيبة الصماء، وأطيلوا البكاء فما أولى ذوي البصائر بطول البكاء، كشف الله عنا وعنكم ظلل اللأواء، وقلبنا وإياكم من الضراء إلى السراء[٢].

إن أبلغ مواعظ الخطباء، وأحسن قصص الأنباء، كلام ذي العزة والكبرياء، وتقرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] الخمس آيات.

خطبة يخطب بها في الاستسقاء

يبدأ بالاستغفار فيقول: أستغفر الله وأتوب إليه (سبعا)، ثم يقول في آخر ذلك: (أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه)، ثم يقول: الجأوا إلى الله عباد الله عند العياء بفادح الأمر، وتحصنوا بإخلاص التوكل عليه من نوائب الدهر[٣]، وأكثروا ذكر نعمه في السر والجهر، وأطلقوا بإدامة استغفاره محبوس القطر، وأسبلوا دمع العيون على سوالف الأجرام، يسبل الله عليكم رحمته بواكف الغمام، فما حبس الله قطر سمائه بخلا برزقه، ولكن جعل الله ذلك عبرة وتأديبا لخلقه، فارغبوا.

أيها الناس: في فتح أبواب السماء إلى من بيده مفاتيحها، واجأروا إليه بالاستغفار فإنه أنواؤها ومجاديحها[٤]، وأذيبوا بنار الاستغفار، جامد القطار[٥]، ولا

---

(١) الشحناء العداوة والحقد.

(٢) اللأواء الشدة.

(٣) العياء من العي يقال عييت بالأمر عيا إذا لم تهتد له أعياني هو، والداء العياء الذي أعيا الأطباء، وفادح الأمر شديد الأمر الذي يدهم ولا يعرف المخلص منه.

(٤) اجأروا ارفعوا أصواتكم بالدعاء تضرعا، والأنواء جمع نوء وهو السحاب التي تأتي بالمطر ويطلق على سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع، قال ابن الأثير في النهاية وفي حديث عمر لقد استسقيت بمجاديح السماء والمجاديح واحدها مجدح والياء زائدة للإشباع والقياس أن يكون واحدها مجداح فأما مجدح فجمعه مجادح والمجدح نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيها بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولا بالأنواء وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر اهـ.

(٥) القطار جمع قطرة مثل جفان وجفنة.

تقنطوا من رحمة من وسعت كل شيء رحمته، واشكروا نعمة من في كل بلاء نعمته، واعترفوا له بالتقصير فيما ألزم، تجدوه أرأف بكم وأرحم.

وقولوا كما قال أنبياء الله وصفوته، وأخصاؤه وخيرته، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾، ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦]، ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا ﴾ [هود: ٣] إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٤]، ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢]، ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾، ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [هود: ١٠-١٤]، فاستغفروا الله عباد الله لقديم الجرائم، وعظيم المآثم، وليخرج بعضكم إلى بعض من الغصوب والمظالم، فإن ربكم رحيم تواب، كريم وهاب، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣][1]، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ

---

(١) هذه الآية من سورة الأنفال وتمامها: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١][1]، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦، ٥٥].

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم إن رجاءنا واقف عليك، ودعاءنا خوفا وطمعا صاعد إليك، وإقرارنا بالتقصير والتفريط بين يديك، ونحن عبيدك الفقراء الملتمسون ما لديك.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم إن أرضك بين يديك خاشعة، ونفوس عبادك فيما لديك طامعة[2]، وأعناقهم هيبة لك خاضعة، والمقادير بمشيئتك واقعة، والأمور كلها إليك راجعة، ورحمتك لكل مطيع وعاص واسعة، وأنت الكفيل بقيام أرماقها، والوكيل بإدرار أرزاقها[3]، والمنعم عليها بغير استحقاقها، والحافظ لها في أقطار أرضها وآفاقها، فأخرجها إلى سعة جودك من ضيق أملاقها.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم إن كثرة الذنوب، ومساوئ العيوب، وخبث طويات القلوب والهجوم على مرديات الحوب[4]، حجبت عنا غيث سمائك، وصدتنا عن شكرك على حسن بلائك[5]، وأنستنا ذكر نعمك وآلائك السابق في قدرك وقضائك، وقد جئناك راجفة لهيبتك ألبابنا، خاضعة لعزتك رقابنا، نقر بالتقصير في أداء حقك، وقلة الشكر لك على إدرار رزقك.

فنتوسل إليك بالخيرة الأبرار من خلقك، أن تنشئ لنا سحابا غدقا مدراره[6]،

---

(١) هذه الآية من سورة الرعد وهي تلي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

(٢) خاشعة مغبرة من اليبس وخشع بصره من باب خضع إذا غضه هيبة وحياء.

(٣) أرماق جمع رمق وهو بقية النفس وأصله الشيء الضئيل لا يدرك إلا بشدة النظر فقول رمقته ببصري إذا سددت النظر إليه، وأدر الله عليه الرزق وسعه وكثره.

(٤) الحوب الإثم، والمرديات المهلكات.

(٥) البلاء الاختبار والتكليف قال الراغب الأصفهاني: اختبار الله لعباده تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء.

(٦) الغدق الكثير الطيب، والمدرار السحاب الكثير السح.

هنيئا انهماره، عاما ابتكاره[١]، محفوفة بالسلامة أقطاره، موسومة بالخصب والسعة آثاره[٢]، تنهل عزإليه، وتترادف تواليه[٣]، تبشرنا بالرحمة والسلامة رعوده، وتهمي بالوابل القصف الصيب وفوده[٤]، ترسل الرياح بين يديه مبشرات، وتكسو به أرضك حلل النبات، وتنزل علينا بنزوله صنوف البركات، وتفتح لنا به خزائن الأقوات، تضحك في بكائه بروقه، وتدر بالرحمة والنعماء فتوقه، ويتلو منه صبوحه غبوقه[٥]، سحوحا صوبه، بطيئا أوبه[٦]، مسفا هيدبه، ملتفا صيبه[٧]، صخبا أرزامه، متحلبا غمامه[٨]، جلجالا هميره، سيالا نميره[٩]، متفجرة خلاله، منهمرة أذياله[١٠]، يدفع بعضه بعضا، وتروي به سماء أرضا، وتبدلنا به من بعد جدب خفضًا[١١]، حتى تطفح به الوهاد، وتروي به البلاد، وتحيي به العباد[١٢]، ناشرا به علينا سرادق نعمتك،

---

(١) الانهمار الانصباب، وابتكاره أوله وما يبكر منه.

(٢) الخصب بالكسر ضد الجدب والجدب انقطاع المطر ويبس الأرض.

(٣) عزالي جمع عزلاء وأصله فم المزادة.

(٤) همي المطر كثر صبه، والوابل المطر الغزير، والقصف الشديد الصوت وهو من قصف الرعد قصيفا إذا اشتد صوته، والصيب السحاب يرمي بالمطر، والوفد جمع وافد وهو القادم أو جمع وفد وهم القوم القادمون

(٥) در اللبن وغيره درا من بابي طرب وقتل كثر، والفتوق جمع فتق وهي شقوق السحاب وغيره، والصبوح ما يشرب وقت الصباح والغبوق ما يشرب عشية.

(٦) سحوح كثير السح والسح كثرة نزول الماء، والصوب المطر، والأوب الرجوع.

(٧) المسف الداني يقال أسف الطائر إذا دنا من الأرض، والهيدب في الأصل هدب الثوب وهو طرته وخمله والمراد به هنا ما يرى من السحاب كأنه خيوط مدلاة قال الشاعر يصف سحابا:

دان مسف فويق الأرض هيدبه   يكاد يدفعه من قام بالراح

والمراد بالتفاف صيبه تراكم سحابه.

(٨) رجل صخب وصاخب وصخاب كثير اللغط والجلبة، والأرزام مصدر أرزمت الناقة إذا صوتت والأرزام صوت لا يفتح فيه الفم.

(٩) غيث جلجال بالفتح شديد الصوت والهمير النزول وقيل الصوت كالهدير، والنمير الماء الذي ينمى في الجسد وهو العذب النافع.

(١٠) الخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين.

(١١) الخفض الرخاء وسعة العيش.

(١٢) تطفح به الوهاد تمتلئ به المواضع المنخفضة.

قابضا به عنا بوائق نقمتك[١]، تنعش به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك[٢]، ترحم به الأطفال الرضع، والبهائم الرتع[٣]، والمشايخ الخشع، وتشفع به فينا أولياءك السجد الركع[٤]، تنبت به الزرع، وتدر به الضرع[٥]، وتخرج به النبات وتحيي به الأرض الموات[٦]، حتى لا يدع واديًا إلا أساله، ولا أبًا إلا أطاله، ولا جدبًا إلا أزاله[٧]، ولا قفرًا إلا أعشبه، ولا مصرًا للمسلمين إلا أخصبه، تعم به قاصينا ودانينا، وحاضرنا وبادينا، فإنك الملك المسئول، والمرجو المأمول، ونحن عبيدك المذنبون الخاطئون المعترفون، وإنا لك وإنا إليك راجعون.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم جد علينا بتحقيق الآمال، وأسعفنا بتبليغ السؤال، وتصدق علينا بالفضل والنوال، ولا تخلنا من حسن نظرك في كل حال.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم إن تهلكنا فبقبيح أعمالنا، وإن ترحمنا فبرحمتك لأصاغرنا وأطفالنا، وأنت العالم بسيئ أحوالنا، فجد علينا بتبليغ آمالنا.

ثم ارتفعت سحابة وهو على المنبر فقال ارتجالا:

اللهم هذه أمارات رحمتك، ومقدمات نعمتك[٨]، وآيات رأفتك، وعلامات

---

(١) السرادق ما يضرب حول الخيم، والبوائق الشدائد.
(٢) نعشه الله رفعه ولا يقال أنعشه وبابه قطع.
(٣) الرتع جمع راتع وهو المرسل في المرعى.
(٤) والخشع جمع خاشع وهو الذليل المنحني.
(٥) الضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة والجمع ضروع مثل فلس وفلوس.
(٦) الأرض الموات التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد.
(٧) الأب المرعى وقيل الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للإنسان.
(٨) المقدمات جمع مقدمة بكسر الدال وهي في الأصل الجماعة التي تتقدم الجيش من قدم اللازم بمعنى تقدم ثم استعيرت لكل شيء متقدم فقيل مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام وقد أجاز بعضهم فتح الدال وجعلها من قدم المتعدي وقد أنكر المدقق ابن درستويه مجيء اللفظ الواحد تارة متعديا وتارة لازما حيث قال لا يجوز أن يكون الفعل اللازم والمجاوز على لفظ واحد في النظر والقياس لما في ذلك من الإلباس وأطال في ذلك وقد نظرت في كثير من هذا النوع فوجدته متعديا في المعنى حين جعلهم إياه لازما وإنما حذف مفعوله لقيام القرينة وكثرة الاستعمال والمحذوف فيه هو لفظ النفس فإذا قلت قدمت بين يدي زيد فمعناه قدمت نفسي =

إجابتك، تفضلا منك على خليقتك، اللهم فعجل لنا الفرج بإرسال الرياح، المبشرات باليسر والنجاح، وأتح لنا من نوافل جودك المتاح، غيثا تساوي به بين الآكام والبطاح(١)، إلى ههنا الارتجال.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعول في إجابة دعائنا عليه، اللهم عجل لهذا السواد الأعظم فرجا عاجلا، وسهل لكافتنا غيثا هاطلا، تسيل به الشعاب، وتروي به الظراب(٢)، وترحم به منا من لا ذنب له ولا حجة عليه، يا من الخير أجمع بيديه(٣)، إن أحسن الحديث والذكرى، وأنفع المواعظ لأولي النهي، كلام رب الآخرة والأولى، وتقرأ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية.

ثم يجلس ويقوم فيخطب الثانية وهي:

الحمد لله على ما ساء وسر من القضاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسماء، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم الرسل والأنبياء، وسيد الأمناء، صلى الله عليه وعلى آله في جميع الأوقات والآناء.

عباد الله قد ترون ما حل بكم من هذه الجائحة العظيمة، وأظلكم من هذه

=

وإذا قلت كف زيد عن الشر فمعناه كف نفسه غير إنا نقول إن جعلهم لذلك الفعل في بعض الأحيان من قبيل اللازم مبني على ظاهر الحال فيرتفع الإشكال.

(١) أتاح الله لعبده كذا قدره، الآكام بوزن جبال جمع أكم وهو شرفة كالرابية ويجوز مده فيكون جمع أكم بوزن عنق وهو جمع آكام السابق، والبطاح جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢) الشعاب جمع شعب بالكسر الطريق وقيل الطريق في الجبل، والظراب جمع ظرب بوزن كتف الرابية الصغيرة.

(٣) قال القاضي عند قوله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ ذكر الخير وحده لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الأدب في الخطاب أو لأن الكلام وقع فيه وقال الراغب الأصفهاني الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده قيل والخير ضربان خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرًا لواحد شرا لآخر كالمال الذي ربما كان خيرا لزيد وشرا لعمرو ثم قال فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

المصيبة الأليمة[١]، وما منكم من أحد إلا وقد توجه إلى الله بسؤاله، وجأر إليه بابتهاله[٢]، فواسوءتا إن لم يكن في هذا المصر أحد مستحق للإجابة، وواحزنا إن لم يرتفع دعاء أحدكم بتحقيق الإنابة[٣].

فاقرعوا رحمكم الله باب الملك الرحيم، وارغبوا إليه في دفع هذا الأمر العظيم، فوالذي بعث محمدًا بالحق رسولاً، قسمًا لا تجدون له تبديلا، لئن صدقتموه في السؤال، ليعجلن عليكم بالنوال، فليرتفع إليه بالدعاء ضجيجكم، وليصعد إليه بالابتهال عجيجكم[٤].

وأخلصوا نياتكم في الدعاء، واتبعوا سنة نبيكم في قلب الرداء، يقلبكم الله من الضراء إلى السراء، ويخرجكم من ضيق الشدة إلى سعة الرخاء، فإن الله عز جلاله لدعائكم مستمع، وعلى نياتكم مطلع، وهو القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ثم تستقبل القبلة، وتحول الرداء، وتدعو سرًا، وجهرًا بما حضر، ثم تستقبل الناس بوجهك، فتصلي على النبي والملائكة، وتدعو للخليفة والولاة وجيوش المسلمين وتتم الخطبة على رسم الجمع.

خطبة في المعنى يذكر فيها صنع الله (وتفضله بالغيث بعد الاستسقاء)

الحمد لله ذي المنع المنيف، والصنع اللطيف، والسطور المخوف، والعفو المألوف[٥]، المعروف بالمعروف، المحسن البر الرؤف، أحمده على نيل منحه، وأزل زحزحه[٦]، ومن طوقه، وظن حققه[٧]، حمدًا لا يدع مددًا من البر إلا استوجبه، ولا يغادر أمدًا من الشكر إلا استوعبه.

---

(١) الجائحة الآفة يقال جاحت الآفة المال تجوحه جوحا من باب قال إذا أهلكته وتجيحه جياحة لغة فهي جائحة والمال مجوح ومجيح واجتاحت بمعنى جاحت.

(٢) جأر إلى الله تضرع في دعائه.

(٣) مستحق صفة لأحد وهو اسم يكن والظرف خبرها ولا يجوز قراءة مستحق بالنصب كما في بعض النسخ.

(٤) الضجيج والعجيج رفع الصوت.

(٥) السطو القهر.

(٦) الأزل الضيق، زحزح الشيء أزاله ونحاه.

(٧) المن الإنعام، وطوقه حمله من أنعم به عليه حتى صار في عنقه كالطوق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي علم كل شيء فأحصاه، وعم فضله من أطاعه من خلقه وعصاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بشرع هداه، وأهله لقمع عداه[١]، فاجتمعت به الكلمة، ودفعت به النقمة، وتبوأ به الإسلام داره، وأطفأ به من الكفر ناره، صلى الله عليه وعلى آله كما اصطفاه واختاره، صلاة يعم بها مهاجريه وأنصاره[٢]، وسلم تسليما.

عباد الله، كيف رأيتم من الله حسن الإجابة، حين أخلصتم إليه تحقيق الإنابه، أم كيف وجدتم غب الاعتصام بحبله، وعاقبة التعرض لفضله، أولم تجدوه للدعاء سامعا، وبموفور العطاء واسعا، أو لم تكن الأرض هامدة، حين كانت العيون جامدة[٣]، حتى إذا وجلت القلوب فخشعت، وهملت العيون فدمعت[٤]، واشرأبت النفوس فطمعت، واستكانت الخليقة فخضعت[٥].

وكان الله عز جلاله منتجع الطالب، ومفزع اللهيف الهارب[٦]، أجراكم من إحسانه على المعهود، ومد عليكم سرادق المعروف والجود، وفتح لكم من نعمته أبوابًا، وأنشأ لكم من رحمته سحابا. كونها في غيب علمه، وأتقنها بلطفه وحكمه، وأمرها فارتفعت مستقلة، ونشرها فاتسعت مظلة[٧]. وساقها بالرياح سوقا حثيثا، وأوقرها من البركة غيثا مغيثا[٨]. حتى إذا عمت الآفاق طولا وعرضا، وركضها الملك الموكل بها ركضا[٩]. وتمخضت تمخض الحامل، وكادت تنالها بسطة المناول[١٠].

---

(١) العدى: الأعداء هو بالكسر فإن أدخلت عليه التاء وقلت عداة ضممت.

(٢) الإضافة في مهاجريه معنوية كما لا يخفى.

(٣) هامدة ميتة بالجدب، وجمود العين كناية عن بخلها بالدمع بسبب قساوة القلب.

(٤) وجلت خافت وبابه علم، وخشعت خضعت وبابهما واحد.

(٥) اشرأبت تطلعت وطمحت، واستكانت خضعت وذلت وهذه الكلمة من باب الاستفعال وهي مأخوذة من الكون وقال أبو علي من الكين وهو الأشبه تقول كان الرجل يكين إذا ذل.

(٦) كان قد تكون بمعنى الدوام نحو: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ وهي هنا كذلك، والمنتجع المقصد تقول انتجعت فلانا إذا قصدته وطلبت خيره، واللهيف واللاهف واللهفان والملهوف المضطر المستغيث.

(٧) مستقلة من الاستقلال وهو الارتفاع تقول استقل الطائر إذا ارتفع.

(٨)حثيثًا سريعا، وأوقرها حملها حملا ثقيلا.

(٩)ركضها حثها بالسير.

(١٠) تمخضت اضطربت بثقل ما فيها والمراد أنها تهيأت للمطر وبدت فيها مخايله وأصل المخاض =

أنطق الله بالبشارة رعدها، وحقق بالنضارة وعدها، وأطلع بالعمارة سعدها، وأوسع في كل ربوة وقرارة رفدها[١]. وأصلت في أرجائها سيوف البرق، وأسبل من خلالها سجال الودق[٢]. وأمر الرياح فمرت أخلافها، وزم بالسلامة أوساطها وأطرافها[٣]، فطبق بصوبها السهل والجبل، وحقق بغيثها السؤل والأمل[٤]. فأصبحت الوهاد مترعة، والبلاد ممرعة[٥]. والروض ناضرا، والخلق متباشرا؛ قد ثابت منهم النسايس، وانجابت عنهم الوساوس[٦]. وطابت النفوس، وغابت النحوس؛ فقوموا لله أيها الناس: بشكر هذه النعم تسعدوا بدوامها، وشدوا بتقوى الله ومراقبته عقد نظامها، والجئوا في الأمور إلى من عسيرها عليه سهل يسير، وانظروا إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

أمتعنا الله وإياكم بذكر آلائه، وأوزعنا وإياكم شكر نعمائه، وفتح لنا ولكم من بركات أرضه وسمائه، وخار لنا ولكم في محتوم قدره وقضائه، إن أكثر النظام فائده، وأحمد الكلام عائده، كلام من تخر له الجباه ساجده، وتقرأ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

=

وجع الولادة وبسطة المتناول رفع يديه ممدودتين.

(١) الربوة المرتفع من الأرض وهي من ربا الشيء إذا زاد، والقرارة المنخفض من الأرض وسمي بذلك لاستقرار السيل فيه.

(٢) أصلت السيوف سلها، وأسبل أسال، والسجال جمع سجل وهي الدلو العظيمة، والودق المطر.

(٣) والأخلاف جمع خلف بالكسر وهو الضرع وهو في الأصل موضع يد الحالب من الثدي ولا يقال خلف إلا في ذوات الظلف، ومريت الضرع بيدي مريا إذا مسحته وعصرته عصرا خفيفا ليدر.

(٤) الصوب المطر، وطبق ملأ وغطى.

(٥) الوهاد المواضع المستفلة، والمترعة المملوءة من أترعت الكأس إذا ملأته، والممرعة المخصبة تقول أمرع المكان إذا نبت عشبه فهو ممرع ومرع المكان أيضًا فهو مريع ويقال أمرعت المكان إذا وجدته مريعًا فالمكان ممرع بفتح الراء غير أنه لا يناسب هذا الموضع.

(٦) ثابت رجعت، والنسايس جمع نسيسة وهي بقية النفس وانجابت انكشفت.

خطبة يذكر فيها كسوف الشمس[1]

الحمد لله مظهر الآيات عبرًا للناظرين، وصارف النازلات عن المتقين الذاكرين. وموجب المزيد من نعمه للمستجيبين الشاكرين، ومجلل رحمته كافة البادين والحاضرين، أحمده على أسبال ستره الجميل، وأعوذ به من وبال مكره الوبيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أهدى دليل وأكرم منيل؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ناقضًا للممالك، منقذا من المهالك؛ دالا على أحمد المسالك، موضحًا سبل السنن والمناسك، ونصره على أعدائه بكرام الملائك، واختاره من ذرية لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، صلى الله عليه وعلى آله في أسفار النهار الضاحك، وأدبار الظلام الحالك، صلاة يبوئهم بها أعلى مقاعد السرر والأرائك[2]، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن آيات الساعة مترادفة تترى، كنظام الجوهر تتبع كل واحدة منها

---

(١) كسف الشمس والقمر والوجه كسوفًا تغيرن وكسفها الله كسفًا يتعدى ولا يتعدى والفارق بينهما المصدر وبابهما ضرب وقال ثعلب أجود الكلام كسفت الشمس وخسف القمر وقال أبو حاتم إذا ذهب بعض نور الشمس فهو الكسوف وإذا ذهب جميعه فهو الخسوف، وسبب كسوف الشمس حيلولة القمر بينها وبين الأرض ولا يكون إلا زمن الاجتماع وذلك في آخر الشهر القمري حينما يكون القمر في المحاق. قال ابن سينا في الشفاء: ربما كانت الكسوفات سببًا للزلازل لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة وتعقب البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتحصيف بغتة، والبرد الذي يعرض دفعة يفعل من ذلك ما لا يفعله العارض بالتدريج اهـ وسبب خسوف القمر حيلولة الأرض بينه وبين الشمس ولا يكون إلا وقت الاستقبال وذلك حين انتصاف الشهر القمري، ويبتدئ خسوف القمر من جانبه الشرقي وكذلك انجلاؤه، ويبتدئ كسوف الشمس من جانبها الغربي وكذلك انجلاؤه وهنا تنبيهان: الأول: إنما يقع الكسوف والخسوف إذا كانت الأرض والشمس والقمر على وضع يتصور فيه مرور خط مستقيم بمراكزها ولولا ذلك للزم أن يحدث كسوف في كل اجتماع وخسوف في كل استقبال، الثاني: أن القمر حين الخسوف يكون غير منير في نفسه لوقوع الحجاب بينه وبين الشمس التي يقتبس النور منها، وأما الشمس فلكون نورها ذاتيًا لا يزول حين الكسوف وإنما يكون محتجبًا عنا بسبب الحائل بيننا وبينه ولذا قال الشاعر:

وإنما هو فيما يزعم البصر ... ولا ينال كسوف الشمس جوهرها

(٢) الإسفار انتشار ضوء الفجر وكل انكشاف عن شيء فهو أسفار، والحالك الشديد السواد، والسرر جمع سرير، والأرائك جمع أريكة وهي الحجلة على السرير.

الأخرى[١].

فلا تزال عظماها تنسيكم الصغرى، حتى يختمها الله لكم بالطامة الكبرى[٢]. فما فعلت العبرة التي رأيتموها بالأمس، من ظهور الكواكب نهارًا واسوداد الشمس، أأحدثت في قلوبكم وجلا، أم أصلحت لكم عند الله عملا؟!! فإن القادر على إعادة الظهر طفلا، قادرٌ على أن يبعث العذاب على من عصاه قبلا[٣].

فلا تحسبوا عباد الله إظهاره لكم الآيات لعبا لكن لتجأروا إليه رغبًا ورهبا، وتجعلوا التوبة إلى رضاه سببا، من قبل أن يأخذكم على الغفلة والإصرار غضبا، كما أراكم شمس النهار في بشاعة منظرها، بعد التماع نورها وصفاء جوهرها؛ فمن كان سواه يجلو للعباد ظلامها، أم من كان غيره يكشف عن البلاد ادلهمامها؛ سبحانه لا يصرف سواه زمامها، ولا يعرف غيره مسيرها ومقامها، إلا وإن الشمس والقمر خلق لله وآيتان من آياته، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته[٤].

---

(١) المترادفة هي المتتابعة باتصال، والمتواترة هي المتتابعة بانقطاع فالجمع بينهما مشكل إلا أن يراد بالاتصال الاتصال العرفي فيجتمع الترادف والتواتر.

(٢) الطامة الكبرى هي القيامة لأنها تطم على ما قبلها من الشدائد.

(٣) الطفل العشي هو وقت دنو الشمس من المغيب، قبلا مقابلة وعيانا وهو بكسر ففتح أو بضمتين.

(٤) أشار بهذا إلى ما في صحيح البخاري عن المغيرة قال كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله» هـ. قال الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة بعد أن ذكر قولهم في الكسوف والخسوف وأنه لا يصادم أصلا من أصول الدين إن هذا الفن أيضًا لسنا نخوض فيه إذ لا يتعلق به غرض ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الأنجلاء إذا قيل له إن هذا على خلاف الشرع لم يتسرب فيه وإنما يستريب في الشرع، وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقة أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقة وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل (فإن قيل) فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة» فكيف يلائم هذا ما قالوه (قلنا) ليس في هذا ما يناقض ما قالوه إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الاستواء والغروب والطلوع من أين يبعد منه أن يأمر =

وإن ظلم ذنوبنا لتوجب إظلام النهار، وانفصام الفلك الدوار، لولا تعطف الملك الجبار، وسعة رحمة العفو الغفار، الذي جاد عليكم بفضله فجلاها، وأعادها لكم بطوله كما أبداها؛ فأين أنتم عنها إذا ردها الله على عقبها، وأدارها بخلاف دور قطبها، وسيرها في غير مذهبها، حتى يردها طالعة عليكم من مغربها، فعندها تغلق أبواب التوبة لطالبها، وتتعذر أسباب الأوبة لخاطبها؛ أم كيف بكم إذا كورت في القيامة فاسودت، وتدكدكت لهولها صم الجبال فأنهدت.

وركبت الجسور على متن جهنم فامتدت، وأخذت المذاهب على الهاربين فانسدت، وعظمت المطالبات فاحتدت، وطالت المخاطبات فاشتدت، واكفهرت وجوه الظالمين فأربدت، ونصب ميزان الحق، لوزن أعمال الخلق، وتجلى الله لنصرة المظلوم، وفصل الحكومة بين الخصوم، هنالك ينادى الحاكم تعالى ذلك الحاكم، إن حازني ظلم ظالم فأنا الظالم.

فرحم الله أمرًا أقلع عما كان عليه مقيما، وأخلص للقاء الله قلبًا سليمًا، ليعتاض من نار السموم جنة ونعيمًا: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧]. أجارنا الله وإياكم من بغتات سطوه، وأصارنا وإياكم إلى درجات عفوه، ووفقنا وإياكم لسعي العاملين، ولا جعلنا وإياكم من الغافلين.

إن أنفع ما حسمت به الأسقام، وأبلغ ما لقحت به الأفهام، كلام من لا يشبه

=

عند الكسوف بها استحبابا فإن قيل فقد روى أنه قال في آخر الحديث ولكن الله إذا تجلى لشيء خضع له فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي. (قلنا): هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وإنما المروي ما ذكرناه، ولو كان صحيحًا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالأدلة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد، وأعظم ما يقدح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك، وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثًا أو قديما ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطًا أو مثمنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشرة طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي كنسبة النظر إلى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت اهـ.

كلامه كلام، وتقرأ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

الفصول

(فصل يذكر فيه قدوم نجا من الشام وأمن البلد به في رجب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة)

أيها الناس: إن غموط النعم سقم دوامها، وكفرانها شت نظامها، والاعتراف بها والشكر عليها من تمامها[١].

ولقد ضمن الله تعالى المزيد من نعمه لشاكريه، وأوجب الوعيد بنقمة على كافريه، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. فأذيعوا رحمكم الله شكر الله على نعمه، واستدفعوا بطاعته وبيل نقمه[٢]، فإنه قد جاد عليكم من قبل أن تسألوه، وحقق لكم ما لم تؤملوه، وكشف عنكم ظلماء المخافة، وكفاكم دهياء كل آفة[٣] بقدوم ليث العرين، وسيف الحق المبين[٤]. وشهاب الحرب الزبون، وخائض غمرات المنون، والذائد عن حوزة الدين[٥]. صاحب الفتوح المشهورة، والوقائع المذكورة، واللواء المعقود، والبلاء المحمود، والبأس المشهود، في الكفرة أهل الجحود. الأمير أبي فلان نعمة الله على أوليائه السابغة، ونقمته في أعدائه البالغة، الذي أعزكم الله به بعد الذلة، وكثركم به من القلة، وآمن به السبل، وأزاح به العلل، وسكن القلوب، ونفس الكروب، وأزال المرهوب، فقيدوا عباد الله هذه النعم بشكرها قبل أن تسلبوها، وحافظوا على سياستها قبل أن تطلبوها، وارغبوا إلى الله في دوام عزه وتمكينه، وإصلاح أحواله وشئونه، وأن يمده الله بملائكة نصره، على كل باغ مستكبر بكفره،

---

(١) غموط النعم كفرانها وتحقيرها، والشت مصدر شت الأمر شتاتا إذا تفرق.

(٢) أذيعوا انشروا وأظهروا.

(٣) الدهياء المحنة العظيمة، والآفة المصيبة المفسدة ومنه آفة الزرع والفعل منه آفة كذا يؤوفه فهو آيف وذاك مؤوف.

(٤) العرين بيت الأسد وهي الأجمة.

(٥) الحرب الزبون الشديدة وهو من زبنت الناقة حالبها إذا دفعته، والذائد الدافع والطارد، والحوزة الموضع الذي يحاز الشيء إليه أي يجمع والمراد بحوزة الدين ديار الإسلام.

فإن الدعاء في هذه الشهور لا يحجب، والمستنصر بالله لا يخذل ولا يغلب، أمتعنا الله وإياكم بالسلامة في الأديان والأبدان، وجعلنا وإياكم من حزبه المنصورين على حزب الشيطان، وأدال لدولة الحق من جولة البهتان، إنه خير جواد وأكرم منان.

فصل

(يذكر فيه وقعة نجا فتى سيف الدولة رحمه الله بالروم على باب حصن زياد وظفره بهم بعد خمسين حملة كانت بينهم في يوم السبت لست بقين من شعبان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة)

أيها الناس: وجب شكر من لم يزل شكر نعمه واجبا، وغلب حزب من كان حزبه أبدًا غالبا؛ فليكن كل امرئ منكم لربه حامدًا، وليبعث إليه من إخلاصه وافدًا، على ما أنعم به عليكم من بركة هذا الشهر، وأيد به أولياءه من جميل الصبر، ومنحهم من جليل الفتح والنصر، وأدال لهم من الكفرة أهل العناد والغدر، بعد تفاقم الأمر، وتطاول الكر والفر(١). وتراسل الرمي السعر، وتشاجر الطعن النتر(٢). وتلاحم الضرب الهبر، واختيال الموت في حلله الحمر(٣)، حتى إذا أدارت رحى الحرب دوائرها، وبلغت قلوب الأبطال حناجرها(٤). وظن المؤمنون أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وبذلوا نفوسهم ابتغاء ما لديه، اطلع الله على صدق نياتهم فثبتهم وأيدهم، وعلى خبث طويات أعدائه فشتتهم وبددهم، وأمكن إخوانكم المسلمين من نواصيهم، وألجا من أخره القضاء منهم إلى صياصيهم(٥)، نعمة من الله عليكم تامة، ورحمة على الإسلام والمسلمين عامة.

---

(١) تفاقم الأمر تعاظمه وشدته، والكر الإقبال على العدو، والفر التولي.

(٢) تراسل الرمي هو إرسال السهام من الجانبين، والسعر التلهب وهو مصدر سعرت النار والحرب إذا ألهبتها وهيجتها والظاهر أنه مصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، والتشاجر اشتباك الرماح، والطعن النتر هو الطعن الذي يلقي قطعة من اللحم كأنه ينترها.

(٣) تلاحم السيوف اختلاطها، والضرب الهبر هو الذي يهبر قطعة من اللحم أي يقطعها والهبر في الأصل مصدر هبرت اللحم هبرا إذا قطعته وتسمى القطعة منه هبرة، والاختيال التبختر، وإنما وصف حلل الموت بالحمرة لاكتساء موتى الوغي بالدماء قال أبو تمام يرثي شهيدًا:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

(٤) الحنجرة أول الحلق مما يلي الصدر.

(٥) النواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس، والصياصي الحصون وهي جمع صيصية وهي في الأصل القرن لمنعه صاحبه.

فأديموا رحمكم الله حمد الله يدم لكم مواصلة نعمه، والجئوا إليه يصرف عنكم قوارع نقمه، وابتهلوا إليه بالدعاء في حراسة من شمر في حراستكم، وتمكين من بذل مهجته في صيانتكم. الليث الممارس، والكمى المداعس[١]. والراغب في الجهاد المنافس، الأمير المؤيد أبي الفوارس، تمم الله له ولمن معه السلامة، وهنأهم الظفر والكرامة، وجمع بهم ألفة الإسلام وشمله، وشتت بهم كلمة الكفر وأهله.

فصل

(يذكر فيه ولاية الأمير أبي المكارم ديار بكر خطب به يوم إقامة الدعوة له وهو يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة)

أيها الناس: ارأبوا بالتقوى صدوع أعمالكم، وارغبوا عما يوبقكم يوم مآلكم[٢]، واعلموا أن مطايا النعم وحشية فأجمعوا بإعلان الشكر نوادها، وإن رزايا النقم مخشية فاقطعوا بإدمان الذكر موادها[٣]، ولا تجعلوا نعم الله قوة لكم على عصيانه، وأحسنوا معاملة من عمكم بإحسانه، فما من نعمة جللتموها سابقة، إلا شفعها لكم بأخرى لاحقة، منا منه قديما لم يزل ديدنه واجرياه، فواصلوا حمده ولا تعبدوا إلا إياه[٤].

فمن سني عوارفه ومشهور نعمائه، وخفي لطفه ومأثور آلائه، حراستكم بحارس الدنيا والدين، وكفايتكم بسيفه المنقطع القرين[٥]. الذائد عن التوحيد وأهله، والجامع شمل الإسلام بتبديد شمله، الأمير سيف الدولة أبي الحسن، الكاشف عنكم غيابة الآفات والفتن، ومن تمام إحسانه إليكم، وعام امتنانه عليكم، تشريفكم بإيداع مهجته، ورد أموركم إلى سليله وصفوته[٦]. الأمير أبي المكارم، ابن سيف الدولة الصارم، فأبشروا عباد الله بالعز المؤبد، والسلطان المجدد، والخصب السرمد، بطلوع

(١) الكمى الشجاع الكامل السلاح، والمداعس المدافع والمطاعن.

(٢) الصدوع جمع صدع وهو شق غير مبين، والرأب الإصلاح، والرغبة عن الشيء الزهد فيه، والموبق المهلك، والمآل المرجع.

(٣) نواد جمع نادة وهي الشاردة تقول ند البعير إذا ذهب على وجهه.

(٤) ديدنه عادته، وكذلك اجرياه وهجرياه وهجيره.

(٥) القرين النظير.

(٦) المهجة النفس، والسليل الولد لأنه مستل من أبيه.

هذا الكوكب الأسعد، فهو جوهرة من ذلك البحر، وثمرة من ذلك النجر(١). وصباح من ذلك الفجر، وغطريف من ذلك الصقر(٢). وشنشنة تعرف من أخزمها، ونعمة واجب شكر منعمها(٣)، فاشكروا الله عباد الله على ما خولتموه، واذكروه كما علمكم ما لم تعلموه، وأقدموا على عدوكم بالجهاد قبل إقدامه، وأخرسوا بحق زئيركم باطل بغامه(٤). فقد أمدكم الله بضيغمه وابن حسامه، فارغبوا إليه جميعًا في حراسة دولته ودوام أيامه(٥)، اللهم اشدد ببقائه عصم أهل التوحيد، وعرفه وسائر المسلمين بركة هذا التقليد، وألبسه جنن التقوى والبأس الشديد، وبلغ به مبالغ آبائه الجحاجحة الصيد(٦). وأطرف عن دولته عين كل باغ وحسود، وأمتع الإسلام وأهله بسترك عليه ياذا الجود.

فصل

اعتصموا عباد الله من تقوى الله بأمنع المعاقل، ونافسوا من التوكل عليه في أرفع المنازل، وأخلصوا في شكر نعمه سرائر الضمائر، واستدفعوا بلزوم طاعته كبائر الدوائر، فقد وجدتم تحقيق عدته، حين لذتم بكرمه ومسألته، جاد لكم بما لم تبلغه آمالكم، وعاد عليكم بما لم تستوجبه أعمالكم، أنار لكم بالغيث وجوه وسائلكم، وأتبعه برد أشرف حصونكم ومعاقلكم(٧)، نعمة لم يجر في مجال الظنون مثالها، ورحمة

---

(١) النجر الأصل.

(٢) الغطريف السيد وأصله ولد الصقر.

(٣) الشنشنة الخلق وهذا مثل وأصله شنشنة أعرفها من أخزم، وأخزم: اسم جد ضاربه.

(٤) الزئير صوت الأسد، والبغام صياح الناقة.

(٥) الضيغم الأسد من الضغم وهو العض.

(٦) الجحاجح الملوك والسادة وهو جمع جحجاح، والصيد جمع أصيد وهو المائل العنق والمراد به ذو النخوة والعز.

(٧) الغيث المطر إذا نزل عند الحاجة إليه والمطر أعم ثم المطر ينزل من السحاب كما دلت عليه الآيات الكثيرة قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨:٦٩] وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ: ١٤] فإن قلت إن كثيرًا من الآيات تدل على أنه ينزل من السماء قلت لا تنافي في ذلك فإن المراد بالسماء جهة العلو قال بعض المحققين أحسن الطرق في التفسير أن تفسر القرآن بالقرآن فإن كثيرًا مما أجمل في موضع قد فسر في موضع آخر فإن لم تجد ذلك فعليك بالسنة فأنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قال أحد الأئمة كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من =

جلل أهل التوحيد سربالها، ويدا عمكم وسائر المسلمين نوالها، ودولة شرح الصدور إقبالها، فاستديموا رحمكم الله مدد النوال بشكر المنيل، واعرفوا حق نعم الله بهذا الفتح الجليل، وسلوه دوام عز من كان سببه، فقد اختاره الله لذلك وانتجبه، واطلبوا منه أن لا يجعل نعمه عليكم استدراجا، وأن يجعل شكره وتقواه لكم سبيلا ومنهاجًا[1]، وأن

=

القرآن اهـ. هذا وقد صرح الكتاب العزيز بكيفية تكون المطر قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور: ٤٣] والإزجاء السوق قليلا قليلا، والتأليف بين السحاب جمع بعضه إلى بعض حتى يصير سحابة واحدة، وجعله ركاما ضمه، والودق: المطر فهذه الآية الكريمة تفيد أن المطر ينزل من السحاب ابتداء وقد أشار شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في فتاويه إلى أن هذا قول علماء المسلمين سلفا وخلفا وإن عليه الفلاسفة وقد رأيت بعض الإغمار يطعنون في القاضي البيضاوي وإضرابه لمثل هذه المسألة التي هي من أظهر المسائل ولا ذنب له إلا أنه علم ما لم يعلموا. قال الراغب الأصفهاني: القرآن منطو على الحكم كلها علميها وعمليها كما قال جل وعلا: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] لكن ليس يظهر ذلك إلا للراسخين. ثم قال: فكل من كان حظه من العلوم أوفر كان نصيبه من القرآن أكثر.

(١) استدرجه إلى الشيء استدراجا ودرجه إليه تدريجًا أدناه منه شيئا فشيئا، واستدرج الله العصاة أن يفتح عليهم أبواب النعم فيركنوا إليها ويعرضوا عن ذكره وشكره حتى يحل بهم بأسه، وسمى الإنعام هنا استدراجا لمشابهته له حيث إن المنعم يعلم أن النعمة تظهر ما كمن في المنعم عليه من الأشر، وقد حار المعتزلة في هذه المسألة لقولهم بوجوب رعاية الأصلح في جميع الأفراد وهي التي أوجبت اعتزال الإمام الأشعري عنهم وتبرأه منهم فقد نقل المتكلمون أنه قال يومًا لأستاذه أبي علي الجبائي رئيس معتزلة البصرة ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا والآخر عاصيا والثالث صغيرا، فقال: يثاب الأول بالجنة ويعاقب الثاني بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب، فقال الأشعري: فإن قال الثالث يا رب لم أمتني صغيرا وما أبقيتني إلى أن أكبر فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة فقال يقول الرب إني كنت أعلم منك إنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فقال الأشعري فإن قال الثاني يا رب لِم لم تمتني صغيرا لئلا أعصي فأدخل النار فبهت الجبائي وترك الإمام الأشعري مذهبه وأخذ بمذهب أهل السنة وشرع في تأييده ونصره وله في الرد على المعتزلة وسائر الفرق تآليف شتى وقد سرد أسماءها الحافظ ابن عساكر في كتابه: (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري) وذكر أن له تفسيرًا لم يترك آية تعلق بها مبتدع إلا أبطل تعلقه بها وجعلها حجة لأهل الحق وآخر تآليفه: (الإبانة في أصول الديانة) قال في أثناء خطبته: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي نتمسك بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل

=

يقيكم حلول كل نائبة، ويوفقكم لحسن الاستعداد للعاقبة؛ فإن أزمة الأمور بيديه، والمعول في كل صغير وكبير عليه.

فصل في قدوم الأمير

أيها الناس: اتقوا الله فيما ألزم، واشكروه على ما أنعم، فإن نعم الله لامعة لكم بروقها، هامعة عليكم فتوقها[١]، ما شكر منها أثجم، وما كفر منها أنجم[٢]، فزموا رحمكم الله بالشكر شواردها، وأموا بالذكر مواردها[٣]، ولا تهملوها فتسلبوا بهجتها، ولا تخملوها فتخربوا محجتها[٤]؛ واعلموا أن أظهر نعمة جللتموها، وأكبر منة خولتموها[٥]؛ قدوم معزكم بعد الإذلال، ورافعكم بعد الإخمال، ومنقذكم من الفزع، ومؤمنكم بعد الجزع، الباسط فيكم العدل، والمتابع لكم البذل، شهاب الله الثاقب، وحزبه الغالب، وحقه الواجب، وعذابه على أعدائه الواصب[٦]، خائض لجج الأهوال، وقابض مهج الأبطال، وفارض نهج الآمال، وما خض رهج الأوجال[٧] ذي الوجه الأزهر، والنسب الأطهر، واللقب الأشهر، والمحل الأكبر، والحسام المقضب، والهمام المحرب[٨]، والغمام المسبل، والضرغام المشبل[٩]، سيف الله المؤيد بالنصر، وحجره

=

مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون فهو الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين اهـ.

وكان مالكي المذهب كما حققه ابن عساكر قال بعض الجهابذة: حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي: سر القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد، وقد رأيت أناسا تخيلوا أنهم عرفوها ووجدتهم أربابَ وهمٍ، خُيِّل لهم حصول الفهم.

(١) هامعة سائلة، والفتوق جمع فتق وهي شقوق السحاب.

(٢) أثجم السحاب دام مطره أياما لا يقلع، وأنجم: أقلع.

(٣) زموا بالشكر شواردها اجمعوا به متفرقها، وأموا: اقصدوا.

(٤) الإخمال إخفاء الذكر.

(٥) خولتموها أعطيتموها.

(٦) الواصب الدائم الملازم.

(٧) الفارض الشارع، والنهج الطريق، ومخض الشيء حركه شديدا، والرهج بالسكون الغبار، والأوجال المخاوف.

(٨) الحسام المقضب القاطع من قضبت الشيء قضبا إذا قطعته، والمحرب الكثير المحاربة حتى صار كأنه آلة حرب.

(٩) المسبل بكسر الباء من أسبل الغمام المطر إذا أرسله متتابعا، والضرغام: الأسد، والمشبل الذي

=

الدامغ أهل العناد والغدر[١]، وبأسه المهلك أولي الفساد والكفر، وقطب رحى الجهاد في البر والبحر، الأمير سيف الدولة أبي الحسن ذي الراية المنصورة، والنعمة المشكورة، والأبوة المشهورة، والمواقف المذكورة، حارس كافة المسلمين وهم رقود، والقائم بنصر دين الله وهم عنه قعود، لا سلبه الله ما خوله، وبلغه من الدنيا والآخرة أمله[٢]؛ فإنه ركن الإيمان ومعقله، وملجؤه وموئله[٣]، به آمن الله البلاد، وأحيا العباد، وأصلح الفساد، وأنجز الميعاد، وسكن النفوس، وأزال النحوس، وكشف البوس، وأماط العبوس[٤]، وأعز الدين، وقمع المارقين[٥]، ورفع المجاهدين، وعضد المؤمنين[٦]، الذين كانوا كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] فقد آوانا الله إليه، ورزقنا من الطيبات على يديه، وعمنا بإحسانه، وكف أيدي الناس عنا بسلطانه، فسوسوا عباد الله هذه النعم بشكرها فمثلها يساس، وراقبوا الله واتقوه في أنفسكم أيها الناس[٧].

واجأروا إلى الله في إطالة بقائه، ودوام عزه ونعمائه[٨]، وإدحاض شناته وأعدائه، ومزيده من قسمه وآلائه[٩]، اللهم فأعل كلمة الحق بعلو جده، وأسعد الإسلام

=

له شبل والشبل ولد الأسد وجمعه أشبل وأشبال، وفي نسخة: والغمام المسبل والضرام المشعل وينبغي حينئذ أن يقرأ المسبل بصيغة اسم المفعول ليوافق المشعل.

(١) الدامغ القاهر الغالب من دمغه إذا ضرب دماغه.

(٢) خوله أعطاه.

(٣) المعقل والموئل الملجأ.

(٤) أماط أزال، والعبوس انقباض الوجه.

(٥) قمع كف وردع، والمارقون الخارجون عن الدين يقال مرق السهم من الرمية إذا نفذ فيها وخرج منها.

(٦) عضد من باب نصر إعانة.

(٧) سوسوا احفظوا وراعوا.

(٨) جأر إلى الله تضرع إليه بالدعاء.

(٩) دحضت حجته بطلت وبابه خضع وأدحضها الله، ودحضت رجله زلقت وبابه قطع والأدحاض الأزلاق، والشناة جمع شاني وهو المبغض، والأولى أن يجمع على شناء بوزن قراء لأن أصله الهمز فكما لا يجمع قارئ إذا خففت على قراة لا يجمع شاني على شناة.

والمسلمين بإطلاع سعده[١]، وأبد الكفر والكافرين بصواعق حده، واجعل عونك وتوفيقك من أنصاره وجنده، يا من النصر والتأييد والظفر من عنده[٢]، جعلنا الله وإياكم من الموفقين لشكر النعم، وصرف عنا وعنكم وبيل النقم، وبلغنا وإياكم معالي الهمم[٣]، إن أنفع مواقع الكلم، وأنجع الوعظ المنتظم، كلام العدل الحكم[٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ١١].

فصل

أيها الناس: أغفلتم جلاء القلوب بمداوس الأفكار حتى جربت، وأهملتم بناء الأعمال في تقاعس الأعمار حتى خربت، وأرسلتم ذلل الأهواء في حلبة الشهوات حتى صعبت، وأطلتم آمال النفوس في ما أعجزها إدراكه حتى عطبت، واضطجعتم في مهاد الغفلة حتى استحوذت عليكم فغلبت.

فصول: الصلاة على النبي ﷺ
في الخطب الثواني يمينا وشمالا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد- ما أظلت نسمة خضراء[٥].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد- ما أقلت نامية غبراء[٦].

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما تقلقل فلك في دورانه[٧].

---

(١) الجد بالفتح الحظ والبخت وبالكسر ضد الهزل.

(٢) أبد: أهلك.

(٣) الوبيل: الثقيل والوخيم.

(٤) نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء دخل وأثر وبابه خضع.

(٥) النسم النفس والروح وكل دابة فيها روح فهي نسمة وقد ورد تنكبوا الغبار فإن منه تكون النسمة وفسروه بالنهج والربو، والخضراء السماء وتسمى أيضًا الزرقاء والجرباء والرقيع، وأظله السحاب وغيره صار عليه كالظلة.

(٦) النامية ذات النماء والزيادة وهي الحيوان والنبات، والغبراء الأرض سميت بذلك لما فيها من لون الغبرة، وأقلت حملت ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً ﴾ [الأعراف: ٥٧].

(٧) تقلقل تحرك والفلك في لغة العرب مجرى الكواكب قال أبو العلاء:

تجري النجوم به والشمس والقمر ... يأيها الناس: كم لله من فلك

=

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما رمق طرف بإنسانه(١).

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما سمر ابنا سمير(٢).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما أبن جراء مناوح ثبير(٣).

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما دلكت براح(٤).

=

وقد يراد به ما عناه الحكماء الأول من أنه جسم كروي متحرك مرصع بالكواكب وقد أحاط بالأرض من كل جانب فإن أراد الأول تكون نسبة التحرك للفلك مجازا من قبيل نسبة ما للحال للمحل نحو جرى النهر أي ماؤه وإن أراد المعنى الثاني تكون نسبة الحركة إليه حقيقة ومما يقوى إرادته للمعنى الثاني قوله فيما يأتي تقلقلت النجوم بأفلاكها وإن كان محتملا لأن تكون الباء هناك للظرفية فإن قلت كيف يقول بقول أولئك مع أنهم يقولون: إن الفلك متحرك ذو نفس ناطقة وهو مع ذلك قديم لا يقبل الخرق والالتئام والتغير قلنا يجاب بجوابين الأول أن الموافقة إن صحت فإنما هي في ثبوت الفلك ودورانه ليس غير الثاني أن أهل البلاغة لا يخرجون عن العرف فيما لا يتعلق به عرض خاص، فتراهم يقولون فلان أشأم من الغراب وإن كان القائل لا يقول بشؤمه وأشهى من الخمر وإن كان القائل يعدها أدهى من الجمر ومن هذا النوع قوله في خطبة تقدمت ما قهقه سحاب برعده أو دار فلك بنحسه أو سعده ولا ريب أن خطيب الخطباء لا ينسب للفلك نحسا ولا سعدا وإنما جرى على العرف وهو أمر شائع ذائع ومع هذا فقد اعترض عليه بعض الأدباء فقال إضافة النحس والسعد إلى الفلك من عبارات المنجمين وربما تبعهم فيها الكتاب والشعراء وذلك مردود في الشريعة قبيح من الواعظ والخطيب الإتيان به.

(١) رمق نظر، والطرف العين ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر، وإنسان العين السواد الذي في الحدقة.

(٢) ابنا سمير الليل والنهار تقول لا أفعله ما سمر ابنا سمير أي ما اختلف الليل والنهار ومن اسمهما الملوان والجديدان تقول لا أفعله ما كر الجديدان وما اختلف الملوان.

(٣) حراء بوزن كتاب جبل بمكة يذكر ويؤنث فإن أنث لم يصرف وثبير جبل يقابله والمناوح المقابل وأبن بالمكان أقام ومثله الب والث وعدن وقطن.

(٤) براح من أسماء الشمس وهو مبنى على الكسر مثل حذام، ودلكت الشمس زالت عن وسط السماء ودلكت الشمس مالت للغروب قال بعض المحققين التحقيق أن الزوال أول دلوك الشمس والغروب كمال دلوكها فهي من حين الزوال إلى الغروب دالكة كما هي زائلة بارحة ولهذا سميت براح ويقال دلكت براح قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ

=

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما سلكت الجو هوج الرياح[(١)].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما أقام عسيب[(٢)].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد- ما حنت إلى أولادها النيب[(٣)].

=

ٱلَّيۡلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] فالدلوك يتناول الظهر والعصر وغسق الليل يتناول المغرب والعشاء ومن أسماء الشمس ذكاء ويوح ويوحى وهذه الثلاثة بالضم غير منصرفة والغزالة وهي الشمس إذا ارتفع النهار.

(١) الرياح جمع ريح وهي الهواء المتحرك، وأصول الرياح أربع وهي الصبا والدبور والشمال والجنوب فالصبا هي الريح الشرقية ويقال لها القبول وهي تهب من مشرق الاستواء في زمن الاعتدال، والدبور تقابلها والشمال والجنوب يظهر مهبهما من اسمهما وتسمى الشمال الجربياء والجنوب النعامي، وكل ريح انحرفت عن مهاب هذه الرياح الأربع فوقعت بين ريحين فهي نكباء وجمعها نكب، والهوج جمع هوجاء وهي الريح التي تقلع البيوت وتعفى الآثار وأصل الهوج السرعة والطيش وللرياح الهوج في إخراب الديار وتعفية الآثار آثار لا تحصى سيما ديار من لا ينتقل من الآثار إلى المؤثر وتراه يرى بعينه وقلبه غير مبصر وكم سمعنا بأمم زعموا أنهم سخروا الريح فذهبت ريحهم وخبت مصابيحهم قال في كتاب ألف باء الريح جند من جنود الله تعالى ينفع بها ويضر كما تقدم تكون لقوم عذابا ولقوم رحمة وقد جعل الله فيها من المنافع ما لا يحصى كثرة وجعل فيها من المضار أيضًا كثيرا وهي في نفسها خلق من خلقه لا تضر ولا تنفع حتى تؤمر ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقد يضر بغير الريح قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠] اهـــ.

فإن قلت إن ما هنا مصدرية توقيتية وكلما كان ما بعدها أكثر وجودا يكون ما قبلها أدوم واللائق في مثل هذا المقام أن يؤتى بما يكون مستمرا مثل اختلاف الليل والنهار ورؤية الأبصار قلنا الأمر هنا كذلك فإن الشمس في أي لحظة فرضت فإنها دالكة بالنظر لجهة بل طالعة وزائلة وغاربة والرياح الهوج مستمرة أو كالمستمر بالنظر لجميع الأقطار على أن مثل هذا الموضع يلاحظ فيه العرف ولذا يعد من هذا الضرب قول الخنساء:

وأذكره بكل مغيب شمس ... يذكرني طلوع الشمس صخرا

فإنها أرادت أنها تتذكره كل وقت.

(٢) عسيب جبل بناحية نجد قال امرؤ القيس:

وإني مقيم مـــا أقـــام عسيـــب ... أجارتنا إن الخطوب تنوب

وكل غريب للغريـــب نسيـــب ... أجارتنا إنا غريبـــان ههنا

(٣) النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة وكذلك الشارف، وحنت الناقة تحن إذا طربت في أثر ولدها فإن مدت حنينها قيل سجرت سجرًا فإن مدت الحنين على جهة واحدة قيل سجعت

=

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما وخدت قلوص براكبها[١].

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد - ما عذبت حياة لطالبها[٢].

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما تقعقعت في الهواء قابه[٣].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما سعت على الغبراء دابة.

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما تمزقت الدياجر عن صباحها[٤].

= فإن أخرجت صوتها من حلقها ولم تفتح به فاها قيل أرزمت.

(١) القلوص من الإبل الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء والجمع قلص بضمتين وقلائص وجمع القلص قلاص وفي حديث نزول عيسى عليه السلام وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، قال الحميدي في تفسير غريب الصحيحين قيل لعله عنى ارتفاع الجهاد بظهور الإسلام وإيمان أهل الكتاب وقال ابن الأثير أراد أنه لا يخرج ساع إلى زكاة لقلة حاجة الناس إلى المال واستغنائهم عنه، أقول: ويمكن تعليل ذلك بأمر آخر لا يخفى على الواقف على مخترعات هذا العصر وهذا الحديث قد خرجه مسلم في صحيحه، والوخد ضرب من سير الإبل سريع ومثل ذلك الأرقال والذميل، والرسيم والوجيف.

(٢) الحياة: تطلق على ست معان: الأول: القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد: ١٧].
الثاني: القوة الحساسة ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ [فصلت: ٣٩]
الثالث: القوة العاقلة العاملة ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].
والرابع: ارتفاع الغم ومنه قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

والخامس: الحياة الدائمة التي يحظى بها السعداء ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، والسادس: الحياة التي يوصف بها الباري.

(٣) قعقع الرعد وتقعقع تتابع صوته بشدة والقعقعة صوت الرعد والسلاح وما أشبه ذلك والقابة صوت الرعد قال الأصمعي ما سمعنا العام قابة أي صوت رعد وانفرد بها وحده وقال غيره القابة القطرة تقول ما أصابتنا العام قابة وما رأينا العام قابة أي قطرة.

(٤) التمزق في الأصل التشقق تقول مزقت الثوب فتمزق وتمزق القوم تفرقوا في كل وجه من البلاد والدياجر جمع ديجور وهو الظلمة قال الكندي حذف الياء من الدياجر بابه الشعر وقال بعضهم إنه حذفها حملا للسجع على الشعر وهو جواب غير سديد لأن ما يجوز اضطرارا لا =

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما قامت الأجسام بأرواحها(١).

= يجوز اختيارا ولو قال الدياجير بإثبات الياء لم يكن إخلالا بالسجع وليس هنا ترصيع حتى يقال راعاه.

(١) قيام الأجسام بالأرواح عبارة عن حياتها وظهور الحركة الاختيارية فيها قال ابن العفيف:

وما الكون إلا صورة أنت روحها   وجسم بغير الروح كيف يقوم

وفي الروح مسائل نورد بعضا منها.

(المسألة الأولى): المحققون على أن الروح أمر الهي تعجز العقول عن إدراك كنهه غير أنهم اتفقوا على أنه جسم مخالف لهذا الجسم المحسوس به تكون الحركة والإحساس ومن ظن أن هذا وما أشبهه من الأقوال معرف لحقيقة الروح فهو كمن ظن أنه عرف حقيقة الإنسان لمعرفته أنه حيوان ناطق أو حقيقة الأسد لمعرفته أنه حيوان مفترس نعم قالت المناطقة ذلك على نوع من المجاز لأجل تنويع المعرف فظن الأكثرون أن ذلك حقيقة والحال أن إدراك حقيقة شيء ما أبعد من نجوم السماء ولا يظن أن هذا جنوح لقول السوفسطائية فإن القائلين بهذا القول في واد وأولئك في واد نعم لما كان الإدراك متفاوتا تفاوتا شديدًا يصح أن يقال أدرك فلان حقيقة كذا إذا أدركه إدراكًا زائدًا على ما أدركه غيره بأضعاف مضاعفة.

(المسألة الثانية): الروح قد يطلق على جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وعلى الوحي قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وعلى عيسى عليه السلام وعلى القوة والثبات قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ويطلق على القوي التي في البدن، والنفس تطلق على ذات الشيء تقول جاء زيد نفسه وعلى الدم ومنه كل شيء ليست له نفس سائلة لا ينجس الماء إذا سقط فيه وعلى الروح وهو الأكثر ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٨: ٢٧] فهما في مثل هذا الموضع مترادفان غير أن هنا فرقا في الاستعمال في كثير من المواضع منها أن النفس يكثر إطلاقها في مقام المدح أو الذم يقال نفس تقية ونفس فاجرة ويندر أن يذكر هنا الروح ومنها أن النفس قد يراد بها آثارها من الحس والحركة والتمييز ومن هنا قالوا للإنسان نفسان نفس تقبض حين النوم وهي التي ذكرناها ونفس تقبض حين الموت وهي الروح ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢] ومعنى توفي الأنفس التي لم تمت رفع الحس والحركة عنها في المنام ليحصل لها السبات والراحة وأقول من قال للإنسان نفس واحدة ليس صحيحا أيضًا لأنه أراد أن النفس في الحقيقة واحدة غير أن لها وفاتين إحداهما: بالموت وذلك بأخذها بالنفس وثانيهما: بالنوم وذلك بأخذ التمييز منها والحس فلا يهولنك اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فكم من اختلاف مآله الأئتلاف.

=

=

(المسألة الثالثة): ذهب الإمام الغزالي إلى أن الروح جوهر مجرد عن المادة قائم بنفسه غير متحيز وهو غير داخل في البدن ولا خارج عنه وإنما يتعلق به تعلق التدبير والتصرف وقد سبقه إلى ذلك الراغب والحليمي وقد قال به جماعة من أهل الكشف وهو مذهب الحكماء الربانيين وأعترض عليه بأمور الأول أن هذا خوض في أمر الروح وهو منهي عنه وأجيب بأنه لم يرد نهي في ذلك وأما قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] فإنما يشعر يكون الروح سرا من الأسرار التي لا تصاب بعناكب الأفكار وليس فيه دلالة على أن الروح لا تعرف بوجه من الوجوه والقائلون بالتجرد لا يقولون بأنهم وقفوا على كنهها وإنما يقولون: إنهم لاح لهم شعاع من سنا وجهها على أن هذه الآية الكريمة أجدى الأدلة عندهم فإنهم يجعلون العالم عالمين عالم الخلق وعالم الأمر فعالم الخلق هو عالم الأجسام لأن الخلق بمعنى التقدير والمقادير من صفات الأجسام وعالم الأمر عالم المجردات كالملائكة والأرواح لأنها وجدت بمجرد الأمر وحملوا على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] الثاني: أنهم لم يأتوا على ما قالوا ببرهان وأجيب بأن المعترضين أيضًا لم يأتوا على نفي قولهم ببرهان فكان ينبغي أن تترك المسألة في فضاء دائرة الإمكان لا سيما مع عدم مصادمة أصل من أصول الدين على أن قول المعارض هي جسم لا كالأجسام إن لم يكن عين قولهم فهو قريب منه، الثالث: أن التجرد صفة عالية المقدار فكيف تثبت لجميع الأرواح حتى أرواح الأشرار وأجيب بأن إثبات الحسن بوجه لا ينافي إثبات القبح بوجه آخر فكم من شرير يثبت له حسن الصورة ولا يعد ذلك منافيًا لما يثبت له من قبح السيرة!!

إذا لم يكن في فعله والخلائق فما الحسن في وجه الفتى شرفًا له

على أن القبح في بعض الصور نسبي ولذا قال من قال:

عيناك كل الكائنات ملاحا وإذا نظرت إلى الحقيقة أبصرت

الرابع: أن في هذا القول نوع من التشبيه وأجيب بأن اتفاق المتباينات في بعض الأوصاف والأسماء لا يقتضي تشابهها ألا ترى أن الله تعالى يوصف بأنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم وقد أجرى هذه الصفات على المحدثات حقيقة ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا من تشبيه الخلق بالخالق لما عرفت من اختلاف حقائق هذه الصفات باختلاف موصوفها فإن العلم مثلا إذا نسب للبشر كان عرضًا ومحدثًا ومتجددًا وجائز العدم وإذا نسب لواجب الوجود كان على خلاف ذلك ولوجود هذه الصفات في العوالم الثلاثة صاروا مكلفين بمعرفة الخالق وتنزيهه عن النقص الموجود في صفات الخلائق وإثبات كون الروح مجردة أقرب لتنزيهه عن الجسمية ولواحقها.

الخامس: أن القول بتجرد الأرواح فيه موافقة للفلاسفة وأجيب بأن موافقة فيلسوف فيما لا يصادم نصا لا يضر قال في الفتوحات لا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلوم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله وسلامه عليهم إذا وقفت على مسألة من

=

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما تقلقلت النجوم بأفلاكها[١].

=

مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان: أن تقول في هذا القائل وهو الصوفي المحقق إنه فيلسوف لكون الفيلسوف ذكرها واعتقدها أو أنه نقلها عنهم أو أنه لا دين له فإن الفيلسوف قد قالها ولا دين له فلا تغفل يا أخي فإن هذا القول قول من لا تحصيل له إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا فعسى أن تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق ثم قال وأما قولك: إن الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له على أن كل ما عنده باطل وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل اهـ فإن قالوا بأنا إنما أنكرنا عليهم ذلك لكون الفلاسفة لا يقولون بحشر الأجسام يقال لهم: إن الفلاسفة لم يبنوا إنكار حشر الأجسام على كون الأرواح مجردة بل على أمر آخر فماذا يضر مجرد إثبات التجرد مع القول بحشر الأجسام وإثبات النعيم والعذاب الروحاني والجسماني.

(المسألة الرابعة): اتفق أرباب البصائر على أن الروح باقية لا يلحقها العدم لتعلق إرادة الله تعالى بذلك فبقاؤها غير واجب لذاته بل لغيره فهي مما له ابتداء وليس له انتهاء ونقل ابن الكمال عن الإمام القرطبي: إن كل من يقول: إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد.

(المسألة الخامسة): اتفقوا على أن الروح حادثة فإن قيل: إن الروح من أمر الله فكيف يكون أمر الله محدثا وقد قال في آدم عليه السلام: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ وفي عيسى عليه السلام: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فأضافها إليه كما أضاف إليه علمه قيل ليست الإضافة هنا كإضافة العلم إليه بل كإضافة الملائكة ونحو ذلك في قولك آمنت بملائكته ورسله وهي من قبيل إضافة المربوب إلى ربه وذلك لا يقتضي القدم والقاعدة في ذلك أن تنظر للمضاف فإن كان من الصفات القائمة بذاته فهو قديم كعلمه وقدرته وإرادته وإلا فهو حادث كسمائه وعرشه.

(١) الأظهر أن تكون الباء هنا للسببية بدليل ما سبق فيكون فيه إثبات لكون الفلك جرما متحركا وبواسطته تتحرك النجوم وفي نسخة ما قلقلت النجوم أفلاكها وما عمرت السموات أملاكها وإنما لم نجنح لما فيها مع أن المآل واحد لا يهامه أن حركة الفلك اختيارية كما يقوله الحكماء الأولون فإنهم زعموا أن الفلك حيوان وأن له نفسا نسبتها إلى جرمه كنسبة نفوسنا إلى أجسامنا وكما أن أجسامنا تتحرك بالإرادة نحو أغراضنا بتحريك النفس فكذا الأفلاك وإن غرض الأفلاك بحركتها الدورية عبادة رب العالمين وليس لها غرض إلى نفع السافل وإن حصل ذلك بطريق العرض والملائكة السماوية عندهم هي النفوس المحركة لها وطاعتها عبارة عن هذه الحركة الدورية وقد أطالوا في هذا البحث بما ليس تحته طائل وإن صار ذلك لإشتهاره في الكتب من مهمات المسائل.

نعم إن كثيرًا من أرباب الإمعان حملوا ذلك على معان عالية لم يقصدها القائل وقد أبان حجة الإسلام تهافتهم في هذا الباب كما أبطل قولهم إن نفوس السموات مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم وإن المراد باللوح المحفوظ نفوس السموات غير أنه ذكر أن النزاع في

=

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما عمرت السموات بأملاكها[١].

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة لا تستغرقها الأعداد[٢].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة لا تخلقها الآباد.

=

هذه المسألة يخالف النزاع فيما قبلها فإن ما ذكروه من قبل ليس محالا إذ منتهاه كون السماء حيوانا متحركا بالعرض وهو ممكن أما هذه فترجع إلى إثبات علم المخلوقات بالجزئيات التي لا نهاية لها وهذا ربما نعتقد استحالته اهـ.

وقد أحسن ابن الشبل البغدادي في مطلع قصيدته الحكمية حيث قال:

أقصد ذا المسيز فلم اضطرار بربـــك أيها الفلك المدار

ففي أفهامنـــا منك انبهـــار مـــدارك قل لنا في أي شيء

سوى هذا الفضـــاء به تيـــدار وفيـــك نرى الفضاء وهل فضاء

(١) الملائكة أجسام لطيفة نورانية لا تفتر عن طاعة ربها والقيام بأمره قال ابن القيم في التبيان في إيمان القرآن: إن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي وما لا يشاهد إنما هو على أيدي الملائكة فالرب تعالى يدبر لهم أمر العالم وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم فوكل بالشمس والقمر والأفلاك والنجوم طائفة منهم ووكل بالأجنة والحيوان طائفة وبحفظ بني آدم طائفة وبأحصاء أعمالهم وكتابتها طائفة وبالوحي طائفة وبالجبال طائفة وبكل شأن من شئون العالم طائفة هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة ولطافة الجسم وحسن الخلقة وكمال الانقياد لأمره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في أقطار العالم اهـ.

(٢) المراد بعدم استغراق الأعداد لها المبالغة في عدم تناهيها لأن الأعداد غير متناهية فإذا كانت غير محيطة بالصلاة كانت الصلاة أولى بكونها غير متناهية والمراد بعدم تناهي الأعداد عدم تناهيها بالقوة بمعنى أنا كلما فرضنا عددًا يمكنا أن نفرض عددًا أعظم منه على أن العدد أمر اعتباري غير موجود في الخارج. نعم يمكن ملاحظة وجوده في الخارج إذا لوحظ فيه المعدود الموجود نحو عشر دراهم ولهذه النكتة قال ابن العفيف ملغزًا فيه:

وأصغر شيء فيه أشرف ما فيه وما أمس بلا جسم وتمسكه يد

ويضعفه بالضـــرب حين يقويه يقابله بالكـــسر من رام جبره

(تنبيه): مما لا يمترى فيه ذو حدس: أن كل ما دخل في الوجود فهو متناه فلا يمكن أن يوجد جسم ليس له حد كما لا يمكن أن يتصور معدود لا يحصيه عد فإذا قال قائل: لا عدد للنجوم مثلا فإن أراد أنها فوق العدد فقد غلب عليه وهمه وساء فهمه وإن أراد أننا لا نعرف عددها فهو صحيح وهو ضرب من المجاز نعم يتصور وجود ما لا يتناهى إذا لوحظ الأبد وتجدد المدد.

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما عرفت الأشخاص بسماتها(١).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما انشقت الأرض عن نباتها.

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة موصولة بمزيدها لديك.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة إنجاز موعودها عليك(٢).

---

(١) الأشخاص جمع شخص وهو سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، والسمات جمع سمة وهي العلامة.

(٢) الموعود مصدر بمعنى الوعد وقل مجيء المصدر على وزن المفعول والوعد يستعمل في الخير وفي الشر يقال: وعدته خيرًا ووعدته شرًا فإذا أسقط الخير والشر قيل في الخير: وعدًا وعد وفي الشر أوعد إيعادًا أو وعيدًا وقد اتفق المتكلمون على أنه تعالى لا يخلف الوعد واختلفوا في الوعيد والصحيح أن الوعيد كالوعد وقد استدل من فرق بين الوعد والوعيد في الإخلاف بقول الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأجاب المخالفون بأن المسائل الكلامية لا يستدل عليها بقول الشاعر شاعر على أنه إنما قال ما قال في حق نفسه فإن قلتم بالقياس فقيسوا عليه مثله من الخلق لا من هو الحق وقوله: الحق على أن الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يدل على خلاف ما قلتم قال تعالى: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٨،٢٩] قال القاضي: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق: ٢٦] أي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد اهـ.

ومن دلائل التخصيص قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقال السيد معين الدين الصفوي في رسالة له في هذه المسألة الحق أن الخلف في الوعيد أيضًا غير جائز كما اختاره العلامة في شرح المقاصد وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] أي وعدًا ووعيدًا قاله ابن عباس والسلف رضي الله عنهم وأما قول الخطيب فيما سبق الحمد لله الذي إن وعد أنجز ووفى، وإن أوعد تجاوز وعفا، فلا يدل على أنه جنح إلى خلاف الراجح لأن التجاوز بمعنى العفو، ووقوع العفو عن بعض العصاة ليس من قبيل إخلاف الوعيد بل ربما كان من قبيل إنجاز الوعد المطلق المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة دائمة بدوامك(١).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - صلاة كفيلة بفضلك وإنعامك.

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما تعاقبت الأوقات(٢).

---

(١) الدوام: البقاء وقد ورد الباقي في الأسماء الحسنى ولم يرد الدائم قال الراغب: الباقي باق بنفسه لا إلى مدة وهو الباري تعالى ولا يصح عليه الفناء، وباق بغيره وهو ما عداه ويصح عليه الفناء والباقي بالله ضربان: باق بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه كبقاء الأجرام السماوية، وباق بنوعه وجنسه دون شخصه وجزئه كالإنسان والحيوان وكذا في الآخرة باق بشخصه كأهل الجنة فإنهم يبقون على التأبيد لا إلى مدة كما قال عز وجل: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ١٦٢] والآخر بنوعه وجنسه كما روي عن النبي ﷺ: «إن شار أهل الجنة يقطفها أهلها ويأكلونها ثم تخلف مكانها مثلها ولكون ما في الآخرة دائمًا» قال عز وجل: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الشورى: ٣٦] اهـ.

وهنا سؤال مشهور وهو أنكم تقولون ببقاء الأرواح وعدم لحوق الفناء بها وهو مخالف في بادئ الرأي لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] ولقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] وأجيب عن ذلك بثلاثة أوجه:

الأول: أن المراد بفناء الحوادث قبولها لذلك فإن ما انتفى قدمه جاز عدمه. الثاني: أن وجودها وبقاءها لما كان من غيرها كان في حكم العدم فهي إذا موصوفة بالفناء حال البقاء. الثالث: أن البقاء معناه الثبات على الحالة الأولى بدون تغير ولما كان كل حادث متغيرًا كان غير موصوف بالبقاء حقيقة ويكفي في وصف الروح بذلك انقطاع تعلقه بالبدن بل ما يعرض له من الشدائد والمحن ومن دقق النظر تبين له أن الثبات على حال كالمحال قال تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥].

(٢) الوقت: نهاية الزمان المفروض للعمل ولهذا لا يكاد يقال إلا مقيدا تقول وقت كذا إذا بينت له وقتا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] أي فرضًا معين الأوقات وأما الزمان فيعسر معرفة حقيقته، قال الصدر الشيرازي في الأسفار -بعد أن نقل أقوالا شتى في ماهيته - إن صاحب المباحث المشرقية (يعني الفخر الرازي) تحير في أمر الزمان وتشبث في شرحه لعيون الحكمة للشيخ الرئيس بذيل أفلاطون فقال في المباحث المشرقية بعد ذكر المذاهب وما يرد عليها من الشكوك: واعلم أني إلى الآن ما وصلت إلى حقيقة الحق في الزمان فليكن طمعك من هذا الكتاب استقصاء القول فيما يمكن أن يقال من كل جانب وأما تكلف الأجوبة تعصبًا لقوم دون قوم فذلك لا أفعله في كثير من المواضع =

=

وخصوصًا في هذه المسألة، وقال في شرح عيون الحكمة بعد تقرير الآراء وإيراد الشكوك: إن الناصرين لمذهب أرسطاطاليس في أن الزمان مقدار الحركة لا يمكنهم التوغل في شيء من مضايق المباحث المتعلقة بالزمان إلا بالرجوع إلى مذهب أفلاطون، والأقرب في الزمان عندي هو مذهبه وهو أنه موجود قائم بنفسه مستقل بذاته ثم ذكر الاعتبارات الثلاثة المذكورة التي بها يسمى سرمدًا ودهرًا وزمانا ثم قال: وأما مذهب أفلاطون فهو إلى المعالم البرهانية الحقيقية أقرب وعن ظلمات الشبهات أبعد ومع ذلك فالعلم التام ليس إلا من عند الله اهـ.

وفي الفتوحات المكية أن لفظة الزمان اختلف الناس في معقولها ومدلولها فالحكماء تطلقه بإزاء أمور مختلفة وأكثرهم على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك، والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر وهو مقارنة أمر حادث بادث يسأل عنه بمتى، والعرب يطلقونه ويريدون به الليل والنهار وهو مطلوبنا في هذا الباب والليل والنهار فصلا اليوم، فمن طلوع الشمس إلى غروبها يسمى نهارًا ومن غروب الشمس إلى طلوعها يسمى ليلا، وهذه العين المفصلة تسمى يومًا وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى وما في الوجود العيني إلا وجود المتحرك لا غير وما هو عين الزمان فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له، إذا تقرر هذا فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتسمى أيامًا وتقدر بهذا اليوم الأصغر الذي تقدر به سائر الأيام الكبار قال تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] وقال ﷺ: «أيام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» فقد يكون هذا لشدة الهوال فرفع الإشكال ظاهر، وتمام الحديث في قول عائشة فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال يقدر لها، فلولا أن الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق وما اختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور للشمس، فيكون في أيام خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث يستوي في رأي العين وجود الليل والنهار وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هي فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل الصنعة والعلماء بالهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها لليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوما واحدًا لم يلزمنا أن نقدر للصلاة فإنا ننتظر زوال الشمس فما لم تزل لا نصلي الظهر المشروع ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة لم يكلفنا الله غير ذلك فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يختل نظامها فقد أعلمتك ما هو الزمان وما معنى نسبة الوجود إليه ونسبة التقدير فالأيام كثيرة ومنها كبير وصغير فأصغرها الزمن الفرد وعليه يخرج ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] فسمى الزمن الفرد يومًا لأن الشأن يحدث فيه فهو أصغر الأيام وأدقها ولا حد لأكبرها يوقف عنده وبينهما أيام

=

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما دامت الأرض والسموات.

(آخر)

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد- وأنل شفاعته من صلى عليه.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - وأنر في القيامة وجه من أثنى عليه.

الخطب الثواني

الحمد لله اتباعًا لما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن كفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين بنظر، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وأيه بالمؤمنين من عباده[1]، فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦][2]، اللهم فكما شرفته بالمقام المحمود،

=

متوسطة أولها اليوم المعلوم في العرف وتفصله الساعات، والساعات تفصلها الدرج والدرج تفصلها الدقائق وهكذا إلى ما لا يتناهى عند بعض الناس فإنهم يفصلون الدقائق إلى ثوان فلما دخلها حكم العدد كان حكمها العدد والعدد لا يتناهى فالتفصيل في ذاك لا ينتهي وبعض الناس يقولونه بالتناهي وبهذا يحتج منكرو الجوهر الفرد على أن الجسم ينقسم إلى ما لا نهاية له في العقل وهي مسألة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ.

(١) أية بالمؤمنين قال لهم يأيها الذين آمنوا، وأية منحوته من كلمتين وهما أي ها ومن باب النحت حولق إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله وسبحل إذا قال: سبحان الله وهو باب واسع.

(٢) معنى صلاة الله على نبيه إعلاء ذكره وإظهار أمره وتأييد ملته وإجزال مثوبته وإقرار عينه بالمقام المحمود والحوض المورود فإن عطف عليه غيره فسرت بما يقتضيه مقامه ومعنى صلاة الملائكة والناس عليه الدعاء له بذلك فأصل الصلاة من الله الرحمة ومن غيره الدعاء بها، فإن قلت: هل يجوز الدعاء له عليه السلام بالرحمة؟ قلت: إن المحققين قصروا الجواز على ما ورد فيه أثر وذلك أن لفظ الصلاة ويشعر برحمة خاصة يحظى بها الصفوة من عباده بخلاف غيره من الألفاظ، وسئل الإمام الغزالي عن سر استدعاء أمته للصلاة عليه؟ فقال: إن ذلك لأمور ثلاثة: أحدها أن الأدعية مؤثرة في استدرار فضل الله تعالى ونعمته ورحمته والصلاة من جملتها ثانيها: ارتياحه بها كما قال ﷺ: «إني أباهي بكم الأمم» كما يرتاح العالم بكثرة تلامذته وكثرة ثنائهم عليه وثباتهم عنده. ثالثها: الشفقة على الأمة بتحريضهم على ما هو حسنات في حقهم وقربات لهم.

وخصصته بالحوض المورود[1]، فكن له كفيلا بنهاية المزيد، وتقبل شفاعته في أهل التوحيد، وبوئه وأمته جنان الخلود، وضاعف صلاتك عليه وعلى آله يا ذا الكرم والجود[2]، ثم يلتفت يمينا ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - ما أظلت سماء سماء، ثم يلتفت شمالا ويقول، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما وسقت عين ماء[3]، ثم يستقبل الناس فيقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[4]، اللهم صل على ملائكتك المقربين، وأنبيائك والمرسلين، وأهل طاعتك أجمعين، من أهل السموات والأرضين، واجعلنا

---

(١) المقام المحمود: الشفاعة في فصل القضاء فإنه يحمده فيه الأولون والآخرون.

(٢) بوئه: أنزله.

(٣) وسقت: جمعت، ومنه: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ [الأنشقاق: ١٧]، ويكون بمعنى حملت يقال: لا أفعله ما وسقت عيني الماء أي: لا أفعله أبدًا.

(٤) خص إبراهيم عليه السلام بالذكر لكونه من أجداده عليه السلام ومن أولي العزم وللإشعار بإجابة دعائه في قوله: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وهنا سؤال مشهور وهو أنه قد شبهت هنا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة على إبراهيم عليه السلام وقاعدة التشبيه تقتضي أن يكون المشبه به أعلى من المشبه مع أن ما يتعلق بنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل مما يتعلق بغيره، وأجيب: بأن التشبيه هنا وقع لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [القصص: ٧٧]، وكقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، والذي أوجب ذلك سبق الصلاة على الخليل عليه السلام في عالم الخلق بناء على سبق وجوده فيه على أن تلك القاعدة هي مبنية على الغالب وإلا فقد يكون المشبه أرفع من المشبه به كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٍ ﴾ [النور: ٢٥].

(إنك حميد مجيد): أي أنك أهل الثناء والمجد، ويوجد في بعض النسخ (في العالمين) قبل هذه الجملة وهو متعلق بـــ "صلّ" ومعناه تخصيصه صلى الله عليه وسلم من بين العالمين بالصلاة والبركة المطلوبتين له وهذا كما تقول: أحب فلانا في الناس أي أخصه من بينهم بالمحبة وقيل: معناه طلب الصلاة عليه من الله ومن العالمين فكأنه قال: صل عليه واجعل العالمين يصلون عليه وهذا كما يقال: جاء الأمير في الجيش أي جاء مع الجيش ويحتمل أن يكون المعنى: صل عليه صلاة شائعة في العالمين وهذا كما تقول: أثنيت على فلان في ملأ من الناس وشيوعها في العالمين يقتضي أنها صلات من أعظم الصلات.

منهم يا أرحم الراحمين، اللهم أصلح عبدك وخليقتك فلانا أمير المؤمنين، بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون، اللهم وأصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا تعز به نصره، وتعلي به قدره، وترفع به ذكره، اللهم سهل له سبيل الظفر في الجهاد، وأعنه على ذوي الكفر والعناد، ولا تخله من جميل التأييد والإسعاد، إنك كريم جواد، اللهم سدد الإسلام وثقف أوده، وشيد بنيانه وارفع عمده(١)، وثبت أركانه، واشدد عضده، وضعضع الكفر ودكدك سنده(٢)، وشتت شمله وأقطع مدده، وفرق جمعه وأقلل عدده(٣)، ببقاء الأمير فلان ابن فلان الذاب عن حوزة المسلمين، والمجاهد في سبيلك دون الناس أجمعين(٤)، اللهم اشدد وطأتك على جميع أعدائه، واجعل النصر والتأييد معقودين بلوائه(٥)، واجزه ثواب الدنيا والآخرة على حسن بلائه، وعم بالسلامة جميع مواليه وأوليائه.

غيره

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا ترفع به رايته، وتحسن به طويته ورعايته، وتديم به ولايته، وتبلغه من الشرف غايته، اللهم اشدد بأوتاد عزك أطناب بقائه، واحفظه واحفظ له أنجاب أبنائه(٦)، وأوهن بقوة سببه أسباب أعدائه، وأجعل عونك وتوفيقك حافين بلوآئه، يا من أمور الدنيا والآخرة مزمومة بإمضائه(٧)، اللهم أصلح لنا أئمتنا وأمتنا ومن وليته من المسلمين شيئًا من أمورنا، اللهم اغفر للمسلمين

---

(١) ثقف: أوده: أي قوم اعوجاجه: أي اعوجاج الداخلين فيه ممن لم يرعه حق رعايته، ويحتمل أن يراد بالأود البدع التي أدخلها بعض المبتدعة فيه وأوهموا الأغمار أنها منه، وشيد بنيانه: أي وثقه، وارفع عمده أي اعله.

(٢) العضد: في الأصل الساعد وهو من المرفق إلى الكتف ويستعار للمعين والناصر، وأما شد العضد فهو كناية عن التقوية والنصر، وضعضع البناء هدمه حتى الأرض وضعضع الدهر فلانا أذله، ودكدك سنده: أي اهدم سند الكفر وهو ما يستند إليه، والسند في الأصل ما قابلك من الجبل وارتفع عن السفح.

(٣) أقلل عدده: أجعل عدده قليلا ويروى وافلل: أي اكسر من فل الجيش إذا هزمه أو فل السيف إذا كسر حده وبابه رد.

(٤) الذاب: المانع والدافع وبابه رد والحوزة الناحية وحوزة الدين دار الإسلام.

(٥) الوطأة: البطشة ولما كان الوطء للشيء مهلكا في الغالب استعير للبطش.

(٦) الأوتاد: جمع وتد بكسر التاء وفتحها لغة فيه، والإطناب جمع طنب بضمتين حبل الخباء.

(٧) وهن الشيء: ضعف وأوهنه غيره: أضعفه، والسبب: الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره.

والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وألف بين قلوبنا وقلوبهم على الخيرات، واجمع بيننا وبينهم برحمتك في الجنات، إنك ولي الحسنات، اللهم انصر جيوش الإسلام ومواكبه، وحماة التوحيد وعصائبه[١]، وأنصار الإيمان وكتائبه، وجرائد الدين ومقانبه[٢]، ليؤيدوا دينك ويعزوا جانبه، وينيروا شرعك ويذلوا طالبه، ويطئوا سنام الشرك وغاربه، ويفلوا حده ومضاربه[٣]، ويزلزلوا بالمغار مشارق بلده ومغاربه، ويقلقلوا عن سرير ملكه صاحبه[٤]، اللهم عجل لأسراء المسلمين فرجًا عاجلا، وسهل لهم من لدنك خلاصا شاملا، اللهم احفظ عليهم ودائع أديانهم، وأخرجهم من ضيق السجون إلى سعة أوطانهم، ولا تجعلهم فتنة للظالمين، ونجهم برحمتك من القوم الكافرين[٥]، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله يذكركم.

خطبة أخرى ثانية

الحمد لله إقرارًا بنعمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لربوبيته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير بريته، صلى الله عليه وعلى عترته، والمنتجبين من صحابته وأسرته، اللهم شرف محمدًا في القيامة، وبيض وجهه يوم

---

(١) العصائب: جمع عصابة وهم الجماعة المتناصرون.

(٢) جرائد الدين: من يتجرد للذب عنه، والمقانب: جمع مقنب وهم الجماعة من الفرسان.

(٣) غارب البعير: ما بين سنامه إلى العنق ومنه قولهم حبلك على غاربك أي: اذهبي حيث شئت والمراد بوطء سنام الشرك وغاربه: الغلبة عليه وإذلاله، والمضارب: جمع مضرب ومضرب السيف حده.

(٤) المغار: الإغارة، وقلقل الشيء قلقلة حركه تحريكا شديدًا وتقلقل تحرك واضطرب.

(٥) لا تجعلهم فتنة للظالمين: أي لا تظهر الظالمين عليهم فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا ويصروا على ضلالهم هذا أظهر الأوجه وقيل: المعنى لا تسلط الظالمين عليهم فيفتنونهم عن أديانهم فكأنه قال: لا تجعلهم مفتونين وقيل: المعنى لا تجعلهم موضع فتنة أي عذاب ورجح هذا الوجه بأن المقصد هو الدعاء للمسلمين بعدم الافتنان وهو يتضمن الدعاء بعدم تسلط الكفرة عليهم وأجيب بأن الوجه الأول وإن كان ظاهره الدعاء للكافرين بعدم الافتنان فباطنه الدعاء للمسلمين بالقوة والاطمئنان والدعاء لأولئك بمثل هذا الأمر ليس ينكر.

الطامة، وارفع درجته في دار الكرامة، وأر أهل الموقف تمكين منزلته، وتقبل شفاعته في أمته، وأعطه من الفضل فوق أمنيته، والسلام على محمد ورحمة الله وبركاته[١]، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه يمينًا وشمالاً، ويتمم الخطبة على ما تقدم، ولك أن تختار من فصول الصلاة على النبي ﷺ ومن فصول الأدعية للولاة وجيوش المسلمين التي أنا ذاكرها بعد إن شاء الله ما تحب في كل خطبة.

---

(١) قال المدقق الكوراني في قصد السبيل إن المشهور أن وصف الله بالرحمة مجاز لأنها من الأعراض النفسانية التي تستحيل على الله تعالى فإذا وصف بشيء منها وجب أن يصرف الكلام عن ظاهره وذلك فيما نحن فيه إما أن تجعل الرحمة مجازًا عن إرادة الإنعام أو تجعل مجازا عن الإنعام نفسه والأول إطلاق للسبب الذي هو الرحمة على مسببه القريب الذي هو الإرادة والثاني إطلاق للسبب على مسببه البعيد الذي هو الإنعام والزمخشري اختار الوجه الثاني حيث قال هو مجاز عن إنعامه على عباده وبين علاقة السببية بقوله: لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه اهـ، وإنما كان إطلاقا للسبب على مسببه البعيد لأن الإنعام مرتب على إرادته وإرادته مرتبة على الرحمة التي هي العطف والحنو والرقة فالإرادة مسبب قريب والإنعام مسبب بعيد هذا ولقائل أن يقول: إن الرحمة التي هي من الأعراض النفسانية هي الرحمة القائمة بنا ولا يلزم من ذلك أن يكون مطلق الرحمة كذلك حتى يلزم منه كون الرحمة التي وصف بها الحق سبحانه مجازًا أو لا يرى أن العلم القائم بنا من الأعراض النفسانية وقد وصف الحق بالعلم ولم يقل أحد أن الذي وصف به الحق سبحانه مجاز مع أن علم الحق زاتي أذلي حضوري محيط وكذلك القدرة القائمة بنا من الأعراض النفسانية ولم يقل أحد إن وصف الحق بالقدرة مجاز مع أن قدرته ذاتية أزلية شاملة لجميع الممكنات وقدرتنا مجعولة حادثة غير شاملة وعلى هذا القياس الإرادة وغيرها فلم لا يجوز أن تكون الرحمة حقيقة واحدة هي العطف ثم العطف تختلف وجوهه وأنواعه بحسب اختلاف الموصوفين فإذا نسب إلينا كان كيفية نفسانية وإذا نسب إلى الله تعالى كان بحسب ما يليق بجلال ذاته من الإنعام أو إرادته، كما أن العلم حقيقة واحدة إذا نسبت إلينا كانت كيفية نفسانية وإذا نسبت إلى الحق كانت كما يليق بجلال ذاته، وكذلك القدرة والإرادة ويؤيد ما ذكرناه أن الأصل في الإطلاق الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ولا تعذر إلا إذا دل دليل على أن الرحمة مطلقا منحصرة في الكيفية النفسانية وضعًا ودونه خرط القتاد وكون الرحمة القائمة بنا كيفية نفسانية لا ينهض حجة على كونها مجازا في وصف الله بها وإلا لكان وصف الحق بالعلم والقدرة والإرادة مجازًا لأنها كلها فينا أعراض نفسانية واللازم باطل بالاتفاق وهذه نكتة من تنبه لها لم يحتج إلى التكلفات في تأويل أسماء الله مما ورد إطلاقها على الله تعالى في كتاب أو سنة مما إذا نظر فيها مثل هذا النظر المشهور في الرحمة أحوجه إلى ارتكاب المجاز فليتنبه لها فإنها نافعة في سلوك طريق الإيمان بالمتشابهات بإذن الله والله أعلم اهـ.

خطبة ثانية

الحمد لله على حلو القضاء ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له انتهاء إلى أمره[1]، وأشهد أن محمدًا عبده القائم بنصره، ورسوله المؤتمن على سره،

(١) قضاء الله تعالى قد يراد به أمره ومنه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقد يراد به إمضاؤه الحكم المقدر في الأزل ومنه ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤] وقد اشتهر أن الرضا بالقضاء واجب واستشكل ذلك بأنه قد اشتهرا أيضًا أن الرضا بالكفر كفر وأجيب بأن المقضيات ثلاثة أنواع: الأول الأوامر والنواهي وهذه الرضا بها واجب ومعنى الرضا بها الاعتقاد بأنها شرعت لحكمة والقيام بمقتضاها، والثاني الصحة والرد وما أشبههما والرضا بالقسم الأول من مقتضيات الطبع وأما الرضا بالقسم الثاني فقيل إنه مستحب وقيل إنه واجب وهو الظاهر إذ المراد بالرضاء الصبر وعدم الاعتراض على القضاء والقدر والمراد بالصبر عدم الضجر وهو لا ينافي الدعاء والتشبث بأسباب الشفاء قال ابن الفارض:

بها لاضطراب بل لتنفيس كربتي ولم أحك في حبيك حالي تبرما
ويقبح غير العجز عند الأحبة ويحسن إظهار التجلد للعدى

فإن ضم إلى ذلك الشكر فقد فاز بالحسنى ونال المقام الأسنى وورد منهل من قال:

جعلت له شكري مكان شكيتي وكل أذى في الحب منك إذا بدا
إذا سلمت من حل عقد عزيمتي وما حل بي من محنة فهي منحة
علي من النعماء في الحب عدت نعم وتباريح الصبانة إذا عدت

الثالث: الطاعة والعصيان ومنه الكفر والإشكال المشهور في ثاني هذا القسم فنقول إن الرضا بالمعصية معصية والرضا بالكفر كفر وكيف يرضى العبد بما لا يرضى به الرب قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧] وإنما يكون كذلك إذا رضي به من حيث كونه كفرا ولذا قال المحققون بعدم كفر من دعا على عدوه بالموت على الكفر وعللوا ذلك بأن رضاه بكفر عدوه ليس لاستحسانه الكفر بل لتضمنه دخول النار والبقاء مع الفجار بخلاف من رضي لنفسه الكفر فإنه لا يكون إلا لاستحسان الكفر لذاته وذلك كفر ألبتة وبهذا ينحل الإشكال المشهور في قوله عز وجل في ذكر دعاء موسى عليه السلام على عدوه: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨] وقد أجاب عنه بعضهم بأن موسى عليه السلام أيس من إيمانهم فدعا عليهم كما أيس نوح عليه السلام من إيمان قومه إذ قيل له يا نوح : ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود: ٣٦] فدعا عليهم وقال: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً ﴾ [نوح: ٢٤]، وإن كان يمكن أن يجاب هنا بأن المراد بالضلال الحيرة في أمرهم وليس فيه أنه دعا عليهم بعدم الإيمان وأجاب بعض إخواننا بأن موسى عليه السلام عرف أن فرعون وملأه لا يؤمنون وهم على ما هم =

صلى الله عليه وعلى آله ما ذكر في بره وبحره.

ثانية أخرى

الحمد لله على إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه(١)، وأشهد أن

=

عليه من كثرة المال وراحة البال وإن آمنوا كان إيمانهم متزلزلا قليل الجدوى غير مقرون بالتقوى فدعا عليهم بسلب الأموال التي ضلوا بها وأضلوا وزوال الحال التي استضعفوا بها غيرهم وأذلوا وإن لا يؤمنوا إلا بعد ذلك وظهور مبادئ المهالك حتى يكون إيمانهم إن لم يكونوا ممن حقت عليهم كلمة العذاب إيمان إخلاص موجب للخلاص.

ومما يستأنس به للجواب الأول ما ورد في سفر الخروج وهو: قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون فإني قسيت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع به آياتي هذه وأما الرضا بقضاء الله هذا النوع فهو واجب إذ معنى الرضا فيه اعتقاد أنه لم يقض إلا لحكمة اقتضت ذلك وإن عقاب المقضي عليهم بذلك عدل ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧].

قال بعض أئمة الجمهور: على أن لله في كل ما يخلقه حكمة وإن ما خلقه مما هو شر في حق بعض الناس في خلقه حكمة باعتبارها كان خلقه مما يحمد تعالى عليه فله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد ذلك فهو محمود على خلق ما خلق وخلقه حسن ولله في ذلك حكمة قال تعالى: ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧] ولهذا لم يضف الشر إليه تعالى في كتابه العزيز وإنما يرد ذكره على أحد ثلاثة وجوه: الأول: أن يذكر خلق الله تعالى له ضمن العموم كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]. الثاني: أن يذكر مضافا إلى السبب كقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ٢]. والثالث: أن يذكر بدون بيان الفاعل كقوله تعالى في بيان ما قاله مؤمنو الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن: ١٠] ومنه قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] ومن هذا الباب قول ابن الفارض:

وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة ... فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى
وحكمة وصف الذات للحكم أعطت ... على سمة الأسماء تجرى أمورهم
فقبضة تنعيم وقبضة شقوة ... يصرفهم في القبضتين ولا ولا

يريد أنه لا عبث في الوجود وأنه لم يخلق شيء لغير حكمة وأن الحكمة الإلهية اقتضت وجود أرباب السعادة وأرباب الشقاوة وأن يكونوا على ما هم عليه ومقتضى الكمال ظهور آثار الجلال والجمال:

ومن لهم الحسنى وزيادة ... اللهم اجعلنا من أهل السعادة

(١) قد تقرر في النحو أن لا النافية للجنس لابد لها من خير ظاهر أو مقدر ولما كان هنا غير ظاهر احتيج إلى تقديره فقال بعضهم: هو موجود ومعنى الكلمة العليا لا إله موجود إلا الله

=

محمدًا عبده المؤيد بسلطانه، ورسوله القائد إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأعوانه، صلاة يحلهم بها دار أمانه.

فصول الأدعية

فصل دعاء لبعض الولاة

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا تسعد به رعيته، وتصلح به لهم طويته، وتقوي به في جهاد عدوك نيته، وتبلغه في الدنيا والآخرة أمنيته، اللهم أجعل رايته أبدًا منصورة، ونفسه ببلوغ آماله مسرورة، وسيرته في العدل والنصفة مشهورة، وراية عدوه منكوسة مقهورة، اللهم أمتع الإسلام والمسلمين بطول حياته، وارفع

=

واعترض على هذا بأن التوحيد إنما يتم بأمرين:

أحدهما: إثبات وجود الله تعالى.

وثانيهما: نفي إمكان وجود إله سواه وقال بعضهم هو ممكن واعترض عليه بأن هذا أكثر إشكالا من الأول لأنه وإن أفاد نفي إمكان ما سواه سبحانه فإنه لا يفيد وجوب وجوده بل إمكانه وأجاب القائلون بتقدير الإمكان بأن المقصود الأول من هذه الكلمة هو نفي الشركاء والأنداد وأما ثبوت وجوب الوجود للحق فهو بديهي أو كالبديهي لا يخفى على أحد من الخلق وأما الدهريون فهم مكابرون لوجدانهم على أنا لا نستبعد أن يوجد من يتوقف في البديهي وما يقرب منه لانصراف ذهنه عنه فإن كون الواحد ثلث الثلاثة مثلا ربما لم يخطر ببال بعض الناس وربما يتوقف فيه مع إخطاره بالبال لاشتغال فكره أو لسبب آخر والظاهر الأول وهو كون الخبر موجودًا وأما الاعتراض المورد فهو مدفوع لأن الإقرار بوجود الله وعدم وجود سواه يستلزم الإقرار بعدم إمكانه وذلك لأن أول ما يلاحظ في الإله القدم وعدم لحوق العدم فإذا أقر بعدم وجود الشريك وقتا ما فقد أقر بعدم إمكانه ألبتة لأنه لو فرض وجوده بعد ذلك يكون حادثا وإذا كان حادثا استحال أن يكون شريكا للمتفرد بالقدم والإيجاد من العدم وهذا المعنى أيضًا يستلزم عدم إمكان وجود معبود بحق سواه هذا ومن الغريب أن الإشكالات التي أوردت في تقدير الخبر حيرت كثيرًا من الأفاضل حتى إن بعضهم مع تميزه في المعقول والمنقول ذهب إلى أن الكلام بدون تقدير الخبر تام وتقدير النحاة فاسد لأن نفى الماهية المطلقة أولى من نفيها مقيدة ولا يخفى أن في هذا إبطالا لقاعدة متفق عليها عند أهل الفن بدون دليل قاطع وبعضهم مع كونه من أئمة العربية خالف المألوف في الإعراب وقال: إن لا إله إلا الله مبتدأ وخبر وأن الأصل: الله إله فالمعرفة مبتدأ والنكرة خبر على القاعدة ثم قدم الخبر ثم أدخل النفي عليه والإيجاب على المبتدأ ويكون الإعراب هكذا الله مبتدأ وإله خبره ولا وإلا أداتان أدخلتا لمجرد الحصر وعلى هذا يخرج نظائره وأورد عليه اعتراضات شتى حتى قال بعض الناقلين له إن هذا الإعراب مما يتحير في فهمه عقول الفحول اهـــ.

حلمك عن أعدائه وشناته، وأره المسرة في نفسه وذويه وذواته، واجعل حسبنا الله ونعم الوكيل محيطًا براياته، يا من الكبرياء والعظمة من نعوته وصفاته.

دعاء آخر

اللهم عم بالصلاح والتوفيق رعايا المسلمين ورعاتهم، وأمراءهم وولاتهم[(١)]، وحكامهم وقضاتهم، وعلماءهم وهداتهم، وعمالهم وكفاتهم، وأيد اللهم بعونك أنصارهم وحماتهم، وأجمع فرقهم وأشتاتهم، واحرس اللهم فرسانهم وكماتهم، وأنل رحمتك ورضوانك أحياءهم وأمواتهم.

دعاء لبعض الولاة عند توجهه إلى الحرب

اللهم هب له في اللقاء صبرًا جميلا، وانصره على الأعداء نصرًا جليلا، وبلغه في أتم العز عمرًا طويلا، وكن له راعيا بما استودعته من نعمك كفيلا، اللهم إنك تعلم حاجتنا إليه، فاجعل واقيتك الباقية عليه، والملائكة المسومين حافين به وعن يمينه وشماله ومن خلفه وبين يديه، حتى يكون بحولك وقوتك على الكفرة منصورا، ويعود طاغية الروم بصواعق انتقامك مذموما مدحورا، اللهم سره وسائر المسلمين بغلبهم،

---

(١) التوفيق الهداية والإرشاد والتسديد والتأييد وهو مما لا يستغني عنه أحد قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١] وهداية الله للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي نال كل واحد منها قدر احتماله قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] الثاني: الهداية التي جعل الناس على ألسنة الرسل قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجد: ٢٤]، الثالث: التوفيق: الذي يختص به من اهتدى قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال الراغب وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن من لم تحصل له الثالثة ومن لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له. الثالثة لا تحصل له الرابعة والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وإلى سائر الهدايا أشار بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] فالمراد بالهداية فيه النوع الأول والثاني.

ومكنه ومن معه من نفوسهم وسلبهم، واجعل خروجهم إلى دار الإسلام سبب عطبهم، وأعل صدق دينك على باطلهم وكذبهم(١).

نوع آخر دعاء للولاة

اللهم اسدد ثغور المسلمين. وأعل كلمة المؤمنين، واستأصل شأفة المارقين ببقاء سيفك القاطع، وشهابك الساطع، الذاب عن دينك المدافع، المجاهد في سبيلك المسارع، عبدك الأمير سيف الدولة أبي الحسن القوي في ذاتك، الباذل مهجته في

(١) قال الراغب: الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول ولا يكونان من القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤] وقد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام في الاستفهام والأمر والدعاء نحو قول القائل أزيد في الدار فإن في ضمنه إخبارا بكونه جاهلا بحال زيد وكذا إذا قال واسني فإن في ضمنه أنه محتاج إلى المواساة وإذا قال لا تؤذني فإن في ضمنه أنه يؤذيه، والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل إما أن لا يوصف بالصدق والكذب وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة باكذب على نظرين مختلفين اهـ وقال في الذريعة بعد أن ذكر أن الصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم ارتفاعه لما صح نظامه وبقاؤه وإن كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الإخبار ليس بكذب: وعلى المثل حمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [ص: ٢١] وقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١] فقالوا يصح هذا لما كان مثلا وإن لم تجر العادة بوجود الحبة هكذا:

(تنبيه): قد بان لك بما قلنا أن الصدق والكذب إنما يكونان بالذات في الخبر وإن صدق الخبر مطابقته للواقع وكذبه عدمها وإن المخبر قد ينسب له الكذب وإن كان قوله صدقا بناء على مخالفته لاعتقاده ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٧] وقد ينفى عنه وإن كان قوله كذبا كان بناء على عدم قصده الكذب فليس فيما قلنا إثبات للواسطة بين الصدق والكذب في نفس الخبر حتى يكون مخالفا لقول الجمهور فإن قيل: إن الراغب قد صرح في الذريعة بأن المبرسم إذا قال زيد في الدار لا يقال له صدق ولا كذب لأنه لا قصد له قلنا إذا اعتبرنا قول المبرسم نجعل نفي الصدق والكذب عنه راجعا إليه لا إلى ما قال وباستحضار ما سبق تعلم معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] مع قوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: ٤] فعليك بوضع كل شيء بموضعه.

مرضاتك، اللهم أعزز بملائكتك المقربين نصره، واشدد بأوليائك المؤمنين أزره، ويسر فيما يزلف لديك أمره، وارفع في رتب المنتجبين ذكره، وأعل في الدنيا والآخرة قدره، وضاعف على حسن فعاله ثوابه وأجره، وأطل اللهم في العز والتأييد عمره[1]،

---

(١) قد استفاض في الألسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق وقد وردت آثار شتى تدل على أن بعض الأعمال الحسنة كصلة الرحم سبب لبسط الرزق وطول العمر وقد أورد على ذلك أن العمر والرزق مقدران في الأزل فكيف يتصور الزيادة فيهما وأجاب بعض من تصدى للجواب بأن المراد بذلك زيادة البركة وأما نفس العمر والرزق المقدرين فلا يقبلان الزيادة قال العلامة القرافي في الفروق: إن هذا الجواب عندي ضعيف بسبب أن البركة أيضًا من جملة المقدرات فإن كان القدر مانعًا من الزيادة فليمنع من البركة في العمر والرزق كما منع من الزيادة فيهما بل هذا الجواب يلزم منه مفسدتان:

إحداهما: إيهام أن البركة خرجت عن القدر فإن المجيب قد صح بأن تعلق القدر مانع فحيث لا مانع لا قدر وهذا رديء جدًا.

وثانيهما: أنه يقلل الرغبة في صلة الرحم بالنسبة لظاهر اللفظ فإن إن قلنا لزيد إن وصلت رحمك زادك الله في عمرك عشرين سنة، فإنه يجد من الواقع لذلك ما لا يجده من قولك أنه لا يزيدك الله تعالى بذلك يومًا واحدًا بل يبارك لك في عمرك فقط فيختل المعنى الذي قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في الحث على صلة الرحم والترغيب فيها، بل الحق أن الله تعالى قدر له ستين سنة مرتبة على الأسباب العادية من الغذاء والتنفس في الهواء ورتب له عشرين سنة أخرى مرتبة على هذه الأسباب، وصلة الرحم إذا جعلها الله تعالى سببا أمكن أن يقال إنها تزيد في العمر حقيقة كما نقول الإيمان يدخل الجنة والكفر يدخل النار بالوضع الشرعي لا بالاقتضاء العقلي، ومتى علم المكلف أن الله تعالى نصب صلة الرحم سببا لزيادة النسأ في العمر بادر إلى ذلك كما يبادر لاستعمال الغذاء وتناول الدواء والإيمان رغبة في الجنان ويفر من الكفر رهبة من النيران وبقي الحديث على ظاهره من غير تأويل يخل بالحديث على ما تقدم، وكذلك القول في الرزق حرفا بحرف، وكذلك نقول الدعاء يزيد في العمر والرزق ويدفع الأمراض ويؤخر الآجال وغير ذلك مما شرع فيه الدعاء فهو من القدر ولا يخل بشيء من القدر بل ما رتب الله سبحانه مقدورا إلا على سبب عادي ولو شاء لما ربطه به اهـ وبهذا ينحل لك الاشكال الذي يتوهم في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فإن بعضهم قال كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدره الله من الخير وقد أفرده العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصه: أن الله تعالى قدر الخير والشر في الدنيا وجعل لكم مقدور سببا يترتب عليه ويرتبط به والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة، فالذي وضع له السم فأكله فمات قد قدر موته بالسم مع جهله فلو قدر نجاته منه قدر اطلاعه عليه فالمقدر على
=

اللهم أكمل نعمتك السابغة لديه، وزد في فضلك وإحسانك إليه، ومكنه ممن عانده أو بغى عليه، يا من ملكوت السموات والأرض بيديه.

أخرى

اللهم أيد الأمير فلانا بملائكتك المقربين، الذين أنزلتهم يوم بدر مسومين، وأعززت بهم الدين، وأيدت بهم سيد المرسلين، وانصره على أعدائه المارقين، وأبد به غضراء الكافرين، حتى لا يدع لهم جيشًا إلا هزمه، ولا جبارًا إلا قصمه، ولا معقلا إلا هدمه، ولا موئلا إلا أباحه واصطلمه، ولا متعززا إلا أذله وأرغمه، اللهم أمتع المسلمين بطول حياته، وارفع حلمك عن أعدائه وشناته، واجعل حسبنا الله ونعم الوكيل محيطا براياته، يا من الكبرياء والعظمة من نعوته وصفاته(١).

=

تقدير الجهل يمنع أنه مقدر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضده، والرزق المقتر إنما قدر لأهله على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من أسباب الرزق أما مع علمهم بهذه الأسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا تسلم أنه قدر لهم ضيق الرزق كما تقول أن الله تعالى قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الإيمان أما مع عدمه فلا نسلم أنه قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتيب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب ثم قال وقد كثرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسر القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن

أقول: وهذا السؤال أحد الأسئلة الإحدى والعشرين المسماة بالأسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الأفكار وبما ذكرناه يظهر لك معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١] وإن الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن أطاع عمرو فعمره ستون وإلا فاربعون ونقل العلامة ابن خاتمة الأندلسي في كتاب (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) عن عمر رضي الله عنه إنه قال: (لبيت بركبة أحب الي من عشرة أبيات بالشام) ونقل أن الإمام مالكا قال في الموطأ: يريد لطول الأعمار، والبقاء وشدة الوباء بالشام.

(تنبيه): العمر مدة عمارة الجسم بالروح والأجل آخر مدة العمر والبقاء ضد الفناء.

(١) المفعول الأول لا جعل هو حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يظهر الإعراب فيه لكونه محكيا وقد سئل ابن خالويه أستاذ سيف الدولة عن مثل هذه العبارة فألف فيها رسالة وها نحن نورد عليك لبابها قال ابن خالويه: إن مولانا سيف الدولة صلى في مسجد الجامع بحلب سنة تسع وأربعين وثلثمائة فقال الخاطب في خطبته واجعل يا ربنا حسبنا الله ونعم الوكيل عدة سيدنا سيف الدولة فلما قضى صلاته تكلموا في اعراب هذا الحرف واختلفوا اختلافا عظيما فدعاني =

آخر

اللهم حصن الإيمان وحوزته، واحرس الإسلام وأسرته[١]، ببقاء من بذل من الجهاد مهجته، واجعل نصرة دينك همه وبغيته[٢]، الأمير فلان ابن فلان المشمر في

=

والمجلس بأزز من الأشراف والقضاة والفقهاء والعدول والأدباء فرفعني عليهم كلهم وقال هذا العمل قد رفعه فقلت: بل بفضل مولانا وإقبال دولته فقال بعضهم يجب نصب حسبنا لأنه مفعول وقال سيدنا يحكي ذلك فيقال وجعل حسبنا الله ونعم الوكيل بالرفع وكذلك كان الخاطب قال فقال لي ما تقول في ذلك فقلت هذا مبتدأ وخبر حسبنا مبتدأ والله عز وجل خبر ونعم الوكيل نسق عليه وهما جملتان فلا تلحلحان عن إعرابهما الأول ولا تغيران كما تقول قرأت الحمد لله رب العالمين لأن كل شيء عمل بعضه في بعض مثل المبتدأ وخبره والفعل والفاعل والظرف مع ما فيه والشرط وجوابه يحكى قال ذو الرمة:

فقلت لصيدح انتجعي بلالا سمعت الناس ينتجعون غيثا

إذا النكباء عارضت الشمالا تناخى عند خير فتى يمان

ورفع الناس لأنه سمع من يقول: الناس ينتجعون غيثًا فحكى ما سمع، وصيدح: اسم ناقته وتقول بدأت بالحمد لله رب العالمين لأن الحمد مبتدأ والله عز وجل خبره هذا لفظ سيبويه، وقال الكوفيون: رأيت حسبنا الله ونعم الوكيل مكتوبا ورأيت في فصه عشرون إذا نقشه عشرون بالواو وجعل لا إله إلا الله عدته فإذا ذكرنا شيئًا ليس جملة أو اسما مفردا نصبت وأعملت الفعل فيه فتقول جعل الله آية الكرسي عدة سيدنا وجعل القرآن شافعا له، ومعنى حسبنا الله ونعم الوكيل كافينا الله ونعم الكافي قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] قال الشاعر:

فحسبك والضحاك عضب مهند إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

والوكيل الكافي والرب قال تعالى: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: ٢] وقيل الوكيل الكفيل أنشدني محمد بن القاسم:

برد الأمور الماضيات وكيل ذكرت أبا أروى فبت كأنني

وكل الذي بعد الفراق قليل وكل اجتماع من خليل لفرقة

فجعل الله ما منح سيدنا من الكمال مبقي عليه ما لألأت الفور ورست في أماكنها القور اهـ.

والأزز بفتحتين: امتلاء المجلس والضيق، والفور بالضم: الظباء وهو جمع فائر، ولألأت الفور بذنبها حركته، والقور بالضم جمع قارة وهو الجبيل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة.

(١) الأسرة : من الرجل: الرهط: الأدنون وعشيرته لأنه يتقوى بهم.

(٢) المهجة: النفس والروح والمهجة أيضًا الدم وقيل دم القلب خاصة، والبغية بضم الباء وكسرها: الحاجة لأنه يبغيها أي: يطلبها.

سبيل نصرك، والمسارع في الجهاد إلى أمرك، اللهم فأسبل عليه جميل سترك، وأوزعه القيام بتأدبة شكرك، وأيده بعزيز نصرك، واحفظه حيث ما توجه من برك وبحرك.

آخر

اللهم انصر الأمير فلانا على أعدائك الكفرة البغاة، الفجرة الطغاة، الذين صدوا عن سبيلك، وكذبوا بتنزيلك، وآثروا خلاف رسولك، حتى لا يدع منهم فيلقا إلا أهلكه، ولا سملقا إلا سلكه[١]، ولا دما إلا سفكه، ولا هاربًا إلا أدركه، ولا مغلقا إلا فتحه ودكدكه، ولا حريما إلا اباحه وهتكه، ولا عظيما إلا أهانه وتملكه[٢]، اللهم انصره على أعدائك ومكنه من نواصيهم، حتى يذلهم وينزلهم من صياصيهم، ويؤدي إليه الجزية بالصغار دانيهم وقاصيهم[٣].

آخر

اللهم أقم علم الجهاد، وأصلح سبل الفساد، وأنجح رغبات العباد، وانشر رحمتك على هذا السواد، بتأييد سيفك المهند، وتسديد سهمك المسدد[٤]، ونصرة فارس دينك المؤيد، المناضل عن ملة نبيك محمد ﷺ[٥]، الأمير فلان ابن فلان الذاب عن توحيدك في كل محل ووطن، اللهم فقوّ في نصرة دينك عزمه، وأنفذ في عدوك وعدو المسلمين حكمه، ووفر من ثواب الدنيا والآخرة قسمه، واشف بتمكينه من نواصي الكفرة وغمه، وعجل من نفوسهم وأموالهم وذراريهم غنمه[٦].

آخر

اللهم أعزز أهل الثغور ببقاء من شملهم إحسانه، وغمرهم امتنانه، وتابع لهم بذله، وبسط فيهم عدله، الأمير فلان بن فلان الجافي في مرضاتك طيب الرقاد، والمنفق نفسه وماله في إقامة الجهاد[٧]، اللهم أرزقه الظفر على معانديه، وانصره على

---

(١) الفيلق: الجيش، والسملق: البرية، والقفر: الواسع.

(٢) حريم البئر وغيرها: ما حولها من مرافقها وحقوقها والمراد بالحريم: هنا الحدود.

(٣) النواصي: جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والصياصي الحصون، والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة والصغار بالفتح الذل والضيم والداني القريب، والقاصي: البعيد.

(٤) المهند: القاطع وأصل معناه المصنوع في الهند وكانوا مشهورين بإتقان صنعة السيوف.

(٥) المناضل: المدافع والمحامي وأصله المرامي بالنبل.

(٦) وفر قسمه: اجعله وافرًا أي: تاما، والوغم: الحقد والغيظ.

(٧) الرقاد: النوم وقيل: النوم القليل المستطاب يقال: رقد يرقد رقادًا ورقودا وهو من باب دخل، =

شانيه ومعاديه[١]، وكن له معينًا على ما هو فيه، واحفظه في نفسه وأهله وذوية[٢].

آخر

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا مشفوعا بدرك المطالب، ممنوعا عن شرك المعاطب[٣]، مجموعا به خير البدء والعواقب، مقموعا به كل معاند ومغالب، إنك أمنع ولي وأعز صاحب[٤].

آخر

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحًا توجب له به حسن المزيد من إحسانك، وترفع به قدره في شرفات عز سلطانك[٥]، وتحصنه من غير الأيام في حصون أمانك وتعيذه من مخالفتك وارتكاب عصيانك.

=

والمرقد: المضجع.

(١) يصح أن يكون كل من شانيه ومعاديه مفردًا وأن يكون جمعًا وهو الأولى.

(٢) ذو اسم بمعنى صاحب يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس ويضاف إلى الظاهر دون المضمر ويؤنث ويثنى ويجمع وقد أضاف الجمع هنا إلى الضمير كما أضافه من قال: إنما يعرف ذل الفضل من الناس ذووه وهو شاذ والغالب أنه لم تسمع إضافة غير الجمع إلى الضمير.

(٣) الشفع: ضد الوتر وشفعت الشيء بكذا شفعا من باب نفع إذا ضممته إليه وجعلته به شفعًا، والدرك: بفتحتين وسكون الراء لغة اسم من أدركت الشيء، والشرك حبالة الصائد والجمع إشراك، والمعاطب المهالك واحدها معطب والفعل عطب من باب طرب.

(٤) البدء: الأول كالبدء، والعواقب جمع عاقبة وعاقبة كل شيء آخره، والولي فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به ومنه ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال ابن فارس: كل من ولي أمر أحد فهو وليه وقد يطلق الولي على الناصر والمحب، والصاحب في الأصل بمعنى الملازم والصحبة قد تكون في الظاهر وهو الأكثر وقد تكون في الباطن ومنه لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي وقد ورد إطلاق الصاحب على الحق في الدعاء المأثور في السفر وهو (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل)، والمراد بصحبة الحق للمسافر حفظه ووقايته ودفع الشدائد عنه.

(٥) الشرفات بضم الراء وفتحها وسكونها: جمع شرفة بوزن غرفة وتجمع أيضًا على شرف كغرف وشرفات القصر أعاليه قال الشهاب: هكذا فسروه وإنما هي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة اهـــ.
ومنه حديث المولد ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة.

آخر

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا لا تكدره النوب، ولا تغيره الحقب[١]، مقرونا بالبركة والنماء، مصونا في جميع الأوقات والآناء، واسدد به ثغور المسلمين، واشدد به وطأتك على القوم الكافرين. آمين رب العالمين

آخر

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا تجمع به شمله، وتوسع به عدله، وتبين به فضله، وتحسن به في خلقك قوله وفعله، اللهم مكن له في أرضك تمكين الوارثين، وأرغم بنصره معاطس الكفرة الناكثين[٢]، وأيد بتأييده الإسلام والمسلمين، إنك أعز الناصرين.

آخر

اللهم أصلح فلان ابن فلان صلاحا تثبت به وطأته، وتديم به دولته، وتحرس به من غير الأيام مهجته[٣]، اللهم أمدده بالعون والإسعاد، والتوفيق والإرشاد، واستعمله بطاعتك يا رب العباد.

آخر

اللهم أصلح الأمير فلان ابن فلان صلاحا تلم به شعث الثغور وتخم به خبث

---

(١) النوب: بضم النون جمع نوبة بفتحها والنوبة تأتي بمعنى الشدة تقول: أصابته نوبة ونائبة وتأتي بمعنى المرة من المناوبة ومنه جاءت نوبتك، والحقب الدهر والجمع أحقاب مثل قفل وأقفال وضم القاف للاتباع لغة ويقال الحقب ثمانون عامًا والحقبة بمعنى المدة والجمع حقب مثل سدرة وسدر وقيل الحقبة مثل الحقب.

(٢) مكن فلان عند الأمير مكانة بوزن ضخم عظم عنده وارتفع فهو مكين ومكنته من الشيء تمكينا جعلت له عليه سلطانا وقدرة فتمكن منه، وأمكنني الأمر سهل علي وتيسر، وأراد بالوارثين الصالحين الذي أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] والمعاطس الأنوف وهو جمع معطس بوزن مجلس وربما فتحت الطاء، ونكث العهد والحبل: نقضه.

(٣) الصلاح ضد الفساد وأكثر ما يستعملان في الأفعال والعمل الصالح ضد السيئ وإصلاح الله تعالى العبد يكون تارة بخلقه إياه صالحا وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح ومن الثالث قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] الوطأة هنا المرة من وطئ الأرض بقدمه والمراد بتثبيت وطأته تمكينه وتقويته.

الصدور(١)، وتزم به جوامح الأمور، وتعم به كل موحد شكور.

دعاء على العدو

اللهم ارمهم بسهمك الصائب، وأحرقهم بشهابك الثاقب(٢)، ومزقهم بجندك الغالب، وبدد شملهم في جميع المسالك والمذاهب(٣)، ولا ترفع لهم أبدًا راية، واجعلهم

---

(١) لم الشيء جمعه ولم الله شعثه قارب بين شتيت أموره، والخم التنقية يقال فلان مخموم القلب إذا كان قلبه نقيا من الغل والحسد وقد غيرت في بعض النسخ وجعل بدلها تحسم وسببه أن الخم في الأصل الكنس يقال خم البيت والبئر كنسهما والخمامة الكناسة.

(٢) اللهم بمعنى يا الله وقد اتفقوا على أنه منادى محذوف منه حرف النداء وإن الميم ليست بأصل في الكلمة وإنما اختلفوا في سبب إلحاق هذه الميم فذهب سيبويه إلى أنهم زادوا الميم في الآخر عوضا عن حرف النداء في الأول ولذا لا يجوز عنده أن يقال يا اللهم لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه وأما قول الراجز:

أقول يا اللهم يا اللهما إني إذا ما حدث ألما

فمحمول على ضرورة الشعر وما كان على وجه الضرورة لا يجعل أصلا يبنى عليه وذهب بعضهم إلى أن هذه الميم زيدت للتفخيم كزيادتها في زرقم وابنم وهذا القول لا ينافي القول الأول لأن كونها عوضًا لا يمنع أن تكون للتفخيم ألا ترى أن التاء في قولنا تالله بدل من الباء ومع ذلك ففيها زيادة معنى التعجب بل الظاهر أن سبب هذا الحذف والتعويض إنما هو قصد زيادة التفخيم لهذا الاسم العظيم الأعظم قال النضر بن شميل من قال اللهم فقد دعاه بجميع أسمائه ومعنى هذا أن الميم في كلام العرب تأتي للجمع تقول له ولهم فزيدت في هذا الاسم لتشعر بأنه قد اجتمعت فيه جميع الأسماء الحسنى وذهب الفراء إلى أن هذه الميم المشددة مخفف من أم بمعنى أقصد فحذفت الهمزة فبقيت طيم المشددة، ومعنى اللهم يا الله أمنا بخير وقد رد هذا القول بوجهين الأول أن هذه دعوى لا دليل عليها وما لا دليل عليه لا يجنح إليه الثاني أنها ترد في كثير من المواضع التي لا يسوغ فيها هذا التقدير نحو: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

(تنبيه): قال سيبويه أن اللهم لا يوصف وسر ذلك يظهر من القول الثاني وأما قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] فـ" مالك" منصوب على نداء ثاني أو على المدح.

(٣) الجند قد يضاف إلى الحق إضافة عامة فيكون بمعنى المكون المطيع للأمر التكويني ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] أي ما يعلم جموع خلق الله على ما هم عليه إلا هو إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وقد يضاف إليه تعالى إضافة خاصة فيراد به العباد المطيعون لأمره القائمون بنصره ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ =

لمن خلفهم آية.

نوع آخر

اللهم انصر جيوش المسلمين، وكثر أنصارهم، واحم حوزتهم، وأعل منارهم، وآمن سبلهم، وارخص أسعارهم، وافكك عناتهم، واحلل أسارهم[١]، وبلغهم في عافية ديارهم، وأهلك اللهم أعداءك وأعداء المسلمين وأمح آثارهم، واستأصل شأفتهم وعجل دمارهم، وأسرع اللهم هلاكهم وبوارهم[٢].

(آخر)

اللهم انصر جيوش المسلمين حيث ما سلكوا من أقطار البلاد، وأمددهم

= كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] وهنا سؤال وهو أن الحق سبحان إذا كان قد وعد جنده بالنصر والظفر فما الموجب لدعائهم بذلك؟ والجواب أنه ما المانع أن يكون ذلك الوعد معلقاً بأسباب من جملتها الدعاء المتضمن للخضوع لرب الأرباب قال تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان: ١٦] فجعل الوعد بالجنة مسئولا أي يسأله إياه عباده المؤمنون على أن هنا أمرًا آخر وهو أن الحق سبحانه إنما وعد بالغلبة جنده وجنده هم عبيده الخاضعون لجلاله الراجون لفضله ونواله فإذا تركوا الدعاء المشعر بكونهم عبيدًا لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعا أخلوا بنوع من الطاعة قطعًا والجند إذا أخل بالطاعة حل به الأصر وبعد عنه النصر على أن طلب الغايات يتضمن طلب المبادئ فمن سأل الله أن يدخله الجنة فقد سأله أن يجعله من المؤمنين الذين يستحقون دخولها فكأنه سأله أن يجعله مؤمنا موسوما بالصلاح متشبثا بأسباب الفلاح قال بعض العارفين أن الله سبحانه لم يعد بنصر مطلق، وإنما وعد بنصر مقيد تارة بالإيمان نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] وتارة بنصره قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧] ثم ذكره مسألة غريبة وهي أن المؤمنين بالباطل إذا كان إيمانهم به أقوى من إيمان غيرهم بالحق كان النصر لهم لأنهم ما آمنوا بالباطل وقوى اعتقادهم فيه إلا وهم يعتقدون أنه الحق.

(١) العناة جمع عاني وهو الأسير، والأسار ككتاب ما يشد به وأسر الأسير شدة بالأسار.

(٢) الشافة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال في المثل استأصل الله شافته أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي وقيل الشافة قرحة إذا قطعت مات صاحبها وهذا أنسب للمثل والشافة تهمز ولا تهمز، والدمار والبوار الهلاك ونصب هلاكهم على أنه مفعول لأسرع ومعنى أسرع هلاكهم اجعله سريعًا فهو متعد ولكثرة حذف مفعوله يتوهم أنه لازم قال في المصباح أسرع في مشيه وغيره إسراعا والأصل أسرع مشيه وفي زائدة وقيل الأصل أسرع الحركة في مشيه وأسرع إليه أي أسرع المضي إليه.

بجيوش العون وكتائب الإسعاد، وقو نياتهم على القيام، بمفترض الجهاد، ومكنهم من نواصي الكفرة أهل الكفر والعناد، واستنقذ المأسورين والمأسورات من ضيق السجون ووثاق الأصفاد، وطهر ثغرنا هذا وثغور المسلمين من دنس الفساد[١]، وأسبل سترك الجميل وحجابك المنيع على هذا السواد، وبلغنا في الدنيا والآخرة نهاية السؤال والمراد، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[٢]، اللهم أهلك طاغية الكفر وناصريه، وأعوانه وموازريه[٣]، الذين يبغون إخمال ملتك، وزوال سنتك وإدحاض حجتك، وسلوك غير محجتك، اللهم زلزل أقدامهم، ونكس أعلامهم، وأنحس أيامهم، وعجل أرغامهم[٤]، وأحرقهم بصواعق انتقامك. ومزقهم ببوائق أحكامك، وأدمغهم بقوارع أيامك، حتى لا يرى لهم عدد، ولا يبقى على وجه الأرض منهم أحد.

فصل

عباد الله إن أحق من أصطحبتموه الدعاء، ووجهتم إلى الله في كفايته الرجاء، من نصب نفسه لحراستكم، وبذل مهجته في صيانتكم، وهذا الأمير فلان ابن فلان متوجها تلقاء عدوكم غازيا، ذائدًا عن كافة المسلمين محاميا، باذلا في جهاد عدو الله نفسه وماله، مشمرًا في إعزاز دين الله سرباله[٥]، فأنجدوه رحمكم الله بإمداد الدعاء، وواصلوا التضرع في الصباح والمساء[٦]، بصدق النيات، وإخلاص الطويات، أن يمده الله بجيوش نصره، وأن يرد كيد عدوه في نحره[٧]، اللهم زلزل به مغارب بلد العدو ومشارقه، وأوطئ سنابك خيله ملاغمه ومفارقه[٨]، وأقمع بسيفه محاد أهل دينك

---

(١) الوثاق بالفتح ما يشد به الأسير ونحوه والكسر لغة فيه، والأصفاد القيود واحدها صفد بفتحتين والصفد والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل.

(٢) السواد الجماعة، والسؤال ما يسأله الإنسان ويتمناه.

(٣) الطاغية الجبار العنيد المستكبر الظالم الذي لا يبالي بما أتى يأكل الناس ويقهرهم لا يثنيه تحرج ولا فرق وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في ملوك بني الأصفر والتاء في هذا اللفظ وما أشبهه للمبالغة.

(٤) السنة الطريقة والمراد بها هنا الشريعة

(٥) السربال القميص، وشمر في الأمر تهيأ له وجد فيه.

(٦) أنجده: أعانه واستنجده، استعان به.

(٧) النحر: موضع القلادة من الصدر.

(٨) السنابك: جمع سنبك وهو طرف الحافر، والملاغم ما حوى الفم وتلغمت بالطيب جعلته =

ومنافقه، واجعل رجوم شياطين الكفرة كواكب عزمه وصواعقه، واصرف عن حوبائه نوائب الزمان وبوائقه[١].

لواحق خطب المواقيت

خطبة يخطب بها في شهر ربيع الأول

الحمد لله الذي أشرقت بنوره مصابيح قلوب أوليائه، وانخرقت لهم بتبصيره حجب المكاشفة عن شواهد آلائه، فآنسوا بنواظر الفكر في أنوار بهائه، موجودًا غير معدوم في جميع صنائعه وآئه[٢]، واستسلموا عند تحققهم به إلى ما ضر ونفع من قضائه، وتعلقت أسبابهم بسبب منه لإقرار لهم عنه دون لقائه.

أحمده والحمد غاية من شكر، وأذكره ذكرا كثيرا كما أمر، وأنزهه عن قول من جحد به وكفر، وأسلم لأمره تسليم من ابتلى فصبر، ورضى بكل قضاء وقدر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة قامت بها الأدلة، وجبلت عليها الجبلة، محبوا بالبشارة قائلها، مدعوا بالخسارة جاهلها[٣]، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ألزم بإرساله الحجة، وقوم بإعتداله المحجة، فلم يزل صلى الله عليه وسلم وعلى آله لمن تابعه سراجا، وعلى من نازعه عجاجا[٤]، حتى عاد عذب الكفر أجاجا، ودخل الناس في دين الله أفواجا[٥]، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تكون

=

هناك والمفارق الرءوس وهو جمع مفرق والمفرق في الأصل موضع فرق الشعر.

(١) الحوباء النفس، والبوائق الشدائد.

(٢) آنسوا: أبصروا ومنه آنست نارا، وآء أصله أي وهي جمع آية.

(٣) المحبو المخصوص بالحباء وهو الإنعام والعطاء، والبشارة أول خبر يرد على الإنسان فيظهر على بشرته أثره وأكثر ما يستعمل في الخبر السار وقد جاء في خلافة ومنه قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨].

(٤) سماه سبحانه بالسراج كما سمى الشمس بذلك غير أنه جعله سراجا منيرا وجعل الشمس سراجا وهاجا لما أن التوهج يفيد مع الإشراق نوعا من الإحراق بخلاف الإنارة وثم سر ثان وهو أن النور يلاحظ فيه في الأكثر المنافع المتعلقة بالأرواح بخلاف ما يشبهه فإنه يلاحظ فيه المنافع المتعلقة بالأشباح.

(٥) العذب الحلو والأجاج ضده، وإضافة العذب إلى الكفر من إضافة الصفة إلى الموصوف، ونسبة العذوبة للكفر مبنية على ما يزعمه أصحابه إما لما يرون فيه من إنشاط النفس من عقال العقل وإما تمويها على الإغمار وقد خبرت أحوال أكثر الفرق فتبينت أن الجاحدين

=

لأعلى درجة له معراجا.

أيها الإنسان: علا نسبك في المنسيين فأعرق، وقارعت جسمك نوب السنين فأخلق[1]، وأنت على حرصك تصر، ومما يقربك إلى الله تفر، تطلب من الدنيا ما لا تدركه، وتثق من الحياة بما لا تملكه، لا أنت بما اقسم الله من الرزق واثق، ولا لما حذرك من الذنب مفارق، فلا الموعظة تنفعك، ولا الحوادث تردعك ولا الدهر يزعك، ولا داعي الموت يسمعك[2]، كأنك لم تزل حيا موجودًا، أو كأنك لا تعود نسيًا مفقودا[3]، كأني بك وقد غادرتك الأيام صريعًا، وألبستك من السقم ثوبًا

=

أنكد الناس عيشًا تراهم كالهمل وقد انقطع منهم من السعادة الأمل، إذا رأوا اسم المنية نسوا كل أمنية، وربما حل بهم من الفرق ولحقوا بمن سبق، وإذا تصوروا ما ورد في الحشر غشيهم من الروع ما دونه روع النشر، كلما لجئوا إلى شبهة لهم فيها تعلة وجدوها مضمحلة فعاودتهم تلك العلة، ومما يناسب هذا المقام ما قال بعض الأئمة الأعلام على سبيل المجاملة لشاك في الحشر يريد المجادلة إن كان الأمر كما تقول وليس كما تقول فقد نجونا جميعا وإن كان الأمر كما نقول نجونا وهلكت وقد نظمه أبو العلاء فقال:

لا تحـــشر الأجساد قلت إليكما	قـــال المـــنجم والطبيب كلاهما
أو صـــح قـــولي فالخسار عليكما	إن صـــح قولكما فلست بخاسر
طهـــر فـــأين الطهر من ثوبيكما	طهـــرت ثـــوبي للـــصلاة وقبله
خلدي فأين الأنس من خلديكما	وذكـــرت ربي في الضمائر مؤنسا

وتدبر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] يظهر لك بالإيمان إن لم تكن ممن عرف ذلك بالعيان أن المعرضين عن المولى وإن اتسعت عليهم الدنيا لا يزالون في هم وكدر واضطراب من أحكام القدر فهم في العذاب الأدنى قبل العذاب الأكبر وأن المقبلين على المولى وإن ضاقت عليهم الدنيا واشتد عليهم الأمر لا يزالون في نوع من النعيم لمعرفتهم بما في طى ذلك من النعم فيخفف عنهم الألم فهم في النعيم الأدنى قبل النعيم الأسنى.

(١) أعرق في النسب إذا انتسب فيه إلى عرقه وهو أصله، وقارعت أصابت بشدة، والنوب جمع نوبة بالفتح وهي المصيبة وهو من الجموع الشاذة ومثله قرية وقرى ودولة ودول، وأخلق وخلق بلي وأراد بالمنسيين الميتين ولعله الأصل.

(٢) يزعه يكفه يقال وزعه يزعه وزعا مثل وضعه إذا كفه والوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وجمعه وزعه ويقال وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم.

(٣) النسيي بالكسر والفتح الشيء الذي ينسى لحقارته.

فظيعًا[١]، فسقطت لجنبك عليلا، وألفيت قلقًا ثقيلاً[٢]، وقيل فلان قد اعترضته عوارض أذى، وبه مرض من كذا وكذا، فعادك من كان لخيرك راجيا، وقضى حقك من كنت لحقه قاضيا، حتى إذا اشتد حالك، وقصرت من الحياة آمالك، أصبحت ذا نظر إلى الملك طامح، وروع من الإزعاج جامح[٣]، وقلب في غمرات الموت سابح، وجبين من كرب السياق راشح[٤]، ودمع على التفريط والتقصير سافح، وكل شيء منك مضطرب غير صالح، حتى إذا عم السكون جميع الأعضاء والجوارح، وانتشرت الحركات في الباكين والصوائح[٥]، وجهزت بجهاز أهل الضرائح، وحملت على مركب إلى دار الوحشة جانح[٦]، وأسكنت في منزل عن الأنيس نازح، مقيما بين الجنادل والصفائح[٧]، إلى ميقات يوم الفوادح، وظهور المخبآت من الفضائح[٨].

فمن مسرور بميزانه الراجح، ومغتبط بمتجره الرابح[٩]، ومن مثبور بتخلفه كالح، غاد إلى الجحيم وأهوالها رائح[١٠]، فيا أيها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون[١١]؟، ما لكم منه لا تشفقون: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣] جعلنا الله وإياكم ممن خلص لله إيمانه، وذل للحق قلبه ولسانه، وصح بيوم المعاد إيقانه، ورجح يوم الحشر بالحسنات ميزانه، إن أحسن الكلام المنثور والمنظوم، وأجمع القول لأصناف العلوم، كلام الله الحي القيوم، وتقرأ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٤] الثلاث آيات.

---

(١) غادرتك تركتك، والسقم تأثير المرض في البدن والفظيع القبيح المنظر.

(٢) ألفيت وجدت.

(٣) الطامح الرافع بصره إلى الشيء.

(٤) غمرات الموت شدائده والسياق مصدر ساق الروح إذا جذبها من موضع إلى موضع.

(٥) الصوائح جمع صائحة.

(٦) جامع مائل

(٧) الجنادل: الصخور، والصفائح: الصخو العريضة، والنازح: البعيد.

(٨) الفوادح جمع فادحة وهي المصيبة الباغتة.

(٩) اغتبط بالشيء فرح به وغبطت فلانا تمنيت مثل نعمته.

(١٠) المثبور: المهلك، والكالح : المقطب من شدة ما نزل به، والغدي: الذاهب غدوة، والرائح: الراجع عشية.

(١١) المطرق الرامي ببصره إلى الأرض.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الأول

الحمد لله الذي عدمت له النظائر والأشباه، وأقرت بربوبيته الضمائر والأفواه، وخرت ساجدة لهيبته الأذقان والجباه، وجرت خاضعة لقدرته الرياح والأمواه، وأطاع أمره الفلك الأعلى وما علاه، ونطقت حكمته بوحدانيته فيما ابتدعه وسواه، فتبارك الذي هو في كل شيء موجود، وبكل معنى إله معبود[1]، أحمده إذ كان لا ينبغي الحمد

---

(١) كان الأوائل يحترزون عن إطلاق أن الحق موجود في كل شيء خشية أن يتوهم من قصر نظره حلول الحق في الأشياء أو اتحاده بها أو أنها هو وأطلق المتأخرون ذلك بناء على أن مثل هذه العبارة إنما يخاطب بها من لم يعقل عقله بالوهم وهي تحتمل ثلاث معان الأول أن كل ذرة في العالم تدل عليه وهذا قريب من قول القائل:

تدل على أنه واحد ... وفي كل شيء له آية

فمعنى وجوده في كل شيء دلالة كل شيء عليه وإشارته إليه، الثاني أن العالم كان في ظلمة العدم فمن عليه الحق بالإيجاد فوجد فوجوده بإيجاده وجوده والله نور السموات والأرض فنور كل موجود مقتبس من نوره المنزه عن المثل والمثل فكل ذرة حظيت بنور الوجود تشهد لربها بوجوب الوجود والجود وتذكر من نظر إليها بمن أشرق أثر نوره عليها.

قال بعض العارفين نور الأنوار محيط بجميع الأرواح والأشباح لا تخلو منه ذرة من ذرات الأرض والسموات، إلا أنه بكل شيء محيط، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] غير أن هذا المقام قد زلت فيه أقدام أقوام سلكوا بغير إمام هاد فوقعوا في هوة الحلول والاتحاد وبين المقام الأول والثاني حال من قال:

وأيسر ما في الذكر ذكر لساني ... ذكرتك لا أني نسيتك ساعة

وجدتك موجودًا بكل مكان ... فلما أراني الوجد إنك حاضر

وشاهدت مرئيا بغير عيان ... فخاطبت موجودا بغير تكلم

وأما المعنى الثالث فهو من الغرابة بحيث لا تفصح به عبارة وربما زادته غموضًا ولذا تمثل الإمام الغزالي حين وصوله إلى هذه الحال بقول من قال:

فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر ... وكان ما كان مما لست أذكره

وهنا شيء وهو أن هذه العبارة وما أشبهها من العبارات تشعر أن الخواص لهم أراء يكتمونها عن كل الناس أو جلهم ويؤكد ذلك ما نقله صاحب حي بن يقظان عن هذا الإمام في كتابه ميزان العمل وهو أن الرأي ثلاثة أقسام رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه ورأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل مسترشد ورأي يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه إلا من هو شريكه في أعتقاده ثم قال بعد ذلك ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في =

إلا له حمدا يواصل إحسانه وإفضاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادق لا متردد، متحقق غير مقلد، أنه الله الذي لا إله إلا هو العالم بخطرات الظنون، والمكون بحرف الكاف والنون[1]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالدعوة الشامخة، وفضله بالنبوة

= اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعًا فإن من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر وقع في العمى والحيرة ثم تمثل بهذا البيت:

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولما كان في هذه العبارات ما يوهم خلاف مرادهم نقول دفعا لما يرد إن الأراء الثلاثة التي تكون للخواص في الشيء الواحد ليست من قبيل الآراء المتباينة في الحقيقة كالحكم بأن العالم حادث تارة وبأنه قديم تارة أخرى كما أوهمه صاحب تلك الرسالة بل من قبيل الآراء المتحدة في المآل وإن اختلف فيها المقال بالتفصيل والإجمال وذلك أن كثيرا من المسائل يجب أن يلاحظ فيها حال السائل فرب سائل يضره التفصيل وينفعه الإجمال وآخر بالعكس ورب سائل ينفعه حال بين الحالين فإذا أخذ كل واحد منهم من تلك المسألة بمقدار ما يقتضيه استعداده ثم اجتمعوا في ناد وتفاوضوا لم ينكر الأعلى منزلة على الآخرين لأشرافه على ما عندهما ومعرفته أن ذلك لا يباين ما عنده وأنكر الأدنى منزلة ما عند الآخرين وأنكر المتوسط حال الأعلى دون الأدنى، ويناسب هذا المقام ذكر الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما علمه المرء بالسماع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعاينه بالبصر وحق اليقين ما باشره وعرفه معرفة الطاعم للطعم فالأول مثل من وصف له العسل وصفًا تاما بحيث إذا رآه عرف أنه هو والثاني مثل من رأى العسل وشاهده، وعاينه والثالث مثل من رآه وطعم منه فمعرفة كل واحد من أصحاب هذه الأحوال الثلاثة ليست مثل معرفة الآخرين من وجه ومثلها من وجه.

(١) الخطرات جمع خطرة وهو حضور الشيء بسرعة مثل خطفة البرق والمكون الخالق وحرف الكاف والنون كناية عن كن وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] وفي بعض النسخ حرف بدون باء وفي بعضها المكون حروف الكاف والواو والنون قال الكندي حرف الكاف والواو والنون من باب إضافة الشيء إلى نفسه وهو غير جائز وقد صرح بالخلق ولم يكن ذلك رأيه لأنه كان من أهل التوحيد والسنة وفي بعض الخطب ما يدل على خلاف هذا وقال أبو البقاء في هذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها أن يكون أراد به خالق الحروف والأحسن أن يحمل كلامه على الحروف في غير القرآن والثاني أنه أراد به جملة الحروف وقد كان ممن يرى أن الكلام معنى قائم بالنفس وأن الأصوات والحروف عبارة عنه والثالث أن يكون أراد الحروف التي يكتب بها من المداد وأراد الكندي ببعض الخطب الخطبة التي فيها أن أفصح ما نطق به الناطق، وأوضح ما جاء به الوعد =

الراسخة[١]، وأمده بالحجة الفاسخة، وسدده بالشريعة الناسخة[٢]، فأطفأ به الحمم، وضوأ به الظلم[٣]، وجلا به الغمم، وأعلى به الهمم[٤]، وهدى به الأمم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تبلغهم بها نهاية آمال الأمم[٥]، وسلم تسليما.

أيها الناس: فضح الموت الدنيا فازدروها لفضيحتها، ونصحتكم وادثها فاحذروها لنصيحتها[٦]، فكفاكم بها منها منذرا، وبسابقها عن لاحقها مخبرًا[٧]، أو ما رأيتم إفسادها من إصلحها، وغشها من نصحها، ممن اتخذها أما، وظن عطاءها غنما، فكانت أموامته يتما، وعادت غنيمتها غرمًا[٨]، حين أقصدتهم بفجائعها، وأرصدت لهم الموت على طلائعها[٩]، وزحفت إليهم بنوائبها، وأعنقت عليهم بنيارها[١٠]، فطحنتهم طحن الحصيد، وغيبتهم تحت الصعيد[١١]، فبطون الأرض لهم أوطان، وهم

=

الصادق، كلام من كلامه لا مخلوق ولا خالق والخطبة التي فيها أن أفصح الوعظ المنسوق، وأوضح اللفظ المنطوق، كلام من كلامه منزل غير مخلوق، وقد اخترنا هنا ترك الكلام في مسألة الكلام لاحتياجها لشرح واف، وضيق المقام يمنع من البسط ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى شرح المواقف أو إلى فتح الباري وللعلامة الكوراني في بيانها كلام ضافي وقد أورده في قصد السبيل ومن فروع هذه مسألة الأسماء الإلهية قال في الجوهرة:

كذا صفات ذاته قديمة وعندنا أسماؤه العظيمة

(١) الشامخة العالية والراسخة الثابتة.

(٢) الفاسخة المبطلة لما يقابلها من الشبه وسدده وهب له السداد وهو الصواب والناسخة المبينة لانتهاء حكم ما قبلها من الشرائع.

(٣) الحمم كصرد الفحم واحدتها بهاء والمراد بالحمم هنا الجمر وتسميته بالحمم من قبيل تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه مثل فلان يعصر خمرًا وينسج ثيابا ويبني دارا.

(٤) الغمم: جمع غمة وهي الكرب.

(٥) الأمم بفتحتين البين من الأمر والقصد الوسط.

(٦) ازدروها احتقروها وعيبوها.

(٧) منذرا ومخبرا حالان والباء زائدة.

(٨) قال الكندي: يتم في الناس من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم وهو مما تغلط فيه العامة على أن العرب تسمى كل منفرد يتيما والغرم ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه يقال غرم كذا غرما ومغرما من باب تعب.

(٩) أقصدتهم: أصابتهم.

(١٠) زحفت تقدمت وقربت، وأعنقت سارت سيرا سريعا، والنيارب الدواهي واحدها نيرب.

(١١) الحصيد: المحصود، والصعيد وجه الأرض.

لخرابها قطان، عمروا فأخربوا، واقتربوا فاغتربوا، وطولبوا لما اكتسبوا، ولم يرجعوا إذ ذهبوا، هيهات عاقهم المعاد عن العواد، وطالت عليهم الشقة لقلة الزاد[١]، أولئك أوائل ركب أنتم أواخره، ونفقات موت أنتم ذخائره، وموارد فناء إليكم مصادره، وقطب هلاك دارت عليكم دوائره[٢] وحصائد دهر فيكم بواتره، وسكان قفر خطت لكم مقابره.

فختام المقام على الغرر، وعلام ترك إنعام النظر، وإلام الونية في دار السفر[٣]، أتطمعون في خلاص منتظر، أم تركنون إلى ملجأ أو وزر[٤]، أم لكم براءة في الزبر، أم لا معول لكم على هذا الخبر[٥]، كلا لا جنة من القدر، ولا بد من وقوع الحذر[٦]، وحلول الحفر، وتغيير المحاسن والصور، بمباشرة الجنادل والمدر، والقيام إلى مجمع البشر[٧]، والحساب بين يدي المليك المقتدر، على الكبير الخطر، والصغير المحتقر، والحصول في جنة أو سقر، إن في ذلك لذكرى فهل من مدكر، أعظم الله على مصيبتنا بطول الغفلة أجرنا، وجمع على الاستعداد للنقلة أمرنا، وشد بعصم الإيمان أزرنا. وجعل شهادة أن لا إله إلا الله يوم الفقر والفاقة ذخرنا[٨]، إن أحسن الأنذار وأجزله، وأبلغ الأعذار وأكمله، وخير الكلام وأفضله، كلام من خلق الإنسان فعدله[٩]. وتقرأ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

---

(١) المعاد المرجع يوم القيامة والعواد كالمعاودة مصدر عود الشيء إذا رجع إليه، والشقة المسافة الشاقة.

(٢) القطب في الأصل الحديدة التي تدور فيها الرحى.

(٣) المقام بالضم الإقامة، والغرر بالفتح الغرور، وإنعام النظر وإمعانه بمعنى، والونية الفتور.

(٤) الوزر في الأصل الجبل ثم جعل كل ما يعتصم به وزرا.

(٥) البراءة الخلاص، والزبر جمع زبور وهو الكتاب مأخوذ من زبره بمعنى كتبه، والمعول: مصدر ميمي.

(٦) الحذر: مصدر أريد به المفعول.

(٧) الجنادل الصخور، والمدر جمع مدرة وهو التراب المتلبد وقال الأزهري المدر قطع الطين وقال بعضهم المدر الطين العلك الذي لا يخالطه رمل.

(٨) العصم جمع عصمة هي ما يتمسك به، والأزر القوة والظهر.

(٩) فلان جزل القول إذا كانت الفاظه رشيقة ومراميه بديعة دقيقة، والأعذار إقامة العذر يقال أعذر من انذر أي أقام عذره، وعدله سواه وقومه.

تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ سورة التكاثر.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الأول

الحمد لله مرتضى الحمد لرزقه ثمنا، وجاعل الليل لخلقه سكنا(١)، الذي ألبس من اتقاه من عوافيه جننا، وجعل عاقبة من شك فيه هما وحزنا، الذي لا يعزب عنه حفظ ما نأى ودنا، وهو تعالى أينما كنا معنا(٢)، أحمده كما يحب أن يحمد، وأقر له بالوحدانية ولا أجحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن الحد، وتكبر عن عبادة ربه وعند، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أفصح القبائل، وجمله بأوضح الدلائل، واختصه بأكمل الفضائل، وجعله إليه أكرم الوسائل، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله منتهى قول كل قائل، وغاية أمل كل آمل، وسلم تسليما.

أيها الناس: ارمقوا العواقب بمقل الفكر، وانظروا لنفوسكم أجمل النظر(٣)، وادرعوا لاهوائكم مدارع الحذر، واحتقبوا زادا كافيا لبعد السفر(٤)، فإنكم في حلبة سباق الموت غايتها، ومن صحبة رفاق أنتم ساقتها(٥)، وحلفاء أماني الخلف عادتها،

---

(١) السكن ما يسكن إليه وما يسكن فيه وسمي الليل بذلك لكونه يسكن إليه أي يطمئن إليه استئناسا به لما فيه من الراحة ومن هذا المعنى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] جعلها سكنا لكونها تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم ويحتمل أن يكون المراد بكون الليل سكنا لهم أنهم يسكنون فيه قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧].

(٢) يعزب يغيب، ونأى بعد، والمراد بكونه معنا أينما كنا إحاطة علمه بنا قال ابن عبد البر قد ثبت عن السلف أنهم قالوا هو معنا بعلمه وذكر أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يخالفهم فيه أحد يعتد به وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم وليست لفظه مع في لغة العرب تفيد اختلاطًا أو امتزاجا أو حلولا حتى يقال إن هذا صرف للفظ عن الظاهر.

(٣) ارمقوا انظروا نظرا دقيقا، والعواقب أواخر الأمور لأنها تعقب ما قبلها أي تكون في عقبها.

(٤) المدارع جمع مدرع كمنبر أو مدرعة وهو ثوب من صوف كالدراعة، والحقيبة ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب واحتقبها حملها ثم توسعوا في اللفظ فقالوا احتقب الأثم إذا اكتسبه وهو في الحقيقة من الاحتقاب الذي هو بمعنى الحمل.

(٥) ساقه الجيش مؤخره.

وعمار دار إلى الخراب نهايتها(١)، فما لكم عن الرشد ناكبين، وفي مواطن الجد لاعبين(٢)، وأحلام المنايا بكم صادقة، وسهام الرزايا بينكم راشقة(٣)، وأعين الآفات لكم مسارقه، وألسن الشتات بفنائكم ناطقة، إلا غاسلا ذنبه بفيض أدمعه، إلا موقظا قلبه بذكر مرجعه، إلا مشفقا من مفاجأة هجوم مصرعه، إلا متأهباً لركوب أهوال فزعه، إلا ممهدا لطول وحشة مضجعه، قبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتؤذن الديار بخرابها.

وتهتك الحلائل لعظم مصابها، وتندب النوادب على فراق أحبابها، وتلتحف الجسوم بترابها(٤)، قبل أن تقبل الساعة بعجابها، وتنشر الخليقة لحسابها(٥)، وترتهن النفوس باكتسابها، وتنكر القبائل معارف أنسابها(٦)، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتحصل كل مبضعة على ما أبضعت، وتجازي كل موضعة بما فيه أوضعت(٧)، ذلك يوم زال غشه ونفاقه، وطال أسره ووثاقه، وعسر على المذنبين مساقه، وتجلى للحكومة فيه خلاقه، فينصف الله في كل ما حكم، ولا يبعد الله إلا من ظلم(٨)، أحلنا الله وإياكم دار أمانه، وأعاذنا وإياكم من مخالفته وعصيانه، واستعملنا وإياكم بموجبات رضوانه، ولا أخلانا وإياكم من تفضله وامتنانه، إن أنفع ما استبصر بحكمه، وأمنع ما أخذ برخصه وحتمه، وأنجع ما أنصت لاستماعه وفهمه، كلام من أنزل القرآن بعلمه، وتقرأ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا

---

(١) الحلفاء جمع حليف بمعنى المحالف وهو الذي يحلف لصاحبه ويحلف له صاحبه على أن ينصر كل منهما الآخر، والأماني جمع أمنية وهو ما يتمنى، والخلف ترك الوفاء.

(٢) ناكبون منحرفون.

(٣) أحلام: جمع حلم بالضم وهو ما يرى في المنام.

(٤) تهتك مضارع محذوف إحدى التاءين والتهتك عدم التستر والاحتجاب وأصله من هتك الستر بمعنى شقه وخرقه حتى بدا ما وراءه، والحلائل جمع حليلة وهي الزوجة.

(٥) العجاب: العجيب، وتنشر: يحيى.

(٦) ارتهن الشيء: احتبسه والشيء رهين ومرهون ومرتهن.

(٧) أبضع الرجل إذا اتخذ بضاعة يكتسب بها، والموضعة المسرعة وأوضع في السير أسرع فيه.

(٨) الإبعاد يحتمل أن يكون خلاف التقريب فيكون ثلاثيه بعد بالضم ويحتمل أن يكون بمعنى الإهلاك فيكون ثلاثيه بعد بالكسر بمعنى هلك والأولى أن تجعل لا للنفي ليكون خبرًا ويجوز أن تكون للدعاء فيقرأ بكسر الدال لالتقاء الساكنين.

يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] الثلاث آيات.

خطبة يخطب بها في شهر ربيع الآخر

الحمد لله العلية كلمته، الوفية عدته، المخشية نقمته، المرجوة رحمته، الذي جل عن مشاكلة الضريب، وتعالى عن مشابكة النسيب[١]، واستوى في علمه البعيد والقريب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب، أحمده على تظاهر مننه، وأستعينه على القيام بفرائضه وسننه[٢]، وأعوذ به من مرديات محنه، وأستجن من توحيده بأوقى جننه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها أمله، وتختم بالسعادة عمله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله عند اقتراب الساعة، وأيده باللسن والبراعة[٣]، وأعزه بالزهد والقناعة، وخصه في المعاد بشرف الشفاعة، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أهل النجدة والشجاعة، صلاة تعم بركتها أهل السنة والجماعة، وسلم تسليما.

أيها الناس: أجملوا في الطلب، واعملوا للمنقلب، ونافسوا في طيب المكتسب، وتمسكوا من التقوى بأقوى سبب، فإنكم في دار حلوها ممر، وصفوها كدر، وأحلامها تغر، وأيامها تمر، وآفاتها تكر. وعواقبها لا تسر. حتوفها عتيده، صروفها مبيدة[٤] وعداتها مخلفه، وحياتها متلفه، فالعاجز من استنصحها، والفائز من أطرحها، فلا تتخذوها عباد الله مقرا، وقد جعلها الله لكم ممراً، وبادروا بلحاق التوبة، قبل استحقاق دار الخيبة، يا لها دارا معدوما رخاؤها، محتوما بلاؤها، مظلمة مسالكها، مبهمة مهالكها، مخلدًا أسيرها، مؤبدًا سعيرها، متناهيا تغييرها، عاليا زفيرها، وكم

---

(١) الضريب: الشريك وسمي بذلك لأن كل واحد يضرب بنصيب فيما يشتركان فيه والمراد هنا أنه سبحانه لا شريك له فيشاكله فيكون نفي الشريك بطريق الكناية وهي أبلغ من الحقيقة وقريب منه ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] عند من جعل المعنى ليس مثل مثله شيء وذلك أن نفي المثل عن مثله مستلزم لنفي مثله بأبلغ وجه، والمشابكة: المخالطة.

(٢) التظاهر التعاون يعني أن مننه يعضد بعضها بعضا، واستجن استتر، والجنن جمع جنة هي الدرع والمجن الترس.

(٣) اللسن فصاحة اللسان، والبراعة من برع الرجل على أصحابه إذا فاقهم.

(٤) حتوف جمع حتف وهو الهلاك، والعتيد الحاضر المهيأ، والصروف الحوادث والكوارث، والمبيد المهلك.

يومئذ من شاب ينادى في نار جهنم وا شباباه، وا محاسن وجهاه، وكم يومئذ من كهل ينادى في نار جهنم وا كهلاه، وا قلة حيلتاه، وكم يومئذ من شيخ ينادى في نار جهنم وا شيخاه، وا كبر سناه، وكم يومئذ من امرأة تنادي في نار جهنم وا فضيحتاه وا مصيبتاه، شراب أهلها الحميم، وعذابهم أبدًا مقيم(١)، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم(٢)، لهم فيها بالويل ضجيج، وللهبها فيهم أجيج(٣)، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم من أسرها فكاك(٤)، قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم بذلة المعاصي، ينادون من فجاجها وشعابها، بكيا من ترادف عذابها، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد اثقلنا الحديد، يا مالك قد سال منا الصديد، يا مالك قد حمى علينا الوقيد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فيجيبهم مالك بعد زمان، هيهات هيهات لات حين أمان(٥)، ولا خروج لكم من دار الهوان، اخسئوا فيها بغضب الرحمن، قضي الأمر الذي فيه تستفيان، جارنا الله وإياكم من ناره الموقدة، وأصلح لنا ولكم ضمائر الأفئدة، وأحلنا وإياكم دار أمانه، وأجرانا وإياكم على المعهود من إحسانه، إن أحسن ما وعظ به واعظ، وأنفع ما حفظه حافظ، كلام من لا تدركه اللواحظ، وتقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٤] الآيات.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الآخر

الحمد لله حاجب فطن أولى العقول عن تكييفه، وباهر أهل التحصيل بعجائب

---

(١) الحميم الماء المتناهي في الحرارة.

(٢) الزبانية الملائكة الموكلون بالنار، وهو من الزبن بمعنى الدفع، والعرب تجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل أبابيل، والقمع: الزجر والإذلال، والهاوية: النار، وقال الراغب في قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩]: هو مثل من قولهم هوت أمه قيل معناه مقره النار والهاوية النار.

(٣) الضجيج أصوات الناس، والأجيج صوت النار.

(٤) الأماني جمع أمنية بمعنى منية من تمنى الشيء إذا اشتهاه والمعنى أنهم يتمنون أن يموتوا فيخلصوا من العذاب ولا يظهر كونه بمعنى التلاوة من تمني الكتاب إذا تلاه قال الشاعر:

تمني كتاب الله أول ليلة   وآخره وافي حمام المقادر

إذ يكون المعنى تلاواتهم الهلاك أي يتلون قولهم هلكنا هلكنا.

(٥) يجوز في أمان أن يكون مفردًا بمعنى الأمن وأن يكون جمعًا لأمنية فإن جمعها أماني وأمان.

تأليفه، ومطمع الغافلين في رحمته لسعة معروفه، وموجل قلوب العارفين من نقمته لشدة تخويفه، أحمده ومتى أقوم بحمده، إذا كان حمده على الرفد من رفده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أملأ بها أقطار السموات والأرض، وأعدها جنة لنازلات يوم العرض، وأشهد أن محمدًا عبده الناطق بوحيه، ورسوله الصادق في أمره ونهيه، أرسله عند دثور السنن، وظهور الفتن، والناس بين عاكف على عبادة وثن، أو منطو لأخيه على حزازات واحن، أو كاهن يجري مع الشيطان في قرن[١]، فأنقذهم الله بنبيه من المحن، وطهرهم به من الدنس والدرن، صلى الله على سيدنا محمدوعلى آله أهل الفضل والمنن، وسلم تسليما.

أيها الناس: من نظر إلى الدنيا بحقيقة عينها، أومض له صدق عواقبها من غمام منيها[٢]، ومن رغب في أعزاز نفسه وزينها، أعتقها بالاجتهاد من رق دينها، وإنما زهد في دنياكم الزاهدون، لرغبتهم فيما هم فيه غدًا خالدون، اختبروها فكانوا على حذر منها، واستصغروها فأكبروا نفوسهم عنها، شمروا للسباق فأحرزوا قصباته، وأدركوا بمكارم الأخلاق أبعد غاياته، فهم في رياض الأماني، يرتعون، ومن حياض المصافاة يكرعون، قد قطعوا مفاوز الدنيا والآخره، واقتطعوا رتب الممالك الفاخره، فوجوههم من النعيم نضرة، وأنديتهم على الدهر المقيم خضره، وروائحهم من طيب النسيم عطرة، وقلوبهم بجوار الغفور الرحيم مستبشرة، وقد ذهب عنهم الحزن وباينتهم المحن، ونزعت من صدورهم الإحن، وطاب لهم المقيل والوطن، في دار قد اتسعت أقطارها، وأينعت ثمارها، واطردت أنهارها، وتميدت أشجارها[٣]، وغردت أطيارها، ونهدت أبكارها[٤]، وعليت مجالسها، وحليت عرائسها، واختالت وصائفها، وتوالت لطائفها[٥]،

---

(١) الحزازات: الأحقاد التي تحز في القلب وتؤثر فيه، والقرن الحبل يشد فيه بعيران يقرن أحدهما بالآخر.

(٢) أومض البرق وومض لمع والمين الكذب.

(٣) اطردت جرت جريا متتابعا، وتميدت مادت واهتزت وتمايلت ومن هذه المادة الغصن المياد.

(٤) غرد غردًا فهو غرد من باب تعب إذا طرب في صوته وغنائه وغرد تغريدًا مثله، نهد الثدي نهودًا من باب قعد وهي من باب نفع في لغة كعب وأشرف ويقال جارية ناهد وناهدة والجمع نواهد.

(٥) الوصيف الخادم غلاما كان أو جارية والجمع الوصفاء وربما قيل للجارية وصيفة والجمع وصائف.

وأشرقت قبابها، وأدهقت أكوابها[1]، وحسنت بدائعها، وأمنت فجائعها، قد كاشفهم الجواد بمحض الوداد، وأوجب لهم المزيد على المراد، أولئك هم الباكون إذا ضحك الغافلون، والتاركون لما أخذ به الجاهلون، والساهرون إذا رقد النوام، والمستأنسون إذا أوحش الظلام، هم أهل الله وأولياؤه، وخاصته وأمناؤه، تعبوا قليلا، فاستراحوا طويلا، بذلوا يسيرا، فحصلوا كثيرا، جادوا بالنفوس، فجاد عليهم بالمنفوس، فيا ثمرة خير الأصول، ويا ذوي الأحلام والعقول، ويا ورثة الأحكام والعلوم: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الصافات: ٦٢] التي تخرج في أصل الجحيم، إنها والله طعام الأثيم، فرحم الله امرأ مهد لنفسه مهادا، وأعد لسفره زادا، وأقتحم إلى الله أقصد الطريقين، واغتنم صحبة أسعد الفريقين، فإنه إن لا يكن إلى ذلك النعيم المقيم اشتياق، فليكن من ذلك العذاب الأليم إشفاق.

سدد الله إلى أغراض الحكم آراءنا، وأبعد عن موارد النقم أهواءنا، ورحم بجوده أمواتنا وأحياءنا، وجعل حلول الجنة يوم الجزاء جزاءنا، إن أجد الكلام على الأبد، وأبعد القول عن الفند[2]، وأنفس الذخائر والعدد، كلام الواحد الصمد، وتقرأ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

خطبة يخطب بها في شهر جمادى الأولى

الحمد لله الذي ليس ملكه منتقلا إليه عن سالف، ولا متحولا عنه إلى خالف، الأول الذي لا تحيط به صفة واصف، والآخر الذي لا تحويه معرفة عارف، جل ربنا عن التشبيه بخلقه، وكل خلقه عن القيام بكنه حقه، أحمده على السخط والرضى، وأسلم لأمره فيما حكم وقضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة العدل، المدخرة ليوم الفصل، إنه الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء رحمة وعلما، وأوسع كل حي نعمة وحلما، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله للعالمين نذيرًا، وكان له على الظالمين

(١) أدهقت ملئت، وكأس دهاق مملوءة.

(٢) الفند: الفساد والكذب.

نصيرًا، فرفع الحق وأشاده، وقمع الباطل وأباده[١]، حتى اتسق الدين، وأشرق اليقين[٢]، وانحسمت الظنة، وعظمت المنة[٣]، وعبد الله جهرا، فشكرا له على ذلك شكرا، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تكون لهم في الدنيا ذكرًا وشرفا، وفي الآخرة ذخرًا وزلفًا[٤]، وسلم تسليما.

أيها الناس: اتعبوا للراحة، وازهدوا للأباحه، واعملوا للرفاهة، واخملوا للنباهة[٥]، فقد أصبحتم في دار أولع الشتاب بشملها. وغربت الآفات بأهلها[٦]، وألح الخراب على عمرانها، ولج الفناء بسكانها، فأذل عزيزها، وابتذل حريزها، وفرق ألافها، وامتهن أشرافها، وأزال نعمها، وأباد أممها، فأصبحت أرواحهم مفقودة، وأشباحهم ملحودة[٧]، وأعمارهم مبتورة، وديارهم مهجورة[٨]، وأخبارهم مستورة، وأوزارهم مسطورة، معذرة من الله إليكم أيها السامعون، وأخذا بالحجة عليكم أيها الطامعون، فكما أنكم خير أمة أخرجت للناس، فكذلك أوزاركم أعظم الأوزار في القياس، فأفيقوا رحمكم الله من سكر الشهوات، واحذروا أن يستفزكم الشيطان في الهفوات[٩]، وطهروا درن الذنوب بفيض العبرات، ويسروا حرن القلوب بذكر يوم الحسرات[١٠]. فكان قد وردتموه غبر الوجوه من الثرى، خمص البطون من

(١) الإشادة رفع الصوت وأشاد بذكره أشاع صيته في الناس واستعماله بغير حرف الجر غير معروف.
(٢) اتسق انتظم واستوى وأصله من الوسق بمعنى الجمع.
(٣) انحسمت انقطعت، والظنة بالكسر من ظننته إذا اتهمته.
(٤) الزلف جمع زلفة والزلفة والزلفى القربة والمنزلة.
(٥) خمل الرجل من باب دخل إذا كان غير مشهور، والنباهة ضد الخمول، وهو ارتفاع القدر وشيوع الذكر.
(٦) أولع بالشيء أغرى به وشغف وهو أحد ما جاء على ما لم يسم فاعله، وغري بالشيء من باب رضي أولع به والاسم الغراء بالفتح.
(٧) الأشباح جمع شبح وهو مثال الشيء في خفاء، وملحودة مغيبة في اللحد.
(٨) مبتورة مقطوعة.
(٩) استفزه الخوف استخفه وقعد مستفزا غير مطمئن، والهفوات جمع هفوة من هفا إذا مال ولم يستقر ومنه هفت قدمه إذا زلت.
(١٠) قال الكندي: الحرن بالراء المفتوحة كذا في الأصل والصواب حران لا غير وحرن غلط قال في القاموس حرنت الدابة كنصر وكرم حرانا بالكسر والضم فهي حرون وهي التي إذا استدر =

الطــوى[١]، عــراة بادية أجسادكم حفاة ظامية أكبادكم، سكارى من طول الوقوف حيارى من هول اليوم المخوف، قد باينكم العشير، وأسلمكم الظهير[٢]، وفر الأولاد من الوالد، وبرزوا لله الواحد، فياقلة الحيل، عند انقطاع الأمل، ويا شدة الوجل، عند حضور الأجل، ويا طول الندامة، عند الأخذ بالظلامة، ويا عظم مصائب المقصرين، عــند معاينة مراتب المشمرين، إن هذا لهو حق اليقين، ولتعلمن نبأه بعد حين، أيقظنا الله وإيــاكم مــن رقدة الهلاك، وأرشدنا وإياكم لما يدني من الفكاك، ووفقنا وإياكم لإصلاح إعلاننا وإسرارانا، واستعملنا وإياكم بطاعته فيما بقى من أعمارنا، إن أحسن مــا نظــم ونثر، وأتقن ما وعظ به وزجر، كلام من توجل القلوب لذكره إذا ذكر، وتقرأ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

خطبة يخطب بها في شهر جمادى الآخرة

الحمد لله الواحد لا من عدد محسوب، المتفرد بعلم بواطن الغيوب[٣]، الذي لم تملكه الخواطر فتكيفه، ولم تدركه النواظر فتصفه، ولم يخل منه مكان فيقع به التأيين، ولم يعدمه زمان فيطلق عليه التأوين[٤]، ذلك الله الذي لا إله إلا هو ليس مؤلفا من طبائع فينقض، ولا منعوتا بآلة فيتبعض، بل هو سميع بصير كما وصف، حي قدير كما عرف، أحمده حمدًا على ما ينوء بي حمله، وأثنى عليه بما هو أهله[٥].

=

جريها وخاص قفت بذوات الحافر وقال في التاج واستعمل أبو عبيدة الحران في الناقة وفي الحديث ما خلأت ولا حرنت ولكن جبسها حابس الفيل وقال اللحياني حرنت الناقة قامت فلم تبرح وخلأت بركت فلم تقم والجمع حرن بضمتين أقول ولو قرئ حرن القلوب بضمتين يرتفع الإشكال ويكون من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف وفي بعض النسخ حزن القلوب.

(١) غبر جمع أغبر وهو المتغير اللون الذي كان عليه الغبرة، والخمص جمع أخمص وهو الفارغ والطوى الجوع.

(٢) باينكم فارقكم، وأسلمكم خذلكم، والظهير المعين.

(٣) المراد ب "الواحد لا من العدد" من ليس له ثاني.

(٤) قال الكندي أين سؤال عن المكان وهو اسم جامد لم يصرف منه فعل ولا مصدر والتأيين من كلام المتأخرين لا تعرفه العرب وكذلك التأوين من الأوان أيضًا من كلام المحدثين لا تعرفه العرب.

(٥)ناء به الحمل أثقله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحظى بها الشاهد، ويلظى بتركها المنافق الجاحد[١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله وشقاشق الشيطان هادرة، وبحار الطغيان زاخرة[٢]، وغمرات الشك طافحة، وجمرات الشك لافحة[٣]، والعرب عاكفة على أصنامها، متجانفة في أحكامها[٤]، مستقسمة بأزلامها، منفصمة عرى أرحامها[٥]، فألف الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم شتاتها، وشرف ببيته أبياتها، ورفع بصيته أصواتها، وقمع بعزه عزاها ولاتها، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أحيان الدهور وأوقاتها، وسلم تسليما.

أيها الناس: اتقوا الله وفروا إليه فرارا، فإنه من كان الموت طالبه فكيف يلذ قرارا، ومن كان الدهر محاربه فكيف يطيق انتصارا؟! ومن كان الأمل مطيته أرداه عثارا، ومن كان راحلا إلى الآخرة فكيف يتخذ الدنيا دارا؟! إن هي إلا غفلة شاملة، وأمنية باطلة، ومنية عاجلة، وسجية عادلة، جرى بها القلم، ومضى عليها الأمم، فيا فرائس الأحداث، ويا عرائس الأجداث[٦]، ويا غرض الأعراض، ويا نهب الأمراض[٧]،

---

(١) لظيت النار وتلظت إذا إلتهبت ولظى الرجل إذا تململ وقلق.

(٢) الشقاشق جمع شقشقة وهي ما يخرج من حلق البعير عند هيجانه ويكنى بها عن كثرة المقال، والهادرة: من هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته وهو من باب ضرب.

(٣) الغمرات الشدائد، وطافحة: فائضة، ولافحة: مصيبة إصابة خفيفة والمراد بها هنا مطلق الإصابة.

(٤) متجانفة: جائرة ومائلة، والجنف الميل والعدول عن الحق.

(٥) الأزلام جمع زلم وهو قدح من خشب كانوا يتقامرون به في الميسر وكانوا يتفاءلون به أيضًا وكانوا يكتبون الأمر والنهي افعل ولا تفعل فإذا أرادوا أمرا ضرب الواحد منهم يده على القداح وهي مختلطة فيعمل بما يخرج له من فعل أو ترك، والاستقسام بها استعمالها لذلك وهو استفعال من القسم وهو النصيب أي يطلب ما هو نصيبه من ذلك الأمر، والأرحام القرابات.

(٦) الفرائس: جمع فريسة وهي ما يفرسه السبع ليأكله وأصل الفرس دق العنق، والأحداث جمع حدث وهو ما يحدث من الوقائع، والعرائس: جمع عروس وهو الزوج والزوجة في أول البناء، والأجداث: القبور والمراد أن الناس تفترسهم الحوادث فينتقلون إلى القبور فينزلون بها كما ينزل أحد الزوجين بالآخر وفي نسخة غرائس عوض عرائس.

(٧) الغرض: الهدف الذي يرمى بالسهام.

لقد صفق الموت في دياركم فنعب، وصدقكم صرف الزمان فما كذب[١]، ووعظكم الدهر بمن ذهب، وأراكم من تقلبه بكم العجب، فكأن قد أغذ إليكم الكرة، ونقض منكم المرة[٢]، وانهز فيكم الغرة. فما أقالكم العثرة[٣]، فبادروا عباد الله والسبيل لكم هدف الإمكان، قبل ضيق الأوطان[٤]، وتقلص اللسان، واصفرار البنان[٥]، لنزول الحدثان، واجتماع الإخوان، وعويل النسوان، وحضور الجيران، وتسويد الحيطان، قبل هجوم الفاقرة[٦]، ولزوم الحافرة.

وقدوم الآخرة، والحصول بأرض الساهرة[٧]، فكم يومئذ من وجوه مربدة، وأعناق ممتدة[٨]، وصحائف مسودة، وأبصار غير مرتدة[٩]، قد أقلقهم رجفانها، وغشيهم دخانها[١٠]، وبرزت لهم نيرانها، وتجلى للحكومة بينهم ديانها[١١]. فما ظنكم عباد الله بيوم بضائعه الأعمال، وشهوده الأوصال[١٢]، وسجنه النار. وحاكمه الجبار،

---

(١) شبه الموت بالغراب واستعار اسم الغراب له على طريق الاستعارة المكنية، وتعب الغراب صوت وصاح.

(٢) كأن مخففة من كأن وإذا خففت لزمتها قال الشاعر:

تمنى أنـــاس أن أمـــوت وإن أمـــت	فتلك سبيـــل لســـت فيها بأوحد
فقـــل للذي يبقى خلاف الذي مضى	تهـــيأ لأخـــرى مثلـــها وكأن قد

وأغذ أسرع والكرة الرجوع، والمرة القوة.

(٣) انتهز: اختلس، والغرة: الغفلة.

(٤) أي انتهزوا فرصة الخلاص والطريق إليه ممهد وذلك قبل ضيق الأوطان ويروى الأعطان.

(٥) التقلص الانقباض والبنان الأنامل قال لبيد:

وكل أناس سوف تدخل بينهم	دويهية تصفر منها الأنامل

(٦) الفاقرة الداهية التي تكسر فقار الظهر لشدتها، والحافرة: التراب يقال رجع في حافرته أي رجع من حيث جاء يعني أنهم خلقوا من التراب وسيعودون إليه.

(٧) الساهرة: الأرض أو وجهها والأولى أن يقول والحصول بالساهرة.

(٨) مربدة: متغيرة اللون إلى السواد.

(٩) غير مرتدة أي تنظر إلى جهة ولا تصرف النظر عنه من الدهشة.

(١٠) الرجفان الحركة الشديدة ويروى بعد هاتين الفقرتين وشاب من الأهوال ولدانها.

(١١) الديان المجازي ويوم الدين يوم الجزاء ودنته بما دانني به جازيته بمثل ما صنع والجزاء يكون في الخير والشر ومنه: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرا.

(١٢) الأوصال الجوارح والأعضاء واحدها وصل.

إن ذلك ليوم لا يقال فيه من ندم، ولا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم[١]، جعلنا الله وإياكم ممن شملته من الله المنة، ووجبت له برحمته الجنة، إن أبلغ الوعظ وأجمعه، وأوضح القول وأنفعه، كلام من خلق الخلق فأبدعه.

وتقرأ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الثلاث آيات.

خطبة يخطب بها في شهر جمادى الآخرة

الحمد لله الواقية جنته، الباقية سنته[٢]، الواجبة منته، القاهرة حجته، العالية كلمته، الغلبة منته، الذي سبق الأشياء فهو قديم قدمها، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها[٣]، فكان موجدها بقدرة الإمكان، ومعيدها بصحة العيان.

---

(١) يقال من الإقالة.

(٢) السنة الطريقة وسنة النبي ﷺ طريقته التي كان يتحراها وسنة الله تعالى الطريقة التي تقتضيها الحكمة من ترتيب المسببات على الأسباب وجعل العاقبة للتقوى وإهلاك الأمم الطاغية ونصر الرسل وما أشبه ذلك قال تعالى فيمن استكبر عن إجابة الدعوة موعدًا لهم بحلول العذاب كما حل بمن قبلهم ممن كان على شاكلتهم: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]، والمراد بسنة الأولين سنة الله فيمن مضى من تعذيب مكذبيهم والمراد بالتبديل ترك التعذيب وجعله بدله والمراد بالتحويل نقل التعذيب إلى غير المكذبين وليس في هذه الآية ونحوها ما يمنع خرق العوائد في بعض الأوقات لأنها من مقتضى الحكمة وهي من سنة الله سبحانه أيضًا ومن الحكم فيها الإعلام بأن الأسباب غير مؤثرة بذاتها كما يتوهمه الطبيعيون.

(٣) قال الكندي الصواب أن يقال فهو قديم لا كقدمها ليخلص التوحيد أقول إن مسألة القدم من أدق المسائل التي خاض في بحرها الجهابذة قديما وحديثا وقد زلت فيها قدم كثير من الناس ولما كانت عبارة خطيب الخطباء قد توهم منها خلاف ما أراد والخطب في ذلك ليس بسهل اضطررنا أن نذكر شيئًا مما يتعلق بهذه المسألة وجعلنا الكلام في ثلاث مباحث.

(المبحث الأول): القدم في اللغة مصدر قدم بضم الدال خلاف حدث فهو قديم يقال بناء قديم أي زمانه سابق متقدم وحديث قديم كذلك قال ابن العفيف:

وفرط عذابي في نواك أليم حديث غرامي في هواك قديم

وقد وصف العرجون بالقدم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩] والعرجون الطاقة من أغصان النخل والقديم اليابس المعوج من طول المدة، والقدم عند المتكلمين كون الوجود لم يسبقه عدم، والحدوث ضده فالقديم عندهم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده ويقابله الحادث قال الراغب لم يرد في القرآن والآثار =

=

الصحيحة القديم في وصف الله تعالى والمتكلمون يستعملونه ويصفونه به وقال بعض الأفاضل لا يجوز إطلاقه عليه سبحانه وتعالى لأنه لم يرد وقد وصف به مثل العرجون ورد بأنه قد رواه البيهقي في الأسماء الحسنى وبأن جماعة من المتكلمين جوزوا أن يشتق له تعالى اسم إذا كان مشعرًا بالتعظيم ولم يوهم نقصا في حقه وشرط بعضهم أن يكون ذلك مما دل عليه الكتاب أو السنة أو الإجماع إذا تقرر هذا عرفت أن لا تباين بين القدم اللغوي والقدم العرفي بل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل قدم عرفي فهو قدم لغوي ولا عكس ولعدم التباين لم يزل الناس قديما وحديثا يستعملون القدم بالمعنى اللغوي غير أنهم أن أوردوه في حق الحق أرادوا به المعنى الذي فسره به المتكلمون، وإن أوردوه في جهة الخلق أرادوا به ما لا ينافي الحدوث وسموا الأول القدم الحقيقي والثاني القدم الإضافي ولما كان العرف قد يغلب على بعض الناس صاروا ينظرون شزرا لمن يقول الأرض قديمة وما أشبه ذلك وكلام الخطيب هنا ليس فيه ما يوجب الملام لا سيما وقد اقترن بما يدفع الإيهام فإنه قال الذي سبق الأشياء فأفاد أنها حادثة فقوله فهو قديم قدمها يشير به إلى إن قدمه سبحانه حقيقي وأنه سابق على الموجودات القديمة وهي أوائل الموجودات ولو قال فهو قديم لا كقدمها لم يندفع ما أورده الكندي لأن الحكماء مع قولهم بقدم العالم يقولون قدمه ليس كقدمها ولذا قالوا في الموجودات إنها حادثة بالذات قديمة بالزمان والإضافة هنا أقوى فيما أراد فإن قولك أول الأوائل مثلا ليس مثل قولك أول لا كالأوائل وفي نسبة القدم إليها سر ربما ظهر لك فيما بعد.

(المبحث الثاني): وفيه ثلاث مسائل المسألة الاولى اتفق العقلاء على قدم الحق تعالى لظهور استحالة سبق العدم على وجود الواجب الوجود الموجد لكل موجود وأقاموا على ذلك براهين شتى لكن لما كانت المسألة في حكم البين بنفسه لم نتصد لذكر شيء من الأدلة حتى أن الواقعين في شرك الشرك جازمون بنسبة القدم إليه واستحالة سبق العدم أو لحوقه عليه ولذا نرى كثيرا من المتكلمين لا يذكرون القدم والبقاء في الصفات لأن الوجود الواجب هو الذي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم فهو مشعر بالبقاء والقدم وبما ذكرنا تعرف سر ما ذكره الراغب أن ثبت.

(المسألة الثانية): اتفق أرباب الملل على حدوث العالم بذاته وصفاته والمراد بالحدوث وجوده بعد أن كان معدومًا وقتاما والمراد بالعالم ما سوى الله تعالى فتدخل فيه الأفلاك والأملاك وغير ذلك مما وصل أو لم يصل إليه الإدراك ووافقهم على ذلك بعض الحكماء وهو الحق وقد شهد بذلك العقل وأيده النقل.

(المسألة الثالثة): ذهب أرسطو وتبعه أناس إلى قدم العالم سواء كان من الفلكيات أو العنصريات واستثنى في الفلكيات الحركات والأوضاع المشخصة فقال بحدوثها لظهور أن كل حركة مسبوقة بأخرى فلا تكون قديمة، ومثل ذلك الأوضاع وأما مطلق الحركة والوضع فقديم عنده؛ لأن مذهبه أن الأفلاك متحركة حركة مستمرة من الأزل إلى الأبد، لا يعتريه سكون أصلا، واستثنى في العنصريات الصور المشخصة والأعراض المعينة فقال بحدوثها

=

=

أيضًا وجوز الحدوث في بعض الصور النوعية لاحتمال كونها ناشئة عن عنصر آخر بطريق الكون والفساد ومنشأ غلط هذه الفرقة قولهم أن العالم ممكن الوجود في الأزل وقد وجدت علته التامة فيه فيقتضي عدم تأخر وجوده عنها لئلا يلزم تخلف المعلول عن العلة فإن قال قائل إنه وجد بعد قالوا إن كان سبب تأخره لغير مرجح لم يعقل لأن الترجيح بغير مرجح محال وإن كان لمرجح قيل كيف حدث هذا المرجح بعد أن لم يكن ولم حدث الآن ولم يحدث قبل والحق سبحانه لا يلحقه التغير وبنوا على ذلك وجود العالم بدون الاختيار لأن الاختيار يقتضي وجود الإرادة وهي نقص في حق الواجب وهذه أعظم شبهة لهم وقد حيروا بها أفكار كثير من النظار وقد أجاب المحققون عن هذه الشبهة بأجوبة شتى وأجابوا عما يرد على تلك الأجوبة حتى أصبحت تلك الشبهة هباء منثورا.

ولتذكر شيئًا من الأجوبة التي يقرب فهمها على المبتدئ فنقول إن هذه المغالطة تحل بوجهين:

(الوجه الأول): إنا نقول إن إيجاد العالم في الوقت الذي أوجده الحق فيه إنما كان لمرجح والمرجح هو الإرادة القديمة ومعنى ذلك أن إرادته سبحانه تعلقت في الأزل بوجود هذا العالم في الوقت الذي وجد فيه واستبعادكم لتعلق الإرادة القديمة بإحداث شيء بعد مبني على قياس الحق على الخلق وليس هذا دون استبعاد العقلاء لقولكم بأن الحق يعلم نفسه وهو العالم وهو العلم وهو المعلوم فحكمتم بأن العلم عين العالم وعين المعلوم مع أنكم تتيقنون إن علم زيد بنفسه ليس عين نفسه فإذا تصدى لكم معترض قلتم لا يقاس الخالق بالخلق مع أن الفرق بين المسألتين ظاهر فإن فيما قلناه إثباتا لكمال الإرادة فإن قلتم إن إثبات الإرادة نقص قلنا لا كلام لنا معكم إلا في مسألة القدم لأنكم أتيتم فيها بشبهة ولا يستنكر على العقلاء التصدي لرد الشبه وأما جعلكم إثبات الإرادة نقصا في حق الحق فهو من قبيل كلام من غاب عنه إدراكه على أنها ليست بأعظم من قولكم إنه لا يعلم ما خلق لئلا يلزم التغير في علمه كلما تغير المعلوم والتغير في العلم يستلزم التغير في الذات فجعلتم عدم العلم أكمل من العلم في حقه مع أنكم أثبتم للفلك الإرادة والاختيار والعلم بما يصدر عنه من الآثار.

(الوجه الثاني): إن قولكم إن المعلول يجب أن يقارن علته التامة يرد عليكم في الحوادث المشهودة فإنا كل يوم نرى حدوث حوادث شتى فإذا أخذنا حادثا منها وقلنا إن هذا الحادث ما حدث إلا لوجود علته التامة فيكون مقارنا لها ثم تنتقل إلى علته التامة فتقول ما حدثت إلا لوجود علة تامة لها فتكون مقارنة لها وهلم جرا حتى نصل إلى العلة الأولى فيكون الحادث الذي شاهدنا اليوم حدوثه موجودًا في الأزل وهذا مما لا يقول به عاقل ولا يتيسر لهم إنكار حدوث الحوادث كل يوم فإنه أمر مشهود فظهر لك أن القول بمقارنة العلة للمعلول يوجب وجود جميع الأشياء في الأزل وذلك مما لا يقولون به والصحيح في المسألة أن المعلول يلي العلة التامة ولا يقارنها وهو مما يشهد به العقل والفطرة السليمة فإن قالوا إن تأخر وجود الحادث اليومي إنما كان لتوقف وجوده على وجود غيره وسبق ذلك الغير عليه قلنا إن هذا

=

=

الجواب بعينه هو جوابنا في سبب تأخر وجود العالم عن موجده فقد تبين لك إن عدم وجود الممكن في الأزل لا يقتضي عدم إمكان وجوده فيما بعد.
(المبحث الثالث): ذهب صاحب الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين فنسب إلى الصوفية القول بقدم العالم لكن مع إثبات الإرادة والأختيار للحق فقال اعلم أن المتكلمين بل الحكماء أيضًا اتفقوا على أن الأثر القديم لا يستند إلى الفاعل المختار لأن فعل المختار مسبوق بالقصد إلى الإيجاد مقارن لعدم ما قصد إيجاده ضرورة فالمتكلمون أثبتوا اختيار الفاعل وذهبوا إلى نفي الأثر القديم والحكماء أثبتوا وجود الأثر القديم وذهبوا إلى نفي الاختيار وأما الصوفية فجوزوا استناد الأثر القديم إلى الفاعل المختار وجمعوا بين إثبات الاختيار والقول بوجوب الأثر القديم اهـ.
ثم بعد أن أوضح هذا القول أورد إشكالا وهو أن القصد إلى إيجاد الموجود محال فإن القصد إلى الإيجاد إنما يكون عند عدم ما يراد إيجاده وأجاب عنه بأن تقدم قصد الإيجاد على الإيجاد كتقدم الإيجاد على الوجود في أنهما بحسب الذات فيجوز اقترانهما في الوجود زمانا لأن المحال هو القصد إلى إيجاد الموجود بوجود قبل ثم أورد إشكالا آخر قريبا منه وهو أن الراجع إلى وجدانه يحكم بأن القصد إلى تحصيل الشيء والتأثير فيه إنما يعقل حال عدم حصوله: وأجاب عنه بأن الراجع إلى وجدانه إنما يدرك قصده وإرادته الحادثة الناقصة لا الإرادة الكاملة الأزلية ولا شك أنهما يختلفان حكما فالأولى ليست كافية في تحصيل المراد ولهذا يتخلف المراد عنها كثيرا والثانية كافية فيه فلا يمكن تخلفه عنها وأين إحداهما من الأخرى اهـ.

قال العلامة إبراهيم الكوراني في حاشيته على هذا الكتاب هذا النقل عن الصوفية لا يساعده كلام الشيخ محيي الدين -قدس سره - فإنه نص على حدوث العالم وصرح بأن وجوده متأخر عن وجود الحق بعدية حقيقية لا يجتمع فيها البعد بالقبل فهو في معنى الحدوث الزماني عند الحكماء وإن لم يكن عند خلق المعلول الأول زمان محقق فالعالم حادث أي كان بعد أن لم يكن بعدية محققة لا يجتمع البعد فيها بالقبل فتكون بعدية زمانية متوهمة قال الشيخ محيي الدين -قدس سره- في إنشاء الدوائر العالم لم يكن موجودًا في عينه ثم كان من غير أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدم به عليه فيتأخر هذا عنه فيقال فيه قبل أو بعد وهذا محال وإنما هو متقدم بالوجود كتقدم أمس على اليوم فإنه في غير زمان لأنه نفس الزمان فعدم العالم لم يكن في وقت لكن الواهم يتخيل أن بين وجود الحق ووجود الخلق امتدادًا اهـ.
وقال في عقلة المستوفز وما بين الوجودين امتداد ولكن الارتباط بين الوجودين ارتباط المحدث بالقديم على الوجه الذي يليق بالجلال وأطال الكوراني في إيراد النقول تنزيها لهؤلاء السادة أن يقولوا بقول هو من أردى أقوال الفلاسفة في العلم الأعلى وقال الإمام الشعراني قال الشيخ في باب الأسرار لو كانت العلة مساوية للمعلول في الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة إلا وهي معلولة ولو كان الحق تعالى علة

=

=

لارتباط والمرتبط لا يصح له تنزيه اهـ.
وقال فيه ما قال بالعلل إلا القائل إن العالم لم يزل وأني للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجوبي قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود، ومن أغرب ما يتصور نسبة القول بقدم العالم للشيخ الأكبر مع أنه قد صرح في الفتوحات في نحو ثلاثمائة موضع بحدوث العالم ولحجة الإسلام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية مع كونهما أعظم من تصدى لإبطال القول بالقدم بالأدلة القاطعة ومن راجع تهافت الفلاسفة والجمع بين العقل والنقل لم يسترب في ذلك، واعلم أن نسبة كثير من الأقوال الباطلة لكثير من العلماء الأعلام قد يكون سببها التنفير من المنسوب إليه حسدا له على ما حازه من القبول والإقبال عليه وقد يكون سببها الميل لذلك القول فيكون في نسبته إلى من اشتهر بالفضل فائدتان إحداهما تقوية ذلك القول عند المقلدين فإن القول يعظم بعظم قائله وثانيتهما تخفيف الملام عنه عند المنكرين وقد يكون سببها عدم فهم العبارة إما لغموضها في حد ذاتها أو لكون المطالع لم يمعن النظر أو لكونه ليس من فرسان ذلك الميدان لا سيما إذا كانت المسألة مما يدق على أكثر الأذهان كهذه المسألة هذا وقد توهم كثير من النظار أن قول بعض الصوفية أن الله سبحانه لم يزل خالقا يشعر بقدم العالم قال شيخ الإسلام في الرسالة العرشية إن هذا من فساد التصور فإن قولنا إن الله تعالى لم يزل يفعل ما يشاء يقتضي دوام كونه فاعلا بمشيئته وقدرته وهو بمنزلة قولنا هو قادر دائما وإذا ظن ظان إن هذا يقتضي قدم شيء معه كان من فساد تصوره فأنه إذا كان خالق كل شيء فكل ما سواه مخلوق مسبوق بالعدم فليس معه شيء قديم بقدمه وإذا قيل لم يزل يخلق كان معناه لم يزل يخلق مخلوقا بعد مخلوق كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقا بعد مخلوق ويفني ما يفنيه من الحوادث والحركات شيئًا بعد شيء وليس في ذلك إلا وصفه بدوام الفعل لا بأن معه مفعولا من المفعولات بعينه وذكر في مواضع شتى إن الله سبحانه لم يزل فاعلا وأن هذا وصف كمال وهو مذهب السلف وأكد أيضًا إن هذا لا يقتضى قدم شيء من العالم وقال في موضع آخر إن القائلين بهذا تضمحل عندهم شبهة الفلاسفة لأنه لا يتضمن أن الحق سبحانه لم يكن فاعلا ثم فعل حتى يوردوا ما أوردوا ففي هذا القول إثبات الكمال لله سبحانه مع إثبات حدوث العالم والتخلص من الشبهة التي أوردوها اهـ.
وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الغزالي بقوله إن العالم في رتبة التبعية للحق لا في رتبة المعية نقله الكوراني إذا عرفت هذا تبين لك أن المهم معرفتك أن كل شيء غير الحق كان مسبوقا بالعدم وأنه لو قال قائل إن الشيء الفلان وجد قبل ألف سنة أو ألف ألف سنة أو كرر الألف ألف مرة لم يقتض قوله إثبات القدم واعلم أن الأمام الغزالي حين قال ليس في الإمكان أبدع مما كان وعلله بقوله ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود الإلهي وإن لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزًا يناقض الإلهية سئل عن معنى هذه العبارة وعن السر في تأخير إيجاد هذا العالم وإبقائه مددًا لا تحصى في ظلم العدم فأجاب عن الأمر الأول وترك الجواب عن الأمر الثاني لكون السؤال من أصله غير وارد عليه بناء على ما جنح إليه ولم يبين

=

حين لا كون ولا مكان، ولا دهر ولا زمان، ولا وقت ولا أوان، ولا إنس ولا جان فسبحانه إليه منه الأمان، أحمده كما يجب وينبغي، وأعول عليه فيما ألتمس وأبتغي.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أبصر بعين التحقيق، وسلك إلى الله قصد الطريق، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله نذيرًا بين يدي عذاب شديد، ومحذرًا من أهوال يوم الوعيد، وآثره بتملك دار الخلود، وجعله أعدل شاهد في اليوم المشهود، صلى الله على سيدنا محمد أكرم مولود. وأعز مفقود. وعلى آله الركع السجود، الموفين بالعهود. صلاة موصولة بالنماء والمزيد، وعلى القدرية والجبرية سخط الله والعذاب الشديد. وسلم تسليما.

أيها الناس: تأهبوا للقاء الموت فقد خيم بعراصكم. وترقبوا وقوعه فقد صمم لاقتناصكم. واعملوا لوقت تغيب أشخاصكم. عملا يسلك بكم محجة خلاصكم. فقد دلكم على سرع سيركم. ما رأيتم من وشيك رحلة غيركم.

وإن أمرا تعد عليه أنفاسه عدا، ولا يستطيع لامسه ردا.

لأهل أن لا يغتر بصفو حياة الموت مكدرها، ولا يستطيل مدة بقاء الفوت مقصرها، فيا ذا الشيبة المنذرة باقتراب الأجل ما انتظارك، ويا ذا الشيبة الجديرة باكتساب العمل ما اعتذارك[1]، فكأنك بمخالب المنية قد علقتك، وبطوالب الرزية قد لحقتك، وبكواذب الأيام قد صدقتك، وبنوائب الأحكام قد سحقتك[2]، فأصبحت غرض آفات ترشق، وأسير ممات لا يطلق، ذا بصر شاخص، وحول ناقص[3]، وشفة

=

للسائل ذلك خوفا أن يكرر عليه ثانيا بالاعتراض فإن القائمين عليه كانوا كما قال فيهم ممن حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه على أن إجابتهم إنما كانت بناء على التماس أناس يحبهم ويحبونه ويرون الدنيا بأسرها دونه ولولا ذلك لما رأى أولئك غير الأعراض ولما قابل جواهر كلامه بما عندهم من الأعراض فعليك أيها اللبيب بالاستبصار وعدم المبادرة بإنكار ما يقوله العلماء الأخيار وربك يخلق ما يشاء ويختار.

(١) المنذرة من الإنذار وهو الإعلام مع تخويف ويروى النذيرة وهي أنسب لتلائم الجديرة فيكون الترصيع تاما والجدير بالشيء الحقيق به.

(٢) السحق تفتيت الشيء ويستعمل في الدواء وشبهه إذا فتت تقول سحقته فانسحق وهو من باب نفع والمراد بسحق النوائب له إبلاؤه وتفريق أجزائه.

(٣) الحول: القوة.

قالص، وإحجام ناكص، لإقدام الملك المغافص[١]، غائب الروح حاضر الجسد، لا تلوي على أهل ولا ولد[٢]، قد شغلك كشف الغطاء، عن الأخذ والعطاء[٣]، فجاد بك إلى قبرك البخيل، واتبعك الصوت والعويل[٤]، وتضمنك السفر الطويل، وقابلك اليوم الثقيل، وحاسبك الملك الجليل، على الكثير والقليل، فألفيت منسي عملك مذكورا.

ومخفي زللك مسطورا، ومستور فضائحك مشهورا، ولقيت كتابًا تلقاه منشورا، لا يدع سريرة إلا أبداها، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيومئذ تفد الخلائق على الله بهما، فيحاسبهم على ما أحاط به علما[٥]، وينفذ في كل عامل منهم بعلمه حكما، وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما[٦]، أمدنا الله وإياكم بالعون على ما أمر، وسامحنا وإياكم بالعفو عما ستر، وجعلنا وإياكم ممن أعترف بنعمائه فشكر، واستسلم لبلائه فصبر، إن أحسن الكلام استفتاحًا وختما، وأبين المواعظ نثرا ونظما، كلام من لم يزل الأقرار بربوبيته حتما، وتقرأ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١٣] الآية.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر جمادي الآخرة

الحمد لله الدال على نفسه بما خلق، المان على خلقه بما رزق، الذي خضعت الرقاب لوطأته وصوله، وذلت الصعاب لعزته وحوله[٧]، واطمأنت الألباب إلى رحمته

---

(١) قلصت شفته من باب ضرب انزوت وتقلصت مثله والظاهر أن الناسخ أبدل اللسان بالشفة والإحجام التأخر والناكص: الراجع على عقبيه، والمغافص : آخذ الشيء مخاتلة على غفلة وغرة.

(٢) تلوي: تعطف.

(٣) العطاء هنا الإعطاء بدليل عطفه على الأخذ قال الشاعر:

أكفرا بعد رد الموت عني ... وبعد عطائك المائة الهجانا

(٤) العويل: الصراخ.

(٥) تفد: ترد، وبهما جمع بهيم وقد فسروا البهم في مثل هذا الموضع بالأصحاء العارين عن العاهات من العرج ونحوه وبالذين ليس معهم شيء من أعراض الدنيا.

(٦) عنت: خضعت مستأسرة بعناء.

(٧) الوطأة: الشدة، والصول الهيبة والسطوة.

وطوله، وتسببت الأسباب بمشيئته وقوله[١]، أحمده على خصوص نعمه وعمومها، وحديث مننه وقديمها، وضئيل قسمه وجسيمها، ومنسوخ أقضيته ومحتومها[٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القديم الذي ليس لأزليته حد، العظيم الذي ليس له كفؤ ولا ند[٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله غرسه في أطهر المناصب، وخصه بأشهر المناسب والمناقب[٤]، وانتجبه من ظهور النجباء وبطون النجائب، في صميم قريش الأطائب[٥]، وأكرم بيت في لؤي بن غالب، صلى الله على سيدنا محمد خير ماش وراكب، وعلى آله صلاة يبلغهم بها أعلى المراتب، وينيلهم بها أقصى الرغائب والمطالب، أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإنها أمنع المعاقل، وأنفع الوسائل، من لزمها فاز وسلم، ومن حرمها امتاز وندم[٦]، وأحذركم دارا دوائرها دائره، وتجاراتها بائرة[٧]، وآفاتها راشقة، وآياتها ناطقة، المتعزز بها ذليل، والمتكثر بها قليل، من وثق بها خذلته، ومن اعتصم بها أسلمته، ومن طلبها فاتته، ومن

---

(١) اطمأنت سكنت، وتسببت: تهيأت.

(٢) الضئيل: الصغير النحيف، والجسيم العظيم، النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الظل الشمس والشمس الظل والشيب الشباب والمراد بالأقضية المنسوخة الأقضية المعلقة وبالمحتومة المبرمة وفي تعبيره عن الأقضية المعلقة بالمنسوخة نكتة (بديعة) وهي أن تلك الأقضية ليست من قبيل الأخبار حتى يترتب على إزالتها الخلف بل هي من قبيل الأحكام التي لا يترتب على إزالتها الخلف ألا ترى أن قول القائل يعطي زيد ألف درهم إن أراد به الحكم بالإعطاء والأمر بذلك لم تعد الزيادة في الدراهم أو النقص منها خلفا وإن كان مخبرًا يعد ذلك خلفا.

(٣) قال السيد الشريف الأزلي ما لا يكون مسبوقا بالعدم، والموجود ثلاثة أقسام لا رابع لها فإنه إما أزلي أبدي وهو الله سبحانه وتعالى أولا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا أو أبدي لا أزلي وهو الأخرة وعكسه محال فإن ما ثبت قدمه امتنع عدمه اهـ.
والمراد بالأزلية عدم سبق العدم فالياء للمصدرية قال بعضهم الأزل ليس من كلام العرب وقد قيل إن أصلها لم يزل والظاهر أن أصلها لم أزل ويكون ذلك من جانب الحضرة المقدسة ثم أخذ منه اسم بالاختصار.

(٤) المناصب جمع منصب وهو موضع الشرف، والمناسب جمع منسب وهو النسب.

(٥) انتجبه اختاره ومن هذا المعنى أخذ النجباء جمع نجيب والنجائب جمع نجيبة.

(٦) امتاز وانماز وتميز انفصل وانقطع.

(٧) بائرة خاسرة وأصل البوار الهلاك.

تجنبها أتته، سلامتها منوطة بالسقم، وشبابها يعود إلى الهرم[١]، لا تمنح سرورًا إلا أعقبته ثبورا، ولا تسمح بصفو إلا شابته تكديرا[٢]، تنهب الأعمار نهبا نهبا، وتكسب الأوزار كسبا كسبا، فتأملوا رحمكم الله صنيعها بأحبابها، وأهل الثقة بها من أترابها[٣]، كيف كشرت لهم عن أنيابها، وتكشفت لهم عن عجابها[٤]، أحرص ما كانوا عليها، وأميل ما دانوا إليها، أذافت لهم قواتل سمامها، وفوقت لهم صوائب سهامها[٥]، وسلت عليهم صوارم حمامها، وأقصدتهم بنوائب لياليها وأيامها[٦]، فصار نعيمهم فيها كأحلامها، فما الاغترار رحمكم الله بدار هذه صفتها عيانا لا أخبارا، ولعل أكثركم قد عاين ذلك منها في أهلها مرارا، وقد وصفها الله تعالى لمن عقل عنه بما فيها، وكشف في القرآن لمن تدبر عن مساويها، فقال هو أصدق قيلا.

وأحق قولا: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ ﴾ [الحديد: ٢٠] فيا أهل العقول تفكروا. ويا ذوي التجارب اعتبروا، ويا أولى الأبصار تبصروا، ويا حملة القرآن تدبروا. قبل أن تتضمنكم الحفر. وتغيركم الغير. ويستعجم منكم الخبر. ويواريكم الترب والمدر. فلا يرى منكم عين ولا أثر، ويقول الإنسان يومئذ أين المفر. كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر. حجبنا الله وإياكم عن الدنيا بحجاب العصمة، وحصننا وإياكم من قوارع النقمة، وأسبل علينا وعليكم ستور الرأفة والرحمة، وبلغنا وإياكم من عفوه المراد والهمة، إن أحسن ما رسخ في الضمائر، وأحلى المقال

---

(١) منوط معلقة مرتبطة.

(٢) المنح العطاء وبابه قطع وضرب، وأعقبته ثبورًا أورثته هلاكا، وشابته خلطته، وتكديرًا مفعول له ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا لأن الشوب نوع من التكدير.

(٣) الأتراب الأقران في السن وهي جمع ترب بكسر التاء وهو من ولد معك يقال فلان ترب فلان وهما تربان وهم وهن أتراب وأصلهما من التراب لأنهما يكونان في تربة واحدة.

(٤) كشر عن نابه من باب ضرب إذا أبداه وهو يكون في الضحك وغيره.

(٥) أذاقت خلطت والمشهور في هذه المادة دافت بغير همزة وبالدال المهملة قال في القاموس الدوف الخلط والبل بماء ونحوه دفته فهو مسك مدوف ومدووف أي مبلول أو مسحوق ولا نظير له سوى مصوون، والسمام بالكسر جمع سم وهو القاتل المعروف ويجمع في الأكثر على سموم، وفوق السهم جعل الوتر في فوقه عند الرمي والفوق بالضم موضع الوتر.

(٦) الحمام بالكسر الموت وهو من حم والأمر إذا قرب ودنا وأقصدتهم أصابتهم يقال رمي فأقصد أي أصاب القصد، ويقال أقصده السهم إذا قتله مكانه ولم يمهله.

لذوي العقول والبصائر، كلام الله العزيز الغافر وتقرأ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤].

خطبة يخطب بها في شهر جمادي الآخرة

الحمد لله المتفضل بالنعم قبل استحقاقها، المتكفل للأمم بأدرار أرزاقها، الفارق بين طبائعها وأخلاقها، الحافظ لها في أقطار أرضها وآفاقها[١]، العالم بمداب ذرها في حنادس أطباقها، المحصي عدد نباتها وأوراقها، فكيف يعزب حفظ الخليقة عن خلاقها[٢]، أحمده على جزيل أرفاده، وأعوذ به من وبيل إيعاده[٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أكمل الله بها الفرض، وأقام بها السموات والأرض، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالنور الساطع، والحق القاطع، والفخر الجامع، والعز القامع. والعدل الواسع. إلى كل قريب وشاسع. فأفصح المقاله، وأوضح الدلالة، وأبلغ الرسالة، ودفع الشرك وأزاله، وأعلن النذارة، وأحسن العبارة[٤]، فلم يزل صلى الله عليه وسلم في الله تعالى صابرا، وعلى طاعته مثابرًا[٥]، ولأوليائه ناصرا، ولأعدائه قاهرا.

وعن الشرك زاجرا، حتى أنجز الله وعده، وأعز جنده، وعبد الله وحده، ثم اختار له ما عنده، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الراشدين بعده. وسلم

---

(١) الطبائع جمع طبيعة الطبيعة والطبع مأخوذان في الأصل من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في حديده ثم استعملا في القوة التي لا سبيل إلى تغييرها في الغالب، والأخلاق جمع خلق وهو في الأصل كالخلق بالفتح غير أن الأول يستعمل في القوى المدركة بالبصيرة والثاني فيما يدرك بالبصر من الهيئات والأشكال والصور ثم استعمل الخلق فيما مرن عليه الإنسان بالعادة ولذا ورد الأمر بتحسين الخلق إشارة لإمكان التغيير فيه ولو كان الخلق كالخلق مما لا يمكن تغييره لم يرد الأمر بذلك لكونه من قبيل التكليف بالمحال والبرهان والعيان شاهدان بالإمكان ومما هو كالطبيعة في المعنى والأخذ من الأمور الثابتة الضريبة وهي مأخوذة من ضرب الدراهم والنحيتة وهي مأخوذة من نحت الحجر والنجر من نجر الخشب والغريزة من الغرز وأما الشيمة فهي مأخوذة من الشامة التي في أصل الخلقة.

(٢) المداب جمع مدب من دب إذا جرى جريا ضعيفا، والذرة نملة حمراء صغيرة، والحنادس جمع حندس وهو الظلمة الشديدة، ويعزب يغيب.

(٣) الإيعاد من الوعيد.

(٤) النذارة بالفتح ويروي بالكسر الإنذار.

(٥) مثابر ملازم للشيء.

تسليما.

أيها الناس: ما للعيون مع الوعيد جامدة، وما للقلوب عن الآخرة راقدة[١]، وما للهمم عن المعالي قاعدة، وما للنفوس في الخيرات زاهدة[٢]، أعميت البصائر، أم خبثت الضمائر، أم نسيت الكبائر، أم أمنت الدوائر، أما ترون انصرام الساعات، واخترام اللحظات[٣]، وقيام الأدلة على الشتات، ولحاق الأحياء بالأموات، وأنتم راحلون في حال الإقامة، هالكون من جانب السلامة، تاركون لما قد عرفتموه، شاكون فيما قد تحققتموه، حتى كأن غيركم المندوب أو كأن سواكم المطلوب[٤]، هيهات هيهات أدرك والله الطالب من طلب، وهلك الهارب إذ هرب، ألا صائن نفسه قبل أن تهان، إلا دائن نفسه قبل أن تدان[٥]، هذا عباد الله مأتم المذنبين فهل من مسعد بنحيب، وهذا مغنم التائبين فهل من مزمع مستجيب، وهذا متجر العاملين فهل من مقلع منيب[٦]، قبل تحدر الدمعة، وتكدر الجرعة، وتنكر الصرعة، وتعذر الرجعة، قبل حلول البلية، ونزول الرزية، ودبيب المنية، في السبل الخفية.

هنالك يعض الظالم على يديه تحسرا، ويجد ما جنت عليه نفسه مسطرا، ويرى ما غاب عنه من عمله محضرا. ويلقى حسابه مستقصي محررا. ويحق له من الله الوعد والعيد. فإما إلى عيش رغيد. وإما إلى عذاب شديد يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، ألهمنا الله وإياكم حسن الاستعداد للعاقبة، وأنهضنا وإياكم بحقوقه الواجبة.

---

(١) جامدة وراقدة حالان من الضمير والتقدير أي شيء حصل للعيون في حال جمودها.

(٢) المعالي جمع معلاة وهي الخصلة العالية القدر.

(٣) الأنصرام الانقطاع، والاخترام إذهاب الشيء يقال اغخترمته المنية إذا أذهبته، واللحظات جمع لحظة وهي في الأصل مصدر للمرة من لحظت الشيء إذا نظرت إليه بمؤخرة العين عن يمين ويسار وهو أشد التفاتا من الشرر ثم استعمل بمعنى الزمان اليسير الذي يكون بمقدار ما تلحظ العين الشيء والإضافة هنا من إضافة المصدر إلى فاعله أي اخترام اللحظات إياكم.

(٤) المندوب المحثوث والمدعو.

(٥) الصون الحفظ وعدم الإهانة، والدائن المجازي من دنته إذا جازيته بعمله.

(٦) المأتم من الأتم وهو اجتماع النساء في فرح أو حزن غير أن العرف خصه بالثاني، والنحيب البكاء بصوت، والمزمع المجمع نيته على فعل، والمقلع عن الشيء الخارج عنه بالكلية كما يشعر به معنى أصله وهو القلع، والمنيب: الراجع.

وأيدنا وإياكم بمعونته الغالبة، إن أحسن ما فاه به الزاهدون، وأنفع ما نحاه القاصدون، كلام من نحن له عابدون، وتقرأ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية.

خطبة يخطب بها في شهر شوال

الحمد لله الذي خضعت له رقاب الجبابرة صغرا، وأحاط بحوادث الدنيا والآخرة خبرا[١]، وجعل لكل ما ذرأ من خليقته قدرا، وأسبل على الكافة من رعايته سترا، أحمده على نعمائه شكرا، وأسلم لقضائه صبرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها للقائه ذخرا، واستمدها على أعدائه نصرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذرا ونذرا، وأنزل عليه بأمره ونهيه ذكرا، فدعا إلى الله تعالى سرًا وجهرا، ونشر رحمته على العالمين نشرا، حتى صار قل الإيمان كثرا، وعاد ليل البهتان فجرا، ودخل الناس في دين الله طوعا وقسرا، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأعظم لهم أجرا، أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإنها عروة ما لها انفصام، وذورة ما لها انهدام[٢]، وقدوة يأتم بها الكرام، وجذوة تضيء بها الأفهام[٣]، من تعلق بحبلها حمته محذور العاقبة، ومن تحقق بحلمها وقته شرور كل نائبة، وأحذركم دار فرقة ما لها ائتلاف، وقرار حرقة مالها انصراف، وأماني رجعة مالها إسعاف، وأحاظي فجعة أوجبها الإسراف[٤].

---

(١) الصغر كالذل وزنا ومعنى وهو منصوب على التمييز أو على المفعولية المطلقة لتضمن خضعت معنى صغرت ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل أي خضعت له رقاب الجبابرة صاغرة.

(٢) عروة الشيء شيء مستدير متصل به يعلق فيه وإنما جعل التقوى عروة ليس لها انفصام لكون من تمسك بها ينجو من الشقاء وينال بها الارتقاء، والذروة أعلى الجبل ونحوه ويقال لسنام البعير ذروة لأنها أعلى ما فيه.

(٣) الجذوة: مثلثة الجيم الشعلة من النار.

(٤) يقال أسعفته بمطلوبه إذا أجبته إليه، وأحاظ جمع أحظ بوزن أشد وأحظ جمع حظ والحظ النصيب والجد وقال بعضهم هو خاص بالنصيب من الخير والفضل وأصل أحاظي أحاظظ قلبت الظاء الثانية ياء للتخفيف كما قلبت النون الثانية في تظنيت وأصلها تظننت وتشديد الياء خطأ قال الشاعر:

ولكن أحاظ قسمت وجدود   وليس الغني والفقر من حيلة الفتى

=

ومقامات هوان يذل بها الأشراف وظلمات أحزان تتباين لها الألاف[1]، فارفضوا عباد الله من أعمالكم ما قربكم منها، وانهضوا في استعمال ما باعدكم عنها، فإنها المصيبة الجامعة للدوائر، والعقوبة الواقعة بأهل الكبائر، يا لها دارًا انقطع من الرخاء رجاء حلالها، وامتنع من الفناء بقاء نكالها، شعار أهلها الويل الطويل، ودثارهم البكاء والعويل، وسرابيلهم الخزي الوبيل، ومقيلهم الهاوية فبئس المقيل، يقطع الحميم منهم أمعاء طال ما أولعت بأكل الحرام وتضعضع الجحيم منهم أعضاء طال ما أسرعت في اكتساب الآثام[2]، قد أبهمت عليهم الأوقات، وحلت بهم المثلات[3]، فجلودهم مجددة للعذاب، ووجوههم مسودة بسوء الحساب، والزبانية يدخلون عليهم من كل باب، يقولون لا مرحبًا بكم ابتم شر مآب، ينادون ألها غرهم في العاجلة حلمه فخالفوه، وحق عليهم في الآجلة حكمه لما آسفوه[4]، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فيجيبهم الجبار بعد حين، إجابة ذي قوة متين، اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع والله عندها تأميل المذنبين، واجتمع التنكيل على المكذبين، وارتفع في النار عويل المعذبين، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين، أبعدنا الله وإياكم عن دار غضبه، وأسعدنا وإياكم بإتبيان ما أمر به، إن أحلى ما أنصت لترديده، وأولى ما أخذ بوعده ووعيده، كلام من جعلكم من خير عبيده، وتقرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

خطبة يخطب بها في شهر ذي القعدة

الحمد لله الناطق في كل معاين آثره، السابق بكل كائن قدره[5]، الدالة عليه

=

قال بعضهم أحاظ جمع أحظ وهي جمع حظوة.

(١) تتباين تتفارق، والألاف جمع آلف.

(٢) الحميم الماء الشديد الحرارة.

(٣) المثلات العقوبات التي تجعل من تحل به مثلا.

(٤) آسفوه: أغضبوه.

(٥) المعاين: المبصر بالعين من عاينت الشيء إذا أبصرت عينه أو أبصرته بالعين وهذا أحد ما جاء من فاعلت لواحد نحو سافرت وعاقبت اللص ويحتمل على المجاز أن يكون لاثنين بأن يراد بعاينت الشيء أبصرته وأبصرني وإن كان المرئي غير مبصر والضمير في أثره يعود إلى الله

=

صنائعه، الداعية إليه بدائعه، الذي جل أن يوصف بتكييف، وتعالى أن ينعت بتأليف(١)، بل هو الله سبحانه المتعرف قبل حروف التعريف، المتصرف قبل علل التصريف(٢)، المحسن البر اللطيف الحكم العدل الذي لا يحيف، أحمده والحمد من نعمه،،وأعول في القبول على كرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أوجده بعد عدمه، وامتزج توحيده بلحمه ودمه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله عند تلاطم أمواج الضلال، وتزاحم أفواج المحال(٣)، وخلل طرقات الحلال، ودول غلبات الرجال(٤)، فشمر في الله بالقول والفعال، وأدال بسيفه للحق المذال، وآل به الباطل وأهله شر مآل(٥)، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله خير آل، صلاة دائمة على ممر الشهور والأحوال(٦). وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الدهر ذو عجب، يتقلب بأهله كل منقلب(٧)، عداته خدع، وهباته لمع(٨)، وآفاته دفع، وكراته قرع(٩)، لا يدع جديدًا إلا أخلقه، ولا عتيدًا إلا

=

تعالى، والناطق الدال.

(١) التكييف مصدر كيف الشيء إذا أنبأ كيف هو ولم تستعمل العرب الأول الفعل من كيف وإنما استعمله من بعدهم.

(٢) حرف التعريف واحد وهو اللام وإنما جمعه لكثرة تردده في الكلام ويحتمل أن يريد بحروف التعريف كل ما دل على تعريف من إضافة ووصف خاص وما أشبه ذلك فيكون الجمع على ظاهره ويكون التعريف أعم من العرفي.

(٣) أفواج جمع فوج وهو الجماعة.

(٤) والدول جمع دولة بالفتح وأما الدولة بالضم ففي المال.

(٥) وأدال للحق جعل الدولة له والمذال بالمعجمة المهان، وآل رجع ومال مرجع.

(٦) الأحوال: جمع حول.

(٧) المنقلب الانقلاب ويروى بالتاء من التقلب.

(٨) عدات جمع عدة بمعنى الوعد، واللمع جمع لمعة وهي في الأصل القطعة من النبت تأخذ في اليبس ثم استعملت في الشيء القليل مطلقا ويحتمل أن يكون اسما من لمع البرق.

(٩) الدفع جمع دفعة بالضم يقال دفعة من المطر أي مقدار منه كبير، والقرع جمع قرعة أي كراته لا يدري متى تأتي ولمن تأتي وفي نسخة قزع بالزاي، والقزع بفتحتين قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة.

أنفقه[١]، ولا مريدًا إلا وهقه، ولا عديدًا إلا فرقه[٢]، أدار رحى المنون على من سلف، وسيورد مواردهم من خلف، حتى يلحق بعضا ببعض، وإبراما يقض، ورفعا بخفض، ويخلي منهم جديد الأرض، حتما من الله تعالى سابقا في أقضيته، وتفردا بالبقاء دون بريته.

فيا مغرورًا والخطاب للجماعة واقع، يدخل فيه الواعظ والسامع، ماذا تزودت من عمرك المضمحل، أم ماذا أعددت لأجللك المظل[٣]، كأنك بغطائك قد كشف، وبفنائك قد أزف[٤]، وبروحك قد اختطف، وبضريحك عليك قد رصف[٥]، وبباب عمرك قد رتج، وبروحك إلى السماء قد عرج[٦].

فبعدت وإن حللت قريبا، وجفيت وإن كنت حبيبا، مسلما لطول البلى، متغيرة منك المحاسن والحلي[٧]، لهوام الأرض في جسمك مجال، ولحوادثها عليك مصال[٨]، حاضرًا كغائب، مسافرًا غير آيب، أسير وحشة الانفراد، فقيرًا إلى اليسير من الزاد، جار من لا يجير، وضيف من لا يمير[٩]، في معشر حملوا ولا يرون ركبانا، وأنزلوا ولا يدعون ضيفانا، واجتمعوا ولا يسمون جيرانا، واحتشدوا ولا يعدون أعوانا[١٠]. ينتظرون كرة الكرات، ومعرة المشكلات[١١]، وأنشار الرفات، والحشر إلى

---

(١) العتيد المعد المهيأ.

(٢) المريد بالفتح الجبار العاتي، ووهقه جذبه بالوهق والوهق بفتحتين ويسكن حبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان والجمع أوهاق قال بعضهم هو فارسي معرب ولا يظهر ذلك قال عدي بن زيد:

يقولون لي أما تستفيق	بكر العاذلون في فلق الصبح
والقلب عندكم موهوق	ويلومون فيك يا ابنة عبد الله

(٣) المضمحل الذاهب شيئًا فشيئًا، والمظل القريب.

(٤) أزف قرب.

(٥) رصف الحجارة ورصفها صفها صفا محكما.

(٦) رتج أغلق يقال رتج الباب وأرتجه إذا أغلقه، مسلما مخلي بينك وبين ما تكره.

(٧) الحلي بضم الحاء وكسرها جمع حلية بالكسر وهي الصفة ومنه حلاه إذا وصفه.

(٨) المصال: الصول وهو البطش والهجوم.

(٩) يمير يعطي الميرة وهو ما يزود به الإنسان.

(١٠) احتشدوا اجتمعوا وحشدت القوم جمعتهم.

(١١) والمعرة من العر وهو العيب.

الميقات فتأهبوا رحمكم الله ليلة تتمخض بيوم لا ليلة بعده، ولمحاسبة مناقش على النقير والقطمير لا ظلم عنده[١]، هنالك تكشف الساعة قناعها، وتكنف الطامة أتباعها[٢]، ولا يتحقق الندم إلا بمن أضاعها، ولا يجاب إلى الإقالة من باعها.

فشمروا لهذا اليوم العظيم أيها المقصرون، وانظروا لمعادكم فيما تنظرون، واغتنموا من أعمالكم ما تقدمون، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإن الأمر والله أعظم مما تتوهمون، ولكل نباء مستقر وسوف تعلمون.

عمر الله قلوبنا وقلوبكم بذكر المرد إليه، ووفقنا وإياكم للعمل بما يزلف لديه، وجعلنا وإياكم من المتوكلين عليه، الوجلين من الوقوف بين يديه، إن أشفى الدواء لداء الضمائر، وأجلى الجلاء لصدأ البصائر، كلام العالم بخفيات السرائر، وتقرأ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات:٤٢] الآيات.

خطبة يخطب بها في شهر ذي القعدة

الحمد لله المدرك المقيت، المهلك المفيت[٣]، المنشر المميت، مالك أزمة الجمع والتشتيت، الذي فات حدود الأوصاف والنعوت واحتجب عن الأبصار بعز الملكوت، سبحانه له الخلق خضوع قنوت، وهو الواحد الحي الذي لا يموت[٤]، أحمده حمدًا يمري سبل عهاد رزقه، ويوري شعل زناد الشكر في خلقه[٥].

---

(١) تتمخض من المخاض وهو وجع الولادة استعار ذلك لليلة التي يعقبها الموت وقد نسبه الشاعر لنفس الموت في قوله:

إني ولكل حاملة تمام ... تمخضت المنون له بيوم

والمناقش من ناقش في الحساب إذا دقق فيه كأنه يستخرج ما فيه بالمنقش وهو الذي تخرج به الشوكة.

(٢) كنفه أحاط به من أكنافه وجوانبه وبابه نصر.

(٣) المقيت المقتدر القائم على الأشياء بحفظها وأقاتتها ولا يخفى عليك أن كل شيء يحتاج إلى قوت وقيل المقيت الرقيب والشاهد.

(٤) قنوت جمع قانت وهو اسم فاعل من قنت يقنت قنوتا من باب قعد إذا خضع وخشع.

(٥) يمري يحتلب قولهم مريت ضرع الشاة إذا مسحته ليدر، والسبل بفتحتين المطر والسحاب، والعهاد بالكسر السحب لأنها تتعهد الخلق بأسباب الخير وأول مطر الوسمي ويقال روضة معهودة إذا أصابها مطر بعد مطر، ويوري يقدح أي يجعله يرى يقال ورى الزند يرى مثل ولي يلي إذا أخرج النار وأوريته أذا أخرجت به النار، والزناد جمع زند مثل سهم ما يقدح به النار ويقال للسفلى زندة.

وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له شهادة كر على اللسان لفظها، وقر في مقر الجنان حفظها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بوجه طلق، ولسان ذلق(١)، وشرع صدق، ودين حق، فصد عن سبيل الهلكة، وأمد باليمن والبركة، حتى صارت الكلمة سددا، والأمة في الحق شرعا أحدا(٢)، صلى الله على محمد وعلى آله صلاة لا تنقطع عددا، ولا تنقضي أبدا، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن ضياء نهار المشيب في ظلام ليل اللحى والرءوس، حقق عند الفطن اللبيب قرب انهدام القوى واخترام النفوس، ذلك صباح ما بعده ليل ينتظر، واجتياح لا ملجأ منه ولا وزر، وضيف على رغم المضيف واغغل، وسيف لموصول الحياة فاصل(٣)، ونور طالع بأفول النسم، ومنشور بالأشخاص إلى محل الرمم(٤)، فلا تحرقوا رحمكم الله نور مشيبكم بنار ذنوبكم، وأرمقوا غير الحوادث بأبصار قلوبكم، تركم ما خفي عليكم من عيوبكم(٥)، فكما حل بكم من المشيب ما تكرهون، كذلك يحل بكم الموت أفلا تتنبهون، إلا وإن المشيب ثغر الحياة الذي لا يمكن سداده، وكسر القناة الذي لا يصلح الدهر فساده(٦)، فيا معشر الشيوخ هل بعد ابيضاض الزرع إلا حصاده، ويا معشر الكهول ما نصف من الثمار فقد آن جداده، ويا معشر

---

(١) الوجه الطلق المتهلل الظاهر البشر يقال طلق الوجه بالضم طلاقة فهو طليق وطلق وطلق اللسان الذلق الفصيح المنطلق يقال ذلق اللسان من باب طرب فهو ذلق ويقال ذلق من ظرف فهو ذليق أي بين الذلاقة.

(٢) السدد والسداد الصواب، والأحد هنا بمعنى الواحد وأكثر ما يجيء بهذا المعنى في النفي تقول ما في الدار أحد.

(٣) الواغل هو الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعي، وأما الوارش فهو الداخل على القوم وهم يأكلون كذلك.

(٤) الأفول من أفل النجم إذا غاب والنسم النفوس، والأشخاص مصدر اشخصه إذا أبعده عن مقره والمنشور في الأصل صفة لموصوف محذوف تقديره كتاب منشور ثم صار اسما للكتاب الذي يكتب فيه الأمر بالأشخاص أو الإطلاق وما أشبه ذلك.

(٥) نور المشيب كناية عن بياضه.

(٦) الثغر من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثغرة في الحائط وهي الثلمة والثغر أيضًا المبسم ويطلق على الثنايا، والسداد بالكسر اصلاح الشيء ومنه قولهم سداد من عوز قال بعضهم كل ما سددت به شيئًا فهو سداد بالكسر مثل سداد القارورة وسداد الثغر، والدهر منصوب على الظرفية يقال لا أكلمه الدهر أي أبدًا.

الشباب كم من زرع أباده قبل البلوغ قمله وجراده[١]، إن هي إلا ترجمة الأجداث عن حتم الفناء، آثارها في الأجسام آثار الهدم في البناء، فما بقاء من صحته في دنياه سقمه، وغنيمته من الحياة غرمه، ومقامه فيها سفر، وأيامه بتقلبها غير، تريه عطاء ما تسلبه، وبناء ما تخربه[٢]، وبعيدًا ما تقربه، وعتيدًا مات تجنبه، فيا عجبًا لمأمور بالتزود قد حان سفره، وأقام من تقدمه عليه ينتظره، وهو خلي من التأهب لرحلة تذكره، مع صحة علمه أن المنية لا تؤخره؛ فرحم الله أمرأ أهمه معاده، وتقدمه زاده، وكان إلى التقوى انقياده، ولهواه جهاده، قبل أخلاق الجدة، وإنفاق المدة، وانهدام العدة، واقتحام الشدة، قبل هطلان الرحضاء، وبطلان الأعضاء[٣]، وضيق رحب القضاء، وحيرة الفتور والأغضاء، لورود حتم القضاء، هنالك صالت عليك بصولتها شعوب، وحالت عن سجيتها اللعوب[٤]، ورقت لكرب سياقك القلوب، وشقت على قرب فراقك الجيوب، وطلعت سافرة عن صفحتها المخدرة العروب، إذ حان منك في ظلمات الترب غروب[٥]، فأنيبوا أيها الغافلون إن كنتم موقنين إنكم صائرون إلى هذا المصير، وأذيبوا جامد الدموع بنيران الزفير، وأطيبوا التزود لوشك المسير: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] جعلنا الله وإياكم ممن أدبته العبر، وهذبته الفكر، فأملت عليه غرر الأمور أنباء عواقبها. وتجلت ستر المحذور عن لألاء قواضبها[٦]، فاستغنم في بقية عمره

(١) نصف النخل: بلغ الأرطاب نصف بسره، وآن: قرب وحان، وجداد النخل وقت قطع ثمره وهو القطع أيضًا والجيم فيه تكسر وتفتح، وقمل الزرع شيء يشبه الحلم خبيث الرائحة يأكل دون أكل الجراد.

(٢) يريد تريه الأخذ إعطاء والأخراب بناء فكأنها ساحرة.

(٣) الرحضاء عرق الحمى وأصلها من رحضت عن الثوب الوسخ إذا أزلته عنه بالغسل.

(٤) صال عليه هجم عليه وسطا، وشعوب بالفتح علم على المنية ولا تنصرف للعلمية والتأنيث وسميت بذلك لكونها تشعب الناس أي تفرقهم، والسجية الطبيعة واللعوب صيغة مبالغة من اللعب والمراد باللعوب هنا الدنيا وهي في بعض النسخ بالكاف غير أن المعروف في أوصاف النساء الكاعب وهي الناهد ويجوز أن تقرأ: الكعوب بضم الكاف على أن تكون جمع كعب وهو كل مفصل من مفاصل العظام.

(٥) والعروب المرأة المعربة بحالها عن عفتها وجمعها عرب.

(٦) أمل عليه الكتاب إملالا وأملاه عليه إملاء إذا ألقاه عليه والأولى لغة الحجاز وبني أسد والثانية =

ادخار الحسنات، واستعصم بهضبة الحق من شر ما هو آت[١]، إن أحسن نظم اللافظ ونثره، وأبلغ وعظ الواعظ وزجره كلام من تطمئن القلوب بذكره، وتقرأ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠] وإن شئت ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [غافر: ٦٧]. الآية.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة

الحمد لله الذي ليس متجزئا فتجتذبه مواد العناصر ولا متكيفا فينسب إلى الأعراض والجواهر، ولا مجسما فيدرك بإيناس النواظر، ولا متوهما فيتخيل بإبحاس الخواطر، ولا محدثا فيؤول إلى النقص والتغاير، ولا محدودًا فتحيط به فكر أولي البصائر، بل هو الأزلي قبل سوابق القدم، والأبدي بعد لواحق العدم، الواحد الصمد الحي القدير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، سبحانه لا إله إلا هو إليه المصير، أحمده على إكرامنا بتوحيده وتنزيهنا عن قول من جعل له أولادا من عبيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافق الإقرار بها الإخلاص، ووجب بها لقائلها الخلاص، وأشهد أن محمدًا عبده المبعوث في خير آل، ورسوله المخصوص بالفضل والكمال، بعثه عند ظهور الجهال، وغلبة الكفر والضلال، فنصح لأمته في القول والفعال، وأوضح لهم مناهج الحلال، وجاهد في الله على كل حال حتى عاد بحر الباطل كالآل، واعتدل الحق بسيفه أي اعتدال[٢]، صلى الله على محمد وعلى آله أهل الفضل والكمال، مارتعت بصحصحها عفر الرئال، وضوء الحندس وبيص الذبال[٣]،

=

لغة بني تميم وقيس وجاء الكتاب العزيز بهما قال تعالى: ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] وتتعين هنا اللغة الحجازية لمراعاة الترصيع البديع الذي أكثر منه مع الإبداع ففاق المبدعين فيه من الإقلال، والقواضب السيوف القواطع، ولألاؤها ضياؤها ولمعانها وتجلى له الشيء عن كذا انكشف له عنه.

(١) الهضبة الموضع العالي يعتصم به وهي دون الجبل.

(٢) الآل: شبه السراب وهو ما يرفع الشخوص للإبصار.

(٣) رتعت رعت في المرعى، والصحصح: الصحراء الواسعة والرئال أولاد النعام واحدها رأل والعفر جمع أعفر وهي الظباء التي يعلو بياضها حمرة وليس ذلك من أوصاف النعام وقال
=

صلاة دائمة بالغدو والآصال، نامية على كرور الشهور والأحوال، وسلم تسليما.

أيها الناس: قيدوا ألسنتكم عن الخوض في الباطل، واقطعوها عن النطق بغيبة كل مسلم غافل، واعلموا أن الله تعالى عند لسان كل قائل، وأن العاقل من نفسه لفي شغل شاغل، ألا وأن عثرة الرجل سريع اندمالها، وعثرة اللسان فظيع وبالها، ومن أبصر عيوب نفسه عمى عمن سواه، ومن ملك هواه قياده أدراه، ومن خبث مشهده خبث منتماه، ومن انتهك عرض أخيه المسلم بغيبة كان خصمه الله، وذلك لصحة الآثار المجمع عليها،، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة والاستماع إليها، فاتقوا الله عباد الله في كلمة صغير أمرها، كبير وزرها، فكم كبت حصائد الألسن وجوها في الجحيم وأسلمتهم إلى تجرع الحميم، وأسكنتهم دار الأحزان والهموم[1]، دارا لا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، ولا يوقر كبيرها، ولا يرحم صغيرها، ولا يخمد سعيرها، لباس أهلها الحديد، وشرابهم الصديد، وعذابهم أبدا جديد، والفرج منهم بعيد.

قد شملهم الإياس، وحل بهم الإبلاس، لا يرحمون إن بكوا، ولا ينظرون إن شكوا، قد أعرض الله بوجهه الكريم عنهم غضبا، واشتدت النار عليهم كلبا[2]، وطحنتهم بتغيظها عليهم زفيرا ولهبا، فالويل لهم شعار، والخزي لهم دثار، والخذلان لهم مرابط، والرحمن عليهم ساخط[3]، لا ملجأ لهم منها إلا إليها، فبعدًا لهم ما أصبرهم عليها.

ففكوا رحمكم الله نفوسكم من أسر هذه الدار بصون ألسنتكم وحفظها، ولا تحرموها من الجنة جزيل حظها، فإن الندم لا ينفع عند الفوت، والاعتذار لا يسمع بعد الموت، جعلنا الله وإياكم ممن طهر قلبه ولسانه، وأخلص لله سره وإعلانه.

=

بعضهم تطلق العفر على غير الظباء يقال شاة عفراء إذا خالط بياضها حمرة، والوبيض البريق، والذبال فتائل المصابيح.

(١) حصائد الألسنة ما تحصده الألسنة أي تكسبه من الآثام والحصائد جمع حصيدة بمعنى محصودة وهي كناية عن الكلم الموبقات، الإبلاس اليأس من السعادة.

(٢) الكلب: الحدة في الشر.

(٣) المرابط الملازم ومنه المرابطة بإزاء العدو.

وجعل المسلمين إخوانه وأخدانه، وأعطاه يوم الفزع الأكبر أمانه[١]، إن أحسن القول وأصدقه، وأبلغ الإنذار وأوفقه، وأجزل الوعظ وأرفقه، كلام من خلق الإنسان فأنطقه، وتقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢] الآية.

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة

الحمد لله وارث الأرض ومن عليها، ومعيد من خلق منها إليها، الذي سلط الموت على كل ذي جسم وروح، واسترجع به كل معار وممنوح، وأذل به خد كل جبار جموح[٢]، أحمده على ما نزل به القضاء، حمدا يضيق بنشره الفضاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أفرج بها كربات السياق، وأخرج بها من ظلمات يوم التلاق، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله بشيرًا ونذيرا، وكان له على مخالفي الحق نصيرا، فقمع الأضداد وشرع الرشاد، وأماط الفساد، وحاط العباد[٣]، حتى انفجر عمود الإسلام فسطع وانحسر عنود الطغام فانقشع[٤]، والتأم شمل الإيمان فاجتمع، وانتفض حبل البهتان فانقطع، صلى الله على محمد وعلى آله صلاة ينير لهم بها المضطجع، ويشفعه بها فيمن فيه شفع[٥]، وسلم تسليما.

أيها الناس: إنا قد أصبحنا في دهر مذيق محضه، مضيق خفضه[٦]، سريع نقضه، منيع قرضه، ثقيل علينا فرضه، كأنا فيه زرع قد قلبته أرضه، نقول ما لا نفعل، ونفعل ما لا نعقل، ونتبع من يجهل، كأنا فيه عن الأعمال والأقوال لا نسأل، قد أبطرنا الري والشبع، وعدا على لسبع فينا الهبع والربع[٧]، وصال على الحسيب المدره اللكع،

---

(١) الأخدان جمع خدن وهو الصديق المصافي ويقال له خدين أيضًا.

(٢) الجموح: أصله من قولهم جمح الفرس إذا تردد ولم ينقد.

(٣) أماط أزال ونفى ومنه إماطة الأذى عن الطريق، وحاطه بحوطه رعاه.

(٤) عمود الصبح ضوؤه الممتد في الأفق، والعنود الإعراض عن الحق، والطغام أوغاد الناس لواحد والجمع فيه سواء، وانقشع السحاب انكشف وتقشع مثله وقشعته الريح من باب نفع فأقشع هو بالألف وهو من النوادر لأن المتعارف كون الرباعي لتعدية الثلاثي وهنا الأمر بالعكس.

(٥) المضطجع موضع الاضطجاع.

(٦) المحض اللبن الخالص والمذيق الممذوق وهو المشوب بالماء يريد أن من جرب الأيام وذاقها يظهر له أن الخالص منها في الظاهر غير خالص في الباطن.

(٧) الهبع الفصيل المولود في الصيف، والربع المولود في الربيع وهو أول النتاج وكلاهما بوزن رد =

وأهملت بيننا المواقيت والجمع[1]، فلا الحقوق بالأبرار تحاط، ولا الفسوق بالإنكار يماط[2]، ولا خروق الدين بالاستغفار تخاط، ولا طرق اليقين بالأفكار تناط[3]، وقد جنحت كواكب الأعمار لغروبها، وانسرحت عقارب الأقدار في دبيبها[4]، وترنمت غربان الفناء في نعيبها، وتهدمت أركان البقاء بمعاول شعوبها، ونادى منادي الرحيل في أهل الإقامة، ألا فاقتحموا بالصغار محجة القيامة، تتلو الأوائل منهم الأواخر، ويحدو الأكابر منهم الأصاغر، ويلحق الغوامر من ديارهم العوامر.

حتى تبتلع جميعهم الحفر والمقابر[5]، فتأهبوا رحمكم الله للصوت السميع، والموت الذريع[6]، والخطب الفظيع والحساب السريع، إذا انشقت السماء فمارت، وتمزقت الجبال فسارت[7]، وبعثرت الضرائح فثارت، ونشرت الصحف فطارت[8]، وشخصت الأبصار فحارت، وخسرت تجارات المسيئين فبارت[9]، واشتدت رحى القيامة على المذنبين فدارت وسقطت قوى المتجبرين فخارت[10]، وأزلفت الجنة

=

صرد يريد أنه غلب الحقير على الرفيع.

(١) الحسيب من له حسب ومفاخر تعد والمدره بكسر الميم المتكلم عن القوم والمدافع عنهم يقال دره عن القوم من باب نفع قال بعضهم الهاء هنا بدل من الهمزة والأصل الأول مدرأ من درأ عنه إذا دفع، واللكع بوزن صرد الضعيف العقل والدنيء من الرجال ومن لا يتجه لمنطق ويقال في النداء ولا يصرف في المعرفة لأنه معدول من ألكع ولكع لكاعة ككرم لؤم وامرأة لكاع كقطام لئيمة، والمواقيت جمع ميقات وهي أوقات العبادات .

(٢) الأبرار بفتح الهمزة جمع بر فإن كسرت يكون مصدرا من أبررت القول واليمين، وتحاط تحفظ وترعى ويماط يزال.

(٣) تناط تعلق يقال ناط به الأمر إذا علقه به.

(٤) جنحت مالت وجنحت الشمس مالت للمغيب.

(٥) الغوامر جمع غامر وهو الخراب المعطل عن الزراعة يقال غمر المكان فهو غامر إذا لم يزرع.

(٦) الصوت السميع المسمع، والموت الذريع القوي الغالب.

(٧) مارت ماجت واضطربت.

(٨) بعثرت نبشت.

(٩) شخص بصره من باب خضع إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، وبارت هلكت والمراد بالبوار في التجارة الكساد التام

(١٠) خارت قواهم ضعفت ولانت.

للمتقين فنارت، وسعرت النار على الكافرين ففارت[١]، هنالك يفر الولد من والديه ويعض الظالم على يديه، وتوضع موازين الحق، لوزن أعمال الخلق، فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاويه، وما أدراك ماهيه، نار حاميه، ثقل الله موازيننا وموازينكم بالحسنات، وبيض دواويننا ودواوينكم من ظلم الشبهات، وخفف ظهورنا وظهوركم من أثقال التبعات[٢]، إن أحسن ما أدارته اللهوات، وأدته إلى الإسماع الأدوات، ورويت به القلوب الصاديات، كلام عالم الخفيات، ومن لا تغيره الأوقات[٣]، وتقرأ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة

الحمد لله الذي لا يموت ولا يفنى، القيوم الذي لا يسمى إلا بما سمي به نفسه ولا يكنى[٤]، العزيز الذي لا يدنو إليه إلا من أدنى، الواحد الذي هو إله بكل معنى[٥]، العدل الذي خلق الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى[٦]، أحمده على الإسعاف بموجبات الحمد، وأسأله العفو عن اقتراف الخطأ والعمد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من راق من التوحيد شربه، والتاق بالتحميد لسانه وقلبه[٧]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله حين تلاطم من

---

(١) فارت غلت ومنه فارت القدر.

(٢) بيض الكتاب أو الحساب إذا صححه ثم نقله على وجه جميل.

(٣) الأدوات جمع أداة والمراد بالأدوات جميع حروف المعجم ويحتمل أن يراد بالأدوات الآلات المعينة على النطق، والصاديات العطاش.

(٤) لا يكنى أي لا يقال له أبو فلان لاستحالة أن يكون له ولد، وأشار بكونه لا يسمى إلا بما سمي به نفسه إلى أن أسماءه تعالى توقيفية فيتوقف في تسميته باسم وإن أشعر بالتعظيم على ورود الشرع بذلك.

(٥) أشار بقوله هو إله بكل معنى إلى أن كل معنى نسب إلى الحق فإنه يتضمن معنى سائر الأسماء فإذا قلنا خالق مثلا فإنه كما يفيد نسبة الخلق إليه صريحا يفيد نسبة القدرة والإرادة والعلم وغير ذلك له بطريق الإشارة لاستلزامه لجميع ذلك.

(٦) النطفة معروفة وتمنى تقدر يقال منى الله كذا إذا قدرهومنه المنية وهو الأجل المقدر للحيوان.

(٧) راق صفا، والشرب بالكسر النصيب من الشراب، والتاق به صافاه حتى كأنه لزق به.

بحر الضلال أمواجه، وتراكم على ألباب الرجال عجاجه[١]، وعذب في لهوات الجهال أجاجه، وعزب على أساة الإعلال علاجه[٢]، وشرع إلى غير الرشاد منهاجه، وطبع على قلوب الأضداد رتاجه[٣]، وصعر خد الكافر المستكبر لجاجه، وغره بالله حلمه واستدراجه[٤]، فاستقام بمحمد صلى الله عليه وسلم من الدين اعوجاجه، وأضاءت بنور اليقين مسالكه وفجاجه، وأبطل حجج الملحدين برهانه واحتجاجه، وتزاحمت في سبل الإسلام رغبة فيه أفواجه، ولاذ بحرم الله معتمروه وحجاجه، صلى الله على محمد وعلى آله صلاة يدوم بها جذله وابتهاجه[٥]، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن لكم فيما سلف من الأموات عبرا، وإن لكم فيما ترون من الآيات فكرا، ولهنكم لتمرن على الآفات زمرا، ولتكرعن من حياض الموت كدرا[٦]، وكفى بذكر الموت للأحزان جالبا، وللأفراح سالبا، وللقلوب معاتبا، وبالاقلاع عن الذنوب مطالبا، ألا وإن الموت عارف من جهله، خاطف من أغفله، ذاكر من نسيه، آسر من لقيه، لغربانه على الديار نعيب، ولنيرانه في الأعمار لهيب، ولحدثانه في الأبشار دبيب، ولجولانه في الأقطار وجيب، له في كل مهجة سهم مصيب، ولكل نفس من مرارته نصيب، وبكل مخلوق منه يوم عصيب[٧]، بينما المرء رافلا في أذيال مرحه، جائلاً في مجال فرحه[٨]، جاهلا بمواقع منحه، غافلا عن مصارع مجترحه[٩]، إذ قعدت به ناهضات قواه، وعمدت لجسمه ناقضات عراه، وحالت أحواله في عين من يراه، ولم تنفعه صفات الطبيب ولا رقاه، فقرب خطوه، وغرب سطوه، وذهب زهوه،

(١) تراكم اجتمع وتكاثف، والعجاج الغبار.

(٢) الأساة جمع آسي وهو الطبيب من قولك أسوت الجرح إذا داويته.

(٣) طبع ختم وقفل والرتاج الباب والغلق.

(٤) صعر خده أماله إلى جانب كبراوتيها.

(٥) الجذل: الفرح.

(٦) ولهنكم أي ولئكم وإنما أبدلت الهمزة هاء واللام هنا هي التي تكون في جواب القسم وأصل العبارة والله لئنكم واللام في لتمرن هي التي تكون في خبر إن، والكرع الشر ب بدون وعاء وأصله من كرع الوحش إذا أدخل أكارعه في الماء ليشرب والأكارع القوائم.

(٧) يوم عصيب شديد.

(٨) رافل متبختر يمشي خيلاء.

(٩) المنح جمع منحة وهي العطية تقول منحته إذا أنعمت عليه، والمجترح المكتسب.

وعزب لهوه[١]، فأصبح أسيرا في ربقة المنون، تسح عليه سجال العيون[٢]، وترجم في مستقره خواطر الظنون، عند سلوكه سبل من سلف من القرون، لا يفصح بخطاب، ولا يسمح بجواب مختطفًا من الأحباب، مرتهنا بالاكتساب، وحيدًا في منزل الاغتراب، مواجها يوم الحساب، أدنى الأهل إليه وأقرب الأصحاب، من حثى على قبره حثيات من التراب[٣]، ومن وراء ذلك الصيحة المستور عنكم أمرها، والساعة المهجور بينكم ذكرها، التي قد حان حينها، وبان يقينها، وبدت أشراطها، ومد لكم على متن جهنم صراطها، فما بينكم وبينها إلا أن يأمر المأمور آمره، ويزجر الصور زاجره، حتى يلحق أول الخلق آخره، ووردتم موردا إلى الجنة أو إلى النار مصادره، فرحم الله امرأ أغار عزمه فأبرمه، وأزار قلبه صحيح الفكر فألهمه[٤]، وبادر بزاد سفره فقدمه، وأخذ لنفسه فإن صاحب الصور قد انتقمه، جعلنا الله وإياكم ممن أعد للقيامة عدته، وانفق في طاعته جدته، وأخذ للموت قبل حلوله أهبته، إن أحسن ما اتسق نظامه، وأولى ما أتبع حلاله واجتنب حرامه، كلام من خير الكلام كلامه، وتقرأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

خطبة في وداع شهر رمضان

الحمد لله الواسعة أعطيته، الواقعة أقضيته، القامعة سطوته، الجامعة رحمته، السابغة نعمته، البالغة حجته، الواجبة منته، الغالبة منته[٥]، الذي تفرد بالوحدانية، وتعالى عن مشابكة الذرية، وأعلى دين الإسلام على سائر الأديان، وأوضح بنبيه محمد ﷺ نهج الإيمان، وهدى به إلى سبيل الحق والإيقان، وجلا به سدف الباطل والبهتان[٦]، فوجب حمده إذعانا، وثبتت معرفته إيقانا[١]، فإياه نحمد، وبنور هدايته

---

(١) الزهو الكبر، وعزب بعد.

(٢) الربقة حبل يجعل في عنق الشاة.

(٣) الحثيات والحثوات القبضات يقال حثى عليه حثية وحثا عليه حثوة من تراب إذا قبض قبضة من التراب وألقاها عليه.

(٤) أغار الحبل أحكم فتله.

(٥) المنة بالكسر النعمة وبالضم القوة وذكر القوة أولى لوروده بخلاف المنة.

(٦) السدف: بفتحتين سواد الليل وبضم ففتح جمع سدفة وهي كالسدف تطلق على ظلمة الليل =

نسترشد، ونرغب إليه وهو غاية الوسائل، ونطلب من خزائنه الهنيئة المناهل، ما هو عائد برضاه، ومنه أوله وإليه منتهاه، أن يبلغ محمدًا عنا السلام الكثير، ويبيحه الحباء الخطير[٢]، فقد بلغ إلى الخلق رسالته، وأدى إليهم أمانته، وكان على إيمان العالمين حريصا، وبالرأفة بالمؤمنين مخصوصًا، اللهم فكما جعلت محمدا صلى الله عليه وسلم للحق منارا، وأظهرت به للهداية أنوارا، واصطفيته واجتبيته اختيارا، وأدنيته وقربته إيثار، فصل يا رب عليه وعلى آله ما طرد ليل نهارا، وما قصد سيل قرارا، صلاة تحلهم بها أعلى جناتك دارا، وسلم تسليما.

اعلموا عباد الله أن الله تبارك اسمه، ونفذ حكمه[٣]، لطف لكم من حيث لا تحتسبون، ورزقكم وأنتم مذنبون[٤]، فتح للتائبين أبواب التوبة، وأزال بندم النادمين كبير الحوبة[٥]، وأمهل من عصاه تكرما، وستر القبيح تطولا وترحما إثباتا للحجة وإلزاما، وابتداء بالتطول وإتماما[٦]، بما أبان لكم من فضل المواقيت والأيام، وندبكم إليه من اغتنام شريف الشهور والأعوام، فخص بالتفضيل والتكريم شهر الصيام، حيث

=

وقد تطلق على الضوء فهما من الأضداد وقيل معناهما ظلام مختلط بضياء فسدف الليل وسدفته آخره فلا يكونان من الأضداد.

(١) الإذعان الانقياد.

(٢) الحباء العطاء، والخطير الجليل.

(٣) البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه لا ينقص مال من صدقة لا إلى النقصان المحسوس حسبما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك فقال بيني وبينك الميزان وتبارك الله بمعنى بارك، وبركت على فلان دعوت له بالبركة وتبركت به تيمنت به، وينبغي حمل الاسم هنا على حقيقته فإن هذا الفعل كما ينسب إليه تعالى ينسب إلى اسمه قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨] ونسبة هذا الفعل للاسم تتضمن نسبته للمسمى على أبلغ وجه وقرأ ابن عامر ذو بالرفع على أنه صفة للاسم وهو يؤكد ما قلنا وبه تعرف سر ذكر الاسم في بسم الله وفي سبح اسم ربك.

(٤) رزقك الله من حيث لا تحتسب أي من وجه لا يخطر ببالك.

(٥) الحوبة بالفتح الخطيئة كالحوب بالضم وربما فتح وحاب من باب قال اكتسب الإثم والحوباء هي النفس لأنها تدعو صاحبها إلى الإثم غالبًا.

(٦) التطول الإحسان كالطول بالفتح يقال تطول عليه وطال عليه إذا أحسن إليه.

يقول ذو الجلال والإكرام، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] الآية، ألا وإن شهركم هذا أعظم الشهور عند الله قدرا، وأعلاها لديه عز جلاله ذكرا، جعله الله غرة الأيام والشهور، وزينة الأعوام والدهور، له فيه عتقاء من النار، وأولياء مطهرون من دنس الأوزار، يفتح الله فيه أبواب السماء للداعين، وتحقق فيه آمال الراجين، جعل الله ليله بالصلاة منيرا، ونهاره بالصيام معمورا، وقمع فيه جميع الشياطين والمراد، ومنع فيه فسقة الجن من العيث والفساد[١]، ويسر فيه للطالبين هنيء الأرزاق، وأخلف على المنفقين فيه طيب الإنفاق، وقد تقضت أيامه ولياليه، وحصل لكل امرئ منكم ما قدمه فيه، فطوبى لمن نال فيه سبق الفائزين، وأحرز قصبات المبرزين[٢]، الذين لم يشب صيامهم لغو الكذب، ولم يفسد قيامهم دنس الريب[٣]، قصدوا الله فوجدوه، وأملوه لطلباتهم فأفردوه[٤]، حازوا عظيم الرغائب، ونالوا جسيم المطالب، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون، وبعدًا لمن انصرف عنه شهره المأمول فيه قبول توبته، المرجو فيه غفران حوبته[٥]، وهو مشغول بالبطالات، مخدوع بالأماني الكاذبات[٦]، غافل عن انقضاء الصيام، وانصرام الأيام، وهو لا يعلم ما عليه من كبير الآثام، والأوزار العظام، فيا أيها المماطل بتوبته طول دهره، والمؤخر لها حتى تقضت أيام شهره، إنه لم يبق من شهر الفضائل، ومبلغ الوسائل غير ليلة ويوم، ثم تعدم سائر سنتك شهر الصوم، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه، أم من المطرود

---

(١) العيث الإفساد يقال عاث فلان من باب باع وعثى من باب رضي وعثا من باب سما.

(٢) طوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمة ما قبلها تقول طوبى لفلان بكذا تريد أنه قد حصل له غاية طيب النفس بما حصل له من ذلك الشيء، والقصبات جمع قصبة وقصبات السبق هي التي يأخذها السابقون دلالة على سبقهم، وبرز في الشيء تبريزًا إذا فاق فيه أقرانه.

(٣) شاب اللبن بالماء شوبًا خلطه به، واللغو الباطل وما لا يعتد به واللغو في الإيمان ما لا يعقد عليه القلب كقول الإنسان في كلامه لا والله وبلى والله، والريب جمع ريبة وهي الشك والتهمة تقول رابني فلان من باب باع إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه وأراب فلان صار ذا ريبة فهو مريب.

(٤) وجد هنا يتعدى إلى مفعول واحد، والطلبات جمع طلبة بكسر اللام وهي الشيء المطلوب.

(٥) الحوبة: بفتح الحاء والحوب بضمها الإثم.

(٦) البطالات بالفتح ترك الأشغال.

منا فنعزيه، يا له من مفتون بالخدع لاه، ومغرور بالأمل ساه[١]، ومتخلف أرداه تخلفه، ومتأسف لا يغني عنه تأسفه، فالله الله عباد الله لا توبقنكم الغفلة، ولا تغرنكم المهلة، فهذا شهر التوبة والإقلاع، ووقت الإنابة والنزاع، وما أبعد أمل من قدر بلوغ شهر رمضان إلى عام قابل، وأشد اغترار من وثق من الحياة الدنيا بفان زائل، فكم من صائم لم يصم بعد عامه عاما، واخترمته المنون قبل بلوغ حوله اخترامًا[٢]، فندم على ما ضيع من أيام شهره، وأسف على ما فاته من امتداد عمره، فطلب الرجعة، واستقال الصرعه، وهو من وراء برزخ سحيق، وبين أطباق تبر عميق[٣]، مفردًا بأعماله، مباعدا عن ذخائره وأمواله، قد طال تلهفه، ودام تأسفه، حين لحق بالقرون الماضية، وحصل في جرائد الأمم الخالية، غنيا عما خلف، فقيرا إلى ما أسلف، مفرقة أوصاله، مطوقة في عنقه أعماله، مقيما في الثرى، حيث لا يحس ولا يرى، فبادروا أيها الناس بالتضرع إلى عالم الخفيات، وغافر الخطيئات، في التوفيق لما يحب ويرضى، والتسديد إلى طريق الهدى، وإياكم والمجاهرة في الأعياد، بقبيح الإثم والفساد، ومصاحبة أهل البدع والمنكر، وشرب كل خبيث من المسكر، واحذروا طاعة الشيطان، فإنها مقرونة بغضب الرحمن، واستقبلوا التكبير والإعلان بالذكر، عند رؤية هلال الفطر، وفي صلاة المغرب والعشاء والفجر، حتى تجب صلاة العيد فإنها آخر أوقات الإعلان والجهر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وأخرجوا من خالص الاموال، وطيب الكسب الحلال، الفطرة عن جميع العيال، البوالغ منهم والأطفال[٤]، عن كل واحد من العدد، صاعا مما يقتات في البلد، وأديموا في أيامكم هذه وفي سائر الأيام الاستغفار، وجانبوا الإقامة على الذنوب والإصرار، وفضلوا يوم العيد بالتكبير والتحميد، والتهليل والتمجيد.

فإنه عيد الأبرار، ومن يخشى الله من العلماء والأخيار، ففي يوم العيد تجب تفرقة الجوائز، ويحوز ثواب الأعمال كل حائز، فيا خيبة من حبط عمله المأمول، ويا

---

(١) لاه من لهى عن الشيء تشاغل عنه بغيره.

(٢) اخترمته المنون أهلكته وأصله من خرمت الشيء فانخرم إذا قطعته.

(٣) البرزخ: الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا القبر لأنه حاجز بين الدنيا والآخرة، والسحيق البعيد.

(٤) البوالغ: جمع بالغة والأولى البلغ ليكون جمع بالغ.

مصيبة من انسلخ عنه شهره بغير قبول، لقد حرمه العصيان حلاوة نيل المنيل، وطرده الحرمان عن باب الملك الجليل، بإيثاره فانيا لا تبقى لذته، واستصغاره باقيا لا تفنى حسرته، شمر لدنياه وأهمل مآله، فأولى له ثم أولى له ثم أولى له[١]، فافزعوا رحمكم الله إلى تقوى من هو لكم ملاحظ، ولصغير أعمالكم وكبيرها حافظ، ولينظر كل امرئ ما هو فيه ساع وبه لافظ، واعلموا أنه ليس أحد أولى بالوعظ ممن هو لكم واعظ، إقرارا منه بالتقصير على نفسه، واعترافا بتفريطه في يومه وأمسه، وإني وإياكم لفقراء إلى رحمة مولى سبق إفضاله وعم كرمه وإجماله، فوا أسفاه على التقصير في طاعته، ووا حذرا من حلول نقمته، ووا حزنا من توبيخه إياي في محفل القيامة، على رءوس الخلائق عامة، وما أحق من عرف سريره نفسه، وعلم خبيئته في يومه وأمسه، أن ينوح على ذنبه، ويعمل في الخلاص من ربه، ويهرب من نار سعيرها لا يخمد، وحرها لا يبرد[٢]، ودموع أهلها لا تجمد، وعذابهم أبدا لا ينفد[٣]، فكم من جلود تمزق بين أطباق الجحيم، لم تذكر ذلك عند تقلبها في النعيم، وكم من وجوه يلفحها حر السموم، طالما واجهت معصية الحي القيوم[٤]، وكم من بطون ملئت من الزقوم والحميم، جزاء بما أكلته من المحظور بالتحريم[٥]، اللهم فعد على خليقتك، برأفتك وبرحمتك، فقديما سترت، وعظيما غفرت، وكثيرا أفضلت، وطويلا أمهلت، وأنت أحق من تمم، وأولى من جاد وأنعم.

---

(١) أولى له كلمة تهديد ووعيد قال الأصمعي معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به قال ثعلب ولم يقل أحد في أولى له أحسن مما قاله الأصمعي.

(٢) سعير النار لهبها، وخمدت النار سكن لهبها ولم يطفأ جمرها بخلاف همدت وبابه دخل وأخمدت النار سكنت لهيبها وبرد الشيء من باب سهل صار باردًا.

(٣) جمد الماء وبابه نصر ودخل قام وجمد الدمع انقطع، ونفد الشيء بالكسر ينفد نفادا فني.

(٤) لفحته النار والسموم بحرها أحرقته وبابه قطع قال بعضهم لفح الرياح في الحر ونفحها في البرد، والسموم الريح الحارة تؤنث وجمعها سمائم قال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار.

(٥) الزقوم طعام رديء مؤذي، والحميم الماء الحار، والمحظور الممنوع وإنما قال أكلته ولم يقل طعمته مع أن الثاني أعم تقول طعمت الطعام إذا أكلته وطعمت الشراب إذا شربته لأنه أراد بالأكل ما يراد به في مثل فلان يأكل مال اليتامى ظلما فأنه يراد به كل نوع من الانتفاع على وجه غير مشروع.

اللهم إنا نتوسل[١] إليك بأوجه الشفعاء لديك، أكرم من أقسم بحقه عليك، نبيك الطاهر النسب الكريم الحسب، خير العجم والعرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فنسألك اللهم ببلاغه عنك، وقربه منك، وجاهه المقبول لديك، وحقه الذي لا يخيب من توسل إليك، أن تتقبل دعاءنا. وتسمع نداءنا. وتصل رجاءنا. برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اختم لنا شهر رمضان بالعفو والغفران. وأجمعنا على طاعتك في مواطن الإيمان، وتغمدنا منك بالفضل والإحسان إنك أكرم مستجار وأفضل مستعان عباد الله هذا آخر أوقات اجتماعنا لنوافل شهر رمضان، فليكن أول ساعات إقلاعنا عن الزلل والعصيان، واجأروا بضجيج الأصوات، ونشيج الإخبات[٢]. وصدق الطويات، وإسبال العبرات[٣]، وتوالي الزفرات، إلى رب الأرض والسموات[٤]، في فكاك أعناقكم، وأدرار أرزاقكم[٥]، وقمع أعدائكم، وبلوغ آمالكم، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وهو القائل سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية، سمع الله دعاءنا ودعاءكم، وأجاب نداءنا ونداءكم، وغفر لنا ولكم، وتاب علينا وعليكم. وبارك لنا ولكم في انقضاء شهرنا. وحضور عيدنا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

خطبة لعيد الفطر
(تكبر تسعا وتقول في آخر ذلك)

الله أكبر كبيرا. والحمد لله كثيرا. وسبحان الله بكرة وأصيلا[٦]، سبحان محيي الأموات. ومميت الأحياء، ومدبر أمر الآخرة والأولى سبحان من يعلم ما في السموات

(١) هذا التوسل لا يشرع بالأموات فلا يجوز التوسل بالنبي ﷺ ولا الولي ولا جاه النبي ﷺ ولا شيء من ذلك، وليس هذا مقام التفضيل.

(٢) اجأروا تضرعوا وأصله رفع الصوت بالدعاء، والنشيج مصدر نشج من باب ضرب إذا غص بالبكاء من غير انتحاب، والإخبات الذلة والخشوع.

(٣) الطويات الضمائر وأسبل الماء صبه وأسبل الستر أرخاه.

(٤) الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه والتوالي التتابع.

(٥) در اللبن كثر وأدره صاحبه استخرجه وأدر الله لك الرزق وسعه عليك.

(٦) الأصيل العشي والجمع أصل وآصال وأصائل.

العلى، وما في الأرض السفلى، ومصاف الطير في الهوا[1]، سبحان من: ﴿ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد: ١٢]، ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ [الرعد: ١٣] الآية، سبحان من: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم: ١٧] إلى قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم:١٧-١٩] ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، أطاعتنا إذ أمرتنا وخضعتنا إذ ملكتنا ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١] الآية، سبحان من: ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت: ١٢، ١١] الآية سبحان سامع الأصوات، وباعث الأموات. مجيب الدعوات. ومقدر الأقوات. والعالم بما كان وبما هو آت. سبحان من علا فدنا، ودنا فنأى. وسمع ورأى، وعلم وأحصى.

وقدر وقضى، وحكم وأمضى. وأغنى وأقنى. وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا ذي المنظر الأعلى. رب الآخرة والأولى. الذي خلق خلقه من ماء مهين. فجعله نطفة في قرار مكين. إلى قدر معلوم لم يشاركه في ذلك مؤازر ولا معين. سبحانه من ملك لا يرام. وعزيز لا يضام. ومتكبر لا يعجزه الانتقام.

ممن عصاه من جميع الأنام. الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

---

(١) مصاف الطير في الهواء مواضع صفها والطير الصواف المصطفة في الهواء كأنها ساكنة قال الكندي الهواء ممدود وقصره في الشعر ضرورة وفي غيره قبيح جدًا وكذلك الأحياء هـ.
والمشهور أن قصر الممدود لرعاية الفواصل في السجع ليس بقبيح فضلا عن أن يكون قبيحًا جدًا.

كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا، وخسروا خسرانا مبينا[١]، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] إلى قوله ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ إلى قوله: ﴿ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١-٥]. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١] الآية.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، اللهم إنا نشهد أنه لا ضد لك، ولا ند لك، ولا مثل لك، ولا شبه لك، ولا عدل لك، ولا كفؤ لك، ولا نظير لك، ولا صاحبة لك، ولا ولد لك، ولا والد لك، وأن السموات والأرضين وما فيهن من عجائبك آيات دالات عليك، كل يؤدي عنك حججك، ويشهد لك بربوبيتك، وكل ذلك موسوم بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، الذي أوصلت به إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر فيك، ورجم الاحتجاب دونك[٢]، فهي على اعترافها بك وإقرارها لك شاهدة أنك الله الذي لا إله إلا أنت لا تأخذك السنات، ولا تدركك الصفات، ولا تملكك الأوهام[٣]، وإن حظ الفكر فيك

---

(١) العادلون بالله الذين يعدلون به غيره أي يسوون بينه وبين غيره في العبادة والتعظيم وأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] فإن كانت الباء متعلقة (بكفروا) يكون المعنى أن الذين كفروا بربهم يعدلون عن الحق أي ينحرفون عنه وإن كانت الباء متعلقة بـــ(يعدلون) يكون المعنى أن الذين كفروا يعدلون بربهم في العبادة غيره.

(٢) يريد أن الأنسان بمعرفته التي أوصلها إلى القلوب بسبب الآثار الدالة عليه والمشيرة بانتساب كل كمال حقيقي إليه قد شغلها عن الفكر فيه الموجب للوحشة وعن الرجم بالظنون الذي ينشأ عن الاحتجاب عن العيون.

(٣) مقتضى الظاهر لا إله إلا هو ليرجع الضمير إلى الذي تقول "أنت الله الذي لا إله إلا هو" كما تقول: "هو الله الذي لا إله إلا هو" وعدل هنا عن الظاهر وأتى بضمير الخطاب عوضا عن ضمير الغيبة لما في ضمير الخطاب من الإشعار بالحضور وعدم الغيبة وقد جاء ذلك كثيرا في كلامهم.

الاعتراف بك واليأس من كل معبود سواك، لا إله إلا أنت تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

الله أكبر الله أكبر محمد سليل الحواصن، ولباب خير المعاون[١]. ابتعثه الله نبيا، وانتخبه نجيا، واصطفاه وليا[٢]، طيبا طاهرًا اعربيا، وجيها مشرفا قرشيا، صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما أعزهم به وكرم (ثم تكبر ثم تقول) عباد الله إن يومكم هذا يوم عظيم، وعيد كريم، فرضه رب رحيم، ختم به شهر الصيام، وافتتح به شهور حج بيته الحرام، أحل لكم فيه الطعام، وحرم عليكم فيه الصيام، يوم تسبيح وتهليل وتكبير وتعظيم، وتقديس وتمجيد وتحميد، عظم الله حرمته، وبسط فيه بركته، ونشر فيه رحمته، فلا تسأموا ذكر الله ودعاءه، واستغفاره واستعفاءه[٣]، في هذا اليوم العظيم، الذي عسى كثير منكم لا يناله بعد عامه هذا فإن الله ذاكر من ذكره، زائد من شكره، ومعذب من كفره.

الله أكبر الله أكبر، ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، صلاة رغبة ورهبة وخشية وطاعة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الله أكبر الله أكبر وأخرجوا من مال الله الذي آتاكم حق الزكاة المفروضة عليكم، فإن الله آتاكم المال هبة وفرضا، وسألكم منه قليلا قرضا، فقال جل جلاله: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التغابن: ١٨، ١٧].

الله أكبر الله أكبر ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] الآيتين.

---

(١) الحواصن العفائف وهو جمع حاصن يقال امرأة حاصن وحصان ومحصن إذا كانت عفيفة وفي نسخة سليل الحصائن والحصائن جمع حصان بالفتح قال حسان:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

والسليل الولد والأنثى سليلة وسلالة الشيء ما استل منه.

(٢) النجي الذي تساره وقد يكون النجي جماعة كالصديق قال تعالى: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠].

(٣) سئم من الشيء وسئمه مله وضجر منه، والاستعفاء طلب العفو والإقالة.

الله أكبر الله أكبر وافترض الله حج بيته على من استطاع إليه سبيلا من عباده، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الله أكبر الله أكبر وجاهدوا في سبيل الله كما أمركم، وتنجزوا بالجهاد موعدكم. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾. إلى قوله ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

الله أكبر الله أكبر، وأطيعوا الله فيما أمركم به من بر الوالدين وصلة الأرحام، وعدل النصفة في الأحكام، والاسترجاع عند فجائع الأيام، ووفاء المكاييل والموازين، والعدل في قسمة المواريث واللين في معاشرة النساء، وحسن الصحبة للمماليك والأرقاء، والكنافة للجيران والأدنياء وأبناء السبيل الأجنباء[1].

والتفضل بكظم الغيظ، والتجاوز عن الاقتصاص، ودفع السيئة بالحسنة والوصاة بالأقارب، وإفشاء التحية للأجانب، فإنه ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

الله أكبر الله أكبر واجتنبوا ما نهاكم الله عنه من مقارفة الزنا، ومعاقدة الربا، وقذف المحصنات بالفرى، والتزين بأعمال الريا، ونكاح النساء من الأمهات والبنات والأخوات، وذوات المحرم المحرمات، وحرم عليكم التعرض للآثام، بأكل المال من جميع الأنام، ونهى عن الهمز واللمز والنميمة والسخري والكبرياء، وسوء الظنة بالأبرياء[2]، والطعن على الأئمة الصلحاء، وحض على تأديب الأهلين، والتنفل بإطعام المساكين، والاستغفار للسلف الماضين، رحمة الله عليهم أجمعين.

---

(١) الكنافة مصدر كنفه إذا حاطه وصانه وبابه نصر والكنف بفتحتين الجانب، والأدنياء جمع دني وهو القريب، أبناء السبيل السابلة في الطرق المختلفة، والأجنباء جمع جنيب فيما يظهر والجنيب الغريب وبابه ظرف.

(٢) الهمز التعييب والهمزة الذي يعيب الناس ويكثر من ذلك فإن لم يكثر فهو هامز، واللمز شبيه بالهمز في معناه وتصاريفه، والنميمة نقل الحديث على جهة الإفساد، والسخرى بالكسر الهزء وبالضم تكليف العمل بلا أجرة ومنه سخرت فلانا تسخيرا، والظنة التهمة والظنين المتهم، والأبرياء جمع بريء.

الله أكبر الله أكبر واجتنبوا الخمر فإنها أوبق مصائد الشيطان، ورأس الإثم والعدوان، ومفتاح الفسوق والعصيان، وأعطب موارد الإنسان[١]، تزيل ما ألبسكم الله بهجته، وألزمكم بكم حجته، وسلك بكم محجته، من العقل الذي من عدمه بهم، ومن لزمه علم، ومن ائتمه سلم[٢]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

الله أكبر الله أكبر، وأخرجوا من خالص أموالكم الفطرة فإنها تمام صيامكم. وطهرة لأبدانكم، عن كل واحد من عيالكم، صغير أو كبير. فطيم أو رضيع، ذكر أو أنثى، حر أو عبد. صاعا من بر أو صاعا من شعير. أو صاعا من تمر أو صاعا من زبيب. أو صاعا من ذرة أو صاعا من أقط. تقربا إلى الله ربكم[٣]، فإن الله شاكر يحب الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين.

الله أكبر الله أكبر، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، الذين أعز الله بهم دعوتكم وأظهر بهم غناءكم[٤]، فهم أهل بيت النبوة والخلافة، وحمال الأمانة وعندهم ودائع الكتاب والسنة، فأفوا لهم بعهدهم، وأطيعوا الله ما أطاعوه بطاعتهم.

الله أكبر الله أكبر، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الآية [الحجرات: ١٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ الآية

---

(١) أعطب أي أشد إعطابا أي إهلاكا ومثله أوبق فإنه بمعنى أشد أيباقا أي إهلاكا وقد اعترض الكندي على اشتقاقه اسم التفضيل من الرباعي وقد سبق الجواب عن مثل ذلك.

(٢) قال الكندي: استعمل بهم في معنى صار بهيمة والوجه أن يقال استبهم فإن كان منقولا فهو نادر اه، والظاهر أن بهم لم يسمع ومثله انبهم وإن اشتهر استعماله عند النحاة في قولهم التمييز هو المفسر لما انبهم.

(٣) الفطرة هنا ما يخرج عقب رمضان من الأشياء المنصوص عليها قال الكندي الفطرة التي يعنى بها صدقة الفطر كلمة مولدة ليست عربية وقال في المصباح قولهم تجب الفطرة هو على حذف مضاف والأصل تجب زكاة الفطرة وهي البدن فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه واستغني به في الاستعمال لفهم المعنى، والبر بالضم القمح، والذرة بوزن ثبة حب معروف أصلها ذرو أو ذري والهاء عوض، والأقط بوزن كتف وهو كما قال ابن الأثير لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

(٤) الغناء بالفتح والمد النفع والكفاية يقال أغنى فلان في الحرب غناء إذا كفى في الدفع وبالكسر والمد السماع وبالكسر والقصر اليسار.

[الحجرات: ١١] إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين، كلام رب العالمين، وتقرأ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] الآية.

الخطبة الثانية للعيد

(يكبر سبعا ثم يقول): الحمد لله بديء البديئين، وبديع البديعين[1] وديان يوم الدين، وفاطر خلق العالمين، ومحصي أعمال الكادحين، أحمده حمدا يفوق حمد الحامدين، وأستعينه إنه خير المعينين، وأتوكل عليه إنه ثقة المتوكلين، ورجاء المؤملين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غير مستكبر مع المستكبرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين، أرسله رحمة للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، فبلغ ما أرسل به مع المرسلين، وعبد الله مطيعا حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه في الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد عباد الله: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر: ١٥-١٧]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، إلى قوله: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

الله أكبر الله أكبر ثم يقول إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته، وأيَّه بالمؤمنين من عباده إلى آخر الخطبة التي يخطب بها في الجمع.

---

(١) البديء: الأول كالبدء والسيد المقدم والمخلوق والأمر البديع قال بعضهم وقد يكون البدء بمعنى المبتدئ أوالبادئ فيكون معنى بديء البديئين أول الأولين أو خالق كل مبدع عجيب، والبديع الموجد لا عن مثال سابق والبديع العجيب الذي لا يوجد مثله فيكون معنى بديع البديعين موجد كل شيء لم يسبق له مثال.

خطبة يوم النحر

يكبر تسعا ثم يقول بعد التكبير ما ذكرناه في أول خطبة الفطر إلى آخر القول من قوله جل ثناؤه ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] ثم يقول: عباد الله، إن الله جل ثناؤه لم يرض من الذكر إلا بالكثير، فقال تعالى ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٢] فاذكروا الله كما أمركم واشكروه على ما هداكم فإنه ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ألا وإن يومكم هذا يوم شريف شرفه الله وعظمه، وأوجب حقه وحرمه، وجعله عيدا حراما في يوم حرام من شهر حرام متقدم لشهر حرام، مقتف لشهر حرام[1] من أيام وشهور عظام، مباركات مفضلات على الشهور والأيام، ومجمعا لأهل طاعته، ومحضرا يرجى فيه عفوه وتجاوزه[2]، وعدة لطلب مغفرته، وموضعا للرغبة والرهبة والإقالة والاستقالة والإنابة والاستجابة، يقضي فيه التفث، ويجتنب فيه الرفث[3]، وتجب فيه الإنساك، ويرجى فيه الفكاك[4]، فعظموا عباد الله ما عظم الله من حرمة يومكم هذا بالإيثار لطاعته، والنزوع عن مساخطه ومخالفته[5]، والتوبة إليه فإنه ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]، وأحضروه بسكينة ووقار ونيات خالصة، فإن بالنيات الخالصة والأعمال الصالحة يستنقذ الله أهل الذنوب من

---

(١) يريد أن يوم النحر واقع في شهر حرام وهو ذو الحجة وذو الحجة مقتف لشهر حرام وهو ذو القعدة ومتقدم على شهر حرام وهو المحرم، والمقتفي من اقتفيت فلانا إذا تبعته ومشيت على أثره.

(٢) المجمع والمحضر وقت الاجتماع والحضور.

(٣) التفث ما يمنع منه المحرم من قص الأظفار وحلق الرأس وما أشبه ذلك، والرفث ملامسة النساء ودواعي ذلك.

(٤) الإنساك جمع نسك وهو العبادة وقد يسمى القربان نسكا لكون تقريبه عبادة، والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك وهي جمع نسيكة بمعنى الذبيحة.

(٥) النزوع الإقلاع والكف، والمساخط جمع مسخط وهو ما لا يحبه سبحانه.

مصارع الهلكة وينجيهم من الخطايا الموبقة[١].

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الحمد لله على التعريف والهداية، والصنع في التكليف والكفاية، والحمد لله على عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وجسام منن والاها[٢].

جم عن الإحصاء عدده، ونأى عن المجازاة مدده، وفات الإدراك أمدها[٣]، استن الشكر بأفضالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، ومن بالندب إلى أكمالها[٤].

والحمد لله على إلهامنا توحيده وتحميده، وإنطاقه ألسنتنا تمجيده، وإيداعه صدورنا توحيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، خاضعة له البرايا بتصويرها شاهدة على الخلائق بتقديرها، متذللة بحوادث تدبيرها، دالة بوجودها على عدمها، عبرا أوضحها على بهمها[٥]، بإنشائها تجلى الرب لها، وبفطرته لها احتجب عنها، وبخلقه إياها احتج عليها[٦]، وأشهد أن محمدًا عبده المختاره الله قبل أن يجتعله، والمجتبيه قبل أن يجتبله، والمصطفيه قبل أن يبتعثه، والمسميه قبل أن يمتشجه[٧]، إذ

---

(١) قال الكندي الصواب انه بالنيات الخالصة بإثبات ضمير الشأن والحديث وحذفه في الشعر قبيح فكيف في النثر اه. وذلك لأن ضمير الشأن إذا لحق كان استكن مثل كان زيد قائما أي كان الشأن وإذا لحق الحرف لم يجز أن يستكن لأن الحرف لا يضمر فيه قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ﴾ [طه: ٧٤] وقد جاء محذوفا في الشعر قال الشاعر:

إن من يدخل الكنيسة يوما ... يلق فيها جآذرا وظباء

والمصارع جمع مصرع وهو موضع الصرع.

(٢) السبوغ السعة، والآلاء النعم، وأسداها أعطاها، ووالاها تابعها.

(٣) جم كثر، ونأى بعد، والمدد ما تمد به، والأمد الغاية.

(٤) استحمد طلب أن يحمده تمجيده منصوب على أنه مفعول ثان لإنطاقه إذ ضمن معنى التعويد وما أشبهه وإنما التزم التضمين لأن أنطق يتعدى إلى المفعول الثاني بالحرف تقول أنطقني الحق بكذا ويحتمل أن ينصب على أنه مفعول من أجله.

(٥) البهم مصدر بهم والمعروف استبهم الشيء استبهاما إذا أشكل أمره.

(٦) قال السيد الشريف التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة.

(٧) المختاره الله قبل أن يجتعله أي الذي اختاره الله قبل أن يصنعه قال في القاموس واجتعله صنعه، والمجتبيه قبل أن يجتبله أي الذي اجتباه قبل أن يجبل طينته، والمسميه قبل أن يمتشجه =

الخلائق بالغيوب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة[١]، علما من الله بمنازل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومجلبة لمواقع المقدور، فبعثه إتماما لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذ لمقادير حتمه، معه برهان الله من الرسالة، وهداية العباد من الضلالة، ونقلهم إلى العلم من الجهالة، والأمم فرق في أديانها، عابدة لأوثانها، عاكفة على نيرانها، متمردة في عدوانها، مصرة على إدمانها، منكرة لله في عرفانها، فأنار الله بمحمد صلى الله عليه ظلمها، وفرج عن القلوب غممها، وجلا عن الأبصار بهمها، مؤيدا بالنصر أولياء مخذولا بالعتو أعداء، فاستخلص الله لنبيه صلى الله عليه أنصارا من خيرته، متآزرين على إظهار ملته، مستبصرين بحقائق رسالته، بهم تمم الله موعود نصره. وإياهم أودع خلائص ذكره[٢]، وإليهم ساق معالم أمره، وإياهم اختص بجزيل أجره، وعليهم أكد ميثاق نذره، وفيهم رد بصائر عذره[٣]، حتى استنفدت المدة أيامها، وأظهرت الملة أحكامها، وبينت البصائر أعلامها[٤]، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين[٥]، فقبض الله محمدًا صلى الله عليه قبض رأفة ورحمة واختيار، ورغبة وإيثار، عن لعب هذه الدار، موضوعا عنه عبء الآثار، محفوفا بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار[٦]، فصلى الله على محمد وعلى آل محمد آناء الليل وأطراف النهار، وأنتم اليوم عباد الله نصب أمر الله ونهيه، وحمال دينه ووحيه، أمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم حولكم، وعهداؤه على الوفاء بميثاقكم[٧]، لله فيكم عهد قدمه إليكم.

=

أي الذي سماه قبل أن يخلط أمشاجه ولم يذكر في القاموس وشرحه امتشج.

(١) إذ الخلائق بالغيوب مكنونة أي والخلائق مستورة بالغيب، والأهاويل جمع أهوال وهي جمع هول وهو ما يفزع منه ولعل المراد به هنا العدم المحض.

(٢) خلائص جمع خلاصة وهو ما يخلص من الشيء المشوب.

(٣) الميثاق العهد واليمين، ووكدت القول والعقد وأكدته بمعنى أحكمته قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١]، والبصيرة البرهان والاستبصار في الشيء يريد أنه وضع فيهم برهان عذره إلى خلقه.

(٤) بينت البصائر أعلامها أي أظهرت البراهين رسومها وأماراتها.

(٥) الزعيم الرئيس والمتكفل بالشيء.

(٦) العبء الثقل، والآصار العهود ووضع عبأها عنه كناية عن الوفاء بها والخروج من عهدتها.

(٧) البلغاء جمع بليغ وأراد به المبلغ ولعله لم يسمع بهذا المعنى، والعهداء جمع عهيد وهو المعاهد.

ومعذرة استخلفها عليكم. ورسالة أشاد بها فيكم[١]، كتاب الله بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مديم للبرية أسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة أشياعه، فيه بيان حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومواعظه المكررة، ومحارمه المحذرة، جملة كافية، وفسرة شافية، وتبيانة جالية[٢]، فضائل مندوبة، ورخص موهوبة، وفرائض مكتوبة[٣]، وسنن متبوعة، وشرائع مشروعة، ومنسوخات موضوعة[٤]، جعل الله الإيمان به دعامها، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة نظامها، والغسل وإسباغ الوضوء تمامها، والصدقة والصيام سنامها، والحج والجهاد قوامها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوامها، والوفاء بالعهود والنذور زمامها، ثم أمر ببر الوالدين وصلة الأرحام، وعدل النصفة في الأحكام، والاسترجاع عند فجائع الأيام[٥]، ووفاء المكاييل والموازين، والعدل في قسمة المواريث، واللين في معاشرة النساء، وحسن الصحبة للماليك والأرقاء، والكنافة للجيران الأدنياء، وأبناء السبيل الأجنباء[٦]، والفضل بكظم الغيظ، والتجاوز عن الاقتصاص ودفع السيئة بالحسنة، والوصاة بالأقارب، وإفشاء التحية للأجانب[٧] وحرم عليكم كل نجس من المطاعم والمشارب، ﴿ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣]، وذكر غير اسمه عليه، ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾ [المائدة:

---

(١) أشاد بها فيكم أي أذاع ذكرها ورفع قدرها.

(٢) جملة منصوب على الحال مما عدده سابقا، والفسرة المرة الواحدة من الفسر وهو البيان، والتبيانة الواحدة من التبيان.

(٣) فضائل خبر مبتدأ محذوف تقديره هي.

(٤) موضوعة أي مرفوعة عنا.

(٥) الاسترجاع قول القائل عند الملمات إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) الأجنباء الغرباء وهو جمع جنيب والقياس يقتضي أن يكون الجمع جنباء مثل غريب وغرباء وإنما يجمع فعيل على أفعلاء إذا كان معتلا مثل غني وأغنياء أو مضاعفا مثل طبيب وأطباء.

(٧) التحية أصلها مصدر حياة إذا قال له حياك الله أي جعل لك حياة ثم جعل كل دعاء تحية لكونه غير خارج عن الدعاء بحصول البقاء أو سبب من أسبابه ثم جعل في العرف في دعاء مخصوص وهو السلام عليكم، ومعنى التحيات لله البقاء وقيل الملك، ومعنى السلام عليكم السلامة عليكم وقيل معناه اسم السلام عليكم والسلام من أسمائه تعالى يذكر توقعا لاجتماع معاني الخيرات فيه وإنما أتى بعلى لإفادة الاشتمال والإحاطة.

٣] إلا ما اضطررتم إليه من ذلك كله في المساغب، وأيام القحم في الشصائب[١]، وحرم عليكم مقارفة الزنا، ومعاقدة الربا[٢]، وقذف المحصنات بالفرى، والتزين بأعمال الريا، ونكاح النساء من الأمهات، والبنات والأخوات، وذوات المحرم المحرمات، وتبعل الأزواج من المحصنات، والأيامي المعتدات[٣]، وحرم عليكم التعرض للآثام، بأكل المال من جميع الأنام، ونهى عن الهمز واللمز والنميمة والسخرى والكبرياء، وسوء الظنة بالأبرياء، والطعن على الأئمة الصلحاء، وحض على تأديب الأهلين، والتنفل بإطعام المساكين، والاستغفار للسلف الماضين، رحمة الله عليهم أجمعين.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، وهذا يوم محضره زكاة، ولصالح عملكم منماة[٤]، ولسوالف ذنوبكم ممحاة، ومن مؤتنف آثامكم منجاه[٥]، فاتبعوا فيه السنة، واستوجبوا فيه المنة، بإراقة دم سائل، وإتمام نسك كامل، وإطعام المعتر والسائل، وقسم للمتعفف الخامل[٦]، قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ [الحج: ٣٧] الآية، فإذا انصرفتم إن شاء الله إلى منازلكم، فمن كانت له أضحية فليبدأ بها، وليستقبل بها القبلة وليكبر الله وليذكر اسمه، ولينحرها نحرا، ولا ينخعها نخعا[٧]، وليقل اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم

---

(١) المنخنقة التي انخنقت بحبل أو غيره فماتت، والموقوذة التي تضرب بعصا ونحوها حتى تموت، والمتردية هي التي تسقط من مكان عال أو في بئر فتموت، والنطيحة هي التي نطحت فماتت، وما أكل السبع يعني بقية فريسته، والمساغب جمع مسغبة وهي المجاعة، والقحم جمع قحمة بوزن غرة وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد والقحمة أيضا السنة المجدية وهو المراد هنا، والشصائب جمع شصيبة وهي الشدة والجدب وقد شصب عيشه شصوبا إذا اشتد.

(٢) المقارفة المداناة والاكتساب.

(٣) التبعل التزوج والأزواج الزوجات يقال فلان زوج فلانة وهي زوجة، والمحصنات ذوات الأزواج، والأيامى اللاتي لا أزواج لهن وإذا كن في العدة لم يجز التزوج بهن.

(٤) محضره حضوره، وزكاة طهارة، ومنماة نماء أي سبب للنماء وقس عليه ممحاة ومنجاة.

(٥) والمؤتنف المستقبل.

(٦) المعتر المتعرض للسؤال من غير تصريح، والقانع هو السائل فالقانع في مقابلة المعتر من قنع قنوعا من باب سأل.

(٧) النخع أشد القتل حتى يبلغ الذبح النخاع وهو الخيط الأبيض الذي في فقار الظهر ويقال له خيط الرقبة وفي الحديث لا تنخعوا الذبيحة حتى تجيب أي لا تقطعوا رقبتها وتفصلوها قبل =

خليلك، ومحمد نبيك، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين أقرنين أملحين موجوءين[١]، ينظران في سواد، ويمشيان في سواد، ويبركان في سواد[٢]، واضعا قدمه على أعناقهما، مستقبلا بهما القبلة، فلما ذبح الأول، قال بسم الله والله أكبر اللهم هذا منك ولك، اللهم هذا عن محمد وآل محمد، ثم ذبح الآخر، وقال بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عمن شهد لي بالبلاغ وشهدت له بالتصديق، ولقى الله لا يشرك به شيئا معظمة لله شعائره، محتبسة لدينه ذخائره، موفرة على أهل الفاقة عشائره[٣]، مضت السنة رحمكم الله باستسمانها، والمغالاة بأثمانها، والتجنب لنقصانها، من عضب في آذانها، أو هتم في أسنانها[٤]، أو خور في أركانها، أو عوار في أبدانها[٥]، لا أضحية على طفل ولا جنين، ولا على معسر مسكين، الذبح بالملة، والفضل بالتسمية، والادخار بالرخصة، واستنفاد الطعام نافله، البقرة عن سبعة، والبدنة عن سبعة الثني عن المعز والجذع من الضأن مجزاه[٦]، ولا ذبح إلا بعد الصلاة، والذبح يوم النحر ويومين بعده مقبول، والتشريق ثلاثة أيام بعد يوم النحر[٧]، والتكبير سواء في المصر وغير المصر في

=

أن تسكن حركتها.

(١) الأقرن التام القرن، والأملح الذي فيه سواد وبياض قال ابن الأثير الأملح الذي بياضه أكثر من سواده، والموجوء المرضوض الأنثيين والمراد بكونهما موجوءين أنهما كانا خصيين.

(٢) قال ابن الأثير فيه أنه ضحى بكبش يطأ في سواد وينظر في سواد ويبرك في سواد أي أسود القوائم والمحاجر والرابض.

(٣) عشائره جمع عشير وهو العشر وأراد بذلك الأجزاء وقال الكندي الصواب عتائره جمع عتيرة وهي الذبيحة.

(٤) العضب في الأذن ذهاب بعضها ويأتي بمعنى انشقاقها يقال عضبت الشاة من باب غضب إذا انكسر قرنها ويقال عضبت الشاة والناقة إذا أنشق أذنها والذكر أعضب والأنثى عضباء قال ابن الأثير قد يكون العضب في الأذن إلا إنه في القرن أكثر، والهتم انكسار الثنايا وهو فوق الثرم ولهذا قال بعضهم انكسرت من أصلها يقال هتم هتما من باب ضرب إذا كسرتها.

(٥) الخور بفتحتين الضعف تقول خار يخور خورا إذا ضعف وأما خار يخور خوارا فهو بمعنى صاح، والعوار بالفتح العيب وقد يضم.

(٦) البدنة هي الناقة وجمعها بدن بضمتين وإسكان الدال تخفيف الثني من المعز والبقر ما دخل في الثالثة، والجذع من الضأن ما له ستة أشهر وقيل سنة، ومجزاة بغير همز مفعلة من جزى عنه إذا قضى عنه وكفى.

(٧) قال في المصباح أيام التشريق ثلاثة قيل سميت بذلك لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها أي تقدد

=

صلاة الفرض إلى انقضاء صلاة العصر من آخر أيام التشريق، فعظموا شعائر الله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٣٢، ٣٣]، وتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، ﴿ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين، كلام رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وتقرأ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، ثم يجلس بعد قوله بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم.

(ويبتدئ بالتكبير عند قيامه، فيكبر سبعا ثم يخطب الثانية)

خطبة في ذكر القيامة

الحمد لله العلي على ضروب الممالك، الخلي من النسيب والمشارك، البعيد من الضريب والمشابك، النزيه عن المناوي والمماحك[١]، الذي أسعد بجواره من خافه واتقاه، وأبعد إلى ناره من آسفه فأشقاه[٢]، أحمده على ما استأثر به من نعمه وأبقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة من الشدائد يوم ألقاه[٣].

= في الشرقة وهي الشمس وقيل تشريقها تقطيعها وتشريحها.

(١) الضريب الشريك وسمي بذلك لأن كل واحد يضرب بنصيب فيما يشتركان فيه أو الضريب المماثل لأنه في الأصل الذي يضرب معك في المسير وهو الرفيق في السفر وكانوا لا يسافرون إلا مع مماثل، والمناوي المعادي والمخالف وأصله الهمز تقول ناوأت فلان مناوأة ونواء إذا عاديته، والمماحك المنافس المضايق.

(٢) آسفه أغضبه، وقوله فأشقاه معطوف على أبعد.

(٣) استأثر الله بفلان إذا قبضه إليه ورجي له الغفران لديه يريد هنا أنه يحمد المولى سبحانه على ما أخذ وعلى ما أبقى إشارة إلى أن أخذه سبحانه أيضا عطاء، ولا ريب في ذلك لا ريب كشف عنه الغطاء.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله دليلا على الرشاد، وكفيلا بإنجاز الميعاد، ومذكرا بيوم المعاد، ومحذرا من الإبعاد، فدل على التجارة الرابحة، وشرع مناهج السبل الواضحة، وألزم الحجة بالدلائل اللائحة، ولم يأل جهدا في المناصحة[١]، حتى رفل الدين في أذياله، واعتدل في جميع أحواله[٢]، وأقبل إليه الناس بإقباله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أيها الناس: اهتفوا بالقلوب لعلها تهب من وسن رقادها، واصرفوا أعنة أهواء النفوس عن موارد إبعادها[٣]، واعرفوا آجل إصدار الأمور بعاجل إيرادها، واقتفوا في دار النقلة والزوال آثار زهادها[٤]، فقد ناحت الدنيا على أهلها بألسن انقلابها، ولاحت لهم من الآخرة شواهد اقترابها[٥]، وأنتم عما قد أظلكم منها غافلون، وبما غركم وألهاكم عنها متشاغلون[٦]، كأنكم بحقيقة معرفتها جاهلون، أو كأنكم إلى دار غيرها راحلون، فارفضوا رحمكم الله ما أنتم عنه منقلبون، وانهضوا في التزود لما إليه تؤولون[٧]، فإن صيحة تشقق القلوب عن حباتها، وتلحق الأحياء بأمواتها[٨]، لأهل أن يطيش العقول ذكر ميقاتها، وتذهل النفوس عن ملذة حياتها[٩]، وتسيل من العيون سجال عبراتها، وتشغل الجوارح باكتساب حسناتها[١٠]، فكيف ومن ورائها صيحة

---

(١) ألا من باب علا قصر والجهد بضم الجيم وفتحها الطاقة وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ .

(٢) رفل الدين في أذياله أي أمن فمشى مشي متبختر في ثوب سابغ.

(٣) اهتفوا بالقلوب صيحوا بها يقال هتف به يهتف بالكسر هتافا بكسر الهاء إذا صاح به، والوسن والسنة أول النوم.

(٤) اقتفوا اتبعوا تقول اقتفيت أثر فلان إذا تبعته.

(٥) لاح الشيء ظهر وأصله من لاح البرق وألاح إذا أومض.

(٦) أظله كذا قرب منه وأشرف عليه.

(٧) ارفضوا اهجروا واتركوا، وتؤولون ترجعون وتصيرون.

(٨) حبة القلب سويداؤه.

(٩) طاش الرجل لحقه النزق والخفة وأطاشه غيره، وطاش السهم عن الهدف عدل عنه وأطاشه الرامي.

(١٠) السجال جمع سجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء قل أو كثرولا يقال لها وهي فارغة سجل ولا ذنوب.

العرض، الجامعة أهل السماء والأرض، في صعيد صعب المراد، مدلهم القتام[١]، ضنك المقام، حرج اللزام[٢]، تستك فيه الأسماع من رعد القلوب، وتحيق الأفزاع بأهل الذنوب[٣]، وتشخص الأبصار لتوقع المرهوب، وتفحص الأسرار في اليوم الدبوب، ويتجلى الرب لمحاسبة المربوب[٤]، وهو الكفيل برد المظالم والغصوب، فمن الناهض بإقامة الجواب، عند وقوع السؤال لفصل الخطاب، عند دعاء الداعي إلى الشيء العجاب، عند هتك الأستار وستر الأنساب، هنالك يسمعون النداء من قبل الجبار، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، اليوم أسم جباه المجرمين بسمات العار، اليوم اقتص للمظلوم من الظالم بالصغار[٥]، اليوم أجعل الأعمال قلائد في الرقاب، اليوم أحم أحمل الكتاب على حكم الكتاب، اليوم أنتقم ممن غره حلمي وإرخاء الحجاب، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، أظلنا الله وإياكم في ذلك اليوم بظل عرشه، ووقانا وإياكم أليم بطشه، وأعاذنا وإياكم من غضبه، وجعلنا وإياكم له وبه، إن أمتع النظام العذب، وأوقع الكلام في القلب، كلام الصمد الرب: وتقرأ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ [الزمر: ٦٨] الآيات الثلاث.

خطبة في ذكر النار

الحمد لله مثج السحائب ومفيضها، ومزخر البحار ومغيضها، ومحصي تلاع الأرض وحضيضها[٦]، ذي القدر المقدور، والبأس المحذور الناشر بقدرته من في

---

(١) الصعيد وجه الأرض، والمراد المطلوب، والمدلهم الشديد الظلمة، والقتام الغبار.

(٢) الضنك الضيق، والحرج الضيق أيضًا، واللزام الملازمة.

(٣) استكت مسامعه استكاكا صمت وانسدت، والرعد جمع رعدة مثل سدر في جمع سدرة والأفزاع جمع فزع وهو الخوف ويجوز أن يقرأ بكسر الهمزة فيكون مصدر أفزعه إذا أخافه ويذكر حينئذ الفعل المسند إليه، وحاق به الشيء نزل به وأحاط به.

(٤) وتفحص الأسرار تختبر ويفتش عنها، والدبوب النمام وفي طرة نسختنا قال شيخنا شرف الدين عبد العزيز الأنصاري الدبوب والديبوب النمام ومنه لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع ويقع في بعض النسخ بالذال المعجمة والنون ذهابا إلى صفة اليوم بالطول على التشبيه بالفرس الذنوب والأول أصوب لملائمة قوله وتفحص الأسرار اهـ.

(٥) السمة العلامة ووسمه بسمة علمه بها، والصغار بالفتح الذل والضيم.

(٦) المثج المسيل من اثججت الماء إذا أسلته وصببته بشدة والمشهور في هذا الفعل حذف الهمزة =

القبور[١]، أحمده حمد من صرف بالجود عدمه، وربت عنده صنائعه ونعمه، وأجزلت له أياديه وقسمه[٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة قرب بعيدها، وسهل شديدها، وانتصب بالإخلاص عمودها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى أمة ضالة فهداها، وبهم ساغبة فرعاها، وسوام طريدة فآواها[٣]، وكان كما ذكر الله تعالى بالمؤمنين رحيما، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أيها الناس: إن نصح المسلمين فريضة سابقة، وفضيلة لاحقة، فرب غافل أيقظه عتب، وراقد نبهه خطب، والوصية دعيمة العاقل، والوعظ غنيمة الغافل[٤]، فرحم الله امرأ ذكر الموت ومشهده، والصراط ومورده، إذ الحكم الجبار، والشهود الأبرار والعمل مقدم، والسجن جهنم، فأين الفرار إذا لفح هجيرها، واضطرم سعيرها،

=

يقال ثججت الماء إذا اسلته وثج الماء إذا سال وأنصب بنفسه فهو مما يتعدى ولا يتعدى، والمزخر من أزخر الله البحر إذا مده ورفع ماءه وثلاثيه زخر تقول زخر الوادي إذا ارتفع ماؤه وامتد وبابه خضع والمغيض من أغاض الله الماء إذا جعله غائرا في الأرض والمشهور في هذا الفعل أيضًا حذف الهمزة يقال غاض الماء إذا نقص وغار وغاضه الله فهو مما يتعدى ولا يتعدى وقد سمع أغاضه قليلا، والتلاع ما علا من الأرض واحده تلعة بوزن قلعة، والحضيض ما سفل من الأرض عند منقطع الجبل.

(١) الناشر المحيي تقول نشره الله والأكثر أن، يقال أنشره الله أي أحياه ونشر الميت إذا عاش بعد الموت ومنه يوم النشور.

(٢) العدم الفقر وفي نسخة أحمده حمد من صرف بالوجود عدمه فيكون العدم ضد الوجود، وربت نمت وزادت وبابه عدا، والصنائع جمع صنيعة وهي المعروف والإحسان، وأجزل له العطاء أكثره، والقسم جمع قسمة.

(٣) البهم جمع بهمة مثل تمر وتمرة والبهمة ولد الضأن يطلق على الذكر والأنثى، والبهمة بوزن غرفة الشجاع الشديد البأس وجمعه بهم قال في البردة:

طارت قلوب العدى من بأسهم ... فرقا فما تفرق بين البهم والبهم

والساغبة الجائعة، والسوام والسائم بمعنى وهو المال الراعي وسامت الماشية رعت وبابه قال فهي سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم، والطريدة المطرودة.

(٤) الدعامة بالكسر عماد البيت ولا يعرف دعيمه.

واقمطر دمقها وزمهريرها(١)، وسعت آفاتها، ونفخت حياتها(٢)، وصعدت ذوائبها، وعقدت عقاربها(٣)، وتفرقع شرارها، وارتفع غبارها(٤)، وقطب خزانها، وكلح أعوانها(٥)، وهمت بالصعود، وقالت هل من مزيد بطل والله هنالك حيل المحتال، ولم تغن الذخائر وكثرة الأموال، وحكم بعلمه الكبير المتعال، فلاقوا عباد الله ذلك اليوم بوجه مغسول، وقلب مجزول(٦)، فالطريق سهل، والحاكم عدل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾، أجارنا الله وإياكم من سقر، وألهمنا وإياكم الخوف والحذر، وصرف عنا وعنكم البوائق والغير، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين وتقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. الآية.

خطبة في ذكر الموت والمعاد

الحمد لله الذي جعل الحمد لوصف آلائه مفتاحا، وللراضين بقضائه وقدره مسباحا(٧)، وللمزيد من فضله ونعمائه ممتاحا، وأفصح به في أرضه وسمائه إفصاحا(١)،

(١) لفح أصاب، والهجير شدة الحر، واضطرم التهب، والسعير النار واللهب، واقمطر اشتد، والدمق ثلج وريح فارسي معرب، والزمهرير شدة البرد.
(٢) نفخت حياتها من النفخ وهو إنما يكون منها حال الغضب وإذا قرئت بالحاء تكون بمعنى ضربت وأصابت.
(٣) عقدت عقاربها رفعت أذنابها وقوستها.
(٤) تفرقع شرارها ضرب بعضه بعضًا حتى يسمع له صوت وهو مأخوذ من فرقعة الأصابع.
(٥) قطب بين عينيه جمع وبابه ضرب وجلس وقطب وجهه تقطيبا عبس، وكلح من باب خضع من الكلوح وهو تكسر في عبوس.
(٦) جذل كفرح وزنا ومعنى فهو جذل كفرح وجذلان كغضبان ولا يقال مجذول لأنه فعل لازم ولو قرئ بالدال المهملة زال الإشكال ويكون من الجدل وهو الفتل والمراد من القلب المفتول القلب القوي.
(٧) أراد بالفقرة الأولى أن الحمد أول ما يبدأ به في ذكر النعم فكأنه مفتاح لوصفها، ولم أجد المسباح في كتب اللغة التي عندي والظاهر أن المراد بها السبحة بوزن غرفة وهي خرزات منظومة يسبح بها وهي كلمة مولدة وقد ذكرت في شعر أبي العلاء قال:

يا مشرع الرمح في تثبيت مملكة   خير من المارن الخطى مسباح

ولعله أراد أن، الحمد هو تسبيح الراضين بالقضاء والقدر فإنهم يحمدون الله سبحانه في السراء والضراء.

أحمده حمدًا ينشر علينا من رحمته جناحا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدرك الشاهد بها فلاحا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المأخوذ ميثاقه على الأمم أشباحا، والمبعوث في دجنات الظلم مصباحًا[٢]، والموضح سبيل الحق لأهل الحق إيضاحا، صلى الله عليه وعلى آله مساء وصباحا.

أيها الناس: حل قضاء من كان للموت غريما، وقل بقاء من كان الدهر بفنائه زعيما، وجل مصاب من أصبح على ما يسخط مولاه مقيما، وذل جناب من اتخذ الحرص على دنياه نديما، لقد أبلغكم النذير إنذاره لو سمعتم، وسوغكم مننه وإنعامه فأضعتم، وضمن لكم أرزاقكم فما قنعتم، فراقبوا الله عباد الله واتقوه ما استطعتم[٣]، فإن تقوى الله حرز من الهلكات واق وكنز للمحيا والممات باق، من اتخذها صاحبا كانت له في ظلم القيامة نورا، ومن نبذها جانبا ركب من الندامة مركبا عثورا[٤]، فرحم الله امرأ خفض من جناحه، وقبض من مراحه[٥]، ونزع عن سوء اجتراحه، قبل أوان افتضاحه[٦]، فإن لكل أجل كتابا، ولكل غائب إيابا، ولكل مسألة جوابا، ولكل عمل ثوابا، وعند الموت يغص المرء بريقه، ويبين له محض عمله من مذيقه[٧]، وتشغله

=

(١) الممتاح الطالب للعطاء تقول امتاح زيد عمرا واستماحه إذا طلب إحسانه وماحه أعطاه وكل من أولى معروفا فقد ماح والآخذ ممتاح ومستميح وأراد بهذه الفقرة أن الحمد طالب للمزيد من الفضل وسبب له.

(٢) أشباح جمع شبح وهو في الأصل الشخص يتراءى من بعد وأراد به هنا الذر الذين أخذ عليهم العهد والميثاق وهم بعد في الأصلاب وهو مبني على حمل أخذ الميثاق على ظاهره ونصب أشباحا على الحال، والدجنات جمع دجنة بضم الدال والجيم وتشديد النون الظلمة وأصله من الدجن وهو الغيم الكثيف.

(٣) سوغكم مننه أصفاها لكم فساغت وسهل الاستمتاع بها.

(٤) المركب العثور الكثير العثار يقال عثر الفرس إذا كبا فهو عاثر فإذا كثر منه ذلك قيل عثور.

(٥) المرح شدة الفرح والنشاط وبابه طرب والاسم المراح بالكسر، وأما المراح بالفتح فهو الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه كالمغدى من الغداة وبالضم فهو حيث تأوى الإبل والغنم بالليل، وقبض قصر وكف.

(٦) نزع كف وأقلع، والاجتراح الاكتساب.

(٧) غص بريقه شرق به وهو من باب تعب، والمحض الخالص، والمذيق بفتح الميم المغشوش تقول مذقت اللبن والشراب بالماء مذقا من باب قتل إذا مزجته وخلطته واللبن مذيق وفلان يمذق الود إذ لم يخلص فيه.

مشقة ما نزل به عن ولده وشقيقه، كيف لا وقد أصبح شماتة عدوه ورحمة صديقه، يا له أسيرا لا يرتقب له الفداء، ومندوبا لا يسمعه النداء، وصريعا لا تجبر مصيبته، وغائبا لا تنتظر أوبته، قد فذلك الموت حساب رسومه، وهتك حجاب حريمه[١]، وأجل رزء حميمه، وأذل عز يتيمه[٢]، فصار قلبه مقيل الحسرة. وناظره سبيل العبرة[٣]، وعيشه حليف العثرة، ودعاء راحمه له بالحبرة[٤] على هذه السبيل.

أيها الناس: كما مضى من قبلكم تمضون، وإلى ما أفضي إليه أو لكم تفضون[٥]، وبأنياب المنية رعيلا رعيلا تقرضون، وعلى من لا تخفى عليه منكم خافية تعرضون[٦]، وأنتم لسفركم في التأهب ممرضون، وإلى ما يوفض بكم إلى حذركم توفضون[٧]، كأن الأصحاء منكم لا يمرضون، أو كأن الأحياء منكم لا يقبضون، أو كأنكم لا تدرون لسخط من تتعرضون، ولا تعلمون عهد من تنقضون، أو كأنكم على ثقة بفوز المآب تغمضون، هيهات هيهات ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[٨]، نزع الله منا ومنكم غل القلوب. ودفع عنا وعنكم ذل الذنوب[١]، ودفع عنا

---

(١) فذلك فعل ماض بمعنى جمع ما تفرق وليس هذا اللفظ أصيلا في العربية وأصله أن الحاسب يجمع التفاصيل ثم يقول فذلك كذا وكذا فاشتقوا من كلمة فذلك المركبة من فاء التعقيب واسم الإشارة ولام البعد وكاف الخطاب فعلا وهو فذلك وهو من قبيل النحت وقد صرفوه فقالوا فذلك يفذلك فذلكة وقد أبدع المتنبي في قوله في وصف فاضل جمع الفضائل:

ولقيت كـــل الفاضلين كأنمـــا ... رد الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

(٢) الرزء المصيبة والحميم القريب الذي تهتم لأمره.

(٣) العبرة بالكسر من الاعتبار وفي نسخة مسيل في موضع سبيل فتفتح عين العبرة وتكون بمعنى الدمع.

(٤) حبره سره وبابه نصر والحبور والحبرة بالفتح المسرة.

(٥) أفضي إلى الشيء صار إليه.

(٦) الرعيل القطعة من الخيل نحو الأربعين.

(٧) ممرضون متعللون متباطئون، توفضون تسرعون.

(٨) أغمض في الشيء تسامح فيه وتساهل، والنبأ كما قال الراغب خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله وخبر الرسول ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا ولتضمنه لمعنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك =

وعنكم كل مرهوب، وجمع لنا ولكم في الدارين كل محبوب[٢]، إن أبلغ ما ذهب به وحر الصدر، وأنفع ما وقعت به قوارع الزجر[٣]، وأنور ما أوقدت به مصابيح الفكر، كلام من يسر القرآن للذكر، وتقرأ: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

خطبة نكاح

الحمد لله المتفرد بالجلال في رفعة تعاليه، المتوحد بالكمال في منعة الوقار والتنزيه، القائم بالعدل فيما يقدره ويقضيه، المنعم بالبذل فيما ييسره ويسديه[٤]،

=

أعلمته كذا قال عز وجل: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧] وقال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النبأ: ١، ٢].

(١) الغل بالكسر الغش والحقد وقد غل صدره يغل بالكسر.

(٢) المرهوب المخوف.

(٣) الوحر بفتحتين كالغل.

(٤) التقدير هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك، والقدر هو تعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين، والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية عليها من الأزل إلى الأبد فالتقدير الحكم على الشيء بأن يكون كذا على سبيل الوجوب أو على سبيل الإمكان والقضاء الفصل في الحكم فيه فكل مقضي مقدر وليس كل مقدر مقضي فالمقدر ما لم يكن مقضيا يرجى أن يدفعه الله، ومعنى كونه قائما بالعدل أنه أعطى كل شيء خلقه ووفى كل ذي حق حقه ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها بأسرها خرج من غلبة الأوهام وأسرها:

(الأولى): إن كل كائن فهو بمشيئته تعالى وتقديره وخلقه. (الثانية): أنه قدر كل شيء بحسب ما اقتضته الحكمة واستعداد ذلك الشيء. (الثالثة): أنه يحب الخير ولا يحب الشر وخلق ما خلق من الشر لما تضمنه من الحكم والأسرار ولكونه تابعا لخير أوفى منه في المقدار وإذا قيل أما كان يمكن وجود تلك الحكم والأسرار بدون ذلك قلنا من أين نعلم أن ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة وقد تقرر باتفاق العقلاء أن القدرة لا تتعلق إلا بالممكن وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزا (الرابعة): أن الخلق إن أريد به المصدر فهو حسن مطلقا وإن أريد به غيره فمنه حسن ومنه غير حسن. (الخامسة): أن العبد غير مجبور على فعله وعلم الله تعالى في الأزل بما يأتي به العبد لا يقتضي كونه مجبورا عليه فإن العلم بما يفعله المختار لا يوجب الاضطرار ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيه كان الحق تعالى غير مختار في أفعاله لعلمه بها في الأزل نعم ليس

=

أحمده على ما ظهر من نعمه وأياديه، حمدًا يتقبله منا ويرتضيه، ويمترى ما تأذن من المؤيد لشاكريه، وأؤمن به إيمان من يحذره ويتقيه، وأستعينه على العمل بطاعته وأستهديه، وأعوذ به من مخالفته وارتكاب معاصيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إعظاما له عن الند والشبيه، وإرغامًا لكل ملحد سفيه، وصلى الله على محمد عبده النبيه، ورسوله المقرب الوجيه، صلاة تزلفه وتحظيه، وترفع منزلته وتعليه، وعلى الأبرار من عترته وأقربيه، والمصطفين من صحابته وتابعيه، والنكاح مما أمر الله به وأذن فيه، ومجلسنا هذا سابق في قضائه الذي يمضيه، مثبت في كتاب يشتمل عليه

=

الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها أهل الاعتزال حتى جعلوه في أفعاله كأنه ذو استقلال، ولا في الدرجة التي تخيلها أهل الجبر حتى جعلوه ذا اضطرار في ذلك الاختيار حتى قال قائلهم:

ما حيلة العبد والأقدار جارية ... عليه في كل حين أيها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

والحق التوسط بين المذهبين، وجعل اختيار العبد بين بين، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة،والقائلون بغيره كالسارين في دجنة. (السادسة): أن الحق سبحانه حكم عدل ولا يظلم أحدا والظلم وضع الشيء في غير موضعه وأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأنه لم يخلق شيئًا سدى، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (السابعة): أنه سبحانه ذو قدرة باهرة لا يعجزه شيء وهو فاعل مختار وفي جميع أفعاله حكم وأسرار.

(الثامنة): أنه سبحانه وتعالى لا يناله نفع ولا ضر وعدم محبته للشر ليس على الصورة التي نتصورها في البشر (التاسعة): أنه سبحانه أوجد ما أوجد على أبدع صورة وأجمل وجه، ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (العاشرة): أنه يجب على العبد الرضا بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي ألا ترى أن المريض إذا سقي علاجا مرا تراه راضيا بفعل الساقي وإن لم يكن راضيا بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها بقيت مسألة وهي أدق جميع المسائل وهي أن يقال إذا كان بعض الأنواع يلزم وجودها شرا وإن كان قليلا فهلا بقيت في عالمها الأول وقد أجابوا عن ذلك بأن شأن الألوهية يقتضي وجود كل نوع من الأنواع الممكنة لطلبها الإيجاد بلسان الاستعداد وترك خير كثير لما يتضمنه من شر قليل شر كبير ألا ترى أن الغيث يعد نعمة كبرى وإن تضمن خراب بعض المنازل فإن قيل فهل في العالم شر محض قلت هذا ينكره كثير من المحققين نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الأفراد لا لمجموع العالم وكان بودي أن لا أكتب في هذا المبحث شيئًا لشدة غموضه غير أني رأيت كثيرا من مسائله قد انتشرت فكتبت ما عساه يكون كافيا لمن يقنع بالإيجاز ويكون له به إلى الحقيقة مجاز.

ويحصيه، وفلان بن فلان ممن بلوتم ظاهره وما يخفيه، وارتضيتم تصرفه في مذاهبه، ومآتيه، أتاكم يخطب فتاتكم فلانة بنت فلان وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا فاقبلوا منه ما هو باذله ومعطيه، وأجيبوه إلى ما هو قاصده ومبتغيه، نظم الله أمرهما على السداد وجعل الخيرة فيه وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين.

خطبة النكاح

الحمد لله الذي خلق الإنسان فعدله، وعلمه البيان ففضله، وألبسه الإحسان فجلله، وألهمه الإيمان فجمله، أحمده على ستر أسبله، ونيل نوله، ونطق سهله، ورزق أوصله حمد مطلق بالحمد مقوله، عاجز عن شكر ما خوله[1]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد بجله، ونبي أرسله، بكتاب أنزله، وآي فصله، وشرع سبله، ودين أكمله[2]، فاضطلع بما حمله، وأسرع لما أهله[3]، حتى افتتح من الإيمان مقفله، وأخمد من البهتان مشعله، وأرشد إلى الرحمن من جهله، صلى الله عليه وعلى آله ومن قبله.

ما كبره ملك أو هلله، صلاة تشرف بها في المعاد منزله، والنكاح مما أباحه الله وحلله، والسفاح مما أزاحه وأبطله[4]، واجتماعنا هذا لأمر أبرمه الله وسهله، وقرنه بمشيئته وعجله، وهذا فلان ابن فلان ممن بسط إليكم أمله، وجعل عليكم معوله، وهو يخطب فتاتكم فلانة بنت فلان المقسومة إن شاء الله له، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا ما لا ينجز معجله. ويضمن مؤجله، فاقبلوا رحمكم الله منه ما بذله، وأجيبوه إلى ما سأله وصلوا منه ما منكم وصله، أسعدنا الله وإياكم بالخبرة فيما فعله، وأحمدنا وإياكم ماضي أمرنا ومستقبله، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وله ولسائر المسلمين.

خطبة نكاح

الحمد لله شكرا على ما أوزعنا عليه شكرا، وصبرا لما ألهمنا عليه صبرًا[5]،

---

(١) المقول آلة القول وهو اللسان.

(٢) ذكر ضمير الآي لأنه أراد الجنس.

(٣) اضطلع بالشيء نهض به وقوي عليه.

(٤) السفاح الزنا وأصل السفح صب الماء والدم ونحو ذلك وسمي الوطئ المحظور سفاحا لأن الماء يضيع فلا ينسب الولد إلى صاحبه.

(٥) قال الراغب: الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يكون منه وفيه بالتسخير فقد يمدح الإنسان =

الذي أوسعنا في كنف كفايته سترا، وأبدلنا من بعد عسر يسرا، وأعظم لمن اتقاه وخافه أجرا، ووعدنا بالحسنة الواحدة عشرا، وقدم إلينا قبل إيقاع نقمته عذرا، وجعل دار البوار مآل من بدل نعمته كفرا، أحمده حمدا أعده ذخرا، واستمده على الأعداء نصرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدمنها سرًا وجهرا، وأقربها شفعا ووترا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ابتعثه من أطهر بريته نجرا، وأظهرها فخرا، وأكبرها قدرا، وأزخرها بحرا. وأوضحها فجرا، وأشرحها صدرا[١]، منزها أن

=

بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه والحمد يكون في الثاني دون الأول والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدًا، ويقال فلان محمود إذا حمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة ومحمد إذا وجد محمودًا وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾، يصح أن يكون في معنى المحمود وأن يكون في معنى الحامد، وحماداك أن تفعل كذا أي غايتك المحمودة، وقوله عز وجل: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦] فأحمد إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله تنبيها على أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى عليه السلام تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذي قبله، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾، فمحمد ههنا وإن كان من وجه اسما له علما ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾، أنه على معنى الحياة كما بين في بابه اهـ. وأحمد الرجل فعل ما يحمد عليه وأحمد فلانا رضي فعله ومذهبه ولم ينشره وأحمد أمره صار عنده محمودا.

(١) أصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر أي بسطه بنور إلهي وسكينة وروح من الحق وشرح المشكل من الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه وقد تقدم اعتراض الكندي عليه في أشرح لبنائه له من المفعول مع أنه إنما يبنى من الفاعل غير أن ابن القيم قال إن الكوفيين قد أجازوا ذلك وأوردوا شواهد كثيرة عليه من نحو أشغل وأحب وأجابوا عن قول البصريين إن هذا شاذ لا تنقض به القواعد فيجب الاقتصار فيه على المسموع بأن كثرة ذلك في كلام العرب نظما ونثرا يمنع من حمله على الشذوذ وقد جنح هو إلى مذهبهم وقال إن أحمد كمحمد في المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هو كثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية اهـ. والذي ينشرح له الصدر قول البصريين في الاقتصار على السماع وأما أحمد فقد ورد بهذا المعنى الذي فسره به قال الشاعر:

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا ... وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد

يقول شعرا مبرأً أن يكون ما جاء به سحرا، فجلا عن الإسماع بحكمه وقرا، وأعاد حل محارم الله حجرا، وأوجب رحمته لمن قبل له نهيا وأمرا، وصب نقمته على من اعتقد له غدرا، حتى استجابت له الأمم طوعا وقهرا، وعاد عرف البهتان بإيمانه نكرا، صلى الله عليه وعلى آله ما تلا دهر دهرا، صلاة تنثر عليهم بركات مواهبه نثرا، وينشر بها عليهم رحمته ورضوانه نشرا، ثم إن الله سبحانه جمعنا لأمر وضع به عنا إصرا، وجبر منا به كسرا[١]، وسد به من ذوي الفاقة فقرا، وأحكم بإبرامه متباعد الأنساب ضفرا[٢]، وصير كلامنا في عقد نظامه شذرا، وأعاد ببركته قل التناسل كثرا[٣]، وأصار بيمينه نجس المواليد طهرا، وأعلى به من نص كتابه ذكرا، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]. وفلان ابن فلان ممن فضل في أشكاله حسبا ووفرا، وكمل في أمثاله أدبا وسترا[٤]، ونبل بين إخوانه خبرا وخبرا، أتاكم يخطب فتاتكم فلانة بنت فلان وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا نحلة ومهرا[٥]، وهو يرى ما بذل لاستحقاقكم قليلا نزرا، فشدوا رحمكم الله بمصاهرته أزرا، ولا ترهقوه من أمره عسرا، ولا تردوا يده مما سأله صفرا[٦].

خطبة ودعاء
لختم القرآن على المنبر وتعرف بالفاتحة

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة كلامه، وأول ما جاء به القرآن في نظامه[٧]، ومكافئا لجزيل مننه وهنيء أقسامه، وواقيا من سوء غضبه ووبيل انتقامه، ومليئا بزيادة إحسانه وإنعامه[٨]، الذي أبدع فأحسن، وصنع فأتقن، وأولى فأفضل، وأعطى فأجزل.

---

(١) الإصر بالكسر الثقل وهو مأخوذ من الأصر بالفتح مصدر أصرت الشيء من باب ضرب إذا حبسته ويطلق الإصر أيضًا على العهد لثقله وحبس صاحبه عن فعل ما يخالفه.

(٢) الضمير في إبرامه للأمر المعني به العقد والنكاح وأراد أن ذلك يلف الأنساب المتباعدة بعضها على بعض كما تلف قوى الحبل بالضفر.

(٣) الشذر: من الدر المستحسن منه والشذر من الذهب قطع منه والواحدة شذرة .

(٤) الوفر المال.

(٥) النحلة العطية وهي في الأصل بمعنى الهبة.

(٦) ترهقوه تكلفوه يقال أرهقته أمرًا صعبا إذا كلفته إياه وحملته عليه والصفر الفارغ والخالي.

(٧) فاتحة الشيء أوله ولذلك سميت سورة الحمد فاتحة الكتاب.

(٨) المكافأة المساواة والمقابلة في الفعل وكل شيء ساوى شيئًا فهو مكافئ له، والملي الكفيل، =

لا يعجل على من عصاه، ولا يرد مسألة من أمله ورجاه، ولا يخيب من سأله ودعاه، سبحانه لا إله سواه، ولا نظير له في معناه، والحمد لله ذي الجبروت والرفعة، واللاهوت والمنعة، العالم بمكنون الأسرار، والمحتجب بكبريائه عن إدراك الأبصار، والمتعالي عن كل حد ومقدار، الذي لا تحيط به صفة واصف، ولا تحويه معرفة عارف، الأول الذي لا تدرك أزليته، والآخر الذي لا تنقضي أبديته.

والملك الذي لا تبلى بهجته، والديان الذي لا تدفع حجته، ذي الأسماء العلية، والآلاء السنية، والأيادي المتضاعفة، والمنن المترادفة المحيط علمه بما في البر والبحر، والمثبت إحصاؤه عدد القطر والمحاسب عباده بمثاقيل الذر، ومجازيهم بالخير والشر.

قربت رحمته من المحسنين، وتمت نعمته على العالمين، والحمد لله الجواد بفضله قبل سؤال السائلين، الواسع ببذله لمطالب الآملين الذي عجزت الأقوال عن تحصيله، وعزبت الألباب عن تمثيله[1]، وبعدت الأمثال عن شبهه، وحارت الفطن في تكييف

=

هذا وقد أضاف الله سبحانه الغضب إليه في غير ما آية وحديث فيجب نسبة ذلك إليه سبحانه مع التنزيه ونفي التشبيه قال بعض المحققين قد توهم بعض الناس أن الغضب هو ثوران الدم لطلب الانتقام وليس الأمر كذلك فإن ثوران الدم أمر يقارن الغضب وليس نفس الغضب كما أن صفرة الوجه تقارن الوجل وليست نفس الوجل وسبب ذلك أن النفس إن استشعرت بالقدرة ثار الدم إلى الخارج وإن استشعرت بالعجز غار الدم إلى الداخل فاصفر الوجه وإنما حدثت هذه الانفعالات في الجسم النامي الحساس لكونه ذا مزاج يوجب له الانفعال والتغير من حال إلى حال إذا تقرر هذا فنقول إذا أنسبنا الغضب إلى الملائكة يلزم أن لا نتصور فيه ما نتصور في غضب البشر من العوارض التي تقتضيها حال البشرية لمخالفة ماهية الملائكة لماهية البشر فإذا نسب إلى الحق سبحانه وجب أن يلحظ على وجه ليس فيه شيء من الانفعال بل على وجه يقتضيه الكمال فكما أن الخالق لا يشبه الخلق فكذلك ما ينسب إليه لا يشبه إليهم فمن تصور في شيء مما نسب إليه تعالى مثل ما تصوره فيما نسب إلى غيره وقع في مشكل ألبتة فإنه إن أثبت ذلك للحق على الوجه الذي تصوره في الخلق يكون قد شبه ومثل وإن نفى ذلك بالكلية يكون قد عطل وإن زعم أن ظاهره يقتضي ما تصوره غير أن الدليل يوجب صرفه عن ظاهر، كثر عليه ما يسمونه بالمؤول ويكون قد فتح بابا فيه لأرباب البدع أعظم مدخل، وأما من فهم من أول الأمر مما نسب الحق إليه ما يليق بجلاله وكماله فقد خلص من كل مشكل على أن كل من أوتي حظا من معرفة أساليب أرباب البلاغة يعرف أن عبارتهم لابد أن تقترن بما يفيد المرام ويوصله إلى ثواقب الإفهام.

(١) عزب بعد وغب وبابه دخل.

كنهه، وعنت الوجوه لكرم وجهه[1]، علام خفيات الغيوب، ستار مفظعات العيوب. فراج نازلات الكروب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله المستجار بجليل أفضاله وكريم ثوابه، من وبيل نكاله واليم عقابه، المستعاذ برأفة طوله وعفوه، من شدة صوله وسطوه.

المرغوب فيما وعد أولياءه من مرضي رحمته، المرهوب مما أوعد أعداءه من مخشي نقمته، الذي علا في ارتفاعه، وأحكم في اصطناعه، وأحسن في ابتداعه، وأتقن في اختراعه، المتوحد بإنشاء الفطر، والمتفرد بابتداء الصور، لم يعجزه، من ذلك ما كبر، ولم يعزب عنه ما صغر، ولم يخف عليه ما خفي واستتر[2]، بل أحكم تأليفها، وقوم تثقيفها، وعلم تصريفها، أخرجها من العدم إلى الوجود، وأجراها بالتقدير والتحديد، إلى نهاية أجل معدود، وغاية مهل محدود، بلا أصل مرسوم، ولا مثل معلوم، ولا شكل قديم[3].

والحمد لله القديم السابق الذي لا غاية لسبقه، الحكيم الخالق الذي لا تفاوت في خلقه، الكريم الرازق الذي لا يكدي مضمون رزقه، الحق المبين الذي لا تقوم الأعمال بكنه حقه[4]، زين السموات وبهائها، ونور الأرضين وضيائها[5]، ومالك الدنيا وجبارها، وديان الآخرة وقهارها، بيده ملكوت الأشياء وفي قبضته تصاريف

---

(١) كنه الشيء حقيقته، وعنت خضعت.

(٢) كبر الشيء بالضم بمعنى عظم وأما كبر الرجل بالكسر فهو بمعنى أسن، وصغر بالضم ضد كبر فهو صغير وأما صغر بالكسر فهو بمعنى ذل فهو صاغر، وإنما جمع بين خفي واستتر لأنه ليس كل خفي مستترا ولا كل مستتر خفيا والملحوظ في الاستتار احتجاب الشيء بساتر.

(٣) مرسوم من الرسم وهو الكتابة والنقش، وفي نسخة موسوم من وسم الشيء إذا جعل له سمة وهي العلامة.

(٤) أكدى الرجل قل خيره وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴾ أي قطع القليل والظاهر أن أكدى لازم فيكون معنى لا يكدي مضمون رزق لا يقل خبره ولا ينقطع ميره.

(٥) زين هو له، الأصل مصدر زان الشيء ثم استعمل فيما يزان به الشيء وأراد بزين السموات مزينها والأولى عدم هذا الإطلاق وإن ساغ قياسا على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦] والبهاء الحسن والعظمة وهو معطوف على السموات والأولى أن يراد بالزين النور فيكون المعنى هو نور السموات ونور بهائها ونور الأرضين ونور ضيائها ولا يجوز أن يكون الضياء معطوفا على النور لعدم جواز إطلاقه عليه سبحانه.

القضاء[١].

والحمد لله الحليم فلا يعجل على من عصاه، الكريم فلا يبخل بعطاياه، السيد فلا يذل من والاه، المرشد فلا يضل من هداه، القريب ممن أمله ورجاه، المجيب لمن سأله ودعاه، الذي أحسن بلطيف حكمته، صنوف ما أتقن من بريته، وأنشأ ببديع صنعته، جميع ما ذرأ من خليقته، فاتصلت ألباب المستبصرين بضياء معرفته، وذلت رقاب المستكبرين لكبرياء عظمته، وسبحت له السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والشمس والقمر، والسحاب المسخر. والرعد الهاتف، والبرق الخاطف، والرياح الذاريات.والطير الصافات[٢]، والظلام والنور، والظل الحرور[٣]، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والجبال والحجر، والرمال والمدر، والدواب والأنعام، والسباع والهوام، والضباب والغمام[٤]، والأهوية المتفتقة، والأجواء المنخرقة[٥]، وكل ما مثل وفطر، وذلل وسخر، من يابس ورطب، وأجاج وعذب، وعرض وجسد، ومائع وجمد[٦]، وساكن هاد، ومتحرك منقاد[٧]، مما يحصيه عدد، أو يحويه أحد،

---

(١) الملكوت الملك ولا يقال إلا في ملك الله قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

(٢) ذرت الريح الشيء تذروه ذروا نسفته وفرقته وذريت الطعام تذريه، والصافات من صف الطائر من باب قتل إذا بسط جناحيه فلم يحركهما قال في المصباح وفي الحديث كل ما دف ودع ما صف أي لا يؤكل ما صف جناحيه كالنسر والصقر والمقام يوجب أن يراد بالصافات معنى يشمل جميع أنواع الطير فيكون الوصف مفيدا للتعميم كما ذكروا ذلك في ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ .

(٣) الحرور: الريح الحارة واستحر القيظ اشتد حره.

(٤) الهوام جمع هامة بوزن دابة والهامة ماله سم يقتل كالحية وقد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات، والضباب جمع ضبابة مثل سحاب وسحابة وهو ندى كالغبار يغشى الأرض قال بعضهم الضباب ما قرب من الأرض ولم يكن عنه مطر لكن ندى والغمام ما علا وكان عنه مطر.

(٥) الأهوية جمع هواء، والمنفتقة المنبسطة المنتشرة والأجواء جمع جو، والمنخرقة من بخرق الثوب ونحوه.

(٦) العرض في الأصل ما لا ثبات له ومنه استعار المتكلمون العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر، والجمد جمع جامد مثل خدم وخادم.

(٧) هاد اسم فاعل من هدا بمعنى سكن وأصله الهمز تقول هدأ الصوت وهدأ القوم وبابه خضع.

متعلق بتقديس جلال مجده، تتفيأ ظلاله بالتسبيح بحمده[1]، سبحانه هو الله الواحد القهار.

أحمده حمدًا يحرس مواهبه من عوارض الغير.ويحصن عوارفه من شوائب الكدر، ويصون نعمه من وقوع الضرر، وأستهديه إلى الصلاح، وأرغب إليه في الفلاح.وأعوذ به من شر نفس بما يوبقها ماره.ولا يرهقها مختاره[2]، راتعة في العلل.تابعة لتسويف الأمل.مغترة بالأمن والمهل[3]، وأستعينه على الأمور الشدائد، والمحن القواصد، والآفات الرواصد، واستوقيه محذور الأبعاد، وأستكفيه شر الجبابرة المراد، وكيد كل مخوف شره من العباد[4]، وأتوكل عليه توكل معتصم بحبله.مغتنم لفضله، بريء من الحول والقوة إليه، عالم أن ضره ونفعه بيديه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدانيه، ولا مثل يضاهيه[5]ولا نظير يقابله. ولا عديل يشاكله. عظم حلمه عن المذنبين فعفا وعم تجاوزه من أسقط وهفا[6]، وبسط الرزق على كافة عباده، ومهد لهم في سعة بلاده. وتكفل لهم ببسط الأرزاق. وفرق بينهم في الطبائع والأخلاق، وعلم ما في ولائج الأرحام، وما تجنه حنادس الظلام[7]، وأحاط

---

(١) تتفيأ ظلاله تتقلب وتنتقل من جانب إلى جانب، والفيء ما بعد الزوال من الظل سمي فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس.

(٢) أمارة صيغة مبالغة من الأمر، ورهقه كذا من باب طرب إذا غشيه قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] وأرهقه أمرا حمله ما يعسر عليه ويشق.

(٣) العلل جمع علة وهي حدث يشغل صاحبه عن وجهه وتعلل بالشيء تلهى به، والتسويف مصدر سوف الأمر إذا أخره مرة بعد مرة وهو مأخوذ من سوف، والمهل بفتحتين التؤدة.

(٤) أستوقيه أطلب منه أن يقيني، والإضافة في محذور الإبعاد من إضافة الصفة إلى الموصوف أي أطلب منه أن يقيني الإبعاد المحذور ويجوز على بعد جعل المحذور مصدرا كالمعقول والموعود، والمراد جمع مارد وهو العاتي يقال مرد بالضم إذا عتا فهو مارد ومريد.

(٥) يضاهيه يماثله ويشاكله وهو مما يهمز ولا يهمز.

(٦) أسقط جاء بالسقطة وهي الفعلة الساقطة وأسقط في كلامه جاء بالسقط بفتحتين وهو الخطأ، وهفا زل والهفوة الزلة وهفا الشيء في الهواء إذا طار لخفته كالريش وهفا حلمه خف عقله وزل رأيه.

(٧) الولائج جمع وليجة وهي الشيء الداخل في غيره يريد أن علمه محيط بما في بواطن الأرحام، وأجنه ستره، والحنادس جمع حندس بكسر الحاء والدال الليل الشديد الظلمة.

علما بزنة الجبال، وأحصى عدد جميع الرمال، وصرف الرياح نشرا بين يدي رحمته، وجعل عواصفها سببا لوقوع نقمته[١]، تعالى ربنا عن أقوال الجاحدين، وتقدس مجده عن ضلال الملحدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ونجوم الشرك زاهرة، وأعلام الإفك ظاهرة[٢]، والجهل غالب والعمى متراكب، والرحمن يجحد، والأوثان تعبد، والآثام مقتحمة، والأصنام معظمة، وسبيل الغي مسلوك، ومنهج الهدى متروك، فأعز بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد الذلة، وكثر به من القلة، وأزاح بدلالته كل علة، وأبان ببرهانه سبيل الحق، وبسط بتبيانه لسان الصدق، فقام العمود واعتدل، وزال العنود وبطل[٣]، وانشرحت الألباب، واتضحت الأسباب، وعرف الحلال من الحرام، وأشرف كاهل الإسلام[٤].

فصلى الله على محمد وعلى آل محمد ما زهر كوكب، وما أظلم غيهب[٥]، وما وضح فجر، وما غبر دهر، وما عرض فكر، وما ذكر ذاكر، وما سار سائر، وما هطل هاطل، وما أفل آفل، ومانطق قائل، وما امتد الظل، وما در الوبل[٦]، وما عرف الكلام وما بقي الأنام، وما حسن الإسلام، وما عسعس الديجور، وما اختلف الظلام والنور[٧]، وما فلق الإصباح، وما هبت الرياح[٨]، وما سبحت الأملاك، وما جرت الأفلاك، وما زال في، وما بقي حي[٩]، وما عد عدد، وما بقي الأبد[١٠]، وما نطق

(١) قال في القاموس يرسل الرياح نشرا ونشرا ونشرا ونشرا فالأول جمع نشور كرسول ورسل والثاني سكن الشين استخفاف والثالث معناه إحياء بنشر السحاب الذي فيه المطر والرابع شاذ قيل معناه منشرة نشرا ونشرت الريح هبت يوم غيم.

(٢) هذه الاستعارة غير ظاهرة ونجومها مثل السها غير زاهرة فالاستعارة في نجوم الشرك لا تخرج عن استعارة ماء الملام وعجبا لمثل هذا السهو منه وهو إمام الكلام.

(٣) العنود بالضم مصدر عند إذا رد الحق وهو يعرفه وهو من باب جلس وبالفتح الشيء المعترض ويقال ناقة عنود إذا لم تستقم في مشيها.

(٤) الكاهل الحارك وهو ما بين الكتفين.

(٥) زهرت النار أضاءت وبابها خضع، والغيهب الليل والظلمة الشديدة.

(٦) الوبل: والوابل المطر الشديد.

(٧) الديجور الظلام، وعسعس الليل يأتي بمعنى أقبل وبمعنى أدبر فهو من الأضداد.

(٨) فلق: شق.

(٩) الفي هو الفيء أبدل الهمزة ياء ليوافق حي.

(١٠) العدد بمعنى المعدود هنا.

لسان، وما أصدق عيان، وما در القطر، وما امتد الدهر، وما اضطربت الأمواج، وما ضاء السراج(١)، وما تلألأت الأنواء، وما اعلنكست الظلماء(٢)، صلاة دائمة على الأبد، متصلة بلا نهاية ولا أمد، اللهم فلك الحمد على ما أطلقت به لساني، وأظهرت بنطقه بياني بتنـــزيهك عما نسبك إليه الملحدون، وافتراه عليك الضلال الجاحدون، الذين عجزت أفهامهم عن بلوغ معرفتك بالتحقيق، وعزبت ألبابهم عن الوصول إلى علم وحدانيتك بالتصديق، وعمي عليهم لفرط ضلالهم وجه الطريق، وحادوا عن نهج الهداة وسداد التوفيق(٣)، وعدموا تحصيل ما أظهرت من بدائع فطرتك، وما صرفت من مواقع قدرتك، بابتداعك أصناف الفطر التي أنشأتها بغير مثال، وابتدعتها بلا احتذاء ولا استدلال(٤)، وجعلتها على قدرتك دليلا، وإلى الاعتراف بوحدانيتك منهجا وسبيلا، ورفعت السماء بغير عمد، وأقمتها بغير أود(٥)، وزينتها بالنجوم الزاهرة،

---

(١) السراج هنا الشمس.
(٢) الأنواء هنا النجوم التي ينزل بها القمر، واعلنكست تكاثفت يقال شعر معلنكس إذا كان كثيفا مجتمعا.
(٣) عمي عليه الطريق التبس.
(٤) احتذى مثاله اقتدى به.
(٥) قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢] وجملة ترونها صفة أحمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السماء كذلك فإذا كانت صفة يكون المعنى كما قال صاحب العرائس رفع السماء بغير عمد ترونها بالأبصار ولكن بالبصائر وتلك هي القدرة الأزلية الباقية فلا تنافي في المآل بين الإعرابين، وما يقال من إمساك السماء والأرض بقوة الجذب والدفع ليس له عند المدقق أدنى نفع وذلك لأنها إنما تفيد إذا ثبت عدم تناهي الأجسام وقد ثبت تناهيها بالأدلة الكثيرة التي أبداها الحكماء وحينئذ تنقطع هذه القوة ولو في الأعلى لبقائه غير مجذوب من كل جهة وقد حاورت فاضلا متضلعا بفن الحكمة والهيئة في هذه المسألة فقال إن القوم أثبتوا القوة الجاذبة فاضطروا إلى عدم التصريح بتناهي الأجسام لأنه يضعضع أركان هذه القاعدة، ، وأما قول من قال بعدم تناهي الفضاء فهو مشكل لأنه إن قال إنه معدوم محض لم يكن معنى للحكم عليه بذلك على أنه مشار إليه ولو تبعا وهو ذو مقدار وإن قال إنه موجود قيل له إن الموجودات المحسوسة محصورة في الجوهر والعرض وليس بعرض لكون العرض لا يقوم بذاته ولا بجوهر وإلا لزم تداخل الأجسام عند حلولها فيه وأوسع الحكماء صدرا لهذه المسألة الرياضيون فإنهم يقولون إن الفضاء جسم لانطباق تعريف الجسم عندهم عليه فإنه ذو الأبعاد الثلاثة وأضيق الناس بالفضاء صدرا الطبيعيون لعدم انطباق تعريف الجسم الطبيعي عليه، والأود الاعوجاج.

والأفلاك الدائرة، والأنوار الباهرة، وجعلت فيها للشياطين رجوما، وللناظرين هداية وتقويما.

كل يجري في فلكه طائعا، ويتصرف فيما خلق له خاضعا: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] ثم دحوت الأرض على وجه الماء، وجعلتها كفاتا للأموات والأحياء(١)، وفتقتها، وكانت رتقا، وأنبت فيها للأنام مطعما ورزقا(٢)، وجعلت فيها قطعا متجاورات، وأنهارا وجنات، وابتدعت فيها من كل الثمرات، التي اتفقت في أماكنها ومغارسها، واختلفت في مطاعمها وتجانسها، وكثرت فلا تعد بتحصيل، وعظمت فليس يحيط بها غير الواحد الجليل.

فسبحانك اللهم لم تزل في تعالي مجدك عظيما، وبتوالي رفدك سمحا كريما، وفي سبق أزليتك قديما، وفي تصريف صنعتك حكيما، وبجميع خلقك خابرًا عليما، ولهم على كثرة ذنوبهم رحيما، اللهم فلك الحمد على ما أعطيت فأجزلت، وأنعمت فأفضلت، وأحسنت فأجملت، وعرفت ودللت، وأحكمت وفصلت، وعطفت ولطفت، وعضدت ومننت، وقويت وأبليت وعافيت، وأغنيت وأقنيت، وأطعمت وسقيت وأمرضت وشفيت، وأمت وأحييت.

اللهم فلك الحمد على ما خصصتنا به من معرفة وحدانيتك، وباعدتنا من قول من جحد بك وكفر بعظمتك، وجعل لك أولادا ميتين، وشركاء مربوبين، يأكلون الطعام ويخافون الأسقام(٣)، ويلحقهم النفع والضر، ويصيبهم الخير والشر، صامتين لا

---

(١) دحا الله الأرض دحوا بسطها ووسعها وقال الراغب قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠] أي أزالها عن مقرها وهو من قولهم دحا المطر الحصى عن وجه الأرض أي جرفها، والكفات الموضع الذي يكفت فيه شيء أي يضم يقال كفته إليه أي ضمه إليه وبابه ضرب.

(٢) قال الراغب الرتق الضم والالتحام خلقة كان أم صنعة قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠] هـ. والفتق ضده.

(٣) قال صاحب البردة في اللامية في هذا المعنى:

أسمعتم أن الإله لحاجة ... يتناول المشروب والمأكولات

وينام من تعب ويدعو ربه ... ويروم من حر الهجير مقيلا

=

ينطقون، وفقراء لا يرزقون: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤][(١)] ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾، وكيف يستنكف من هو عبد مربوب، ومخلوق بأجله مطلوب، يشبهه من عبده بالصلبان، ويدعي فيه القتل بالكذب والبهتان[(٢)]، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار.

عباد الله، إنه ليس أحد أحق أن يعمل بأحكامه، وينصت إلى كلامه، ممن له الخلق والأمر، وفي يده النفع والضر، وفي علمه الخير والشر، ذلكم الله ربكم فتبارك الله

=

ويمسه الألم الذي لم يستطع ... صرفا له عنه ولا تحويلا

ومن أعجب ما ينقل أن الذين لا ينزهون الرب تعالى عن الاحتياج إلى الأكل والشرب ينزهون الإنسان إذا حل في الجنان عن ذلك ويكثرون العجب ممن يقول أن الجنة تشتمل على النعيم الجسماني كما تشتمل على النعيم الروحاني.

(١) في هذه الآية إشارة إلى استحالة الولد بالدليل العقلي، وذلك أن الولد إن كان غير مخلوق لله سبحانه لزم أن يكون شريكا له وقد دل البرهان على أن الله سبحانه واحد وإن كان مخلوقا له لم يكن ولدا إذ الولد لابد أن يشابه والده وقد دل الدليل على استحالة مشابهة المخلوق للخالق على أنه إذا كان مخلوقا تكون نسبته إلى الحق كنسبة سائر الخلق إليه ونهاية ما يتصور فيه أن يكون مصطفى لديه مع أن الولد إنما يطلب لمعاونة الولد حال وجوده وللقيام مقامه بعد عدمه ففي بقاء الولد نوع بقاء للوالد فإذا فرض ارتفاع الأسباب الموجبة لإتخاذ الولد كان إتخاذه عبثا وقد أبدع من قال في التهنئة بولد لوزير كان فضله كالمثل السائر وهو في الظاهر مستغن عن المظاهر:

لم يتخذ ولدا إلا مبالغة ... منه بتنزيه من لم يتخذ ولدا

(٢) وقد أبدع صاحب اللامية في قوله:

وأجل روحا قامت الموتى به ... عن أن يرى بيد اليهود قتيلا

فدعوا حديث الصلب عنه ودونكم ... من كتبكم ما وافق التنزيلا

شهد الزبور بحفظه ونجاته ... أفتجعلون دليله مدخولا

أيكون من حفظ الإله مضيعا ... أو من أشيد بنصره مخذولا

وقد أورد صاحب التخجيل في مختصره أدلة من كتب أهل الكتاب تنبت حفظ الحق لكلمته وإن ما وقع إنما وقع على شبهة وقد أبنّا في منية الأذكياء سر عدم أخباره صريحا بحقيقة الأمر وتركه بيان ذلك لمن بشر بمجيئه من بعده أحمد الرسل الهادي لأحمد السبل صلى الله عليهما وسلم ما أذعن منصف للحق وسلم.

رب العالمين، وقد أنزل الله جل جلاله عليكم كتابا جعل أمثاله عبرا لمن تدبرها، وأوامر هدى لمن استبصرها، وشرع فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، فقال جل ثناؤه ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ فعليكم أيها الناس بكتاب ربكم فاتلوه حق تلاوته، وتدبروا حقائق عبارته، وتفهموا عجائبه وتبينوا غرائبه، فإنه يرد الجائر إلى قصده، ويهدي الحائر لرشده، يشفي سقم القلوب، وينفي درن الذنوب(١)، خاطب الله عز جلاله به أولياءه، ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، خلفاء أنبياؤه وأمناؤه، وهم

(١) قال بعض الأعلام: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، وأقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة بعد أن نقل هذه العبارة: هذا الذي أشار إليه بحسب ما فتح له من دلالة القرآن بطريق الخبر، وإلا فدلالته البرهانية العقلية التي يشير إليها ويرشد إليها فيكون دليلا سمعيا عقليا أمر تميز به (القرآن) وصار العالم به من الراسخين في العلم وهو العلم الذي يطمئن إليه القلب وتسكن عنده النفس ويزكو به العقل وتستبشر به البصيرة وتقوى به الحجة ولا سبيل لأحد من العالمين إلى قطع من حاج به، بل من خاصم به، فلجت حجته، وكسر شبهة خصمه، وبه فتحت القلوب، واستجيب لله ولرسوله ولكن أهل هذا العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد فدلالة القرآن سمعية عقلية قطعية يقينية لا تعترضها الشبهات، ولا تتداولها الاحتمالات، ولا ينصرف القلب عنها بعد فهمها أبدًا، وقال بعض المتكلمين: أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، وإذا أنا لا أزداد إلا بعدًا عن الدليل فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه وإذا أنا بالدليل حقًا معي وأنا لا أشعر به فقلت: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فلما رجعت إلى القرآن إذا هو الحكم ورأيت فيه من أدلة الله وحججه وبراهينه وبيناته ما لو جمع كل حق قاله المتكلمون في كتبهم لكانت سورة من سوره وافية بمضمونه مع حسن البيان وفصاحة اللفظ وتطبيق المفصل وحسن الاحتراز والتنبيه على مواقع الشبه والإرشاد إلى جوابها وإذا كما قيل بل فوق ما قيل:

كفى وشفي ما في الفؤاد فلم يدع ... لذي أرب في القول جدًا ولا هزلا

وأورد باقي عبارة ذلك المتكلم وأتبعها بما يصبو إليه كل عالم ومتعلم.

أهل الله وأخصاؤه، وخيرته وأصفياؤه، فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويذكر بما شرح له فيه، وأن يخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحييه[١]، فإنه قد حمل أعباء الرسل فحمل، وصار شهيدا في القيامة على من خالف من أهل الملل، لا وإن الحجة على من علمه فأغفله، أوكد منها على من قصر عنه وجهله، ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجر بنواهيه فلم يرتدع، وارتكب من المآثم قبيحا، ومن الجرائم فضوحا[٢]، كان القرآن عليه شهيدا مقبولا، ولقي بما فرط منه في الآخرة حزنا طويلا، اللهم فكما بلغتنا خاتمة القرآن العظيم، وأعنتنا على تلاوة الذكر الحكيم، وفضلتنا بدينك على جميع الأمم، وخصصتنا بكل فضل وكرم، وجعلت هدايتنا بالنبي الطاهر النسب، الكريم الحسب، خير العجم والعرب، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب[٣]، فنسألك اللهم ببلاغه عنك، وقربه منك، وجاهه المقبول لديك، وحقه الذي لا يخيب من توسل به إليك[٤]، أن تجعل القرآن لنا إلى كل خير قائدا، وعن كل سوء زائدا، وعلى مغفرتك وجنة الخلد وافدا[٥]، اللهم أرشدنا لحفظه، وأعذنا من نبذه ورفضه،

---

(١) استحيا منه فهو مستحي واستحى منه فهو مستح واستحياه بمعنى، ويجوز في ياء يتقيه وتسحييه الإسكان إذا أريد ازدواج هاتين الفقرتين باللتين قبلهما فيكون مثل

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما أخال لدينا منك تنويل

والسجع يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره.

(٢) فضحه فافتضح: كشف مساويه وبابه قطع والاسم الفضيحة والفضوح أيضا بضمتين.

(٣) المراد بالعجم والعرب: البشر فكأنه قال خير البشر فلا يرد الاعتراض بأن اسم التفضيل إذا أضيف يكون بعض ما يضاف إليه نعم لا يسوغ هنا أن يقال خير العجم وخير العرب لما ذكرنا ولسر ثانٍ يعرفه المعاني لفن المعاني وبهذا يندفع ما أورد على الخطيب في مثل قوله: إن أحسن القصصِ والكلام، وأبلغ النثر والنظام، كلام ذي الجلال والإكرام، لأن المراد بالنثر والنظام جميع الكلام على أن الخطيب كثيرا ما يريد بالنظم أو النظام الكلام المتناسق وعلى ذلك يحمل مثل قوله إن أحسن النثر وأتقنه، وأنور النظم وأبينه، كلام من خلق كل شيء فأحسنه.

(٤) هذا التوسل لا يشرع بالأهوات، فلا يجوز التوسل بالنبي ﷺ ولا الولي ولا جاه النبي ﷺ ولا شيء من ذلك.

(٥) الذائد: المانع والطارد تقول ذاده عن كذا يذوده ذيادا بالكسر أي طرده، والوافد من الوفود وأصله القدوم على العظماء للعطايا والاسترفاد والظاهر سقوط لفظ بنا قيل وافد.

وقلاه وبغضه، ولا تجعلنا ممن يدفع بعضه ببعضه[1]، اللهم أعذنا به من ذميم الإسراف، ورض به نفوسنا على العدل والإنصاف، وذلل به ألسنتنا على الصدق والاعتراف، وأجمعنا به على مسرة الائتلاف، واحشرنا به في زمرة أهل القناعة والعفاف، اللهم شرف به مقامنا في محل الرحمة وأكنفنا به في ظل النعمة[2]، وأجمعنا به بحبل العصمة، وبلغنا به نهاية المراد والهمة، وبيض به وجوهنا يوم القتر والظلمة[3]، اللهم إنا قد دعوناك طالبين، ورجوناك راغبين، واستقلناك معترفين، غير مستنكفين[4]، إقرارًا لك بالعبودية، وإذعانا بالربوبية، فأنت الله الذي لا إله إلا أنت لك ما سكن في الليل والنهار، وأنت السميع العليم، اللهم فجد علينا بجزيل النعماء، وأسعفنا بتتابع الآلاء، وعافنا من نوازل البلاء، وقنا شماتة الأعداء، وأعذنا من درك الشقاء، وحطنا برعايتك الجميلة في الصباح والمساء، إلهنا وسيدنا ومولانا عليك نتوكل في حاجاتنا، وإليك نتوسل في مهماتنا، لا نعرف غيرك فندعوه، ولا نؤمل سواك فنرجوه، اللهم فجد علينا بعصمة مانعة من اقتراف السيئات، ورحمة ماحية لسوالف الخطيئات، ونعمة جامعة لصنوف الخيرات، يا من لا يضل من أصحبه إرشاده وتوفيقه، ولا يعطب من هداه منهجه وطريقه، ولا يزل من عبده وأقام حقوقه، يا إله الأولين والآخرين، وجامع الخلق لميقات يوم الدين، توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، اللهم وصل على محمد عبدك الحبيب، ورسولك القريب، المصدق المهيب، الفاتح لأغلاق القلوب، والمطلق من وثاق الذنوب[5]، والمبرأ من علائق العيوب، والمؤتمن على حقائق الغيوب[6].

صلاة دائمة البركات، نامية التحيات، عظيمة الخيرات، تبقى مع الباقيات الصالحات، وتملأ أقطار الأرض والسموات، اللهم فكما اتخذته لنفسك خليلا، واخترته إلى جميع خلقك رسولا، فصل عليه يا رب بكرة وأصيلا، اللهم وصل على

---

(١) النبذ: الطرح، والرفض: الترك والمراد بذلك ترك العمل به، والقلي: البغض. تقول: قلاه يقليه قلى بالكسر والقصر وقد يمد إذا أبغضه.

(٢) كنفه: حاطه وصانه وبابه نصر.

(٣) القتر: جمع قترة وهي الغبار.

(٤) استنكف من الشيء: أنف منه.

(٥) أغلاق: جمع غلق بفتحتين والغلق المغلاق وهو ما يغلق به الباب.

(٦) العلائق: جمع علاقة وهي اسم لما يتعلق به فإن كان التعلق معنى فتحت العين كعلاقة الحب وإن كان حسًا كسرت العين كعلاقة السيف والسوط.

صديقه وموضع أنسه، وجاره في تربته ورمسه، ورفيقه يوم القيامة في محل قدسه، شيخ الأصحاب، ومقدمهم في الخطاب، والمتمسك من رسول الله بأوثق الأسباب، أول من سعى في جمع الكتاب، وإقامة النبي ﷺ مقامه في المحراب، أبي الضعفاء والأيتام، وثاني النبي في كل موقف ومقام، ورفيقه غدا في دار السلام، وأمير أول حجة في الإسلام، صلى الله عليه ما هتف ورق الحمام، وما لاح نجم في حالك الظلام[١]، وعلى الإمام الفاروق، قامع الكفر والفسوق، عز المسلمين، وكهف المخبتين[٢]، وتاج المؤمنين ونظام الأربعين، وموافق دعوة الأمين[٣]، من أعزنا الله بإيمانه، وشرفنا بسلطانه، وأظهر

---

(١) هتف: صاح وغرد، والورق: جمع أورق أو ورقاء وهو الذي في لونه غبرة كلون الرماد، والحمام: ذوات الأطواق من الطير.

(٢) الكهف في الأصل: الغار في الجبل ويستعمل في الملجأ مجازا، يقال: هو كهف قومه أي: ملجأهم، والمخبت: اللين المتواضع وأصله من أخبت الرجل إذا قصد الخبت وهو المطمئن من الأرض ثم قيل: أخبت بمعنى: لان وتواضع.

(٣) أشار بهذا إلى ما خرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» فكان أحبهما إليه عمر اهـ وكان الصحابة حين أسلم تسعة وثلاثين وبه تم عقد الأربعين ومناقبه أكثر من أن تحصى وقال فيه رضي الله عنه المرتضي كرم الله وجهه، لله بلاد فلان فلقد قوم الأود، وداوى العمد، وأقام السنة وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشبعة لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي اهـ وقد أبان العلامة المحقق عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة أن المعني بذلك عمر وأورد على ذلك الأدلة الواضحة وقال في الثناء ذلك متبرما من كلام الصارفين له عن موضعه: والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني.

(تنبيه مهم): قد ذكر في كثير من الكتب فصل يروى عن الفيلسوف البليغ أبي حيان التوحيدي يتضمن مراسلات بين الصديق والمرتضي فيها ما يبعد صدوره، عن مثلهما وهما ما هما في فضلهما وقد نبه العز على أنه من وضع أبي حيان وأن هذه عادته في كثير من الأحيان فقال: الذي يغلب على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وأنه من كلام أبي حيان التوحيدي لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة أشبه وقد حفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبي بكر وخطبه فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى. وأطال في بيان ذلك، ولأبي حيان رسالة نحلها غيره على عادته نورد أولها لمناسبتها لهذا المقام قال أبو حيان: حدثني بعض المشايخ أن ثابت بن قرة الحراني الصابي الفيلسوف كان يقول: فضلت أمة النبي العربي جميع الأمم السالفة بوجود ثلاثة فيها لم يوجد أوفر من فضلها لا قبل ولا بعد: (الأول): عمر بن الخطاب من حيث حسن سياسته =

دينا بأذانه، وزعزع كسرى عن إيوانه، وشتت شمل الجوار بحسن نظره، وكشف له عن ساريه وهو على منبره، فصلى الله عليه ما دار فلك بشمسه وقمره، وعلى الإمام التواب الزاهد الأواب، علم الأخيار، وعنوان الأبرار، وقمر الأقمار، والمخصوص في أسمائه بالأنوار، من نور المحراب بإمامته، والقرآن بتلاوته، وهو سراج الله في جنته، وثالث خلفائه على أمته، فهو السعيد في حياته، الشهيد في مماته، صلى الله عليه عدد نبات أرضه ونجوم سمواته، وعلى الإمام العليم، والخير الحليم، والسيد الكريم، أخي الرسول، وبعل البتول، وسيف الله المسلول، والفارس البهلول[١]، إمام الدين وعالمه، وقاضي الشرع وحاكمه، والمتصدق في الصلاة بخاتمه، ومنصف كل مظلوم من ظالمه، سيد الحنفاء ورابع الخلفاء، وابن عم النبي المصطفى، صلى الله عليه صلاة تزيده عزًا وشرفًا.

اللهم انصر جيوش المسلمين وكثر أنصارهم، واحم حوزتهم وأعل منارهم، وآمن سبلهم، وأرخص أسعارهم، وافكك عناة المسلمين واحلل أسارهم، وبلغهم في عافية ديارهم، وأهلك اللهم أعدائك وأعداء المسلمين وامح آثارهم، واستأصل شافتهم وعجل دمارهم، وأسرع اللهم هلاكهم وبوارهم، اللهم اسدد ثغور المسلمين،

=

فإنه قلم أظفار العجم، وتلطف في استمالة العرب، وتأتى في تدبير الحروب، وألبس الدين جلبابا، وفتح له أبوابا، وهيأ له شرائطًا وأسبابا، ثم لم يرزأ من جميع الغنائم والفتوحات شيئًا، وصحب عمره بالقناعة التي لا تجيب إليها النفس مع التمكن والقدرة، والسلطان والسطوة، والصولة والشوكة، والهيبة والهيئة، والإجابة والإنابة ومزج الدنيا بالدين وإعانة الدين بالدنيا، غير ما دارى في موضع المدارة، ومارى في موطن الممارة، وأظهر الضعف مع القوة، والقوة مع الرأفة، والرأفة مع التقصي، فدانت له الرقاب، وذلت له القلوب، وتناجت القلوب بمحبته وتناصرت الألسنة بالثناء عليه، كيف لا وقد كان نومه لليقظة، وراحته للدأب، وقسوته للرحمى، ومنعه للعطاء، وصمته للعبرة، وقوله للفائدة، ومشيه للإغاثة يتقصى بالليل بنفسه، ويعترف في أمره بتقصيره، ولا يرضى ببذل مجهوده يحدث بالغائب، إن ارتاب لم يقل، وإن قال لم يجهل، وإن تواضع لم يذل، أحواله تتناسب، وأموره تتشابه، ليله كنهاره، وسره كظاهره، وإبطانه كإظهاره، وعلانيته كإسراره لا يقفوه قاف، وإن تفض السواد، ولا يلحقه لاحق وإن ركض الجواد اهـ.ثم ذكر الحسن البصري ثم الجاحظ.

(١) البهلول: السيد.

وأعل كلمة المؤمنين، واستأصل شأفة المارقين، وأبد غضراء المشركين[١]، ببقاء الأمير الأجلِّ فلان اللهم اعزز بملائكتك المقربين نصره، واشدد بأوليائك المؤمنين أزره، وارفع في رتب المنتجين ذكره، وأعل في الدنيا والآخرة قدره، وضاعف على حسن أفعاله ثوابه وأجره، وأطل اللهم في العز والتأييد عمره، اللهم أكمل نعمتك السابغة عليه، وزد في تطولك وإحسانك إليه، وأمكنه من ناصية من عانده وبغى عليه، يا من ملكوت كل شيء بيديه، اللهم اغفر للآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والجيرة والقرابات، مغفرة تؤنسهم في قبورهم، وتؤمنهم من الفزع الأكبر يوم نشورهم، وتزحزحهم بها من عذاب السعير، وتسددهم عند مسألة منكر ونكير، اللهم أغفر لنا ما قدمناه وما أخرناه، وما أسررناه وما أعلناه، وأحصيته ونسيناه، وعلمته وجهلناه، ولا تدع لنا أملا إلا بلغتناه، ولا سؤالا إلا سوغتناه[٢]، ولا خيرا إلا أعطيتناه، ولا شرا إلا كفيتناه، يا خير من عول عليه عبد ورجاه، اللهم وإذا انقضت من الدنيا أيامنا، وأزف عند الموت حمامنا، وأحاطت بنا الأقدار، وشخصت إلى قدوم الملائكة الأبصار، وعلا الأنين، وعرق الجبين، وكثر الانبساط والانقباض، ودام القلق والارتماض[٣]، وأظل كرب السياق وترادم ألم الفراق، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق، فمر اللهم ملك الموت أن يكون بقبض أرواحنا رفيقا، وبنزع نفوسنا شفيقا، برحمتك يا أرحم الراحمين، سمع الله دعاءنا ودعاءكم، وأجاب نداءنا ونداءكم، وغفر لنا ولكم، إنه غفور رحيم ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

خطبة ودعاء عند ختم القرآن في شهر رمضان
(وتعرف بالقعسرية)

صدق الله الذي لا إله إلا هو الرحيم الرءوف. البر الكريم العطوف، الحي

---

(١) الغضراء: الطينة الطيبة الحرة. يقال: أباد الله غضراءهم وخضراءهم أي طينتهم وشجرتهم التي منها تفرعوا. والغضارة: طيب العيش ونضرته.

(٢) السؤال: الحاجة التي تحرص عليها النفس، وسوغتناه: أعطيتناه وسهلته لنا من قولك ساغ الشراب في الحلق إذا جرى بسهولة.

(٣) الارتماض: القلق والتململ يقال: أرمضه الشيء إذا أقلقه. وارتمض: إذا قلق وأصله من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الحجارة ومنه الرمضاء.

الخالق.الوفي الصادق، ذو العزة والجلال. والقدرة والكمال، والكرم والإفضال. والعدل في الفعال. والصدق في المقال، وبلغت رسله رسالاته. وأظهرت معجز آياته، ونحن مصدقون بكلماته. شاهدون بإبلاغ أنبيائه وتقاته، صلى الله عليهم أجمعين، وخص بذلك محمدًا سيد المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين. والحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين.

الحمد لله خالق أمشاج النسم، وفاتق رتاج الكمم[1]، ومولج الأنوار في الظلم، ومخرج الموجود من العدم، والجواد على الخلق بسوابغ النعم، والعواد عليهم بالفضل والكرم، الذي لا تعجزه كثرة الإنفاق، ولا يمسك خشية الإملاق، ولا ينقصه إدرار الأرزاق، ولا يدرك بإيناس الأحداق، ولا يوصف بمضامة ولا افتراق[2].

والحمد لله العظيم شأنه، القديم إحسانه، القاهر سلطانه، الظاهر برهانه، الذي تطأطأ كل عظيم لعظمته، وأبان في كل مصنوع بدائع حكمته، وصغر كل كبير في سعة رحمته، وأظهر في كل شيء سبوغ نعمته، البريء من المشاركة في أفعاله، المتوحد دون خليقته بتمام كماله، المديم لأوليائه ديم نواله، الساطي على الجبابرة بعز جلاله[3]، المحيط علمه بخطرات ذوات الصدور، والمدرك حفظه ما في طوامس لجج البحور[4]، والكالئة رعايته أجنة حنادس الديجور، والهابطة من خشيته أصلاد صم الصخور[5]، والنافذة قدرته بتصاريف الأمور، والجارية بمشيئته نوازل المقدور، والمنشرة دعوته أرماء هو أمد أهل القبور، والعالم بما كان ويكون في أعاصير

---

(١) النسم: جمع نسمة وهي النفس، والأمشاج: القوى المختلفة المودعة في النطفة، والرتاج: بالكسر الباب العظيم، وقيل الباب المغلق وفيه باب صغير ويقال ارتج الباب ارتاجا إذا أغلقه إغلاقًا وثيقا ومنه قيل: ارتج على القارئ إذا لم يقدر على القراءة كأنه منع منها وهو مبني للمفعول مخفف، والكمم: جمع كمة بالكسر وهي وعاء الطلع وغطاء النور والمراد بفتق رتاج الكمم: إخراج الزهر والثمر من أكمامه وإيصاله إلى حد كماله.

(٢) الإيناس: الإبصار ومنه: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا ﴾، والمضامة من الضم والجمع.

(٣) الديم: جمع ديمة وهو مطر يدوم أيامًا، وأصل يائه واو.

(٤) الطوامس: جمع طامس وهو الخفى الداثر، واللجج: جمع لجة، وهي معظم البحر.

(٥) الكالئة: الحافظة من كلأته إذا حرسته، والأصلاد: جمع صلد وهو جمع شاذ، وقد جمع على شاكلته فرخ وشكل، والحجر الصلد الصلب الأملس.

الدهور[1]، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، سبحانه لا إله إلا هو إليه المصير.

والحمد لله الذي قهر الأرباب، وملك الرقاب، وأذل الصعاب، وأنذر المآب، ووعد الثواب، وأوعد العقاب[2]، وأنشأ السحاب، وسبب الأسباب، هو الملك الذي عم الخلائق جدواه، وعلم من كل صامت وناطق نجواه[3]، وتم حكمه فيمن أطاعه منهم وعصاه، ونفذ قضاؤه فيمن أضله منهم وهداه، واستولى على الملك بعز أيد فحواه[4]، فسبحت له السموات وأكنافها، والأرض وأطرافها، والجبال وأعرافها[5]، والشجر وأغصانها، والبحار وحيتانها، والنجوم في مطالعها، والأمطار في مواقعها، ووحوش الأرض وسباعها، ووهادها ويفاعها[6]، ومدد الأنهار وأمواجها، وعذب المياه وأجاجها، وهبوب الريح وعجاجها، ومسالك البلاد وفجاجها[7]، وسلوع القيعان وأضواجها، وعراعر الأعلام وأعراجها[8]، وكل ما وقع عليه وهم أو حسن، أو

(١) أرماء جمع رميم مثل أطباء في جمع طبيب، والرميم البالي، والهوامد السواكن، والأعاصير: جمع إعصار وهي جمع عصر بضمتين لغة في العصر بمعنى الدهر قال أمرؤ القيس:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(٢) أنذر: أعلم وخوف، والمآب المرجع، والمعاد: يعني الأخرة.

(٣) جدواه: جوده ونفعه، النجوى السر وتناجى القوم سار بعضهم بعضا.

(٤) كلمة أيد إن قرئت بسكون الياء تكون بمعنى القوة ويتعين كونها مضافا إليه وإن قرئت بتشديد الياء تكون بمعنى القوي ويجوز فيها وجهان أحلهما كونها صفة لغز فينون وثانيها كونها مضافا إليه ويكون في العبارة تجريد من قبيل:

يا خير من يركب المطى ولا ... يشرب كأسا بكف من بخلا

(٥) أكنافها: جوانبها وهو جمع كنف بفتحتين، وأعرافها: أعاليها المشرقة وهي جمع عرف بوزن قفل وهو المكان المرتفع والجود وشعر عنق الفرس.

(٦) الوهاد: كمهاد جمع وهدة كوردة وهو المكان المطمئن، واليفاع ما ارتفع من الأرض وأيفع الغلام إذا شب وارتفع.

(٧) العجاج: الغبار، والفجاج الطرق واحدها فج.

(٨) السلوع: جمع سلع بكسر السين ويفتح وهو الشق في الجبل كهيئة الصدع وقال الكندي السلع بفتح اللام شجر ولعله أراده دون الأول لأن ذلك لا يكون في القيعان وهي جمع قاع وهو الأرض الملساء، والأضواج: جمع ضوج وهو منعطف الوادي، والعراعر جمع عرعرة بضم العينين، وعرعرة الجبل وكل شيء رأسه ومعظمه، والأعلام الجبال، والأعراج جمع عرج بفتحتين وهو غيبوبة الشمس أو أنعراجها نحو المغرب وهذا المعنى غير مناسب ولم يذكر بمعنى المنعرج وهو ما ينحنى وينعطف من الجبال والأودية.

حواه نعت أو جنس، مما يتصور في الفكر، أو يعرف بحد أو قدر، مقرًا له بالوحدانية خاشعا، معترفًا له بالربانية طائعا، مستجيبًا لدعوته خاضعًا، متصرفًا بمشيئته متواضعا، له الملك الذي لا نفاد لديموميته، ولا انقضاء لمدته[١].

والحمد لله القديم الأزلي، المقيم الأبدي، ذي العرش العلي، والنور البهي، والأمر الوحي، والوعد المأتي[٢]، والبطش القوي، والعز القعسري[٣]، والحكم السوي، واللطف الخفي، الذي تحيرت في كيفيته هواجس أولي الفكر، وخسأت عن إدراك ذاته بصائر أهل النظر[٤]، ذلكم الله الذي لا إله إلا هو فاطر الفطر، وخالق كل شيء بقدر، ليس بمحدث فتناله الحادثان، ولا بمكيف فتخيله الخاطرات[٥]، ولا بمتناه فتبلغه الغايات. لا بمحدود فتحيط به الجهات، ولا بمحصل فتستغرقه الصفات، ولا بمعان فتخونه الثقات، ولا بفان فتغيره الأوقات، ولا بعاجز فتعجزه الطلبات، ولا بغائب فتعترضه الشبهات، ولا بباد فتدركه اللحظات، بل هو الله مبدع أصناف الخلائق، وسامك السبع الطرائق[٦]، ومزينها بالمصابيح الشوارق، ومجريها في أفلاك المغارب والمشارق[٧]، ومنشئ السحائب على متون الخوافق، ومزجيها بزجر الرواعد والبوارق[٨]، وآمرها بصوب الرحمة وإرسال الصواعق، ومقرر الأرضين بالأوتاد الشمخ الشواهق[٩]، والمنبت فيها من النوى والحب أصناف الشجر البواسق، والمنعم

---

(١) النفاد: الفناء، والديمومية: نسبة للديمومة وهي مصدر دام وزيدت ياء النسبة فيه للمبالغة.

(٢) الوحي النافذ :السريع، إنما جعل الوعد مأتيا لأن الله سبحانه يأتي به أو لأن صاحبه يأتيه بناء على أن كل ما أتاك فقد أتيته.

(٣) القعسري: الضخم الشديد كالقعسر والقعسرة: التقوى على الشيء والصلابة والشدة والقعسر القديم.

(٤) هواجس: جمع هاجسة هو ما يخطر في النفس، وخسا البصر انقبض وسدر وسدر بصره تحير.

(٥) تناله وما بعده من الأفعال منصوب بأن مضمرة لوقوعها بعد النفي.

(٦) سامك: رافع.

(٧) الشوارق: جمع شارق يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت.

(٨) السحائب: جمع سحابة مثل رسائل ورسالة، والخوافق: جمع خافقة يقال: خفقت الريح خفقانا إذا اضطربت وسمع لها حفيف وهو دوي جريها، والمزجي: السائق.

(٩) الصوب: المطر ويسمى الرحمة لأنه من آثار رحمة الله والظاهر هنا أن يراد بالرحمة المطر وبصوبها نزوله، يقال صاب المطر إذا نزَل، والأوتاد: جمع وتد والمراد بها هنا الجبال والشمخ =

على أوليائه بتعريفهم طرق الحقائق[١]، والمجليها لهم من لواحق العوائق والصارف عنهم وبيل النوازل والبوائق. الموجب شكر نعمه على كل حي ناطق[٢]، أحمده حمدًا ينظم منثور هباته، ويبرم منشور رعداته[٣]، ويحوط مذخور صلاته، ويميط محذور نقماته[٤]، وأستهديه لما يحبه ويرضاه، وأستجير به استجارة آبق من أسر هواه، واثق بكرم مولاه[٥]، وأستعصم بحبله الذي لا يضل من أمه ونحاه، وأعوذ بجلال عظمته أن أذكر به وأنساه[٦]، وأفر إليه من خدع نفس عازب رشادها، غالب فسادها[٧]، قليل أسعادها، طويل عنادها[٨]، مشتمل عليها غرورها، متصل في غيها كرورها[٩]، راسبة في لجج آمالها، راغبة عن نهج مآلها[١٠]، مذمومة بأزمة خبالها، مرحومة لسيئ أحوالها[١١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يوازره، ولا مليك يفاخره، ولا معين يضافره، ولا قرين يكاثره[١٢]، عم معروفه ما ذرأ في البسيطه، وتم تأليفه بقدرته المحيطة[١٣].

فاتفقت أصول الصنعة بائتلاف آلاتها. وافترقت فروعها باختلاف أجناسها وسماتها، وتحققت صنع صانعها بتنقل حالاتها، ونطقت مسبحة بحمده في أصناف لغاتها، فسبحان من لا سمي له في برها وبحرها وأرضها وسمواتها، وأشهد أن محمدًا

=

جمع شامخ وهو العالي، والشواهق جمع شاهق وهو المرتفع.

(١) البواسق: الطوال وبسق النخل طال.

(٢) البوائق: الشدائد واحدتها بائقة.

(٣) يبرم: يحكم.

(٤) يميط: يزيل.

(٥) آبق: هارب.

(٦) أمه: قصده ونحاه.

(٧) خدع: جمع خدعة بضم الخاء والعازب البعيد، والرشاد الهدى.

(٨) العناد: الخلاف والإصرار على الباطل بعد ظهور الحق.

(٩) الغي: الفساد، والكرور الكر وهو الرجوع.

(١٠) الراسبة: من رسب الشيء في الماء إذا غاص فيه، والنهج بسكون الهاء وفتحها الطريق الواضح.

(١١) مزمومة: مقودة، والخبال الفساد.

(١٢) يضافره: يعاونه.

(١٣) ما ذرأ في البسيطة ما خلق في الأرض.

عبده ورسوله أرسله ومعالم الإيمان منكورة، ومواسم البهتان معمورة[١]، وأعلام الشيطان منشورة، وأحكام الطغيان مشهورة، والأمم تبع لخطل آرائها، شيع في سبل أهوائها[٢]، تعبد ما لا يملك لها ضرا ولا نفعا، وتجحد من أوسعها إحسانا وصنعا، فحل الله بمحمد صلى الله عليه عقدها، وفل بحده عددها، وأطفأ بنوره نارها، وبوأ أنصاره دارها، حتى عز الذليل، واتضح السبيل، وقام الدليل، وعبد الواحد الجليل، فصلى الله على محمد وعلى آل محمد ما ذر شارق، وما وقب غاسق، وما ثقب طارق[٣]، وما دوم خافق، وما أومض بارق، وما لفظ ناطق، وما تقلقل قدم، وما أبن علم[٤]، وما سلك لقم، وما أجن رحم[٥]، وما جرى قلم، وما أجار حرم. وما انتشر اللوح، وما تلألأت يوح، وما ترددت روح[٦]، وما غبر نجم، وما مح رسم[٧]، وما لقح فهم، وما خطر وهم[٨]، وما تم عزم، وما نفذ حكم، وما عج يم، وما فلج خصم[٩]، وما ارتد لحظ، وما نفع وعظ، وما اتسق لفظ، وما أدرك حفظ[١٠]. وما

---

(١) منكورة مجهولة ونكر الشيء وأنكره واستنكره كله بمعنى ونكر من باب علم نكرًا و نكورا بضم النون، والمواسم جمع موسم وهو الموضع الذي يجتمع فيه لأمر وأصله من وسمته بمعنى علمته.

(٢) تبع: جمع تابع، وخطل الرأي اضطرابه وضعفه وأصله من خطل الأذن وهو استرخاؤها، والشيع الفرق، والأهواء جمع الهوى المقصور وأما الهواء الممدود فجمعه أهوية.

(٣) ما ذر شارق: ما طلع كوكب يقال: شرق الكوكب إذا طلع فهو شارق والمشهور أن الشارق هي الشمس وذر قرن الشمس إذا طلعت وظهر حاجبها، ووقب دخل، والغاسق الليل، والنسق الظلمة وثقبت النار اتقدت، والطارق النجم سمي بذلك لطلوعه ليلا، والطروق المجيء للمنزل ليلا.

(٤) دوم الطائر في السماء: دار، والخافق الطائر ويحتمل أن يراد بالخافق الريح أو السحاب، وأومض البرق لمع ويقال ومض، وأبن أقام، والعلم: الجبل.

(٥) اللقم: الطريق المطروق، وأجن: ستر، والرحم معروفة وذكرها بتأويل الجنس.

(٦) اللوح بالضم الهواء المنتشر بين السماء والأرض، ويوح الشمس ولا تنصرف للعلمية والتأنيث.

(٧) غبر بقي ويجوز أن يكون بمعنى غاب وذهب فإنه من الأضداد، ومح: درس مثل أمحى، والرسم: آثار الديار.

(٨) تلقيح الفهم بالمذاكرة والمطالعة وما أشبه ذلك وقد قيل: الحكمة لقاح الأفهام وقيل مجالسة العاقل تلقح الفهم.

(٩) اليم: البحر، وعج اضطرب، وفلج غلب وانتصر.

(١٠) اتسق: تتابع على الصحة وانتظم.

بقى أنس، وما عرف جنس، وما أوجس حس[١].وما تناوح صدان، وما اختلف الجديدان[٢]. صلاة مالئة كل مكان، دائمة في كل حين وأوان. لا انقطاع لمزيدها، ولا امتناع لمديدها. ولا اتضاع لمشيدها. ولا انصياع لصعودها[٣]. تنتهي إلى مقر أرواحهم. ومقام فلاحهم. فيضاعف الله لهم تحياتها. ويشرف لديهم صلاتها. فتتلقاهم مقرونة بالسرور. محفوفة بالنضارة والنور، دائمة بلا فناء ولا فتور.

اللهم فلك الحمد على هدايتنا بسيد المرسلين. وإدخالنا في جملة من اصطفيته من الموحدين. وتفضيلنا بكتابك النور المبين. الفارق بين الشك واليقين. الذي أعجزت الفصحاء معارضته. وأعيت الألباء مناقضته[٤]. وأخرست البلغاء مشاكلته. فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، اللهم فكما علمتنا تلاوته، وبلغتنا خاتمته. فاجعلنا ممن يقف عند أوامره. ويستضيء بنور جواهره، ويقتني فاخر ذخائره، ويستبصر بغوامض سرائره، ولا يتعدى نهي زواجره[٥].

اللهم أورد به ظماء قلوبنا موارد تقواك، وأشرع لها به سبل مناهل جدواك[٦]، حتى تغدو خماصا على حلاوة قصدك، وتروح بطانا من لطائف رفدك[٧]، ناعمة في

---

(١) الوجس: الصوت الخفي والتوجس التسمع والإيجاس وجود ذلك في النفس، والحس الحركة والصوت.

(٢) تناوح: تقابل، وصدان: تثنية صد والصد ويضم الجبل وناحية الوادي، وفي بعض النسخ ضدان تثنية ضد وهو خلاف الرواية كما أنه خلاف الدراية إذ لا يقال تناوح ضدان، والجديدان الليل والنهار.

(٣) الاتضاع: الانخفاض والانحطاط، والمشيد: المحكم أي لا انهدام لوثيقها ولا انحطاط لعاليها، والانصياع: الاندفاع والمراد يقال: انصاع إذا انفتل راجعا مسرعا.

(٤) الكلام البليغ بذاته هو الذي يجمع ثلاثة أوصاف أن يكون صوابا في موضوع لغته وطبقا للمعنى المقصود به وصدقا في نفسه والبليغ بالعرض هو الذي يورد على وجه حقيق بأن يقبله المقول له ويقبل عليه.

(٥) يقتني: يدخر يقال اقتنى فلان الشيء إذا اتخذه لنفسه لا للتجارة.

(٦) ظماء جمع ظمآن وهو مثل عطاش وعطشان وزنا ومعنى،وشرعت المال إذا أوردته الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء، والمناهل: جمع منهل وهو الماء ينهل منه أي يشرب، والجدوى النفع والفائدة.

(٧) قال في النهاية رجل خمصان وخميص إذا كان ضامر البطن وجمع الخميص خماص ومنه الحديث «كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا» أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة =

رياض اليقين بعرفانك، سالمة من شبه الظنون في عظيم شأنك، واصلة إلى غوامض المكنون، مبصرة ما لا تبصره لواحظ العيون[١].

اللهم نجنا به من تورد الهلكات، وسلمنا به من اقتحام الشبهات[٢]، وعمنا به بسحائب البركات، ولا تخلنا به من لطفك في جميع الأوقات، اللهم جللنا به سرادق النعم وغشنا به سرابيل العصم[٣]، وبلغنا به نهايات الهمم، واقشع به عنا غيابات النقم[٤]، وجنبنا به مخشي الشصائب والقحم، ولا تخلنا به من تفضلك يا ذا الجود والكرم[٥]، اللهم أدفع به عنا حلول القحط واللأواء، واصرف به عنا نزول العسر والغلاء[٦]، وأسبل به علينا جوائز الرضوان والنعماء، وأتح لنا به مرجو الفرج والرخاء[٧]، وانصرنا به على جميع الأعداء، وأعذنا به من درك الشقاء، ووفقنا به لشكر نعمك في الأوقات والآناء[٨]، اللهم أعذنا به من مقارنة الهم ومساورة الحزن ونجنا به من موارد الخسف ونوازل المحن[٩]، وسلمنا به من غلبات الرجال في صم الفتن، واجمعنا به على طاعتك في كل حين وزمن[١٠]، وأعنا به على إدحاض البدع وإظهار السنن، وزينا بالعمل به في كل محل ووطن[١١]، وأجرنا به من عادتك على كل

=

الأجواف اهـ والرفد العطاء.

(١) المكنون المستور وغامضه ما يخفى منه.

(٢) فلان يتورد المهالك أي يتكلف الورود عليها، والاقتحام الدخول في الأمر الصعب بلا روية.

(٣) جلله غطاه وتجلل بثوبه تغطى وعدي جلل إلى مفعولين بتضمينه معنى ألبس، والسرادق ما يضرب حول الخيام، وغشنا من غشى الشيء بالتثقيل إذا غطاه والغشاء الغطاء.

(٤) اقشع أزل واكشف، والغيابات جمع غيابة وهي مثل الغمامة وكل ما غيب شيئًا عنك فهو غيابة.

(٥) الشصائب جمع شصيبة وهي الشدة والجدب، والقحم جمع قحمة بالضم وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد والقحمة أيضا السنة المجدبة.

(٦) اللأواء الشدة.

(٧) أتح قدر ويسر.

(٨) الدرك بفتحتين وسكون الراء لغة اسم من أدركت الشيء والمراد بدرك الشقاء بلوغه لمن شقي.

(٩) المساورة المواثبة والمغالبة.

(١٠) والصم جمع صماء وهي الفتنة التي لا يهتدى إلى الخلاص منها.

(١١) الإدحاض الإبطال يقال دحضت حجته إذا بطلت وهي من باب نفع وأدحضت حجته

=

جميل حسن، إنك العواد بغرائب الفضل وطرائف المنن[١]، اللهم اجمع به كلمة أهل دينك على القول العادل، وارفع به عنهم عزة التشاحن وذلة التخاذل[٢]، واغمد به عن سفك دمائهم سيف الباطل، وخر لنا به ولسائر المسلمين في العاجل والآجل[٣]، وجملنا به وإياهم في المشاهد والمحافل، وعمنا وإياهم بإنعامك السابغ وإحسانك الشامل، إنك على ما تشاء قادر، ولما تحب فاعل، اللهم اجعلنا به من الذين جدوا في قصدك فلم ينكلوا، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا[٤]، واعتمدوا في الوصول عليك حتى وصلوا، فرويت قلوبهم من محبتك، وأنست نفوسهم بمعرفتك، فلم يقطعهم عنك قاطع، ولا منعهم عن بلوغ ما أملوه لديك مانع، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

اللهم إنا ندعوك دعاء من يرجوك ويخشاك، ونبتهل إليك ابتهال من لم يخطر بباله عند مسألتك أحد سواك ورحمتك تسع من أطاعك منا وعصاك، فإما محسن فقبلته، وإما مُسيء فرحمته[٥]، يا من أدنى المنقطعين إليه، وأغنى المتوكلين عليه وضمن لمن دعاه جزيل ما لديه، جللنا من رأفتك يا من واق، واشملنا من رعايتك بركن باق، وأوصلنا بعنايتك إلى غاية السباق، واجعلنا برحمتك من أهل الرعاية للميثاق، واعمر قلوبنا بخشية ذوي الإشفاق، حتى لا نرجو سواك ولا نقصر عن بلوغ رضاك، اللهم أنت أنيسنا في الخلوة إذا أوحشنا المكان، ولفظتنا الأوطان، وفارقنا الأهل والجيران[٦]،

=

أبطلتها ودحض الرجل إذا زلق وزل

(١) الطرائف: جمع طريفة وهي الشيء المستملح وبابه ظرف.

(٢) التشاحن: التباغض وعدم مسامحة بعضهم بعضا، والتخاذل: عدم التناصر.

(٣) نكل عن الشيء نكولا: جبن عنه وتأخر وبابه قعد، وعدل عن الطريق حاد عنه وانحرف.

(٤) استخرت الله فخار لي أي طلبت منه خير الأمرين فاختاره لي.

(٥) ابتهل إلى الله ضرع إليه، وخطر الشيء بباله وعلى باله من باب دخل إذا ذكره في نفسه، وخطر الرجل في مشيه من باب ضرب إذا اهتز في مشيه وتبختر، وخطر الشيء من باب ظرف إذا عظم، وأما هنا بالفتح وهي لتفصيل الجمل.

(٦) لفظتنا طرحتنا وألقتنا، والمراد بالأوطان ديار الأحياء.

وانفردنا في محل ضنك قصير السمك[١]، ضيق الضريح، مطبق الصفيح[٢]، مهول منظره، ثقيل مدره[٣]، محلاة بالوحشة عرصته، مغشاة بالظلمة ساحته[٤]، على غير مهاد ولا وساد، ولا تقدمه زاد ولا اعتداد[٥]، اللهم فتداركنا هنالك برحمتك التي وسعت الأشياء أكنافها، وجمعت الأحياء أطرافها، وعمت البرايا ألطافها، وجد علينا برحمتك يا رحيم، ولا تؤاخذنا بالجرائم يا كريم.

اللهم ارحم منا من اكتنفته سيئاته، وأحاطت به خطيئاته، وحفت به جناياته[٦]، ارحم من ليس له من عمله نافع، ولا يمنعه من عذابك مانع، ارحم الغافل عما أظله، والذاهل عن الأمر الذي خلق له[٧]، ارحم من نقض العهد وغدر، وعلى معصيتك انطوى وأصر، وجاهرك بجهله وما استتر، ارحم من ألقى عن وجهه قناع الحياء وحسر عن رأسه جلباب الأتقياء، واجترأ على سخطك بارتكاب الفحشاء[٨]، يا من آنس العارفين بطيب مناجاته، وألبس الخائفين ثوب موالاته متى فرح من قصدت سواك همته، ومتى استراح من أرادت غيرك عزيمته، ومن ذا الذي قصدك بصدق الإرادة فلم تشفعه في مراده، أمن من ذا الذي اعتمد عليك فلم تجد بإسعاده، أم من ذا الذي استرشدك فلم تمنن بإرشاده، هانحن عبيدك المقصرون الخاطئون، المذنبون المستغفرون[٩] جئناك من ثقل الأوزار هاربين، ولمعرفتك طالبين، وعلى ما اجترحنا من الخطايا نادمين، نتوسل إليك بمحمد سيد المنتجبين وبعترته الخيرة الأبرار الطيبين،

---

(١) الضنك: الضيق، والسمك: الارتفاع.

(٢) الضريح: الشق في وسط القبر واللحد في جانبه، والصفيح: الحجارة المنبسطة.

(٣) هاله الأمر: أفزعه، والأمر هائل والظاهر هنا هائل منظره.

(٤) العرصة بوزن الضربة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والجمع: عراص وعرصات.

(٥) المهاد: الفراش ومهد الفراش بسطه ووطأه وبابه قطع، والوساد والوسادة بكسر الواو فيهما المخدة، والجمع: الوسائد ووسدته الشيء توسيدا فتوسده إذا جعلته تحت رأسه، والزاد: طعام يتخذ للسفر والمزود بالكسر ما يجعل فيه الزاد وزوده كذا جعله له زادًا، واعتد بالشيء اعتنى به.

(٦) اكتنفته: أحاطت به من أكنافه أي جوانبه.

(٧) أظله: دنا منه وقرب.

(٨) المقنعة بكسر الميم ما تقنع به المرأة رأسها والقناع أوسع من المقنعة، وحسر كمه عن ذراع كشفه وبابه ضرب والانحسار: الانكشاف.

(٩) الخاطئ: المذنب وماضيه خطئ بالكسر والمخطئ ضد المصيب.

أن تجعلنا في هذه الليلة من المرحومين، وأن لا تردنا بالخيبة محرومين، وافعل ذلك بنا وبسائر المسلمين، اللهم صلِّ على من أمرتنا بالصلاة عليه وأجزلت الثواب لمن قبل أمرك وانتهى إليه، محمد عبدك النبي العربي الأمي، الطاهر الزكي، الإمام المرضي الذي تخيرته من جميع القبائل، وأوضحت به نهج الدلائل، وجعلته إليك أكبر الوسائل، صلاة تكرم بها مثواه، وتشرف بها عقباه، وتبلغه بها يوم الشفاعة رضاه، اللهم وصل على ذريته الأدنياء وعترته الأقرباء، وأهل بيته النجباء[1] الذين ألزمتنا طاعتهم، وفرضت علينا في الكتاب مودتهم، فقلت وقولك الحق: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣][2].

اللهم وصل على جميع صحابته الصادقين، ووزرائه السابقين، الذين آووه ونصروه، وآسوه وعزروه[3]، واتبعوا النور الذي أنزل معه لما عرفوه، وبوصاياه وأوامره بعد وفاته خلفوه، ولم يزالوا على عهده وميثاقه حتى لقوه، أولئك الذين تخيرتهم لنصرته وانتجبتهم لإقامة دعوته، ورضيت عنهم بالمسارعة إلى بيعته، اللهم وصل على أزواجه الخيرات الطاهرات، وعلى جميع المهاجرين والأنصار، صلاة جائزة حد الإكثار دائمة بالعشي والإبكار، اللهم أحينا على حبهم وأعذنا من سبهم، اللهم إنا لا نتخذهم أربابا، ولا نجعل بعضهم على بعض أحزابا، بل هم عبيد مربوبون سامعون مطيعون، دعاهم نبيك فأجابوه، وأمرهم فأطاعوا، وعلى رضوانك بايعوه ولإقامة دينك تابعوه، اللهم فصل عليه وعليهم منتهى الآباد، وفناء الأعداد صلاة دائمة بلا فناء ولا نفاد، اللهم وإذا انقطع من الحياة سلك نظامها، وأترع للنفوس كأس

---

(١) الأدنياء جمع دني غير مهموز بمعنى القريب تقول دنا فلان إذا قرب وبينهما دناوة أي قرابة وعترة الرجل نسله ورهطه الأدنون.

(٢) توهم بعضهم أن الاستثناء هنا منقطع وأن إلا بمعنى لكن معللا ذلك بأن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون الأجر على تبليغ الرسالة والتحقيق أن الاستثناء هنا متصل فإنه أبلغ في نفس طلبهم الأجر ويظهر ذلك مما قيل في نحو قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(٣) آساه بماله جعله أسوته فيه وواساه لغة ضعيفة فيه، وعزروه: وقروه وعظموه وإنما ساغ استعماله. اللفظ مع أنه قد يقال عزرت فلانا بمعنى أدبته لوقوعه أثناء ألفاظ كلها تنافي هذا المعنى.

حمامها[١]، وتصرمت أوقات لياليها وأيامها، وانحسمت كواذب أطماعها في مقامها[٢]، واستسلمت لهجوم المنايا وإقدامها، وكلمت فلم تصل إلى معهود كلامها[٣]، واسترجعت ودائع الأرواح من أجسامها، وحصلت في بطون الأرض أكلا لهوامها إلى يوم مرجعها وقيامها[٤]، اللهم فاشغلنا بالقرآن في ذلك المقام عن الجزع، وغشنا به سرابيل أهل الورع[٥]، وأعنا به على هول المطلع واجعله لنا معقلا منيعا من آفات يوم الفزع[٦]، اللهم وفقنا به لإقامة الحجة عند ضيق المحجة[٧]، في اليوم الثقيل بين يدي الملك الجليل يوم الآزفة والرادفة إذ القلوب لدى الحناجر واجفة[٨]، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾، وتجد كل نفس محضرا ما أسلفت، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾، ويجد كل امرئ ما قدمه لديه، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾

---

(١) السلك بالكسر الخيط وسلك الدرر الخيط الذي تنظم فيه، وأترع: ملئ والكأس مؤنث ولا يسمى كأسا حتى يكون فيها شراب وإلا فهي قدح وإنما ذكر الفعل هنا للفصل بينه وبين مرفوعه.

(٢) تصرمت انقضت وأصله من الصرم وهو القطع، وانحسمت: انقطعت.

(٣) استسلمت: انقادت وخضعت.

(٤) الأكل بضمتين ما يؤكل، والهوام مشددة في الأصل وخففت هنا لرعاية الفواصل وهي جمع هامة، ولا يقع هذا الاسم في الأكثر إلا على كل مخوف من الحشرات.

(٥) فاشغلنا بوصل الهمزة من شغل من باب قطع فهو شاغل، ولا يقال أشغل إلا في لغة رديئة، والجزع ضد الصبر وبابه طرب، وغشنا ألبسنا وهو من التغشية وأصل معناه التغطية والسرابيل جمع سربال، وهو القميص، وقد أطلق السرابيل على الدروع ومنه قول كعب في نعت الصحب:

شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

(٦) المطلع: مكان الإطلاع من موضع عال يقال مطلع هذا الجبل من مكان كذا أي مأتاه، ومصعده ومنه حديث عمر (لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع) يريد به الموقف يوم القيامة أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال والمعقل الملجأ.

(٧) المحجة بفتح الميم جادة الطريق.

(٨) الآزفة في الأصل بمعنى القريبة، تقول أزف الرحيل إذا دنا وبابه طرب فهو آزوف والمراد بها هنا القيامة، والرادفة في الأصل بمعنى: التابعة والمراد بها النفخة الثانية التابعة للأولى المسماة بالراجفة، وواجفة مضطربة خوفا، والحناجر جمع حنجرة وهو أقصى الصدر مما يلي الحلق.

وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾، ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾[١]، ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾[٢]، اللهم إنك جعلت الموت حتما على البرية، وعدلا حاكما بينهم بالسوية لا يغادر من خلقك أحدا إلا توفاه، ولا يترك منهم عددا إلا استوفاه، وقد سلك سبيله من سبق من الغابرين، وسيرد موارهم من لحق من الآخرين حتى ترث الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين، اللهم فتعطف على كافة أموات المسلمين الراحلين المقيمين المضطهدين[٣]، المستسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم كن لهم بعد الأحباب حبيبا، ولدعاء من دعا لهم من خلقك مجيبا، واجعل لهم في مواد رحمتك ومواهبك حظا ونصيبا، يا من لم يزل سميعا قريبا، اللهم اجعل قبورهم مغايض صلاتك، ومقار هباتك[٤]، وطرق إحسانك، ومحال عفوك وغفرانك حتى يكونوا في بطون الإلحاد مطمئنين، وعند قيام الأشهاد آمنين[٥]، وبجودك ورضوانك واثقين، وإلى أعلى درجات جناتك سابقين، واخصص بذلك الآباء والبنين والإخوة والأقربين، والجيرة والأهلين. آمين يا رب العالمين.

ثم تدعو لجيوش المسلمين وسراياهم بما أحببت من الفصول المتقدمة[٦]، ثم تأتي

---

(١) الأجداث القبور، النصب بضمتين وتسكن صاده ما نصب فعبد من دون الله والجمع أنصاب، ويوفضون: يسرعون.

(٢) وترهقهم: تغشاهم وبابه تعب.

(٣) المضطهد: المقهور أشد قهر يقال اضطهدت فلانا وضهدته إذا قهرته قهرا شديدًا.

(٤) مغايض: جمع مغيض وهو الموضع الذي يغيض فيه الماء يقال غاض الماء إذا ابتلعته الأرض، والمراد بالمغايض هنا المقار.

(٥) الأشهاد جمع شهد بوزن صحب وهو جمع شاهد، والمراد بالأشهاد من يشهد على الإنسان أو له يوم القيامة، وقد أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١] وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]

(٦) السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا.

بما بعد ذلك مما قد ذكرناه في الخطبة الثانية على المنبر إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١][(١)].

ثم نقول رفع الله إليه طيب علمنا، وتجاوز بعفوه عن ذنوبنا وزللنا، وسمع صالح أدعيتنا، ومنَّ علينا وعليكم بإجابتنا، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، ثم تقول: عباد الله إن ربكم أكرم مسئول، وأقرب مأمول، وقد تكفل لكم عند الدعاء والإنابة. بتحقيق الرجاء وتعجيل الإجابة[(٢)].

تمت خطب خطيب الخطباء عبد الرحيم بن نباته

تغمده الله بالرحمة

ويليها

خطب ابنه أبي الطاهر محمد رحمه الله

****

---

(١) يعبر بالحسنة عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وأحواله، قال بعض العارفين: إن في هذه الآية ثلثمائة من الأقوال وأحسنها: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ وهي اتباع الأولى ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ وهي الرفيق الأعلى، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو الحجب عن المولى، وإنما تنوعت تلك الأقوال لتنوع أحوال القائلين فإن اللفظ إذا كان عاما شاملا يعسر الإتيان بجميع ما يتضمنه تفصيلا، فيذكر كل مفسر بعض ما يشمله ذلك اللفظ مما يكون أهم عنده أو عند من سأله وليس في ذلك ما ينفى ما سواه، وأكثر الأقوال يجدها العارف متحدة في المآل، وإنما تتفاوت في الرجحان، بالإيجاز وزيادة الفائدة ووضوح الدلالة وما أشبه ذلك ولنذكر لك بعض تلك الأقوال على وجه الإجمال، قالوا الحسنة في الدنيا: الطاعة والقناعة والعافية، ومعرفة الله وطلب مرضاته، واليقين والوجد، والذكر الخالص والإعراض عن الدنيا والرضا بالقضاء، والغيبة عن كل غائب عن الحق، والمحبة والحسنة في الآخرة، ورفع الحجب والفوز برضى الرب والغيبة عن الذكر بتجلي من ذكر والرجوع إلى فضله ورحمته، والفوز والنجاة والمنازل العلية.

(٢) الإنابة والرجوع إليه سبحانه بالتوبة وإخلاص العمل، وحقق الله سبحانه الرجاء صدقه وجعله حقا. وهنا تم ما قصدناه من شرح ديوان خطيب الخطباء عبد الرحيم بن نباته أزكى الله نباتنا، ونباته والحمد لله كما يليق بجلاله وجزيل نواله والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وعلى آله.

خطب ولده أبي طاهر محمد رحمه الله

الحمدُ للهِ محققِ آمال الطالبينَ إليه. وموفّقِ من آمنَ به وتوكلَ عليه، الذي جعلَ الحمدَ من نَعمِهِ سببًا للمزيد. وآخرَ دعوى أهل جنّتِهِ يومَ الخلود، أحمدُهُ حمد معترف بالتقصير عن شكر إحْسَانه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةً لا جزاء لقائلها دونَ رضوانه. وأشهد أنّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ والأممُ على الأوثانِ عاكِفَة. وعن البُرْهانِ صادفة[1]، وبزورِ الكلمِ ناطقة. ولنورِ الحكمِ مُفارقة. فقشع الله بنبيه محمد ﷺ سحائبَ ضلالها. وأبطلَ بحقائقه عجائب محالها[2]، وروى ببحور حكمهِ من نكَّبَ عن بطلٍ آلها. صلى الله عليهِ وعلى آله صلاةً مشفوعةً بأمثالها. مرحومًا بها من أخلصَ في مقالها[3]. وسلم تسليما.

أيها الناس: إنّ رياحَ الذنوب هبَّتْ في القلوب فأطفأت مصابيحها. وعسر على العظات فتح أقفالها لما أضاعت الغفلة مفاتيحها، وعامت النفوس في بحار شجبها حين سترت الغرة عنها تماسيحها. وأصاخت بأسماع لعبها لغماغم كذبها فلم تع إفصاح المنايا وتصريحها[4]، والموت تصدح في كل دار عتارفه، وتسفح درر الأبصار عواصفه[5]، وتبطل خدع الآمال حقائقه. وتسهل ترع الآجال صواعقه[6]، وأنتم في غفلة من المهلة ساهون، وعما أظلكم من وشك الرحلة لاهون[7].

---

(١) عاكفة مقيمة. وصادفة ممرضة.

(٢) قشعت الريح السحاب كشفته وإزالته فأقشع وتقشع وانقشع.

(٣) نكب عن الجادة وغيرها مال عنها وعدل. والبطل الباطل. والآل السراب وهو ما يراه الرائي كأنه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئًا. والمراد بآل الأمم المنحرفة عن الأمم ما يزين لها من الباطل الذي هو عن حلية الحقيقة عاطل. ويحتمل أن يراد بالآل الأهل والضمير يرجع إلى عجائب المحال أو الأمم إذا لوحظ في الآل معنى الأنصار. ومشفوعة مقرونة.

(٤) عامت سبحت. والشجب الهلاك والاختلاف. والتماسيح جمع تمساح وهو حيوان معروف. وأصاخت استمعت. والأسماع جمع سمع. والغماغم الأصوات المختلطة الغير المفهومة وهي جمع غمغمة.

(٥) العتارف الديكة واحدها عترف وصدح الديك صوت وغرد. وسفح صب، والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه ودفعة المطر، والعواصف الرياح القوية.

(٦) الترع جمع ترعة وهي فم الجدول والباب والدرجة يريد أن صواعق الموت تجعل في جداول الآجال ترع أو أن صواعقه تفتح أبواب الآجال.

(٧) الوشك السرعة

فاستيقظوا رحمكم الله من رقدة هلاك قد استحوذت عليكم، واتعظوا بما أدت الأيام من أخبار من اخترمت[١] إليكم، وبادروا بالتوبة قبل أن تغلق أبوابها، وقدموا لأنفسكم فقد أزف إلى الآخرة إيابها[٢].

وتدبر أيها العاقل ما يلقى إليك من غرر الحكم والأمثال. والزم تقوى ربك في القول والفعال، واطرح فعل ما تعود عواقبه عليك بالوبال، وتزود من دار المحال لدار المآل قبل أن تدب عليك عقارب الأسقام، وتخب إليك ركائب الآلام[٣] وتلمع لديك صوارم الحمام، ويسمع عليك أعوال الحريم والخدام[٤]، وتسئل فلا تقدر على رجع الكلام، وتسير إلى الحاضرين بحفظك في الأيتام، قبل أن تقبض يدا وتبسط أخرى، وتنظر إلى حامتك بمقلة عبرى[٥]، ويشغلك كبير ما نزل بك عن الصغير من ولدك والصغرى، وتصبح رهين الثرى إلى يوم الطامة الكبرى[٦]. ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٦، ٣٥] هنالك ينكشف المكتوم، وينتصر المظلوم وتحضر الخصوم، ويحكم الحي القيوم، فتقبح لسوء الحساب وجوه الظلمة، وتفتح لأليم العذاب أبواب الحطمة[٧]، وتخس رءوس العظماء لسلطان العظمة، وتخرس ألسن البلغاء عن النطق بكلمة[٨]، وترعد فرائص البرآء إشفاقا وفرقا،

---

(١) استحوذت غلبت. واخترمت أهلكت.

(٢) أزف قرب، والإياب: الرجوع.

(٣) الدبيب مشي خفيف ويستعمل في الحيوان وأكثر ما يستعمل في الحشرات وقد يستعمل في الشراب وغيره على المجاز وهو من باب ضرب، والخبب نوع من السير سريع يقال خب الفرس يخب خبا وخبيبا وبابه رد، والركائب جمع ركاب والركاب الإبل التي يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها.

(٤) الأعوال البكاء والصراخ هو مصدر أعول والاسم العويل

(٥) حامة الرجل أقاربه، وعين عبرى أي باكية.

(٦) الرهين المرهون وهو المحبوس، والثرى التراب الندي، والطامة الكبرى القيامة سميت بذلك لكونها تطم على ما قبلها أي تزيد وتغلب.

(٧) الحطمة نار جهنم سميت بذلك لأنها تحطم من فيها أي تهلكهم وأصل الحطم الكسر.

(٨) خنس عنه تأخر وبابه دخل ويقال للكواكب خنس لأنها تخنس في المغيب أو لأنها تتخفى نهار ويقال للشيطان خناس لأنه ينقبض عند ذكر الله تعالى وخنس الأنف خنسا من باب تعب انخفضت قصبته وتخنس هنا بمعنى تخفض وتطأطأ فالأولى جعله مأخوذا من الخنس في الأنف وفي ذلك يحصل التوازن في الحركات بين تخنس وتخرس، والرءوس يمكن أن يحمل على =

وتمد الجحيم إلى كل فريق من المجرمين عنقا[(١)]، وتمزقهم بين أطباقها تغيظا وحنقا، ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ الآية [الكهف: ٢٩][(٢)].

آمننا الله وإياكم من سطوات ناره، ووفقنا وإياكم للعمل بإيثاره، ولا حرمنا وإياكم روح جنته في جواره.

إن أحسن ما نطقت به الأفواه، وتحركت به الألسن والشفاه، كلام من هو في السماء إله وفي الأرض إله، وتقرأ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ إلى آخرها.

خطبة لأبي طاهر

الحمد لله المستحمد بنعمه، المتودد بكرمه[(٣)]. المؤيد بعصمه، المرشد بحكمه[(٤)]. الذي عظم حلمه عن المذنبين فعفا، وعم تجاوزه عن من أسقط وهفا[(٥)]، وحكم بالعدل فيما قضى، وعلم ما يكون وما مضى، أحمده على إلباسنا ثوب العافية، وأستزيده من نعمه البادية والخافية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادع له بحقيقة التوحيد، نازع عن شبه الشك والتقليد[(٦)]، وأشهد أن محمد عبده الداعي بإذنه إليه، ورسوله الوجيه المكرم لديه، أرسله بالحق داعيا، وعن الباطل ناهيا. فأفصح فيما بلغ من الرسالة، وأوضح ما جاء به من الدلالة. حتى حظي بدار النعيم من وفق لإجابته،

=

ظاهره، ويمكن أن يراد به المقدمون.

(١) الفرائص جمع فريصة وهي لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع، وأرعد الرجل على ما لم يسم فاعله أخذته الرعدة ويقال أرعدت فرائصه، والفرق بفتحتين الخوف يقال فرق منه من باب طرب فرقا إذا خاف.

(٢) الحنق الغيظ وقد حنق عليه من باب طرب فهو حنق إذا اغتاظ، والمهل بضم فسكون دردى الزيت.

(٣) المستحمد الطالب للحمد، والباء للسببية يريد الحمد لله الآمر عباده بسبب نعمه أن يحمدوه والظاهر أن الطلب هنا بلسان الحال.

(٤) العصم جمع عصمة والعصمة من الله لعبده أن يحول بينه وبين المعصية.

(٥) اسقط أتى بسقطة. وهفا زل يقال هفت قدمه إذا زلت.

(٦) الصادع المصرح يقال صدع بالحق إذا صرح به مجاهرة ولم يراقب وصدع بالحجة إذا أتى بها واضحة كأنها تصدع الباطل أي تشقه والصدع النبات لأنه يشق الأرض ونزع عن الشيء كف عنه وأقلع.

ولظى بنار الجحيم من نكب عن سبل إرادته(١).

صلى الله عليه وعلى أهل بيته وصحابته، والمصطفين من أسرته وأهل ولايته، صلاة يبيجهم بها دار كرامته(٢). وسلم تسليما.

أيها الناس: من أدلج في غياهب ظلم دنياه. صبح منازل أمنه غدا وبلغ مناه(٣). ومن قمع بصدق عزيمته غالب هواه، أمن يوم الفزع الأكبر ما يحذره ويخشاه. فاتقوا الله عباد الله فإنه أهل أن يتقى، وراقبوه مراقبة من يعلم أن ما عنده خير وأبقى. ولا تغرنكم الحياة الدنيا فما صدقت أحدًا فيما حدثته، وتجافوا عن حطامها فما صفا منها شرب إلا كدرته نوائبها وخبثته(٤).

فكونوا قواما عاينوا قبح عواقبها الذميمة فخافوها، ومدت إليهم أيدي نعمها الجسيمة فعافوها. ودعتهم بجميع ألسن خدائعها فخالفوها، وتنكروا لها قبل تنكرها لهم لما عرفوها، فكم لها من رضيع لبان فطمته مصائبها فما انتعش، وكم بها من صريع حدثان شاكته نوائبها فما انتقش(٥).

---

(١) لظى بالنار صلي بها واللظى شدة لهب النار، ولظى من أسماء النار لا تنصرف للعلمية والتأنيث ونكب عن الطريق مال عنه وعدل وبابه نصر ومثله نكب عنه وتنكب.

(٢) أسرة الرجل أهله الأدنون الذين يشتد بهم أسره أي قوته.

(٣) أدلج سار من أول الليل وادلج بتشديد الدال سار من آخره، والغياهب جمع غيهب وهو الظلمة والليل.

(٤) الحطام في الأصل ما تحطم من المرعى أي تكسر وييس وحطم الشيء من باب ضرب كسره وانحطم وتحطم انكسر، والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ما تلقى.

(٥) اللبان بالكسر كالرضاع، يقال هو أخوه بلبان أمه إذا شربا من لبن واحد ولا يقال بلبن أمه وكان اللبان مصدر لابن يلابن مثل كاتب يكاتب، وانتعش العاثر نهض من عثرته ونعشه الله من باب نفع رفعه وخلصه وتقول نعشته فانتعش إذا تداركته من ورطة، والحدثان بوزن حيوان اسم بمعنى حوادث الدهر قال صاحب التاج وأنشد شيخنا رحمه الله في شرحه قول الحماسي:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوهن البيض سودا

محركة قال وكذلك أنشدهما شيخانا ابن الشاذلي وابن المسناوي وهما في شرح الكافية المالكية وشروح التسهيل وبعضهم اقتصر على ما في الصحاح من ضبطه بالكسر كالمصنف وبعضهم زاد في التفنن فقال حدثان تثنية حدث والمراد منهما الليل والنهار وهو كقولهم الجديدان والملوان ونحو ذلك اهـ، ولا يخفى أن القول الثالث لا يجري هنا إلا على قول =

ألا وإن الموت قد بسط إلى قبض نفوسكم يدا، لا يرجعها دون استيفاء عدد كم أبدا حتى يلحق الأواخر منكم بالأوائل، ويبدلكم ضيق الملاحد برحب المنازل[١] ويهتك بأيدي الفجائع ستور الحلائل، ويسفك شئون المدامع، ومن الخل المواصل[٢] ويذر الديار من أربابها قاعا صفصفا، ويورد الخليقة لحسابها موقفا[٣]. هنالك وضعت الحوامل أحمالها، ومنعت الحقائق رجالها[٤]، وطوقت الخلائق أعمالها، وأنطقت الجرائم أوصالها[٥]. وصدق المكذبون بيوم الحساب، وأشفق المجرمون مما في الكتاب[٦]. وعرف المبطلون غب ما أنكروا، وألحقوا بدار البوار وخسروا[٧]. ونضنضت الجحيم ألسنتها حين رأتهم، وحرضت عليهم زبانيتها فتخطفتهم[٨]. وردمت أبوابها فيئسوا، وحلت بهم مثلاتها فأبلسوا[٩]. وضل عليهم إلى الفرج وجه الطريق، وأعوزهم عون المظاهر والصديق[١٠].

وأسلموا إلى تواصل الزفير والشهيق، وهوت بهم الهاوية في المكان السحق ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢].

=

من يلزم المثنى الألف، وانتقش نزع الشوكة من لحمه،

(١) الملاحد القبور وهو جمع ملحد من لحد للقبر إذا شق في جانبه ويقال ألحد.

(٢) الحلائل الزوجات، ويسفك شئون المدامع أي يجري ويصب والشئون جمع شأن وهو مجرى الدمع.

(٣) الصفصف المستوى من الأرض كأنه على صف واحد، والقاع المستوى من الأرض.

(٤) الحقائق جمع حقيقة وهي ما يحق على الإنسان أن يحميه يقال فلان حامي الحقيقة كما يقال حامي الذمار يريد أن الأمر في الآخرة على خلاف ما في الدنيا فإن الحقائق التي كانت تحمى بالرجال صارت تحمي الرجال ويحتمل وهو الأقرب للمقام أن الحقائق تمنع رجالها هناك من حمايتها لظهور العجز فيهم.

(٥) الأوصال الأعضاء وهو جمع وصل والضمير يعود إلى الخليقة أو إلى الجرائم.

(٦) أشفق من الشيء خاف منه وأشفق عليه اعتنى به اعتناء مختلطا بخوف عليه.

(٧) غب الشيء عاقبته، والبوار الهلاك.

(٨) نضنض لسانه حركه وقلبه، ورأتهم قابلتهم ويحتمل أن يكون على القلب فيكون المعنى إذا رأوها.

(٩) ردمت أطبقت وسدت، والمثلات العقوبات، وأبلسوا تحيروا ويئسوا.

(١٠) ضل عليهم وجه الطريق أي التبس، وإلى الفرج متعلق بالطريق.

جعلنا الله وإياكم ممن أخذ لذلك اليوم العظيم أهبته، وقدم قبل القدوم عليه توبته[١]، فرحم نفسه الضعيفة قبل عطبها، وجعل سعيه في الخلاص من ربه أكبر اربها[٢].

إن أولى ما التمس به التقويم، وأهدى ما سلك به الصراط المستقيم، كلام من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم[٣]، وتقرأ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

خطبة في معنى الخمر تأليف أبي طاهر

الحمد لله المستوجب للثناء والحمد، المتجلبب بالكبرياء والمجد[٤]، الذي باين بعظمته الخلطاء والأصحاب، وضمن العفو عمن أقلع عن معصيته وأناب، أحمده حمد شاكر لنعمته مستزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها لا نسب له غير التوحيد.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى أمة عادلة عن الرشاد، عاملة بالفسوق والفساد، كافرة بالبعث والمعاد، مجاهرة بالكفر والإلحاد، فسكن الله بمحمد صلى الله عليه رهجها، وأبطل بحقه حججها[٥]، وأصلح بالقرآن ذللها، وأوضح إلى الإيمان سبلها، صلى الله عليه وعلى آله أشرف الصلوات وأفضلها، وأسبغها بركات عليهم وأجزلها، وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الله تعالى ذكره قد بصركم المحجة إلى دار أمانه، وألزمكم الحجة بتحذيركم نفسه في تبيانه، وشرفكم بدين الإسلام لتعبدوه حق عبادته، وأنزل عليكم

---

(١) الأهبة العدة والجمع أهب مثل غرفة وغرف.

(٢) العطب الهلاك، والأرب الحاجة.

(٣) لفظ الكتاب العزيز وهو السميع البصير.

(٤) الجلباب ما يغطى به من ثوب وغيره والجمع الجلابيب وتجليب الرجل لبس الجلباب قال ابن الأثير وفي الحديث قال الله تبارك وتعالى "العظمة أزاري والكبرياء ردائي" ضرب الإزار والرداء مثلا في انفراده بصفة العظمة والكبرياء أي ليستا كسائر الصفات التي قد يتصف الخلق بها مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد فكذلك الله لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد ومثله الحديث الآخر "تأزر بالعظمة وتردى بالكبرياء وتسربل بالعز".

(٥) الرهج في الأصل الغبار والقتام والمراد به هنا الفتن والبدع.

الذكر لتنتهوا منه إلى إرادته، وشحنه بجوامع الأحكام، وفرق به بين الحلال والحرام[١].

وخاطبكم فيه على لسان نبيه عليه السلام، فقال -ولقوله الإجلال والإعظام-: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]، وقال وهو أصدق قيلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠] الآيتين[٢] ألا وإن الخمر من أكبر الكبائر، المؤذنة بهجوم مذموم الدوائر، وسمعة لذوي الأقدار فاضحة، وشرعة إلى دار البوار طارحة[٣]، تخرج بشاربها إلى حال اللمم، وتدخله بعد الوجود في معنى العدم[٤]. كم دم بجرائرها قد سفك، ورحم بغوائلها قد بتك[٥].

---

(١) شحنه ملأه ومنه الفلك المشحون.

(٢) الميسر: القمار والأنصاب : الأصنام التي يذبح لها واحدها نصب، والأزلام: قداح الميسر واحدها زلم.

(٣) الشرعة الطريق، وإنما عدي طارحة بـــ (إلى) لكونه ضمنها معنى مفضية.

(٤) للمم طرف من الجنون، واللمم أيضًا مقاربة الذنوب الصغيرة.

(٥) الجرائر جمع جريرة وهي ما يجره الإنسان من ذنب، وبتك: قطع، والرحم مؤنثة وإنما لم يؤنث الفعل لأن الضمير في بتك يعود على كم ويناسب هذا المقام فصل أورده بعض أهل الفضل وملخصه أن الذي عليه جمهور الأئمة أن نصوص الشرع وافية بجمهور أحكام أفعال العباد وذلك أن الله بعث محمدًا ﷺ بجوامع الكلم فيأتي بالكلمة الجامعة التي هي قاعدة كلية وقضية عامة فتتناول أنواعا وتتناول تلك الأنواع أعيانا لا تحصى، مثال ذلك أن الله حرم الخمر فتناول الخمر كل مسكر فصار تحريم كل مسكر بالنص العام: على أنه ثبتت أيضا نصوص بتحريم كل مسكر ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»، وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه سئل فقيل له عندنا شراب من العسل يقال له البتع وشراب من الذرة يقال له المزر قال: وكان قد أوتي جوامع الكلم فقال: «كل مسكر حرام»، وعلى هذا فتحريم كل ما يسكر من الأشربة والأطعمة كالحشيشة المسكرة ثابت بالنص، وهذا النص متناول لشرب الأنواع المسكرة من أي مادة كانت من الحبوب والثمار أو من لبن الخيل أو من غير ذلك.

وقد ثبت في الآثار المستفيضة أن الخمر لما حرمت لم يكن بالمدينة من خمر العنب شيء وإنما كان خمرهم من التمر ولما حرمت الخمر أراقوا تلك الأشربة فعلم أن لفظ الخمر لم يكن عندهم مخصوصا بعصير العنب سواء عرفوا التعميم من اللغة أو من الشرع فإن الشارع يتصرف في اللغة تصرف أهل العرف فيستعمل اللفظ تارة فيما هو أعم من معناه في اللغة وتارة فيما هو أخص.

=

وكم ظهر حرام قد ارتكب، ووزر موجب للانتقام قد اكتسب، تزيل ما ألبسكم الله بهجته من شرف العقول، وتورد معاقرها موارد الآثم الجهول، وتسمه في العاجلة بسمات العار والخمول، وتلحقه في الآجلة بأهل العصيان لله والرسول، فقد أفصح بتحريمها نص الكتاب، وما يؤثر عن نبيكم عليه السلام من فصل الخطاب، حرمت عليكم الخمرة بعينها والمسكر من كل شراب ألا وإنه من أصر عليها فلم يتب، وأسمعته الدعوة إلى تحريمها فلم يجب، سقي يوم عطشه الأكبر من طينة الخبال،

=

ومن النوع الأول الميسر فإنه يتناول بيوع الغرر التي نهى النبي ﷺ عنها فإن فيها معنى الميسر الذي هو القمار إذ معنى القمار أن يؤخذ مال الإنسان وهو على مخاطرة هل يحصل له عوضه أو لا يحصل فيدخل في ذلك بيع العبد الآبق والبعير الشارد وحبل الحبلة، ويدل على أن النصوص شاملة لعامة أحكام الأفعال: إن الإمام أحمد كان يقول ما من مسألة يسأل عنها إلا قد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها والصحابة كما هو مشهور عنهم كانوا يحتجون في عامة مسائلهم بالنصوص وقد يحتجون بالقياس والقياس نوعان: أحدهما: أن يعلم أنه لا فارق بين الفرع والأصل إلا فرقا غير مؤثر في الشرع مثال ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه سئل عن فارة وقعت في سمن فقال: «ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم» فهذا الحكم ليس مختصا بتلك الفارة وذلك السمن.

ولهذا قال جمهور العلماء أي نجاسة وقعت في دهن من الأدهان فحكمها حكم الفارة التي وقعت في السمن.

والنوع الثاني من القياس أن ينص على حكم لمعنى من المعاني ويكون ذلك المعنى موجودًا في غيره فإذا قام دليل من الأدلة على أن الحكم متعلق بالمعنى المشترك بين الأصل والفرع سوى بينهما.

وهذان النوعان من باب فهم مراد الشارع والاستدلال بكلام الشارع يتوقف على أمرين على ثبوته عنه وعلى فهم المراد منه فإذا ثبت ذلك الكلام عنه فإن علمنا أنه أراد إثبات الحكم للمعنى المشترك لا لمعنى يخص الأصل أثبتنا الحكم حيث وجد المعنى المشترك وإن علمنا أنه أراد تخصيص الحكم بمورد النص منعنا القياس كالصوم فإنا نعلم أنه خصه برمضان وكالتوجه في الصلاة فإنا نعلم أنه خصه بالكعبة، فمن أبطل القياس مطلقا فقوله باطل فإن الله تعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان العدل والقياس الصحيح من باب العدل فإنه تسوية بين المتماثلين وتفريق بين المختلفين ومن كان متبحرًا في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالنصوص وبالأقيسة ومعرفة عموم الأسماء الموجودة في النص وخصوصها هو من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله. اهـــ.

وآل من سخط ربه إلى شر مآل[١]، فالتوبة التوبة قبل أن لات حين متاب، والأوبة الأوبة قبل حلول العقاب[٢]، فكأنكم بالآلام قد اعترضت، وبالأجسام قد انتقضت، وبالمنية قد طرقت، وبالنفوس قد زهقت[٣]، وبالأرواح قد ارتهنت، وبالأشباح قد دفنت، وبالأوصال قد فصلت، وبالأعمال قد حصلت، وبالأطفال قد أوتمت، وبالحلائل قد أيمت[٤]، وبالحسرات قد عمت، وبالطامة قد طمت، وبالأمم قد تقاطرت، وبالكتب قد تطايرت[٥]. وبالواقعة قد وقعت، وبالمرائر قد تصدعت[٦]. وبالنيران قد اشتدت، وبالألوان قد اسودت، وبالأفواه قد انطبقت، وبالجوارح قد نطقت[٧]، وبالمظلوم قد ملك، وبالظالم قد هلك ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج: ١١، ١٤] طهرنا الله وإياكم من دنس الآثام، وبصرنا وإياكم بنور الإسلام، وغفر لنا ولكم موبقات الإجرام، وأغنانا وإياكم بالحلال عن الحرام، إن أحسن ما لفظ به خطيب، ووعظ به مستمعًا مصقع لبيب، كلام الملك الرقيب، ثم تقرأ ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧]الآية.

خطبة لأبي طاهر
يذكر فيها النهي عن الخمر

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب، السريع الحساب، والمنيع الحجاب، الذي خوف عباده بسطوات ناره، وقدم المعذرة إليهم بتحذيرهم نفسه وإنذاره، وضمن قبول التوبة ممن قدمها وأخلص لها، وتبديل سيئاته من الحسنات مثلها، أحمده

(١) طينة الخبال عصارة أهل النار والخبال في الأصل الفساد يكون في الأفعال والأبدان والعقول.
(٢) يريد بالفقرة الأولى بادروا التوبة قبل أن يقال ليس الحين حين توبة، والأوبة: الرجعة.
(٣) طرقت نزلت ليلا، وزهقت نفسه خرجت وزهق الباطل اضمحل وبابهما خضع.
(٤) أوتمت مات أباؤها وأصل اليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وأيمت المرأة مات زوجها.
(٥) تقاطر القوم جاءوا إرسالا أي جماعات متتابعين.
(٦) المرائر جمع مرارة وهي التي في جوف الشاة وغيرها فيها ماء أخضر مر.
(٧) المشهور تطبقت يقال أطبق الشيء إذا غطاه وجعله مطبقا فتطبق هو ومنه لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت كذا نعم يقال طابق الغطاء الإناء فانطبق عليه.

على ما بطن من نعمه وظهر؛ حمد من عرف قدر ما أولى فشكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها الإرادة يوم المعاد. وتنيله السعادة عند قيام الأشهاد، وأشهد أن محمدا عبده المؤتمن على وحيه ورسالاته، ونبيه الذي آمن بالله وكلماته وآياته، وبهر الخلق بمعجزاته ودلالاته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وثقاته، صلاة يبلغه بها نهاية أمنياته[١].وسلم تسليما.

أيها الناس: وضح الصواب لمن طلبه فرغب فيه، ونصح الكتاب لمن عمل بأوامره ونواهيه، وأفصح بذكر ما أحل لكم وحرم، وبيان ما أشكل عليكم وأبهم، فلا تغلبوا رحمكم الله الأهواء الموبقة لمن أطاعها عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم، ويخادعون أنفسهم بارتكاب المحارم والإثم.

ألا وإن الخمرة رجس من عمل الشيطان فاجتنبوها، وخطوة من خطواته فلا تقربوها[٢]، فجزاء معاقرها في دنياه المنقصة والعار. وفي أخراه الشقوة والنار[٣]، وأن يسقى يوم العطش الأكبر من الصديد، ويلقى مع الكفرة في العذاب الشديد[٤]، والتفرقة بينه وبين أهل التوحيد ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد، فيا من أضرب عن التوبة فأدمن على المعصية وأصر وصمم على ارتكاب الحوبة فأعلن بها وأسر[٥].

---

(١) بهر الخلق غلبهم وبابه قطع والبهر بالضم تتابع النفس وبالفتح المصدر يقال بهره الحمل أي أوقع عليه البهر فانبهر أي تتابع نفسه.

(٢) الرجس في الأصل النجس وكل مستقذر ويسمى كل ما نهي عنه رجسا، والخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات بضم الطاء وسكونها وفتحها وجمع الكثرة خطى، والخطوة بالفتح المرة الواحدة من خطا يخطو والجمع خطوات كركعات ومعنى الكلام لا تتبعوا الشيطان كما يتبع الرجل من يمشي أمامه.

(٣) عاقر الخمر أدمن شربها وتسمى الخمر عقارًا بضم العين لأنها تعقر العقل أو تعقر صاحبها أي تجرحه وتطرحه.

(٤) صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط بالدم قبل أن تغلظ المدة تقول منه أصد الجرح أي صار فيه المدة والمدة بالكسر القيح.

(٥) اضرب عن الشيء أعرض عنه تقول أضربت عنه وضربت عنه صفحا إذا أعرضت عنه وتركته، والحوبة بفتح الحاء والحوب بضمها الإثم وقد حاب بكذا أي أثم وبابه قال.

كأني بك وقد أعلقتك المنية حبائل أمراضها، وأوردتك مناهل حياضها، وسقتك من علز السياق أمر الكؤوس، وألبستك من وحشة الفراق أفظع اللبوس[١].

وأعاضتك من صحبة أخلائك صحبة الأموات، ومن عشرة ندمائك مباشرة الرفات[٢]، ومن مواصلة ملاذك تواصل الحسرات، وأسلمت مصون جسدك لابتذال الحشرات، مرتهنا بأعمالك في ظلمات الأرض، إلى يوم الحساب والعرض، فما الجواب لمسائلك عن استحلال ما حرمه عليك؟ وما الحجة بعد المعذرة التي قدمها إليك؟ هيهات خرس اللسان عن الجواب فانعجم، ورأى الظالم غب ما أعلن وكتم[٣]، وأسر الندامة على ما احتقب واجترم. وحكم الحاكم بعلمه فما ظلم[٤].

جعلنا الله وإياكم ممن قبل أمره وأناب إليه، وقدم التوبة قبل القدوم عليه، وسقانا وإياكم من الرحيق المختوم، ووقانا وإياكم عذاب السموم[٥].

إن أنفع ما وعاه الصدر، ووضح به الإطلاق والحظر، كلام من له الخلق والأمر، وتقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ ﴾ [المائدة: ٩٠] الآية.

---

(١) العلز معالجة الموت والتململ وشدة القلق، والسياق نزع الروح واللبوس بفتح اللام ما يلبس.

(٢) الرفات الحطام تقول رفت الشيء على ما لم يسم فاعله فهو مرفوت والحطام ما تكسر من اليبيس والمراد بالرفات هنا العظام المتفتتة.

(٣) العجمة خلاف الإبانة وأعجم الكلام إذا أبهمه واستعجم الكلام إذا لم يفهم ومثله استبهم واستغلق وسألته فاستعجم عن الجواب إذا لم يحر جوابا قال امرؤ القيس في وصف دار

صم صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل

عداه بعن لأن استعجمت بمعنى سكتت والظاهر هنا أن يقول وخرس اللسان عن الجواب فاستعجم على أن العجم لم يشتهر في كتب اللغة، وغب الشيء عاقبته.

(٤) احتقب اكتسب وأصله من الحقيبة وهي وعاء يجعل فيها الراكب متاعه، واجترم افتعل من الجرم بالضم وهو الذنب تقول منه جرم وأجرم واجترم.

(٥) الفقرة الأولى تتضمن الدعاء بدخول الجنة فإنه تعالى يقول فيهم ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ﴾ [المطففين: ٢٥،٢٦] والرحيق الخمر والمراد به الذي لا يغتال العقل ولا يلذع القلب بالحريق والمراد بختمه بالمسك ختم أوانيه به مكان الطين قال الراغب قوله عز وجل: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ﴾ [المطففين: ٢٦] قيل ما يختم به أي يطبع وليس بشيء وإنما معناه منقطعه وخاتمه شربه أي سؤره في الطيب مسك لأن الشراب يجب أن يطيب في نفسه فأما ختمه بالطيب فليس مما يفيده ما لم يطب في نفسه .اهـ.

وربما يقال إن ذكر ختمه بالطيب يشعر بطيبه في نفسه بطريق الكناية فكان المآل واحدًا.

خطبة أخرى من تأليف أبي طاهر

الحمد لله الباهرة حكمته، القاهرة سطوته، الكافية نعمته، الشافية رحمته، الذي فطر السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وغمر ما ذرأ فيهن بالفضل والإنعام، أحمده وهو أهل المحامد، وأنزهه عن الشبيه والولد والوالد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة برئت من الشك والنفاق، وعريت من الإفك والاختلاق[١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق صادعا، وعن الباطل وازعا[٢] حتى بطل باطل، وعق جاهل، ورجع هارب، وبخع بالطاعة مناصب[٣]، واستقام الدين بعد اعوجاجه، واستمر الناس على شرعه ومنهاجه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه، صلاة تؤذن بدوام جذله وابتهاجه[٤]. وسلم تسليما.

أيها الناس: أصيخوا للوعظ بأسماع إفهامكم، وأحضروا قوارع الزجر بصحة أحلامكم[٥]، ولا يشغلنكم ظاهر القول عن تدبر معانيه، ولا تلهينكم فصاحة لفظه عن الانتفاع بما فيه، ولا يكن هم أحدكم أن يقول هذا خطيب معرب، أو فصيح مطنب، لكن اصغوا إلى الموعظة بقلوبكم، واكشفوا عن مستور عيوبكم، واذكروا سالف ذنوبكم، وليظهر الجزع من شبانكم وشيبكم، فلعمري لقد أعربنا في المقال حتى خلب الألباب ما نخطب، ولحنا في الفعال حتى ما نفصح فيه ولا نعرب[٦]، ولو لم يعظ الناس إلا المهذب النجيب لقل الواعظون، ولو لم يلفظ الصواب إلا المثقف

---

(١) الإفك بالكسر الكذب يقال أفك من باب ضرب إذا كذب وإفكه عن الحق صرفه عنه وكل مصروف عن أمر يحق أن يكون عليه فهو مأفوك، والاختلاق الافتراء يقال اختلق الرجل القول وخلقه إذا اخترعه.

(٢) الصادع بالحق المصرح به لا يخاف لومة لائم، والوازع عن الشيء الكاف عنه والرادع.

(٣) بخع له بالحق بخوعا انقاد وبذله وأما بخع نفسه بخعا فبمعنى قتلها من أسف ونحوه والمناصب المعادي والمقاوم والمتصدي للمعارضة.

(٤) الجذل غاية الفرح، والابتهاج السرور.

(٥) أصيخوا للوعظ بإسماع الأفهام أي استمعوا له بأفهام الأسماع.

(٦) أصل الأعراب البيان، والخلابة الخديعة باللسان تقول خلبة يخلبه من باب كتب وهو خلاب وخلوب أي خداع كذاب ومن هذا المعنى البرق الخلب وهو الذي لا مطر فيه، واللحن في الأصل الخطأ في المقال يقال لحن من باب قطع إذا أخطأ في كلامه من جهة الأعراب ونحوه.

المصيب لعدم به اللافظون[١].

وإني لأعظكم ولست أفضلكم، ولو أن للذنوب رائحة لكنت أتفلكم[٢]، ولست أعلمكم ما تجهلون، ولكني أذكركم ما تعلمون، فهل موعوظ يسعد واعظه بنحيبه، أو ملحوظ يستغفر لاحظه لخطيبه[٣]، فقد عرقنا بأنيابه الدهر، وفجئنا وإياكم الأمر[٤].

وقل على المصيبة بالأديان العزاء، وأظل العالم الفناء فلا بقاء، فرحم الله امرأ استنجد من مقلته دمعا سائلا، وندم على ما كان منه في مدته عاملا أو قائلا[٥]، وادكر من معاده يوما عبوسا هائلا، قبل أن يكون الموت بينه وبين مراده حائلا، فكأن قد خيم على اللذات هادمها، وأقدم على الحركات جازمها[٦]، وعصفت من المنون سمائمها، وعملت في النفوس صوارمها[٧].

فأصبحت أيها المغرور بفسيح جنابه، المأسور بقبيح اكتسابه، الذاهل عن ادخار الزاد لسرعة ذهابه، الغافل عن الاستعداد لرجعته وإيابه، صريعًا لمساورة الأسقام، سريعا في جسمك نقض الأبرام[٨]، قد عز عليك الكلام فغلا، وجاش صدرك بالأنين فعلا[٩]، وأمر الموت في فمك من الدنيا ما حلا، وأثبتك في دواوين من قد دثر وخلا، فنبذت في الضريح الملحد، وأسكنت تحت الصفيح المؤصد[١٠] منفردًا

---

(١) التهذيب التنقية ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق ولقلته قال النابغة:

ولست بمستبق إخالا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

(٢) أتفلكم اسم تفضيل من التفل ولو قرئ أثقلكم يكون من الثقل وهو عدم التطيب يقال امرأة تفلة ومتفال أي غير مطيبة.

(٣) أراد باللاحظ المراقب وهو المولى سبحانه وفي هذا الإطلاق نظر.

(٤) عرقت العظم إذا أخذت ما عليه من اللحم وكشفته، وفجئه الأمر بالكسر بغته.

(٥) استنجد الدمع طلب منه أن ينجده أي يعينه ويغيثه.

(٦) كأن مخففة من كأنّ ومعناها الحدس بقرب الوقوع وأصلها للتشبيه، وخيم أقام والجازم القاطع وقاطع الحركات هو هادم اللذات.

(٧) السمائم جمع سموم وهي الريح الحارة، وعصفت اشتدت.

(٨) المساورة المواثبة والمغالبة ومنه قول النابغة:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

(٩) جاش ارتفع.

(١٠) الصفيح الحجارة المصفحة وكل حجر عريض صفيح وصفاح، والمؤصد المغلق يقال =

بأعمالك في المكان الفدفد، مبدلا من خفض مهادك وساد الجلمد[١] مغفيا أطال رقادك الموت، حتى ينشرك ليوم معادك الصوت[٢]، فيجمعك المشهد الحافل، ويقطعك الخل المواصل، وينفذ فيك القضاء الفاصل، فالآن فتأهب لمسيرك أيها الراحل، فإنك إلى هذه الأهوال واصل، وعلى ما قدمت من العمل حاصل، وإنك أيها الإنسان مسئول ولكن من السائل، ومطالب بالجواب فما أنت لربك قائل[٣].

تغمدنا الله وإياكم بالعفو والمجازفة. وأيدنا وإياكم بتسديده يوم الآزفة[٤]، وتجاوز عن ذنوبنا وذنوبكم السالفة والآنفة، وستر عيوبنا وعيوبكم عن المكاشفة[٥].

إن أحسن ما استفتح به الكلام وختم، وأنفع ما نزع به غل الصدور وحسم، كلام من أحصى كل شيء وعلم، وتقرأ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ ﴾ [غافر: ١٨]الآيتين.

خطبة لأبي طاهر محمد بن عبد الرحيم

الحمد لله القديم السابق، الحكيم الخالق، الكريم الرازق، العليم الصادق، الذي جعل النطق بتحميده زيادة في النعم والأفضال، والصدق في توحيد، ذيادة عن دار الوبال[٦]، أحمده على شمول نعمه الجزيلة، وأعوذ به من حلول نقمه الوبيلة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له شهادة من سلم من الشك توحيده، وعلم أنه هو أبدأه ثم يعيده[٧]، وأشهد أن محمدًا عبده المرسل بأوضح الأنباء والدلائل، ونبيه المبعوث من أفصح الأحياء والقبائل، إلى أمة ضالة عن قصد سبيلها، عالة من

=

آصدت الباب بالمدلغة في أوصدته إذا أغلقته فهو مؤصد بالهمزة.

(١) الفدفد القفر، والمهاد الفراش، والخفض اللين والدعة، والجلمد والجلمود الحجارة الصلبة.

(٢) أغفي نام.

(٣) من السائل صورته استفهام ومعناه التعظيم والتهويل وتفخيم الأمر.

(٤) المجازفة الأخذ والإعطاء بكثرة من غير تقدير وهذا اللفظ لا ينبغي استعماله في هذا المقام وقد أراد به المسامحة.

(٥) السالفة الماضية، والآنفة المبتدأة تقول أنفت الشيء إذا ابتدأته وفعلت الشيء آنفا أي في أول وقت يقرب مني ومنه الحديث أنزلت على سورة آنفا أي الآن.

(٦) الذيادة المنع تقول ذدت الإبل عن الحوض إذا منعتها منه وطردتها عنه ومنه الذائد للذي يذب عن قومه قال الشعر:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

(٧) جملة يعيده معطوفة على جملة أبداه ولا مانع من هذا العطف وشبهه.

ورد أضاليلها[1] قابلة لعباده صلبها وتماثيلها، مجادلة بزور كذبها وأباطيلها، فلم يزل صلى الله عليه باذلا نفسه في استنقاذها من هوة العطب، عادلا بها إلى سبيل نجاتها بالرغب والرهب[2]، حتى خبر الإيمان جاهله، وهجر البهتان قائله، وأقر بكلمة الإخلاص من أنكرها، وجهر بها من طال ما ألحد فيها وكفرها[3]، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأطهرها، وأعمها بركات عليهم واغزرها. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الموت غمام طبق الخلق سحابه، وحسام أزهق النفوس ذبابه[4]. وغراب بين لا يغب نعابه، وداعي شتات سرعة الإغماض جوابه[5]، قد كدر اللذات قبلكم على أهلها، ونكر معارف الأمم الخالية بتشتيت شملها، فغادرهم رفاقًا بين أطباق الثرى، وأبقى ديارهم عبرًا لمن يسمع ويرى[6].

فهل لأحد منكم بدفعه إذا يممه يدان، أم بيديه من مفاجأته كتاب أمان[7]، أم لا تقنع من غيره بنظر العيان، أم ضمنت له الأيام إنظاره فوثق منها بالضمان[8]. كلا إنها لغفلة قد شملت الخلائق، وغرة قد سترت الحقائق[9]. وتسويف سفر مؤذن بالرحيل ليعرفن غبه، وتضعيف أمر واقع عما قليل ليجلن خطبه[10]. فتزودوا رحمكم

(١) عالي اسم فاعل من علت الإبل إذا شربت شربا بعد شرب وهو من باب نصر وضرب ويأتي هذا الفعل لازما ومتعديا تقول علت الإبل وعللتها، والورد الماء المورود عليه، والأضاليل من الضلال وليس له واحد من لفظه وكأنه جمع إضليل أو إضلال ومثله أباطيل فإنه جمع لا واحد له من لفظه وكأنه جمع إبطيل أو إبطال.

(٢) الهوة الموضع المنخفض يهوي فيه وهوة العطب حفرة الهلاك والرغب والرهب الرغبة والرهبة.

(٣) ألحد في دين الله مال عنه وعدل، وألحد في الحرم: ظلم فيه وجار.

(٤) الحسام السيف وهو من الحسم بمعنى القطع، وذباب السيف حده، وأزهق النفوس أخرجها وأهلكها وفي نسخة أرهق بالراء المهملة.

(٥) البين الفراق، واغب في الزيارة أقل منها ومنه زرغبا تزدد حبا، ونعاب الغراب صياحه والأكثر في الاستعمال النعيب، والإغماض إطباق الجفون.

(٦) غادرهم تركهم، والرفات الفتات. والثرى التراب الندي. أطباقه طبقاته.

(٧) يممه قصده، ويدان تثنية يد يقال مالي بكذا يدان أي طاقة.

(٨) الإنظار التأخير والإمهال وهو مصدر أنظره إذا أمهله والاسم النظرة بكسر الظاء.

(٩) الغرة بالكسر الغرور والغفلة ومنه الغار بمعنى الغافل.

(١٠) غب الشيء عاقبته، وجل عظم، والخطب الأمر العظيم.

الله زادًا يقطع بكم مشقة سفركم، ومهدوا لنفوسكم مهاداً قبل حلول حفركم، فحينئذ تطوى الصحائف على ما أودعت من الأعمال، وتسلى النفوس عن الذخائر والأموال[١]، وترتهن بسوالف الأفعال والأقوال، وتطول رقدتها إلى يوم المآل[٢].

هنالك يجف بما سطره في الكتاب القلم. ويحيق الندم بمن قصر إن نفع الندم[٣]، وتنقصم بما حملته الظهور. وتنفطر السماء بأمر سامكها وتمور[٤]، وتشخص الأبصار لهول ما عاينت وتمور، وتسقط قوى المتجبرين وتخور[٥]، وتخسر تجارات المسيئين وتبور، ويبرز لرد المظالم حاكم لا يظلم ولا يجور[٦].

فمن القائم بجوابه إذا فاتش وسأل، أم من السالم من عذابه إن ناقش وعدل[٧].

هيهات أفحمت الفصحاء حينئذ ونطقت الجلود، واستسلمت الزعماء وتفرقت الجنود، وابيضت وجوه واسودت وجوه، ونبئ العالم بما عملوه، وصلى الظالمون بنار الجحيم، وخسئوا أذلة في العذاب المقيم، وحصلوا على تواصل الشهيق والزفير، وتصدعت قلوبهم بموجع التقرير، وسألهم خزنتها عن النذير فأقروا بالنذير. ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] أعاذنا الله وإياكم من سطوات ناره، ووفقنا وإياكم للعمل بإيثاره، ولا حرمنا وإياكم روح جنته في جواره، إن أحسن ما جدده الرجع، ووعاه القلب والسمع، كلام من بيده الضر والنفع، ونقرأ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا

---

(١) تسلى أصله تتسلى.

(٢) ترتهن تحبس، والرقدة النومة.

(٣) الفقرة الأولى ربما أوهمت أن ابتداء جفوف القلم هو في الآخرة والحال أن الأمر مفروغ منه من قبل وهي محتملة للتأويل على وجه حسن وهو أن يقال المراد بجفوف القلم هناك ظهور ذلك فإن المقدرات المبرمة وإن سطرت وجف فيها القلم لا يعلم أنها سطرت كذلك إلا بعد وقوعها ونفاد الأمر بها، ويحيق الندم ينزل ويحيط بالنادم.

(٤) تنقصم الظهور تنكسر، وتنفطر السماء تنشق، وسامك السماء رافعها وهو الحق تعالى، وتمور تضطرب.

(٥) شخص بصره من باب خضع إذا فتح عينه وجعل لا يطرف، وتحور ترجع، وتخور تضعف.

(٦) بار الرجل هلك وبارت التجارة كسدت.

(٧) المناقشة الاستقصاء في الحساب وفي الحديث: «من نوقش في الحساب عذب» والمفاتشة التفتيش.

مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨- ٢٠].

خطبة لأبي طاهر

الحمد لله الكافية نعمته، الشافية حكمته، الذي من تمسك بحبله عصمه، ومن تعرض لصوله قصمه[١]. ومن لجأ إليه أكرمه، ومن تكبر عليه أصغره وأرغمه، أحمده بمحامده الشرائف، على حسن مننه السوالف[٢]. حمدًا يوجب المحبوب من إنعامه، ويذهب المرهوب من انتقامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يسعد قائلها ببلوغ أربه، ويبعد من أخلص بها عن دار غضبه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالنور الزاهر، والحق الظاهر، والشرع الفاخر، إلى كل باد وحاضر، فأقام الحق وعدله، وآثر الصدق واستعمله، حتى تمم الله به الدين وأكمله، ثم نقله إلى نفيس ما أعد له، صلى الله عليه وعلى من آزره ووصله، صلاة تبلغه في القيامة أمله، وتختم بالسعادة عمله، وسلم تسليما.

أيها الناس: احضروا بصفاء الأذهان لعظات الزمان. فقد لخصها على قدمه لمستمعيها، واشتروا دار الأمان بتقاة الرحمن- فقد أرخصها بكرمه لمبتاعيها[٣]، وتدبروا قوارع القرآن ببصائر الإيمان تكتفوا بزواجر نواهيها، وادرءوا سوابق العصيان بلواحق الإحسان تسلموا من دوائر دواهيها، ولا تركنوا إلى الدنيا فليست لكم دار قرار، واغتنموها فإنها سوق متجر للخيرة الأبرار، فإنكم تظهرون ذمها وعقدكم إيثارها، وتسكنون إلى خدعها وقد حف بكم حذارها[٤]. وتطمئنون بها وقد أوجف بكم إنذارها، وتستبعدون حلول الدار الأخرى وقد قرب منكم مزارها[٥]. ألا وأنه من

---

(١) الصول القهر، وقصم الشيء كسره حتى يبين.

(٢) الشرائف جمع شريفة والشراف جمع شريف، والمحامد جمع محمدة بكسر الميم الثانية ويجوز فتحها وهي ضد المذمة.

(٣) الضمير في قدمه يرجع إلى الزمان والمراد بقدمه بعد العهد بما مضى منه إذا لا يوصف بالقدم العرفي حقيقة غير واجب الوجود، ومعنى لخص شرح وبين وقد اشتهر استعماله في معنى بين مع الإيجاز، والتفاة التقوى والتقى، والمبتاع المشتري يقال ابتاع الشيء إذا اشتراه.

(٤) عقدكم اعتقادكم ونيتكم، وحف أحاط، والحذار مصدر حاذر والمراد به ما يحذر منها.

(٥) أوجف أسرع، والمزار الزيارة.

باع أخرته بحطام الدنيا خسرت كرته، ومن رضي بعاجلته دارًا طالت حسرته، ومن أضاع حظه من التورع عن شبهاتها عظمت مصيبته، ومن أطاع نفسه في تناول شهواتها جلت رزيئته(١).

فيا ذا الأجل المشيد إن كرور الأيام عليه قد هدمه، ويا ذا الأمل البعيد إن حضور الحمام لديه قد قصره وقصمه(٢).

ويا ذا العمل المخفي إن عالم السر والعلانية قد علمه، ويا ذا الزلل المنسي إن الرقيب في صحيفتك قد سطره ورقمه(٣). ويا جاعلا عرض أخيه غرض معايبه ليثلمه إن خصمك الله الذي لا تقدر أن تخصمه(٤).

ويا من استولى بالقدرة على ظلم من استضعفه فظلمه، احذر عقوبة من أحصى كل شيء فعلمه، ويا آكل الربا خلافًا على من حرمه، إن طعامك الزقوم غدًا والويل لمن طعمه، ويا راقدًا على مهاد الغفلة والموت الوحى قد دهمه، تيقظ من سنة غفلتك قبل أن يعوزك الإمكان فتعدمه(٥).

ويا من استظهر كتاب الله فقرأه وأحكمه، ما آمن بالقرآن من استحل محارمه(٦). ويا من أزل الباطل عن الحق قدمه، سدد أودك فكل قادم على ما قدمه(٧)،

---

(١) جلت رزيته عظمت مصيبته.

(٢) الكرور مصدر كر الفارس كرًا من باب قتل إذا فر للجولان ثم عاد للقتال ويقال أفناه كر الليل والنهار أي عودهما مرة بعد أخرى ومنه أشتق تكرير الشيء وهو إعادته مرارًا، وقصم الشيء كسره فأبانه.

(٣) خفي الشيء من باب رمي كتمه وأظهره أيضًا وهو من الأضداد فالمخفي هنا اسم مفعول بمعنى المكتوم والأكثر في الاستعمال أن يجعل للكتمان أخفى بالهمزة وللإظهار خفا مثل رمى، والرقيب الملك الموكل بكتابة أعمال العبد.

(٤) ثلمت الإناء ثلما كسرته من حافته فانثلم ومن المجاز هذا أمر يكلم الدين ويثلم اليقين وهو من باب ضرب، تخصمه تغلبه في الخصومة يقال خاصمني فخصمته من باب قتل إذا غلبته في الخصومة.

(٥) الوحي القريب العجل، وأعوزه المطلوب مثل أعجزه وزنا ومعنى.

(٦) استظهر القرآن حفظه عن ظهر قلبه، والمحارم جمع محرمة بفتح الراء وضمها أو جمع محرم وزن جعفر والمحرمة الحرمة التي لا يحل انتهاكها ولو قال حرمه أو محرمه لكان انسب للسجع.

(٧) سدد أودك قوم اعوجاجك.

قبل أن تصبحك المنية أسير حين، وتذرك للناظرين أثرًا بعد عين[1]، قبل أن ينشرك من طي ترابك ناشر ويحضرك لفصل حسابك ملك قادر، ويجمع لك من زللك الأول والآخر، فترى ما غاب عنك من عملك هو الحاضر[2].

هنالك أحرز قصبات السبق من برز وسبق، وصدق الله وعده من أوفى بعهده وصدق[3]. وطاب مقيل من أصلح العمل وأطاب، وخسر المسرف المسوف وخاب[4]. وقسمت الجنة والجحيم بين المستقدمين منكم والمستأخرين: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠] وهب الله لنا ولكم الأمان من سطوته، وأوجب لنا ولكم الغفران برحمته، وجعلنا وإياكم، ممن أحسن عمله فحزره، وأرصده ليوم فقره وفاقته فذخره، إن أحسن ما لفظ به اللسان، وأوضح ما ترجم عنه البيان، وأحق ما علمه الإنسان، كلام من لا يدركه العيان، وتقرأ ﴿ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ

---

(١) صبحه الله بخير دعاء له وصبحه سلم عليه بذلك الدعاء، والحين بالفتح الهلاك ونصب أسير على الحال وأراد هنا قبل أن تصيرك المنية أسير هلاك حين الصباح، وتذر تترك ولم يستعمل ماضيه استغناء عنه بترك والأثر ما يبقى من رسم الشيء، وأثر الرجل ما يؤثر عنه من بناء شاده أو علم أفاده أو نحو ذلك قال الشاعر:

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

والعين نفس الشيء وقد أبدع ابن عبدون في قوله من الرائية التي هي من أسنى الآثار:

الدهر يفجع بد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة ... عن نومة بين ناب الليث والظفر

وقال المتنبي في هذا الباب:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع

(٢) ترى إن كانت من رؤية القلب تكون جملة هو الحاضر مفعولا ثانيا وإن كانت من رؤية العين تكون تلك الجملة حالا والأولى إدخال الواو ولو قال فترى ما غاب عنك وهو حاضر كان أولى.

(٣) أصل قولهم أحرز قصبات السبق إنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع ثم كثر حتى أطلق على المبرز والمشمر.

(٤) المقيل موضع القيلولة والمراد به هنا المستقر، وأطاب الشيء جعله طيبا، والمسوف المؤخر، وخاب خيبة لم يظفر بما طلب وفي المثل الهيبة خيبة.

خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠] الآية.

خطبة من تأليف أبي طاهر

الحمد لله القوي الذي لا يلحقه ملل ولا ضعف، الوفي الذي ليس لوعده تبديل ولا خلف[١]، العظيم الذي لا يستغرقه نعت ولا وصف، الكريم الذي لا ينقص خزائنه العرف[٢]، أحمده على مشكور نعمه وأفضاله، وأعوذ من غضبه بعز جلاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة فضلها على جميع الكلام، وشهادة وفق لها خيرة الأنام، ودعوة جعلها دعام الإسلام[٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ببيان حججه، ودل به على برهان منهجه، فأسمع الدعوة من كان له قلب، وأودع الحكمة من رضيه الرب، صلى الله عليه وعلى آله المصطفين من عباده، وصحابته المختارين لنصرته وإنجاده، صلاة يبلغه بها نهاية مراده[٤]. وسلم تسليما.

أيها الناس: لدوا فكل مولود للتراب، وابنوا فكل مبني للخراب، واحرصوا على الدنيا حرص الغراب، فكل متاعها إلى ذهاب، ولا بد من تحرير الحساب، على ما ثبت في مسطور الكتاب، ألا وإن الموت قصر للعارفين طوال الآمال، وكدر على المترفين زلال الأحوال[٥]، وأزال الشكوك في وشك الانتقال، وأورد السوقة والملوك موارد الوبال[٦]، وقد ترون غربانه في دياركم تنعب، وحدثانه بأرواح صغاركم وكباركم يلعب[٧]، وأعوانه لا ترد عن نفوسكم ولا تحجب، وسلطانه غالبا لكم لا يغلب، فما الاغترار رحمكم الله بدار قد حسرت عن الفتك بكم القناع، وحسمت

---

(١) الخلف ترك إنجاز الوعد.

(٢) العرف المعروف.

(٣) دعام جمع دعامة وهي عماد الشيء الذي يثبت به.

(٤) الإنجاد مصدر أنجدته إذا أعنته ويجوز أن يقرأ بفتح الهمزة فيكون جمع نجد بمعنى الشجاع والمعين ويكون معطوفا على صحابته.

(٥) المترفين المنعمين والترف غضارة العيش ونضارته، والزلال البارد العذب.

(٦) وشك الانتقال قربه، والسوقة خلاف الملك وتطلق على الواحد والمثنى والمجموع وربما جمعت على سوق مثل غرفة وغرف.

(٧) الغربان بكسر الغين جمع غراب وهو طائر يتشاءم منه العوام، ونعب الغراب من باب ضرب وجاء من باب نفع في لغة صاح بالبين على زعمهم وهو الفراق.

بوشك فنائكم الأطماع[١]، وأرتكم صنيعها بمن سلف من الأولين، وارتجاعها ما أعارت من الأموال والبنين، وإلحافكم الثرى بعد الثراء والتمكين، وإلحاق الباقين منكم بالماضين[٢]، فأي باب لم تقرع المنايا وصيده، وأي شمل لم تصدع الرزايا عديده[٣]، وأي منزل لم تخلق الأيام جديده، وأي معقل لم تهدم الأحكام مشيده، فيا أيها السامع لما أصف وأقول، والقانع لنفسه بما قنع به الغر الجهول[٤].

ماذا تنظر بالإقلاع وتتربص، وبماذا عساك من ورطة ذنوبك تتخلص[٥]، كأنك بالموت وقد نزل بساحتك، فأعدمك بحلوله روح راحتك[٦]، وعلقتك على حين غرتك حبائله، وشغلتك عما تلهج به من الدنيا شواغله[٧]، وأخرجك من سعة الحال والوطن، إلى ضيق لحد موحش وكفن، فظلت ممتهنا بعد عزك وعلاك، مرتهنا بقبيح ما كسبت يداك[٨]، مقسما بين حشرات الأرض وهوامها، إلى يوم وجوب الساعة وقيامها، يوم تبعثر الضرائح، وتذهل المرضعات، يوم تظهر الفضائح، وتعدد الجنايات، يوم ترعد الفرائص وتسكب العبرات، يوم تبدو السرائر وتتضاعف

---

(١) حسرت كشفت وبابه ضرب، والمقنعة بكسر الميم ما تقنع به المرأة رأسها والقناع بوزن كتاب أوسع منها وتقنعت المرأة لبست ذلك، وحسمت قطعت وهو من باب ضرب.

(٢) ألحفه الثوب ألبسه إياه وغطاه به، والثرى التراب الندي فإن لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى، والثراء بالمد كثرة المال والثروة كثرة العدد.

(٣) الوصيد الباب وقيل فناء الدار.

(٤) الغر بالكسر والغرير الذي لم يجرب.

(٥) تتربص تنتظر، والورطة الهلاك وأصلها الوحل يقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص ثم استعملت في كل شدة وأمر شاق.

(٦) ساحة الدار باحتها، والروح بالفتح المسرة والانبساط.

(٧) علق به وعلقه نشب به قال الشاعر:

إذا علقت قرنا خطأ طيف كفه ... رأى الموت في عينيه أسود أحمرا

والغرة بالكسر الغفلة، والحبائل جمع حبالة بكسر الحاء وهي ما يصاد به من أي شيء كان، ولهج بالشيء من باب طرب إذا أغرى بالشيء فثابر عليه.

(٨) ظل من الأفعال الناقصة وهي من باب تعب تقول ظللت أفعل كذا إذا فعلته نهارا وهو يجري مجرى صرت وقد تحذف اللام الأولى ومنه ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[الواقعة: ٦٥]، والممتهن المحتقر المبتذل، والمرتهن المحبوس والمأخوذ، وكسبت يداك فعلته باختيارك وإيثارك وأن يكون مما يعمل باليد.

الحسرات، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، يوم يقتص للمظلوم ممن ظلمه، يوم يتجلى للحكومة من أحصى كل شيء فعلمه، يوم تبطل حجج المبطلين حججه الشافية، يوم تجمع فرق الرعيل جمله الكافية[١]، يوم تساوى الأجسام العارية والأقدام الحافية، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]، جعلنا الله وإياكم ممن جعل الموت نصب ناظره، والتقوى حشو ضمائره، وصرف الثقة بالدنيا عن قلبه وخاطره، إن أحسن ما جدده الرجع، ووعاه القلب والسمع، كلام من بيده الضر والنفع[٢]، وتقرأ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية.

خطبة من تأليف أبي طاهر

الحمد لله الكريم طوله، العظيم صوله، المرهوب عدله المطلوب فضله، الذي تسربل بالعز والجلال، وتفضل بالجود والنوال، وباين فطره في جميع الأحوال، وشمل طائعهم وعاصيهم بالأفضال[٣]، أحمده على مشهور نعمه ومستورها، وموفور قسمه ومقدورها[٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من صدف بشهادة عن الإلحاد، وأحرز قصبات السبق يوم المعاد[٥]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله نعمة على من أفرد ووحد، ونقمة على من جحد وألحد، فبلغ النذارة، وأحسن العبارة[٦]، وجاهد في الله حق جهاده ومحض النصيحة لعباده، حتى لأم شعب الإيمان

(١) الرعيل القطعة من الخيل أو مقدمتها وجمعها رعال والأنسب هنا الجمع لإضافة الفرق إليه.

(٢) الرجع الترديد والتكرير، وعاه أدركه وحفظه.

(٣) باين خالف ولم يماثل، والفطر الخلائق وهي جمع فطرة بمعنى الخليفة، والأفضال الإحسان وأفضل عليه وتفضل بمعنى.

(٤) الموفور التام يقال وفرت الشيء إذا جعلته وافرًا أي تاما ووفر الشيء إذا تم فهو مما يتعدى ويلزم، والمقدور المضيق يقال قدر الله رزق فلان إذا ضيقه والأشهر في مضارعه الكسر ومنه ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي نضيق.

(٥) صدف أعرض، والإلحاد الميل عن الحق، والإلحاد ضربان إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب والأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله وأما الإلحاد في أسمائه تعالى فيكون بوصفه بما لا يصح وصفه به أو بتأويل أوصافه بما لا يناسب جلاله.

(٦) النذارة بالكسر الإنذار والإنذار الإبلاغ للأمر المخوف والظاهر أن المراد بالنذارة هنا ما ينذر =

فأوثقه، وهزم حزب الشيطان ففرقه[١]، وأرتج باب الطغيان فأغلقه، وأسرج نور البرهان فألقه[٢]، فصلى الله عليه وعلى من آمن به وصدقه، كما اختاره لإقامة دينه ووفقه. وسلم تسليما.

أيها الناس: الحظوا الدنيا بعيون بصائركم فقد كشفت لكم عن مساويها، واحفظوا عنها تلخيص عظاتها فقد أعلنت بها لمن يسمعها منكم ويعيها، واحتسبوا نفوسكم فقد أفصح عندكم بالإزعاج ناعيها، وتأهبوا لهجوم الآخرة فقد فجئتكم بما فيها، واعلموا أنكم محاسبون بمثاقيل الذر فصححوا الحساب، وآيبون عن الدنيا فأصلحوا المآب[٣]، ولا تغتروا بمدة بقاء أطوله قصير، ولا تثقوا بخدع دهر عادته التغيير، وقدموا العمل فقد أزف المسير، واغتنموا المهل فأمده يسير، بينا أحدكم ممتطيا ظهر أمله، رافلا في ذيول مهله[٤]، غافلا عن حلول أجله، مشتملا من دنياه مروط جذله[٥]. معملا فيها دقائق حيله، مدغلا في قوله وعمله[٦]، إذا ألقت المنون

=

به من الأوامر والزواجر.

(١) لأم جمع وسد تقول لأمت الجرح والصدع من باب قطع إذ اسددته ولاءمت بين القوم ملاءمة ولئاما أصلحت وجمعت، والشعب الصدع تقول شعبت الإناء فانشعب أي صدعته فأنصدع، وأوثقه قواه وأحكمه.

(٢) ارتج الباب أغلقه والأولى أن يعطف أغلقه عليه بالواو، وألقه أناره وهو من تألق البرق إذا استنار ولمع .

(٣) آيبون راجعون، والمآب المرجع.

(٤) المتمطي الراكب، والرافل المتبختر، والمهل بفتحتين التؤدة وأمهله ومهله أنظره وبينا وبينما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر فيحتاجان إلى جواب يتم به المعنى ويأتي جواب بينما مقرونا بـــ "إذ" غالبا نحو قول الشاعر

فبينما المرء في الأحياء مغتبطا ... إذ صار في اللحد تعفوه الأعاصير

وأما جواب بينا فقلما يأتي مقرونا بها كما هنا وكما في قول الشاعر:

بينا الفتى يخبط في غيساته ... إذ انتمى الدهر إلى عقراته

ونصب ممتطيا هنا على الحال والخبر محذوف ولو رفعه على أنه خبر جاز والألف في بينا وما في بينما كافتان عن الإضافة للمفرد.

(٥) اشتمل بثوبه تلفف به، والمروط جمع مرط بكسر الميم وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به، والجذل الفرح.

(٦) أدغل في الأمر أضمر فيه ما يفسده والدغل بفتحتين الفساد مثل الدخل.

في عنقه عقد إسارها الذي لا يحل، وأرهفت للفتك به حد شفارها الذي لا يفل[١]، وتخطت إليه أيقاظ أحراسه، وجرت من نفسه مجاري أنفاسه[٢]، واقتلعت قواعد عمره من أساسه، واختطفته من بين عواد وجلاسه، فأصبح هالكًا مضاعا، بعد أن كان مالكًا مطاعا، أسير جدث ذليل، فقيرًا إلى العمل القليل[٣]، لا يلوي على أحد ولا يلوي عليه، مشغولا عما خلفه بما بين يديه[٤]، مطوقة في عنقه جمل أعماله، مفرقة بيد البلى وصل أوصاله[٥]، موزعا في ظلمات الأرض بين حشراتها، ملفعًا من قبح سوالفه بحسراتها[٦]، موقوفا على الصيحة الناشرة للخلائق، والصرخة الحاشرة إلى محل الحقائق[٧].

فيا أهل الكبائر لا يأمن عذاب الله إلا من تاب إليه واستغفره، ويا أهل الصغائر أما سمعتم الله يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فرحم الله امرأ صحح حسابه، وأصلح مآبه، وشحن بالحسنات كتابه، وأعد لمسائله جوابه[٨]، قبل ذهوله بمعاينة اليوم العسير، وعرض عمله على الناقد البصير، ومناقشته على النقير والقطمير[٩]. يوم علن الأسرار، وهتك الأستار، يوم زلل الأقدام وشخوص الأبصار[١٠]، يوم قصم الظهور بثقل الأوزار، يوم

(١) الإسار بوزن إزار القد وهو ما يشد به الأسير، وأرهفت حددت ورققت، والشفار بالكسر جمع شفرة وهي المدية أعني السكين العظيم وتجمع على شفرات مثل سجدة وسجدات، ويفل يثلم.

(٢) تخطت إليه عبرت، والأيقاظ جمع يقظ.

(٣) الجدث القبر، وذليل صفة جدث على طريق المجاز ويجوز أن يكون صفة لأسير ويكون الوقف عليه بغير الألف على غير اللغة المشهورة.

(٤) لا يلوي على أحد لا يعطف على أحد ولا يعرج عليه.

(٥) الوصل جمع وصلة بوزن غرفة يقال بينهم وصلة أي اتصال، والأوصال الأعضاء.

(٦) الموزع المقسم والتوزيع التقسيم، والملفع المغطى يقال تلفعت المرأة بمرطها إذا اشتملت به ولفع الشيب رأسه إذ شمله والسوالف جمع سالفه والمراد بها ذنوبه الماضية.

(٧) الناشرة المنشرة أي المحيية.

(٨) شحن ملأ.

(٩) النقير النقرة التي في ظهر النواة، والقطمير الفوفة التي في النواة وهي القشرة الرقيقة وقيل هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة وهما مثل الشيء الحقير الطفيف.

(١٠) العلن بفتحتين مصدر علن الأمر من باب تعب إذا ظهر والأكثر في الفعل أن يكون من باب =

يعرف المجرمون بسواد الأبشار[١]، يوم يدال للأخيار من الأشرار، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وألبسنا وإياكم أثواب نعمه الفاخرة، ومن علينا وعليكم بكريم عفوه، وأعاذنا وإياكم من أليم سطوه، إن أنفع ما أنصت له وعمل بما فيه، وقمعت الأهواء بضمن زواجره ونواهيه، كلام مبتدئ الخلق وباريه[٢]، وتقرأ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ إلى آخرها.

خطبة في الموت والمعاد من تأليف أبي طاهر

الحمد لله الملي بثواب المنقطعين إليه، والوفي بإنجاز وعد المتوكلين عليه[٣]، الغني الذي لا تسود وجوه المطالب لديه، القوي الذي ملكوت كل شيء بيديه[٤]، أحمده على ما منح من نعمه وخول، حمد من اعتمد على حسن نظره وعول[٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الذي لا تتعاظمه الذنوب، الرحيم الذي بذكره تطمئن القلوب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ومقالات المحال مسموعة، ورجالات الضلال متبوعة[٦]، والعرب عاكفة على عبادة الأصنام، مكاشفة بزور الكلام[٧]، راكبة محجة الجحيم، ناكبة عن الصراط المستقيم، فاستنقذ الله

=

قعد تقول علن علونا مثل قعد قعودًا والاسم العلانية بالتخفيف ويعدى بالهمز فيقال أعلنته إذا أظهرته، والشخوص مصدر شخص البصر إذا تحير فلم يدر لحظه.

(١) القصم الكسر مع الإبانة والأبشار جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

(٢) قمعت الأهواء كفت بضمن زواجره أي بضمونها تقول فهمت من ضمن كلامه كذا أي من مضمونه، والباري مبتدئ الخلق.

(٣) الملي الكفيل الغني وأصله الهمز وخففه ليوافق الوفي.

(٤) لا تسود وجوه المطالب لديه أي لا تخيب يقال أبيض وجه لعله إذا ألفى مطلوبه واسود وجه أمله إذا لم يفز وفي قوله لديه إشارة إلى أن المطالب عند الخلق توصف بالسواد وإن أسفرت عن النجح قال أبو تمام:

وأحسن من نور تفتحه الصبا ... بياض العطايا في سواد المطالب

(٥) منح أعطى بلا سؤال، وخول أعطى والتخويل في الأصل إعطاء الخول وهم الخدم وقيل إعطاء ما يصير له خولا، وعول على الشيء تعويلا اعتمد عليه.

(٦) الرجالات جمع رجال وهو جمع رجل.

(٧) كاشفه بالأمر باداه به.

بنبيه ﷺ من سبقت له من الله الحسنى، واختطف من عذابه من سابق إلى رضوانه تعطفًا منه ومنًّا، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة على الأبد لا تنقطع ولا تفنى.

ابن آدم: قنعت من العاجلة بمنزل قلعة ما فيه لذي حجر مقنع، وطمعت منها في موئل منعة طمع من لا يبصر غيرها ولا يسمع(١)، وخدعك من تلبيس دار الغرور عن طاووس دار الحبور غراب أبقع، وقطعك عن ادخار الزاد النافع جمع حطام يضر جمعه ولا ينفع(٢)، فظلت بغرة أملك تأكل وتمتع، وتبتهج بما تحتقب من ذلك وتجمع(٣)، حتى إذا بلغ كتابك المسطور الأجل، وحرر حسابك المحصور وحصل(٤)، وقضي قضاؤك المقدور ونزل، وخاب رجاؤك المغرور وبطل، أصحبت تنكر معارف جسدك، وتبصر مواقف رشدك، وتفكر في حال مالك وولدك، وتشعر قلبك ما فرط من زللك طول أمدك، والمنية قد أدهقت لك كؤوس مدامها، وأعلقت بك برائن حمامها(٥)، وأوثقت في عرنينك برة زمامها، وأدلقت للفتك بك مغمد حسامها(٦)، فأسقت على الفائت من عمر قد اضمحل ووهى، ورمت الزيادة في أجل قد بلغ

---

(١) القلعة بوزن غرفة الارتحال يقال الدنيا دار قلعة، والحجر بكسر الحاء العقل وسمى بذلك لأنه يحجر على صاحبه ما لا ينبغي، ومقنع قناعة وكفاية، والمنعة بفتح النون وتسكن العز ويقال هو في عز ومنعة أي في شرف لا يوصل إليه، والموئل: الحصن والملجأ.

(٢) الحبور السرور، والطاووس طائر من أحسن الطير منظرًا، والغراب الأبقع الذي اختلف لونه كنى بالطاووس عما يستحسن من رونق الجنة وبالغراب الأبقع عما يستقبح من أحوال الدنيا يريد أنه شغلك أقبح الأشياء عن أحسنها.

(٣) ظل نهاره يفعل كذا إذا لازم ذلك وهو من الأفعال الناقصة وإذا فككت الإدغام كسرت اللام الأولى لأنه من باب علم فتقول ظللت ويجوز حذف هذه اللام فتقول ظلت وذلك كما هنا، والغرة الغفلة، وتبتهج تسر وتفرح، وتحتقب تكتسب وتدخر.

(٤) حرر الكتاب حسنه وخلصه بإقامة حروفه وإصلاح سقطه وقس عليه تحرير الحساب.

(٥) أدهقت ملأت وكأس دهاق أي مملوءة، والبرائن للأسد مثل المخالب للطائر والأظفار للإنسان، والحمام بالكسر الموت.

(٦) عرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم، والبرة محذوفة اللام هي حلقة تجعل في أنف البعير (تكون من صفر ونحوه) ليذل وينقاد بسهولة، واندلق السيف من غمده خرج من غير أن يسل وأدلقته أخرجته ولو قرئ بالمعجمة كان بمعنى حددت تقول ذلق السكين وذلقه وأذلقه إذا حدده ولا ينافي ذلك مغمد فإن سيف المنية يقطع في غمده.

المنتهى[١]، وأملت محالا من رجعة لا يسمح لك بها، وعللت كأسا طال ما أشفقت من شربها[٢].

هيهات طويت صحيفتك على ما أودعتها فلا تفض إلى يوم المعاد، وأزفت برحلتك على قلة ما أعددت لها من الزاد[٣]، وغشيتك سنة ليست بسنة الرقاد، وأنامتك نومة لا يوقظ هاجعها إلى يوم التناد[٤]، فأمر فيك من كنت آمرا عليه، وأسلمك للبلى من كنت أحب الخلق إليه، فأصبحت في البرزخ الموحش منبوذا، وبكبائر ذنوبك وصغائرها مأخوذا[٥]، مستبدلا من خفض مهادك بضيق المضطجع، مستقبلا يوم معادك بهول المطلع[٦]، منتظرا صيحة تنشرك في أسرع من لمح البصر، وتحضرك مهطعًا إلى مجمع البشر[٧]. عريان أشعث أغبر، سكران لما ترى وحق لك أن تسكر[٨]، إذا انشقت السماء بفرق الغمام، ونزل الملائكة فئاما بعد فئام[٩]، وأشرقت الأرض بنور ربها الملك العلام، وغص الموقف بفرق الجنة والأنام[١٠]، وقيد الجبابرة بخطم الأرغام، وجوثي الظالمون بين يدي حاكم الحكام[١١]، وخرست

---

(١) وهى ضعف.

(٢) عللته عللا من باب طلب سقيته السقية الثانية ولعل السقية الأولى هنا العلل ومقدمات المنية.

(٣) تفض تنشر وأصل الفض الكسر والتفريق، وأزفت قربت.

(٤) السنة أول النوم، ويوم التناد يوم القيامة لنداء القوم بعضهم بعضا.

(٥) البرزخ الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا القبر لأنه برزخ بين الدنيا والآخرة وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ، والمنبوذ المطروح جانبا.

(٦) الخفض الدعة والراحة، والمضطجع موضع الاضطجاع.

(٧) المهطع المقبل ببصره على ما أقبل عليه وفي التفسير مهطعين ناظرين قد رفعوا رءوسهم إلى الداعي.

(٨) عريان بضم العين منصرف لكون مؤنثه عريانه بالهاء وكان حقه أن ينون بخلاف سكران.

(٩) الفئام الجماعة الكثيرة تقول رأيت معه فئاما من الناس وعنده فئام قيام.

(١٠) غص الموقف امتلأ وازدحم وأصله من غص بريقه وبالشراب إذا لم يجد مساغا لانسداد المجرى والجنة الجن، والأنام الناس.

(١١) قيد سحب، والخطم جمع خطام مثل كتب وكتاب والخطام ما يجعل على المخطم، وهو الزمام، والإرغام الإذلال، وجوثي الظالمون جثوا مع المظلومين متقابلين للمحاكمة وجثا على ركبته قعد عليها قعود المستوفز والمخاصم.

الألسن الفصيحة عن الكلام، وقضي بدار البوار لمن حرم دار السلام(١)، وعرف المجرمون بسيماهم فأخذوا بالنواصي والأقدام، وجيء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام(٢)، موسومة بسمات الانتقام، مردومة بالقتر والقتام(٣)، قد أظلمت تغيظًا على المجرمين فادلهمت، وزفرت حين رأتهم فأعمت بزفيرها وأصمت(٤)، ونودوا وهم من فرقها(٥) يرعدون، ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [يس: ٦٣].

جعلنا الله وإياكم ممن إذا لفظ صدق، وإذا وعظ أشفق، وأنفق في طاعة مولاه شبابه وجدته فيما أنفق، إن أولى ما التمس به التقويم، وأهدى ما سلك به الصراط المستقيم، كلام من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وتقرأ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠، ١٨].

خطبة يذكر فيها وداع شهر رمضان

الحمد لله الذي أكرم بالإسلام أولياءه وحطم بالانتقام أعداءه(٦)، وصرف فيما يشاء قضاءه، وأقام بالعدل أرضه وسماءه، أحمده حمد من كافأ بالحمد نعماءه، واستمد بالشكر عطاءه(٧).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من تحقق لقاءه، فجعله في كل الأمور رجاءه، وأشهد أن محمدًا عبد ختم الله به أنبياءه، ورسول أوجب بطاعته حباءه(٨)، أرسله حين سحب الكفر رداءه، وندب إلى الضلال قرناءه، وحمى الباطل فناءه، ورفع الجاهل لواءه(٩)، فأظهر للعباد ضياءه، وشهر في البلاد

(١) دار البوار يعني النار والبوار الهلاك، ودار السلام الجنة.

(٢) سيماهم علاماتهم، فأخذوا بالنواصي والأقدام أي يجمع بينهما حين أخذهم.

(٣) مردودة مسدودة مطبقة، والقتر جمع قترة وهي الغبار، والقتام الغبار الأسود الكثيف وفي بعض النسخ القتار بالمد وهو ريح الشواء على النار.

(٤) ادلهمت اشتد سوادها، والزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه وقد زفر من باب ضرب زفيرًا.

(٥) الفرق الخوف وقد فرق منه من باب طرب ولا يقال فرقه.

(٦) حطم الشيء كسره وفتته ومنه الحطام وهو ما تكسر من اليبيس.

(٧) كافأ ماثل وكل شيء ساوى شيئا فهو مكافئ له والمراد بالمكافأة هنا مجرد المقابلة، واستمد بالشكر عطاءه أي طلب إمداد العطاء بسبب الشكر.

(٨) الحباء العطاء.

(٩) الفناء ما امتد من جوانب الدار والجمع أفنية.

غـــناءه[١]، وبلـــغ الأسود والأحمر دعاءه، صلى الله عليه وعلى آله وأحسن عن الأمة جزاءه[٢]. وسلم تسليما.

أيها الناس: مضى شهركم حميدًا فبماذا تراكم قطعتموه، وأصبح عليكم شهيدًا فماذا من الأعمال أودعتموه، أأحسنتم قراه في مدة مقامه أم أضعتموه؟! أم عصيتم الله تعالى في لياليه وأيامه أم أطعتموه؟!.

لقد أمن من بيات الليل ساهرة، وسبق رعيل الخيل ضامرة[٣]، وقطع سبيل الهول خابره، فتزودوا من بقية شهركم فإن هذا آخره[٤]، فكم من ساعة فضلت بعملها شهرا، ووقفة عدلت عند الله دهرا، ولفظة جلت عن الأسماع وقرا، ولحظة شرحت قبل ارتدادها صدرا[٥].

فاقدحوا البصائر بزناد الفكر – تنزلكم خواطرها، واسرحوا النواظر في بوادي العبر– تثر لكم مواطرها[٦]، فما أبصر ناظر من لم يتبصر قلبه، ولا شعر خاطر من لم يتدبر لبه، ولا طابت طباع من لم يطب كسبه، ولا فارق الأدبار من لم يفارقه ذنبه، ولا خلص إيمان من لم يعتدل رجاؤه ورعبه، ولا سلم من العثار من كان مطيته عجبه، فرحم الله امرأ حل عن ضميره عقد الباطل، فظل متزودًا لمسيره تزود الراحل، وسل على هواه سيف عزم صائل، وذل لهجوم الحق عليه ذل المريد القابل، قبل دنو الأمر المنتظر، وفشو السر المدخر[٧]. وكبو جد المحتضر، وبدو خد المقتسر[٨]، قبل ازورار

---

(١) الغناء بالفتح والمد الكفاية.

(٢) الأسود والأحمر كناية عن جميع الناس يقال أتاني كل أسود منهم وأحمر ولا يقال وأبيض ومعناه جميع الناس عربهم وعجمهم.

(٣) بيات الليل ما يظهر بغتة من وقائع العدو فيه يقال بيتهم العدو إذا أوقع بهم ليلا وبيت أمرًا دبره، والرعيل القطعة من الخيل، والضامر القليل اللحم عن صحة وقوة، وأشار بالساهر إلى من يقوم الليل وبالضامر إلى الصائم.

(٤) خابره الخبير به وفي المثل قتل أرضا خابرها.

(٥) الوقر بالفتح الثقل في الأذن وأما الوقر بالكسر فالحمل.

(٦) تنر من الإنارة وتثر من الإثارة وإثارة مواطر العيون كناية عن سكب الدموع.

(٧) فشو السر انتشاره.

(٨) الكبو العثار، والجد بالفتح الحظ، والمحتضر الذي حضرته الوفاة، والبدو الظهور والمقتسر المغلوب المقهور.

الحدق، وانهمار العرق[١]، واستعار القلق، لخمود نار الرمق[٢]، قبل ضجة الفواق، ورجة السياق[٣]. وركوب محجة الفراق، إلى يوم التلاق، هنالك يعظم خطر الأوزار، وتسجم درر الأبصار[٤]، ويقدم العصاة على عالم الأسرار، وتردم على الظالمين أبواب النار، ويعلم الكفار لمن عقبى الدار.

جعلنا الله وإياكم ممن اعتلق بأوقات العمل فراعاها، ورمق سعي مطيات الأجل فساعاها[٥]، واستمع لزجرات الوعظ فوعاها، وأجابت نفسه دواعي الحق إذا دعاها[٦].

إن كتاب الله للعذر قاطع، وللمواعظ والأمثال جامع، فانصت لتلاوته واستمع أيها السامع، وتقرأ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ الآية [فاطر: ٣٧].

خطبة من تأليف أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم

الحمد لله الخالق المعبود الرزاق المحمود، المحيط علمه بالحد والمحدود، والمخرج ما ذرأ من العدم إلى الوجود[٧]، الذي حجب عن خليقته علم الساعة، وأوجب خلود

(١) الازورار الانحراف يقال أزور عن الشيء إذا انحرف عنه وعدل والانهمار الانصباب والجريان بسرعة.

(٢) الاستعار الالتهاب يقال استعرت النار استعارا وتسعرت تسعرا إذا توقدت، والرمق بقية النفس وأراد بالنار هنا الحرارة التي تعهد في الأحياء.

(٣) الضجة الجلبة والصياح وفاق الرجل يفوق فواقا بالضم إذا شخصت الريح من صدره ويقال لما يأخذه عند النزع أيضًا فواق، والرجة الحركة والاضطراب، والسياق النزع.

(٤) الدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه وأراد بها هنا الدموع، وتسجم تسيل يقال سجم الدمع من باب دخل إذا سال ومثله انسجم.

(٥) اعتلق تمسك، وساعاها سابقها في السعي يقال سعى فلان إذا مشي مشيا فيه سرعة وساعيت فلانا إذا جعلت سعيك كفاء سعيه لئلا يفوتك.

(٦) دواعي الحق هي كلماته الداعية إليه وحججه الدالة عليه، والضمير البارز في دعاها يرجع إلى نفسه والمستتر يرجع إلى الحق.

(٧) الحد عند أهل الأدب هو القول الشارح للشيء وعند المناطقة هو القول الدال على ماهية الشيء والمحدود هو المدلول عليه بالحد وذكر الحد والمحدود معا إشارة إلى أن علمه سبحانه يتعلق بهما معا من غير أن يسبق العلم بأحدهما العلم بالآخر بخلاف علم الخلائق فإنه يتعلق أولا بالحد لكونه السبب للعلم بالمحدود ثم يتعلق به وقد ذكرنا فيما سبق تعسر تصور الخلائق =

جنته بلزوم الطاعة، وورود نقمته بالتفريط والإضاعة، ورضي من عبادته بالوسع والاستطاعة، أحمده على نعمه التي لا تستوعبها الأعداد، ولا ينهض بواجب شكرها العباد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضمن عفوه عند المساءلة، وتؤمن سطوه يوم المقابلة، وأشهد أن محمدًا عبده المأخوذ ميثاقه في القدم، ورسوله المبعوث إلى جميع الأمم[1]. أرسله إلى أمة قد استحوذ عليها الشيطان فاستهواها،

=

للحقائق وقد رأيت لابن سينا فضلا بديعا أورده في كتاب التعليقات فأحببت إيراده هنا لتعلقه بذلك قال (نج) الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص واللوازم والأعراض ولا نعرف الفصول المقومة لكل واحد منها الدالة على حقيقته بل نعرف أنها أشياء لها خواص وأعراض فإنا لا نعرف حقيقة الأول ولا العقل ولا النفس ولا الفلك والنار والهواء والماء والأرض ولا نعرف أيضا حقائق الأعراض، ومثال ذلك أنا لا نعرف حقيقة الجوهر بل إنما عرفنا شيئا له هذه الخاصية وهو أنه الموجود لا في موضوع.

وهذا ليس حقيقته ولا نعرف حقيقة الجسم بل نعرف شيئا له هذه الخواص وهي الطول والعرض والعمق ولا نعرف حقيقة الحيوان بل إنما نعرف شيئًا له خاصية الإدراك والفعل فإن المدرك والفعال ليس هو حقيقة الحيوان بل خاصة أو لازم والفصل الحقيقي له لا يدرك ولذلك يقع الخلاف في ماهيات الأشياء لأن كل واحد أدرك لازما غير ما أدركه الآخر بحكم مقتضى ذلك اللازم.

ونحن إنما نثبت شيئا ما مخصوما عرفنا أنه مخصوص من خاصة له أو خواص ثم عرفنا لذلك الشيء خواص أخرى بواسطة ما عرفناه أولا ثم توصلنا إلى معرفة أنيتها كالأمر في النفس والمكان وغيرهما مما أثبتنا أنياتها لا من ذواتها بل من نسب لها إلى أشياء عرفناها أو من عارض لها أو لازم ومثاله في النفس أنا رأينا جسما يتحرك فأثبتنا لتلك الحركة محركا ورأينا حركة مخالفا لحركات سائر الأجسام وعرفنا أن له محركا خاصا أو له صفة خاصة ليست لسائر المحركين ثم تتبعنا خاصة خاصة ولازما لازما فتوصلنا بها إلى أنيتها، اهـ. ولهذا قال من قال:

برح بي أن علوم الورى	شيئان ما أن فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها	وباطل تحصيله لا يفيد

(١) أشار بالميثاق المأخوذ في القدم إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

واستخفها الطغيان، فأرداها[1]. فحلل الله بمحمد صلى الله عليه عقودها، وفلل بأنصاره وأسرته جنودها[2]، حتى فاه بكلمة العدل جاحد، واستيقظ من سنة الجهل راقد، وأمر بالحق في دين الله ونهى، وظهر دينه على الأديان كلها، صلى الله عليه وعلى آله أولي الأحلام والنهى، صلاة لا غاية لأمدها ولا منتهى[3]. وسلم تسليما.

أيها الناس: ذكروا القلوب هول الازدحام في اليوم المشهود، وضمروا النفوس لاقتحام العقبة الكئود[4]، وحاذروا مظالم العباد قبل انتصاف الحاكم المعبود، وبادروا عدم الإمكان بانتهاز فرص الوجود[5]، وتحفظوا من تسطير رقبائكم قبل شهادات الألسن والجلود، وتيقظوا من سنة غفلاتكم قبل رقدتكم الكبرى في ظلم اللحود[6]، وتفكروا فيمن سلف قبلكم من القرون، وكم سطرت الدنيا منهم ثم محت بيد المنون[7].

أين الممالك وأربابها، أين الملوك وحجابها، أين الزعماء وأصحابها، أين المراتب وطلابها، أين الكواعب وأترابها حصلوا في المقابر وردمت عليهم أبوابها[8]، ألم يكونوا

---

(١) استحوذ عليها الشيطان غلبهم واستولى عليهم، واستهواها خدعها واستمالها من جهة ما تهواه وتؤثره ويقرب من هذا المعنى استهواه الشيطان إذا استهامه وحيره، واستخفها وجدها خفيفة والمراد بخفها خفة عقولها، والطغيان العتو والزيادة في الضلال، وأرداها أهلكها.

(٢) العقود جمع عقد بفتح العين يريد أنه حل ما عقدته من أسباب الضلال، وفل الجيش هزمه وبابه رد يقال فله فانفل أي كسره فأنكسر وفلل مبالغة في فل، وأسرة الرجل رهطه لأنه يشد به أسرهم ويتقوى بهم.

(٣) الأحلام العقول والنهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لأنه ينهى صاحبه عن الفساد.

(٤) ضمروا النفوس اجعلوها ضامرة أي نحيفة نحيلة بمخالفة العادة والتزام أنواع العبادة، والاقتحام ركوب الأمر الشاق والهجوم عليه بغير روية، والعقبة واحدة عقبات الجبال، والكئودة الشاقة المصعد.

(٥) بادروا عدم الإمكان أي لاحقوا عدم الإمكان وسابقوه حتى تسبقوه وذلك بانتهاز فرص الوجود وأراد الحث على اغتنام فرصة الوجود لإمكان الحصول فيه على أسباب السعادة.

(٦) الرقباء جمع رقيب وهو الملك الكاتب لأفعال العباد.

(٧) سطرت كتبت شبه الناس بالحروف وظهورهم بالكتابة وخفاءهم بالمحو، والمنون الدهر والمنية.

(٨) الكواعب جمع كاعب وهي الجارية التي قد كعب ثديها أي انتصب، والأتراب جمع ترب وهو القرين ومن كان على سنك، وردمت سدت.

أغزر منكم أعدادًا، وأكثر أموالا وأولادا، فصمت والله المنون عرى أعمارهم، وهدمت المشيد من معاقلهم وديارهم[١]، فأضحوا أحاديث بينكم وعبرا، وصاروا بعد المعاينة لهم خبرا[٢].

فرحم الله امرأً أعتق نفسه من رق آثامها، وأطلقها بالتوبة من وثاق إجرامها، وأنعم النظر لها بتقوى مالكها، ونكبها بالإحسان عن سبل مهالكها[٣]. قبل أن يستبد السكون بحركاته، وتسلك به المنون سبل هلكاته[٤]. ويزود كفنا من جميع ما جمع على تبعاته[٥]. قبل شهادات لسانه عليه ورجله ويده، وعرقه إلى أذنيه في رشح جسده[٦]. لسماء قد انفطرت، وكواكب قد انتثرت[٧]. وشمس قد كورت، وجبال قد سيرت[٨]. ووحوش قد حشرت، وصحائف قد نشرت، وأرض قد مدت، ومذاهب قد سدت[٩]. ونفوس قد زوجت وجحيم قد أججت[١٠]. ووجوه قد اسودت، وأعناق قد امتدت، وديان لا يرهب من حسابه إلا عدله، ورحمان لا ينجي من عذابه إلا فضله[١١]، وذلك يوم عسر على المذنبين فطال، وحاورت فيه ألسنتهم

---

(١) الفصم الكسر تقول فصمته فانفصم والقصم قريب منه غير أنه يقال فيما يسمع له صوت ويظهر له أثر وذلك لما في حرف القاف من الشدة، والعرى جمع عروة وهو شيء مستدير يستمسك به كعروة الكوز، والمشيد بالتخفيف المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل شيء طليت به الحائط من جص ونحوه وشاد البناء جصصه وهو من باب باع والمراد بالمشيد هنا المتين المحكم وشيد البناء بالتشديد رفعه وأعلاه، والمعاقل جمع معقل وهو الملجأ وبه سمي معقل بن يسار الصحابي.

(٢) المعاينة المشاهدة ومما يقرب من هذا المعنى قول التهامي:

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا   حتى يرى خبرًا من الأخبار

(٣) أنعم النظر وأمعنه بمعنى نكبها أبعدها وأمالها.

(٤) يستبد يستقل والسكون من أحوال الأموات والحركات من أحوال الأحياء وجمعها لتنوعها.

(٥) التبعات جمع تبعة وهو ما يتبع به المرء من ظلامة ونحوها.

(٦) الرشح ظهور القطرات من المسام.

(٧) لسماء قد انفطرت أي لأجل هذا الهول.

(٨) كورت الشمس غورت وذهب ضوؤها.

(٩) مذاهب طرق.

(١٠) زوجت قرنت بأشكالها للذهاب إلى الجنة أو إلى النار، أججت سعرت.

(١١) ديان مجاز وقاض.

الأوصال[١]، والتمسوا من الإقالة والرجعى المحال، وأسمعهم النداء من قبل ذي الجلال، ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤][٢].

أيقظنا الله وإياكم من سنة الغفلة، ووفقنا وإياكم قبل النقلة، وجعلنا وإياكم ممن سدد منهم الأود فغفرت ذنوبهم، ولا جعلنا وإياكم ممن طال عليهم أمد فقست قلوبهم[٣].

إن أحسن ما نضنض به اللسان ورتله، وأنفع ما تلاه الإنسان وحمله، كلام من فرض القرآن فأنزله[٤]، وتقرأ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] إلى آخر السورة.

خطبة في معنى الصلاة والزكاة لأبي طاهر

الحمد لله المحمود الذي لا ينبغي إلا له الحمد، المعبود الذي كل الخليقة له عبد، العظيم الذي لا يحيط به وهم ولا حد، القديم الذي ليس له قبل ولا بعد، أحمده على جميع أقضيته وأقداره، وأسألة التوفيق لما قرب من جنته وبعد من ناره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة جانبها الشك، وفارقها الإلحاد والإفك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأيقظ به من كل فترة عن الحق وسنه، فسعد من حالفه وظفر، وبعد من خالفه وخسر، وظهر به من الحق ما كان كفر[٥].

صلى الله عليه وعلى آله صلاة نعتق بها من أليم عذابه ووبيل عقابه، ونلحق بكريم عطائه وجزيل ثوابه. وسلم تسليما.

أيها الناس: إن الله تعالى ذكره، ونفد أمره، شرفكم بكتابه، المشحون بحكمه وآدابه[٦]. لتعلموا بما شرع لكم فيه، وتقفوا عند أوامره، ونواهيه، ولا تكونوا كالذين

---

(١) حاورت راجعت القول وكالمت، والأوصال الأعضاء وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

(٢) الرجعى مصدر كالرجوع.

(٣) سدد منهم الأود قوم منهم العوج.

(٤) نضنض حرك.

(٥) حالفه عاهده وصار من أنصاره، وبعد بكسر العين هلك ومنه بعدت ثمود، كفر ستر ومنه قيل الليل كافر.

(٦) المشحون المملوء تقول شحنت الفلك إذا ملأته فهو مشحون.

اتخذوا سبيل الغي بخلافه سبيلا، ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا(١).

فمما أمركم به المحافظة على الصلاة التي هي أفضل أعمالكم، وإيتاء الزكاة التي بها إنعاش فقرائكم ونمو أموالكم، ومدحكم بذلك على ألسن أنبيائه، وكرره في محكم تنزيله وآئة(٢).

فقال عز وجل في أول كتابه المنزه عن الباطل: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣، ١] إلى قوله: ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥] وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [لقمان: ٢، ١] إلى قوله ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان: ٤] فوسمكم بالتقوى واليقين، وخصكم بالهدى والفلاح دون العالمين وجعلكم رحمة من المحسنين، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي

---

(١) نبذوه طرحوه.

(٢) الإنعاش مصدر أنعشه الله إذا رفعه من عثرته والمشهور نعشه الله بغير همزة فانتعش وقد جعلوا أنعش غير مسموع وقد ورد في شعر البستي حيث قال:

يا من جفا إذ رأى في ظاهري خللا ... وانفض عني أوغاد وأوباش

لا تيأسن من المرضى وإن ضعفوا ... ولن يفوتهم الإنعاش إن عاشوا

أصل آئة آية والآي جمع آية والآية في اللغة بمعنى العلامة وسميت الآية من القرآن آية لكونها علامة لانقطاع الكلام فيها عما قبله وعما بعده كذا قيل واستشهدوا على ذلك بقول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفها ... لستة أعوام وذا العام سابع

قال في الكواكب في الجزء الثاني والعشرين بعد المائة إن تسمية الآية من القرآن آية لأنها علامة صحيح لكن قول القائل لأنها علامة لانقطاع الكلام فيها عما قبله وعما بعده ليس فيه طائل فإن هذا معنى الحد والفصل وليس هذا هو معنى كونها آية كيف وآخر الآيات آية مثل آخر سورة الناس وكذلك كل آية في آخر سورة وليس بعدها شيء وأول الآيات آية مثل أول آية من القرآن أو من كل سورة وليس قبلها شيء ثم قال والصواب أنها آية من آيات الله أي علامة من علاماته ودلالة من دلالاته وبيان من بيانه فإن كل آية قد بين فيها من أمره وخبره ما هي دليل عليه وعلامة فهي آية من آياته دالة على أن كلامه مباين لكلام المخلوقين ولما كانت كل آية مفصولة بمقاطع الآي التي تختم بها صارت كل جملة مفصولة بمقاطع الآي آية ثم أبان أن قول من قال إنها سميت بذلك لكونها عجبا يقال فلان آية من الآيات أي عجب لا يخرج عن القول السابق فإن آيات الله سبحانه كلها عجيبة فآيات القرآن عجب يتعجب فيها القارئ لمباينتها لكلام المخلوقين وليس هذا لأن مسمى الآية هو مسمى العجب بل مسمى الآية أعم ولهذا قال تعالى ﴿ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩] اهـ.

﴿ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١] الآية.

فواظبوا رحمكم الله على ما به مدحكم، وأخرجوا حقه من فضل ما خولكم ومنحكم، فقد خولكم جزيلا، وسألكم منه نزرًا قليلا[١]، فلا يشغلن أحدكم عن صلاته عند وجوبها شاغل، فيبوء بما باء به المعرض الغافل[٢]، وأدوا حق الله من أموالكم إلى من أوجب ذلك لهم، وسدوا بوفوره فاقتهم وخللهم، واعلموا أن كل مال منع حق الله منه فهو كنز يعاقب صاحب عليه، ورجز يصير يوم مآله إليه[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] الآيتين.

فتيقظ أيها الغفل من سنة رقدتك قبل أن يؤخذ بكظمك، وتزود أيها الراح من جدتك ليوم فقرك وعدمك[٤]، فإنك محاسب على ما جمعت، مطالب بكل ما صنعت، مساءل عما أعطيت ومنعت، مقابل على ما فرطت وأضعت بين يدي عالم قدير، وناقد بعباده بصير[٥].

فرحم الله امرأ أقلع عما كان عليه من العصيان مقيما، واشترى من الله بفانيته جنة ونعيما[٦]، وراقب ملكا بما أسلف من علمه عليما، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

جعلنا الله وإياكم من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأنابوا بصدق العزيمة والإخلاص إليه، ولم تشغلهم الدنيا بحطامها عما لديه[٧].

---

(١) الجزيل العظيم وأجزل له من العطاء أكثر له منه والنزر القليل وبابه سهل.

(٢) باء بالإثم ونحوه رجع به وباء بالحق أقربه.

(٣) الرجز الرجس ومنه ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] والرجز أيضًا العذاب ومنه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ١٦٢] والمراد بالرجز الرجس وهو الشيء الذي يؤنف منه وبالضمير الراجع إليه في الرجز بمعنى العذاب فيكون في العبارة استخدام.

(٤) أخذت بكظمه وهو مخرج النفس وهو بفتحتين، والجدة بكسر الجيم وتخفيف الدال الغنى قال الراجز:

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

والعدم بوزن قفل والعدم بوزن طرب الفقر ونظيرهما الحزن والحزن والرشد.

(٥) بعباده متعلق بما يليه.

(٦) بفانيته أي بدنياه الفانية حذف الموصوف وأقام الصفة مقامها.

(٧) حطام الدنيا متاعها الزائل.

إن أوضح ما ظهر من البرهان، وأفصح ما خطر على الأذهان، وأنجح ما وقر في الآذان، كلام من هو كل يوم في شن[١]. وتقرأ:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآيتين.

خطبة نكاح

الحمد لله على إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده المؤيد بسلطانه ورسوله القائد إلى رضوانه. صلى الله عليه وعلى آله وأعوانه.صلاة يحلهم بها دار أمانة. والنكاح مما أمر الله به.

خطبة أخرى

الحمد لله على حلو القضاء ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له انتهاءً إلى أمره، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائم بنصره، وأمينه المؤتمن على سره، صلى الله عليه وعلى آله ما ذكر في بره وبحره، والنكاح مما أمر الله به ورغب فيه قال الله عز من قائل ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور: ٣٢].

خطبة نكاح

من تأليف أبي الفرج طاهر بن محمد بن عبد الرحيم يخطب بها بحضرة بعض الأمراء إذا تولوا العقد لغيرهم أو لأنفسهم.

الحمد لله المستحمد إلى الأنام بنعمته، المتغمد للأجرام برحمته[٢]، الذي عجزت الألباب عن تكييفه وصفته، وذلت الصعاب لجبروته وعظمته، أحمده على ما ساء وسر من أقضيته، حمد راغب إليه في توفيقه وعصمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في شهادته، وأشهد أن محمدًا عبد شرفه برسالته، ونبي انتجبه لإقامة دعوته، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، صلاة يبلغهم بها نهاية أمنياتهم وأمنيته، والنكاح مما أباحه الله لبريته، والسفاح مما حظره ونهى عن مقارفته[٣]، وفلان ابن فلان ممن غنيتم عن صفاته بمعرفته، وهو راغب في العقيلة الجليلة فلانة بنت فلان

---

(١) وقر ثبت.

(٢) يقال استحمد الله إلى خلقه بإحسانه إليهم وإنعامه عليهم أي طلب الحمد منهم بسبب ذلك، والمتغمد الساتر والمغطي، والإجرام مصدر أجرم بمعنى أذنب ويجوز أن يقرأ بفتح الهمزة ويكون جمع جرم بالضم بمعنى الذنب ومعنى تغمده الله برحمته غمره بها وعمه.

(٣) مقارفة الذنب مقاربته واكتسابه.

رغبة توجب إجابته إلى مسألته[١]، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا مالاً يقوم بجملته، فاقبلوا منه ما بذله وأجيبوه إلى إرادته، قرن الله الخيرة التامة ببدء أمرهما وخاتمته، وشمل مولانا الأمير بإطالة بقائه وإدامة دولته، وكبت أعدائه وتثبيت وطأته، ولا أخلى رعيته من حسن نظره فيهم وجميل طويته[٢]، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين.

فصل لشيخنا أبي القاسم رحمه الله مرتب على خطبة نكاح من خطب جده

(وهي محرر على النسخة القديمة هذه الألفاظ، هذا قول شيخنا إبراهيم الرقي).

الحمد لله الذي خلق الإنسان فعدله....... وكان مما أباحه الله وحلله، وأتاحه جل ثناؤه وسهله، أن وفق مولانا الأمير فلانا لإجابة من سأله، وشيد ما بناه السلف الصالح وأثله[٣]، فأذن في العقد الذي شرفه الله وفضله، وختمه بمشيئته وعجله، على الست الجليلة السيدة الأصيلة بنت الأمير فلان المقسومة إن شاء الله له[٤]، وقد فرض عليه من الصداق كذا وكذا مالاً قرره لها وبذله، وابتدأ بجملته تفضلا منه ونحله[٥].

---

(١) عقيلة كل شيء أكرمه والعقيلة من النساء كريمة أهلها وأصل العقيلة المرأة تعقل في خدرها لكرمها على أهلها.

(٢) كبت الأعداء إذلالهم وقمعهم تقول كبت الله العدو من باب ضرب أذله وقمعه، وتثبيت الوطأة كناية عن التمكين وعدم التزلزل، والطوية الضمير وهو من طويت الشيء إذا سترته وهي فعيلة بمعنى مفعوله.

(٣) أتاحه قدره، وشيد ما بناه وثقه وقواه، وأثله أحكمه ومجد مؤثل وأثيل أي ثابت الأصل.

(٤) الست كلمة محرفة من سيدة وهي خطأ جلي.

وتأولها ابن الأنباري فقال المراد بست ست جهاتي كناية عن تملكها له ولا يخفى أنه تكلف وقد أشار إليه البهاء زهير بقوله:

بروحي من أسميها بستي ... فتنظرني النحاة بعين مقت

يرون بأنني قد قلت لحنا ... وكيف وإنني لزهير وقتي

ولكن غادة ملكت جهاتي ... فلا لحن إذا ما قلت ستي

(٥) الفرض في الأصل قطع الشيء الصلب أو التأثير فيه تقول فرضت الحديد إذا قطعته أو حززت فيه والمفراض والمفرض ما يقطع به الحديد ثم استعمل الفرض في معنى الإيجاب لكن الإيجاب يقال باعتبار وقوعه والفرض باعتبار قطع الحكم فيه وفرض الحاكم النفقة على الزوج أوجبها وحكم بها عليه وفرض النفقة للزوجة حكم بها لها، وصداق المرأة وصدقتها بضم الدال ما تعطى من مهرها وقد أصدقها كذا إذا جعله صداقا لها.

قرن الله بالسعادة آخر أمرهما وأوله، وعم ببلوغ الإرادة ماضيه ومستقبله. وهنأ مولانا بما ملكه من الممالك وخوله، وأضفى عليه لباس النعم وجلله[١]، ووصل بالتوفيق والتسديد قوله وعمله، وبلغه من الدنيا والآخرة أمله، كما اختاره لحراسة الثغور وأهله[٢]، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وله ولجميع المسلمين.

تمت خطب أبي طاهر محمد رحمه الله

****

تمت الخطب والحمد لله

رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وذلك في العاشر من شوال سنة ١٣١١هـ

والنحلة بكسر النون العطية عن طيب نفس من غير عوض وهو أخص من الهبة فكل نحلة هبة وليست كل هبة نحلة واشتقاقها من النحل نظرًا إلى فعله فإذا قلت نحلته فكأنك قلت أعطيته عطية النحل وذلك أن النحل يقع على الأشياء ولا يضرها وهو مع ذلك ينفع نفعا عظيما.

(١) هنأه بما ملكه سره به ومتعه بغير مشقة ولا نصب، والضفو السبوغ تقول ضفا يضفو وثوب ضاف أي سابغ وحوض ضاف أي ممتلئ وأضفى الله علينا لباس النعم أي أسبغه.

(٢) التوفيق في العبد أن يكون أحواله موافقة لما ينبغي أن تكون عليه في نفس الأمر والتوفيق لا بد منه ولا يستغنى بحال عنه فإنه سبب السعادة والوسيلة إلى الحسنى وزيادة وهو بيد من إليه يرجع الأمر كله نسأله سبحانه التوفيق لما يقرب إليه، ويوجب الزلفى لديه، جل جلاله وعم نواله.

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق وعلى آله الأطهار.

وأصحابه الأخيار.

فهرس المحتويات

ترجمة مختصرة لابن نباتة ٣
ترجمة مختصرة للشارح ٦
خطب ابن نباتة ٩
خطبة أخرى يذكر فيها الموت والمعاد ١٢
خطبة أخرى في الموت والمعاد ١٥
خطبة أخرى يذكر فيها الموت والمعاد ١٧
خطبة أخرى في ذكر الموت والمعاد ٢٠
خطبة يذكر فيها الموت والقبر والمعاد ٢٢
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٢٤
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٢٦
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان وموعظة وإنذار ٢٩
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٣١
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان بأهله والمعاد ٣٣
(ويعـــرض فيها بوفاة ست الناس أخت الأمير سيف الدولة أبي الحسن وكانت توفيت ضحى يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة) ٣٣
خطبة يذكر فيها الموت والمعاد ٣٦
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٣٨
خطبة أخرى يذكر فيها الموت والوباء ٤٠
خطبة أخرى في تصريف الزمان والمعاد ٤٢
خطبة في ذكر الموت ٤٥
خطبة أخرى يذكر فيها ذم الدنيا ويحض على قيام الليل ٤٧
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٤٩
خطبة أخرى يذكر فيها الموت ٥١
خطبة أخرى يذكر فيها الموت ٥٤
خطبة أخرى يذكر فيها القيامة ٥٦
خطبة يذكر فيها الموت وتصرف الزمان ٥٨
خطبة أخرى يذكر فيها الموت والوباء ٦١
خطبة في الموت والمعاد ٦٣
خطبة يذكر فيها الموت والمعاد ٦٦
خطبة أخرى في ذكر تصرف الزمان والمعاد ٦٨
خطبة يذكر فيها تصرف الزمان والمعاد ٧١
خطبة في ذكر الموت وصفته (وهي خطبة المنام) ٧٣

خطبة أخرى تعرف بالصوفية ٧٦
خطبة أخرى يذكر فيها الموت وتصرف الزمان بأهله ٧٩
خطبة في تصرف الزمان وذكر المعاد ٨١
خطبة يذكر فيها الموت ٨٣
خطبة يذكر فيها الفتنة وينهى عنها ٨٥
خطبة يذكر فيها الموت ٨٩
خطبة أخرى في الموت وذم الدنيا ٩١
خطبة يذكر فيها الجهاد وظهور الأعداء ٩٣
خطبة يذكر فيها قدوم وال ٩٦
خطبة أخرى يذكر فيها الموت (ويصلح أن يخطب بها يوم العيد) ٩٨
خطب المواقيت (خطبة يذكر فيها استقبال السنة وفضل يوم عاشوراء) ١٠٠
خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخطب بها في شهر ربيع الأول) ١٠٢
خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠٥
خطبة يذكر فيها فضل رجب ١٠٧
خطبة أخرى يذكر فيها رجبا ١٠٩
خطبة يذكر فيها رجبا يخطب بها عند آخره ١١١
خطبة يذكر فيها وداع رجب واستقبال شعبان ١١٢
خطبة يذكر فيها وداع شعبان ١١٦
خطبة يذكر فيها دخول شهر رمضان ١١٨
خطبة يذكر فيها شهر رمضان وفضله ١٢٠
خطبة يذكر فيها وداع شهر رمضان ١٢٢
خطبة يذكر فيها فضل أيام العشر ١٢٤
خطبة أخرى يذكر فيها أيام العشر وفضل يوم عرفة ١٢٦
خطب الجهاديات ١٣٠
خطبة يذكر فيها الجهاد والحض عليه ١٣٣
خطبة يذكر فيها الجهاد ويوبخ الناس على الفرار من الزحف ١٣٦
خطبة يذكر فيها الجهاد ١٣٨
خطبة في ذكر الجهاد وتسكين الناس لاضطراب وقع بهم وخوف عند فتح العدو حلب في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ١٤٠
خطبة أخرى يذكر فيها فضل الجهاد (ويسكن الناس عند ورود الخبر بفتح حلب) ١٤٣
خطبة أخرى في ذكر الجهاد (وحفر الخندق حول سور ميًا فارقين وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ومن آذار سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة) ١٤٥
خطبة أخرى في ذكر الجهاد (ويذكر فيها موافاة نفير خراسان) ١٤٨

خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٥١
خطب أخرى في الجهاد ١٥٤
خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٥٦
خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٥٩
خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٦١
خطبة أخرى يذكر فيها الجهاد ١٦٣
خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٦٦
خطبة أخرى في ذكر الجهاد عملها بالموصل ١٦٨
خطبة أخرى في ذكر الجهاد ١٧٠
خطبة أخرى يذكر فيها الجهاد ويذكر فيها أخذ الدمستق ١٧٢
الخطب المختصرة ١٧٤
خطبة يذكر فيها احتباس المطر ١٨٤
خطبة يخطب بها في الاستسقاء ١٨٦
خطبة في المعنى يذكر فيها صنع الله (وتفضله بالغيث بعد الاستسقاء) ١٩٢
خطبة يذكر فيها كسوف الشمس ١٩٥
الفصول (فصل يذكر فيه قدوم نجا من الشام وأمن البلد به في رجب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة) ١٩٨
فصل (يذكر فيه وقعة نجا فتى سيف الدولة رحمه الله بالروم على باب حصن زياد وظفره بهم بعد خمسين حملة كانت بينهم في يوم السبت لستٍّ بقين من شعبان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة) ١٩٩
فصل (يذكر فيه ولاية الأمير أبي المكارم ديار بكر خطب به يوم إقامة الدعوة له وهو يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة) ٢٠٠
فصل ٢٠١
فصل في قدوم الأمير ٢٠٣
فصل ٢٠٥
فصول: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب الثواني يمينا وشمالا ٢٠٥
الخطب الثواني ٢١٦
خطبة أخرى ثانية ٢١٩
خطبة ثانية ٢٢١
ثانية أخرى ٢٢٢
فصول الأدعية فصل دعاء لبعض الولاة ٢٢٣
دعاء آخر ٢٢٤
دعاء لبعض الولاة عند توجهه إلى الحرب ٢٢٤

نوع آخر دعاء للولاة........ ٢٢٥
دعاء على العدو ٢٣٢
نوع آخر........ ٢٣٣
فصل........ ٢٣٤
لواحق خطب المواقيت خطبة يخطب بها في شهر ربيع الأول ٢٣٥
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الأول ٢٣٨
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الأول ٢٤٢
خطبة يخطب بها في شهر ربيع الآخر ٢٤٤
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ربيع الآخر ٢٤٥
خطبة يخطب بها في شهر جمادى الأولى........ ٢٤٧
خطبة يخطب بها في شهر جمادى الآخرة........ ٢٤٩
خطبة يخطب بها في شهر جمادى الآخرة........ ٢٥٢
خطبة أخرى يخطب بها في شهر جمادي الآخرة........ ٢٥٨
خطبة يخطب بها في شهر جمادي الآخرة........ ٢٦١
خطبة يخطب بها في شهر شوال........ ٢٦٣
خطبة يخطب بها في شهر ذي القعدة........ ٢٦٤
خطبة يخطب بها في شهر ذي القعدة........ ٢٦٧
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة........ ٢٧٠
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة........ ٢٧٢
خطبة أخرى يخطب بها في شهر ذي القعدة........ ٢٧٤
خطبة في وداع شهر رمضان........ ٢٧٦
خطبة لعيد الفطر (تكبر تسعا وتقول في آخر ذلك) ٢٨١
الخطبة الثانية للعيد........ ٢٨٧
خطبة يوم النحر ٢٨٨
خطبة في ذكر القيامة........ ٢٩٤
خطبة في ذكر النار........ ٢٩٦
خطبة في ذكر الموت والمعاد ٢٩٨
خطبة نكاح ٣٠١
خطبة النكاح........ ٣٠٣
خطبة نكاح ٣٠٣
خطبة ودعاء لختم القرآن على المنبر وتعرف بالفاتحة ٣٠٥
خطبة ودعاء عند ختم القرآن في شهر رمضان (وتعرف بالقعسرية) ٣١٩
خطب ولده أبي طاهر محمد رحمه الله ٣٣٣

خطبة لأبي طاهر.. ٣٣٥
خطبة في معنى الخمر تأليف أبي طاهر ٣٣٨
خطبة لأبي طاهر يذكر فيها النهي عن الخمر.................................... ٣٤١
خطبة أخرى من تأليف أبي طاهر ٣٤٤
خطبة لأبي طاهر محمد بن عبد الرحيم ٣٤٦
خطبة لأبي طاهر.. ٣٤٩
خطبة من تأليف أبي طاهر ٣٥٢
خطبة من تأليف أبي طاهر ٣٥٤
خطبة في الموت والمعاد من تأليف أبي طاهر ٣٥٧
خطبة يذكر فيها وداع شهر رمضان ٣٦٠
خطبة من تأليف أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم.................................. ٣٦٢
خطبة في معنى الصلاة والزكاة لأبي طاهر...................................... ٣٦٦
خطبة نكاح ٣٦٩
خطبة أخرى.. ٣٦٩
خطبة نكاح ٣٦٩
فصل لشيخنا أبي القاسم رحمه الله مرتب على خطبة نكاح من خطب جده................ ٣٧٠
فهرس المحتويات ٣٧٢